
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 002092920

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

DUE JUN 15 19

JUN 15 2008

JUN 15 2009

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الجزء الاول

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

al-Nāṣirī, Aḥmad ibn Khālid

الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

al-Istiqṣā

الجزء الأول



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبى السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 002092920

مقدمة

لقد كان لظهور فن الطباعة العربية بالشرق فى أوائل القرن السابع عشر الفضل الاكبر فى ما للشرق العربى اليوم من ازدهار فكرى وثقافى . إذ بفضل المطبعة العربية التى عرفتها لبنان فمصر ثم بقية الامم العربية أمكن أن يزاح غبار النسيان والاهمال عما كاد يندثر من المخطوطات العربية . ووجد الكاتب العربى مجالا أوسع مهد له سبيل نشر منتوجاته ، وربط الصلة بينه وبين قرائه ؛ وتقرب الشرق الاسلامى إلى حد بعيد من العالم الغربى بما أخذت تنشره مطابع الشرق من كتب تنقلها من مختلف اللغات ، وتقدمها سهلة ميسورة إلى قراء العربية .

وعلى العكس من ذلك كان لفقد فن الطباعة بالمغرب أثره فى تخلف المغرب عن ركب الحضارة الفكرية خلال القرنين الاخيرين . وما نعنى أن المغرب كان يعدم خلال تلك الفترة رجال الفكر والقلم ، وإنما كان هؤلاء - بحكم انعدام وسائل النشر - مجبورين على الرضى بقلة الانتاج ، وعلى أن يتركوا منتوجاتهم مستسلمة لنوم عميق فى رفوف الخزائن الخاصة ، يتوارثها الابناء عن الآباء فى ضمن ما يتوارثونه من أمتعة وأثاث ، وكثيرا ما يجنى الابناء على تلك التركة فتندثر دون أن يدركوا فائدتها فضلا عن أن يقدروا قيمتها .

وإذا استثنينا المطبعة الفاسية الحجرية التى قامت بمحاولة طيبة لتدارك هذا النقص الشائن بوسائل أقل ما يقال عنها إنها بدائية إلى حد بعيد فى فن الطباعة الذى كان مزدهرا إذذاك فى الشرق ، إذا استثنينا ذلك لانجد فى هذا الميدان شيئا مذكورا مع الاسف الشديد .

2272
.7017
.349
٧٠١-٢

وقد كان لثلة قليلة من أعلام الفكر بالمغرب فضل التفكير فى التوجه إلى مطابع الشرق لنشر مؤلفاتهم ، وكان من بين هؤلاء الافذاذ مؤلف كتاب الاستقصا ، فى أخبار دول المغرب الاقصى . فقد طبع كتابه هذا بمصر سنة ١٨٩٤ م

فأمكن بذلك أن يكشف الستار عن كتاب كاد - لولا همة مؤلفه - أن يضاف إلى زمرة المخطوطات المغربية القيمة التى تسطو عليها الارضة فى زوايا خزانتى الرباط وفاس ، وفي المكاتب الخاصة التى لا يعرف إلّا القليلون بعض محتوياتها .

وبالرغم من ذلك لم يتيسر لهذا الكتاب الرواج الكافى كما لو طبع فى بلاد المغرب ، فوجد القراء المغاربة منه ما يكفى من النسخ لشفاء غليلهم .

وهكذا ظل هذا الكتاب المغربى أصلا وفصلا يتسرب الى المغرب على أنه منحة شرقية ، فتتخطفه الايدى وتحتفظ به الخزائن كتحفة عزيزة نادرة . ولم يمض على طبعه غير يسير حتى أصبح - كما يقول المثل العربى - أعز من بيض الانوق .

واذا كان للمغرب فى عزلته التاريخية فى العصور الاخيرة بعض العذر فى عدم توفره على المطابع العصرية الحديثة ، فليس له عذر اليوم فى أن يظل عالة على الشرق العربى يتوجه اليه على بعد المسافة ملتمسا منه أن يعرف العالم بمنتوجاته عن طريق الطباعة .

لذلك كان من الاهداف الكبرى التى توختها مؤسسة دار الكتاب أن تعمل على نشر ما أقبرته السنون من الذخائر المغربية لتسمع صوت المغرب من المغرب ، وتساهم بذلك فى تغذية حركة النهضة الفكرية التى أخذت منذ أمد غير يسير تشق طريقها فى هذه البلاد ، وتمضى فى تطور سريع .

ومنذ تأسست هذه الدار سنة ١٩٤٨ أخذت تنشر فى مطابع الشرق العربى بعض منتوجات المغاربة ، ولكنها سعيدة اليوم بأن تقدم مطبعتها بالمغرب هذا الكتاب التاريخى القيم الحافل بتفاصيل الاحداث التاريخية التى عرفها المغرب منذ أقدم عصوره الى أواخر حياة مؤلفه سنة ١٨٩٣ م .

ولقد كانت أمنية عزيزة داعبت خيالنا منذ تأسس مشروع دار الكتاب أن يكون هذا الكتاب فى طليعة منشوراتنا ، ذلك لانه بحق الكتاب الجامع - فى غير تطويل ولا اقتضاب - لتاريخ المغرب ، والمصدر الهام الذي لا غنى عنه لمن يريد أن يكتب عن

المغرب فى عصر من العصور أو حقبة من الحقب .

وقد رأت دار الكتاب أن تقدم « كتاب الاستقصاء » لقرائها دون أن تشفعه بتعليقات مسهبة تضيع معها الفائدة التى نظن أن مؤلف الكتاب توخاها ، إذ قصد أن يكون كتابه مستوعبا لجميع عصور التاريخ المغربى ، وبعيدا فى الوقت نفسه عن أن يكون كتاب تحليل واستنتاج لعبر التاريخ وعظاته ، او كتاب تاريخ للرجال والاعلام، فانما قصد المؤلف بكتابه - على ما نظن ، وكما يدل عليه اسم الكتاب نفسه - أن يكون استقصاء لتاريخ الدول المتعاقبة على المغرب .

ولكننا شفعنا هذه الطبعة بتعاليق مختصرة ، وفى الوقت نفسه ذات أهمية ، تفضل بإعدادها ولدا المؤلف صاحبا السعادة الاستاذ جعفر الناصرى والاستاذ محمد الناصرى ؛ كما الحقنا به بعض الاستدراكات التى كتبها المؤلف بخطه على النسخة الاصلية التى طبعنا عنها .

وتفضل الاستاذان المذكوران بكتابة ترجمة حياة المؤلف ، وهما ولاشك أحق من يتحدث عن المؤلف ويترجم له .

وما نشك فى أن الباحث لن يعدم بين ثنايا هذا الكتاب - وقد اصبح الآن سهلا ميسورا - ما يعينه على استكشاف ما لا يزال غامضا من جوانب التاريخ المغربى الذى لا يزال فى حاجة أكيدة إلى مزيد من البحث والتنقيب ، وخصوصا التاريخ الاجتماعى والفكرى .

وقد حرصت دار الكتاب على أن تقسم الكتاب أجزاء بحسب العصور التاريخية ، وهكذا تصدر الجزء الاول محتويا على تاريخ الفتح الاسلامى للمغرب وفترة ارتباط المغرب بالخلافة الاسلامية ، ثم الدولة الادريسية ، ودولة زناتة .

والجزء الثانى خاصا بالدولة المرابطية ، والموحدية .

والثالث عن الدولة المرينية إلى آخر دولة أبى عنان ،

والرابع من دولة أبى عنان إلى نهاية الدولة المرينية .

والخامس من الدولة السعدية إلى وفاة المنصور السعدى .

والسادس من اخبار أولاد المنصور إلى نهاية الدولة السعدية .

ويبتدىء الجزء السابع منذ بداية الدولة العلوية لينتهى عند عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله .

والجزء الثامن منذ بداية عهد هذا السلطان الى عهد المولى عبد الرحمن حيث نخصص له الجزء التاسع والاخير إلى نهاية الكتاب .

كما حرصت دار الكتاب على أن تضع للكتاب فهارس للاعلام والقبائل والاماكن، والحقتها بكل جزء لتسهل على الباحث سبل البحث ، وتضع بين يدى القارىء هذا الكتاب وقد اكتسى حلة زاهية جديدة لم يعرفها فى طبعته الاولى .

وقد يلاحظ من لا يزالون يحتفظون بتلك الطبعة فرقا فى بعض النصوص والتعابير بين طبعة مصر وهذه . وذلك يرجع الى أننا اعتمدنا على النسخة المصرية التى صححها المؤلف بعد طبعها وكان يشطب على بعض العبارات فيها أو يتدارك فيها بعض السهو ، أو يصحح بها ما عسى أن يكون اهتدى اليه بعد طبع الكتاب بمصر . فليس إذن من التطاول فى شىء أن نقول إن طبعتنا هذه تستأثر بهذه المزية وتفضل بها سابقتها .

ومن واجبنا قبل أن نترك هذا الكتاب بين يدى القراء أن ننوه بحسن المعونة وجميل المساعدة التى وجدتها دار الكتاب من ولدى المؤلف الاستاذ جعفر والاستاذ محمد ، فلهما أكبر الفضل فى تمكين قراء العربية من الظفر بهذه الذخيرة المغربية التى تهديها دار الكتاب لروادها فى مطلع العام الميلادى الجديد .

الدار البيضاء ١٠ جمادى الاولى ١٣٧٣
١٥ يناير ١٩٥٤

دار الكتاب

ترجمة مؤلف الكتاب

الشيخ احمد بن خالد الناصرى

بقلم ولديه صاحبى السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى



نسبـــــه :

هو أبو العباس أحمـد بن خالد بن محمد بالضم المـدعو حمادا بن محمد بالضم الكبير بن أحمـد بن محمـد بالفتح الصغير بن الشيخ محمـد بالفتح الشهير بابن ناصر الدرعى مؤسس الزاويـة الناصرية بالمغرب ، ينتهى نسبه الى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب زوج زينب شقيقة الحسن والحسين ابناء فاطمة الزهراء زوج على بن أبى طالب وبنت محمد (صلى الله عليه وسلم) .

تاريخ أسرتـه (١) :

اصل أجداد صاحب الترجمة بدرعة من أرض المغرب الاقصى ، وكانوا قـد انتقلوا اولا من جزيرة العرب الى صعيد مصر اوائل المائة الرابعة للهجرة إثر منازعة على الرياسة كانت بينهم وبين بنى الحسين فى ذلك العهد .

فاستمر مقامهم هنالك الى أن حدث نفور بين ملك مصر المستنصر بالله معد العبيدى وبين عامله على افريقية المغربى باديس الصنهاجى ، فاستنفر اليه المستنصر عرب بنى هلال ابن عـامر وبنى سليم بن منصور الـذين كانوا مقيمين بصعيد مصر ، وأمرهم بحربـه فى خبر طويل ، ليس استيفاؤه من غرضنا ، فانفلتت طائفة من بنى جعفر الذين كانوا يومئذ بالصعيد فدخلت معهم واستقرت بجنوب المغرب مما يلى ملوية وتافيلات وواحات درعة ، وذلك فى اواسط المائة الخامسة للهجرة فاستوطنوا تلك الناحية وطاب لهم المقام بها .

وكانوا مشهورين بالفضل والعلم والرياسة فى تلك البقاع ، لم ينقطع ذلك منهم الى ان ظهر الشيخ ابن ناصر المذكور وطارصيته وامتدت شهرته وعظم أمر الزاوية (٢)

---

(١) قـد بسط المؤلف القول فى هذا الموضوع وفصله تفصيلا فى كتابه المسمى : « طلعة المشترى ، فى النسب الجعفرى » المطبوع بفاس سنة ١٣٢٠ .

(٢) تاريخ زاوية تامكروت وما تفرع عنها من الزوايـا مبسوط فى كتاب طلعة الدعة في تاريخ درعة ، والدرر المرصعة في تراجم صلحاء درعة للشيخ محمد المكى الناصرى ، وطلعة المشترى فى النسب الجعفرى للمترجم له والاولان مخطوطان والثالث طبع بفاس ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢) م وكلها موجودة بالخزانة الناصرية بسلا .

بتامكروت وكثر نسل آل ناصر وامتدت فروعهم بذلك الصقع . وكان فى أسرة صاحب الترجمة فضل ورياسة وشهرة فى العلم ووجاهة وظهور ، فاختصت بالزاوية المعروفة بزاوية البركة قرب تامكروت فكانت بايديهم ، وتوارثها اعقابهم من بعدهم الى زمن والد صاحب الترجمة خالد بن محمد المدعو حمادا فحصل له ما يقتضى مفارقته لها من بعض اموره الشخصية .

فهاجر منها اولا الى مدينة سلا فى حدود سنة ١٢٢٠ للهجرة (١٨٠٥) وقابله أهلها بما لا مزيد عليه من التعظيم والاحترام ، والاجلال والاكرام ، لما كان لهم من تمام المحبة والاخلاص لآل ناصر فاستوطنها مدة وانتشر صيته فى القبائل المجاورة لها الى العرائش ونواحى طنجة لما كان عليه من العلم والزهد والورع والتحرى فى التماس الرزق من أوجه الحلال . ثم استقر بطنجة وتزوج بها احدى بنات عمه السيدة زينب بنت الفقيه على بن محمد الناصرى ، وكانت غنية جدا ، واقام معها بضع سنوات الى ان توفيت رحمها الله ، فورث منها عدة املاك واراضى ، واشتغل بالفلاحة والتجارة بقبيلة الغرب قرب العرائش وملك هناك عدة اراضى ومزارع فكان ذلك سببا باعثا على انتقاله الى العرائش وتردده ما بينها وبين طنجة وما والاهما من القبائل .

واستمر ساكنا بالعرائش دهرا واتخذ من اهلها نسبا وصهرا ، فتزوج بوالدة صاحب الترجمة فاطمة بنت محمد بن زروق العلمى من شرفاء جبل العلم وولد له سائر أولاده بهذه المدينة ما عدا صاحب الترجمة .

ثم بدا له أن يرجع الى سلا لما كان يجده من الميل الى المقام بها . فارتحل اليها وصاحب الترجمة حمل فى بطن امه وذلك فى سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) وكان هو المزداد من اولاده بهذه المدينة فقط واستقرت به فيها حينئذاك اه وألقى عصا التسيار ومازال خلفه بها الى الان .

مولده (١) :

كانت ولادة المؤلف بمدينة سلا اثر رجوع والده اليها بقصد الاستيطان بها من

(١) الاستقصا صحيفة ١٩٣ من الجزء الرابع طبع مصر .

العرائش وقت طلوع الفجر يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام متم سنة خمسين ومائتين والف للهجرة الموافق للثانى والعشرين من شهر مارس سنة خمس وثلاثين وثمانمائة والف للميلاد .

نشأته ودراسته (١) :

نشأ صاحب الترجمة بمسقط رأسه سلا كما تقدم فى حجر والديه .

وكانت هذه المدينة اذ ذاك زاهرة بالعلوم الاسلامية والعربية ، وفيها جماعة وافرة من العلماء والمدرسين والاساتذة القراء الذين يعتمد عليهم فى تحقيق الفنون ، ودرس اصول العلوم والمتون . فأقبل صاحب الترجمة منذ نعومة اظفاره على رضاع ثدى علومهم والاقتباس من مشكاة انوار افكارهم .

فاخذ فى قراءة القرآن منذ صباه على شيخه الاستاذ الحاج محمد العلو السلاوى الى ان تولى هذا الشيخ خطة الحسبة بسلا فانتقل الى الاخذ عن شيخه بعده الاستاذ محمد بن الجيلانى الحمادى فقرأ عليه مبادئ العلوم الراجعة لقراءة القرآن ، ودرس عليه القرآن بحرفى ابن كثير ونافع إلى أن اصطفى السلطان المولى عبد الرحمن هذا الشيخ لنفسه وجعله إماما للصلاة به .

فصار يقرأ بعد ذلك على شيخه الاستاذ محمد بن طلحة الصباحى ولازمه إلى أن توفى .

وأتم القراءات السبع على شيخه الاستاذ عبد السلام بن طلحة ابن عم المذكور آنفا ، وعلى هذا الشيخ تلقى فن التجويد وحفظ المتون والامهات كمنظومة الشاطبى وابن عبد البر وخلاصة ابن مالك وتلخيص المفتاح وابن السبكى ومختصر الشيخ خليل وغيرذلك. ولما حصل ذلك وأتقنه شرع فى قراءة علوم العربية على شيخه العلامة محمد بن عبد العزيز محبوبة السلاوى فدرس عليه عدة تآليف فى النحو والبلاغة والمنطق والكلام والفقه وأصول الدين إلى أن ارتحل هذا الشيخ إلى الحجاز وتوفى هناك سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٣ م وهذا الشيخ هو عمدته فى علوم اللسان والبلاغة والادب . وقد رثاه بقصيدة بليغة

(١) جل ما فى هذا الفصل مأخوذ عما ترجم به المؤلف لنفسه فى رسالة مخطوطة كتب بها لصديقه الاديب الفاطمى الصقلى الفاسى وهى محفوظة بالخزانة الناصرية بسلا

مدونة بديوان شعره المخطوط ، مطلعها :

ملازمة التذكار تذهب باللب * وتغرى قديم الوجد بالهائم الصب

ولله قلب ما أشد تقلبا * على جمرات البين والحادث الصلب الخ

فصرف وجهته حينئذ للاخذ عن شيخه وعمدته أيضا العلامة قاضى سلا وخطيبها أبى بكر بن محمد عواد السلاوى فقرأ عليه فنونا جمة وعلوما مهمة كالاصول والمعانى والبيان والبديع والحديث والسيرة النبوية والتصوف وفلسفة الدين قراءة تحقيق ، واتقان وتدقيق ، زيادة على الابحاث والمطالعات والمذاكرات والمراجعات وحل المشكلات التى كانت تروج بينهما فى بيته فذلك شىء كثير لا يدخل تحت الضبط والاحصاء . وكان هذا الشيخ معطفا له مشغوفا به لا تلذ له قراءة إلّا إذا كان حاضرا فى المجلس صرح له بذلك غير ما مرة .

وكان له عدة أشياخ غير من ذكر أخذ عنهم فنونا مختلفة من العلم تركنا ذكرهم اختصارا إذ تتبع ذلك يطول جدا .

وفي أثناء ذلك توفى والده (١) واشتغل إخوته بما كان يشتغل به والدهم من الفلاحة وغيرها فلم يعقه ذلك عن طلب العلم بل تخلى عن كل شىء لاخوته وزهد فيه وأقبل على ما كان صارفا وجهته إليه .

هذا ، ولم يكن صاحب الترجمة مقتصرا فى تعاطيه للعلوم على ما كان نافقا منها فى وقته شائعا بين أبناء جنسه بل كانت همته تتوق إلى الاطلاع على سائر العلوم القديمة الاسلامية التى لم يبق للناس اعتناء بها .

فانكب على مطالعة التآليف الموجودة فيها فدرس علم التفسير وعلوم الحديث والرياضيات والطبيعيات والالاهيات وحده بغاية الاجتهاد والدءوب ، وطالع كتب التاريخ القديمة وانتسخ لنفسه عددا كبيرا من المؤلفات الغريبة منها ، وطالع كتب الجغرافية القديمة وبعض التآليف الحديثة المترجمة من اللغات الاجنبية فى هذا الفن ،

---

(١) كانت وفاة والده بقبيلة الغرب فى مزرعته التى كانت هناك سنة ١٢٧٧هـ ١٨٦١م راجع الاستقصا صحيفة ٢٥٥ الجزء الرابع طبع مصر .

ورسم خرائط ورسوما عديدة متنوعة بيده فى وقت لم يكن أحد يهتم بذلك ولا يتشوف اليه.

وكان متشوقا دائما إلى الاطلاع على المعارف الوقتية والوقوف على حقائق العلوم العصرية والمخترعات الاوربية ، معجبا بما يصدر منها ويظهر ، ومعطيا لذلك حظه من من النظر ، معتنيا بمطالعات المجلات العلمية ، مولعا بالجرائد السيارة وترجمتها إن كانت بغير لغته العربية واقتباس ما فيها من الفوائد والشوارد وتقييدها والتمعن فيها وانتقادها. وكانت تأتيه من مصر والشام واسبانيا وفرنسا وما زال الكثير منها محفوظا بخزانته العلمية إلى الآن .

ولما أتم قراءته وحصل على ما أراده من العلوم العربية سواء فى ذلك المألوف منها والمتروك ظهر بمظهر غريب فى قومه وفكر بعيد المرمى بين أبناء جلدته ، فصار بذلك متميزا عنهم ، مرموقا بعين الاعجاب بينهم ، وتفرغ حينئذ لنشر العلم والتأليف حسبما نذكره .

تصديه لنشر العلم :

ثم ان صاحب الترجمة انتصب لنشر العلم وبثه وصرف وجهته وكليته لنفع الخاص والعام ، وكان فصيح اللسان قوى الحافظة ، حاضر الذهن حسن الايراد ، فكان كلامه إذا برز فيه نفذ إلى القلوب ورسخ فيها رسوخا بينا .

وقد سلك فى تدريس العلوم طريقة جديدة بالنسبة لعلماء عصره ، وذلك أنه كان يراعى فى تدريسه التفهيم ويطرق المسائل الاجتماعية والدينية ويتكلم عليها بالكلام البليغ الذى يؤثر فى عقول الحاضرين فكانت دروسه من أجل ذلك أندية تزدحم عليها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مقاصدهم واغراضهم فكانوا يبكرون إلى المجلس قبل الوقت بالساعة والساعتين ويتسابقون إلى محلات الجلوس ومع ذلك كان المجلس يعمر ويغص بأهله حتى يجلسوا بالطرق القريبة منه والرحاب المتصلة به .

فعكف على تدريس تآليف كثيرة فى فنون مختلفة عقلية ونقلية : منها علم التفسير بشرح الخازن ، وكان هذا الفن قد ترك بالمغرب منذ زمن طويل فأحياه وختم تفسير القرآن مرتين . ومنها مقدمات ابن رشد فى الفقه ، وتبصرة ابن فرحون فى

الاحكام الفقهية أيضا ، وابن برى فى علم القراءات ، وفتح المنان كذلك ، والمطول على السعد فى البلاغة . ومغنى اللبيب لابن هشام فى النحو ، ومختصر الشيخ خليل ، والتحفة ، والزقاقية ، والمرشد المعين ، وألفية ابن مالك ، وغير ذلك مما يطول تعداده فى العلوم الرياضية والطبيعية والشرعية .

سيرته ومذهبه :

كان مقتفيا اثر السنة فى كل شىء ، شديد الانكار على اهل البدع متصديا اليهم عاملا على زجرهم وردهم الى الكتاب والسنة ، منددا بالطوائف (١) وارباب الاهواء الذين ادخلوا فى الديانة الاسلامية ما ليس منها حتى شوهوا وجهها وغيروا أصلها معتقدا أن أصل كل تأخر حل بالاسلام والمسلمين إنما اتى من هاته النزغات والبدع ، مع الحرص الشديد على ايقاظ المسلمين من غفلتهم وردهم الى الطريق الواضح والمنهج السوى الذى يؤدى الى الرقى الحقيقى فى الدين والدنيا . وتلك كانت غايته المقصودة وضالته المنشودة ، كأنما أوقف عمره لاجل ذلك ، ومن راجع تآليفه وخصوصا «تاريخ الاستقصا» و«تعظيم المنة» وجدها طافحة بالتحذير من هذا الداء والاغراء بالمبادرة الى العلاج بالوسائل الفعالة التى كان يعتقدها ناجعة فى حسم مادته ، وهى : نشر العلم الصحيح الحقيقى بين سائر افراد الامـــة .

وكذلك من تتبع ما كتبه فى مؤلفاته على اختلاف انواعها علم قدر وطنيته وغيرته على بلاده ودينه وتاسفه العظيم على ما هى عليه من التأخر .

هذا ، ولم يكن صاحب الترجمة متعصبا كما يتوهم بل كان واسع الفكر حر الضمير معطيا كل ذى حق حقه ، متواضعا لين الجانب طيب المعاشرة دمث الاخلاق ، مع جـــد صارم فى سائر احواله يحب تعلم اللغات الاجنبية ، ومخالطة رجال الـــدول الاروبيـــة للاقتباس من معارفهم ، وكانت له مـــع بعض قناصل الدول والتجار الاجانب فى عصره معاشرة ووداد ومذاكرات ومحاورات ومراسلات علمية فى مسائل مختلفة . وطالما كان

---

(١) قد الف صاحب الترجمة تأليفا خاصا فى هـــذا الموضوع سماه تعظيم المنـــة ، بنصرة السنة . مازال لم يطبع .

يهتم بارسال بعض انجاله الى اوروبا بقصد اخذ العلم فى مدارسها ، مع ان هذه الفكرة لم تكن تخطر لاحد من المغاربة اهل عصره ، وانما كان يصده عن تنفيذ هذا العزم عدم سهولة المواصلة على ما ينبغى اذ ذاك وكونه طعن فى السن واحتياجه الى من يقوم بشؤونه ويتلقى عنه افكاره وآراءه ودروسه .

ومن اراد الوقوف على رأيه فى هذا الموضوع ، وأفكاره فى معاملة اهل بلاده مع الخارج فلينظر ما كتبه فى المسائل السياسية والاقتصادية التى طرقها فى تاريخه الاستقصا فى عدة مواضع كمسألة (١) تنظيم الجيش ومسألة (٢) ربط العلائق السياسية ما بين المغرب ودول اوروبا وغير ذلك من الموضوعات التى دقق البحث فيها .

أما مذهبه فى التعليم (٣) فإنه كان يرى أن الطريقة المسلوكة فى التعليم عند المغاربة في عصره قليلة الجدوى عديمة النتيجة بعيدة الوصول إلى الغاية المقصودة منها ، وان التآليف المتداولة بين ايديهم لاتفى بالغرض المطلوب لاختصارها وغموضها وانغلاق عباراتها واختلاطها وعدم ترتيبها ، ولاحتوائها على المسائل والابحاث الفارغة التى لاطائل تحتها .

فكان من رأيه صرف الناس فى التعليم إلى كتب السلف المؤلفة أيام ازدهار العلوم فى عصر التمدن الاسلامى ، والاخذ منها لوضوح عبارتها وسهولة فهمها وكثرة فائدتها .

وكان من رأيه أيضا احياء ما اندثر من العلوم المهمة التى كانت نافقة عند العرب إبان زهو حضارتهم كالطب والفلسفة والتاريخ والجغرافية والجبر وما أشبه ذلك ؛ وطالما ندد بهذه الفكرة فى دروسه وخطبه ومجتمعاته وكتبه . ولكن بكل أسف لم تكن عقول أهل عصره بلغت الدرجة التى تؤهلهم لفهم ما كان يحاوله على حقيقته

---

(١) راجع الاستقصا صحيفة ٢٢٢ الجزء الربع طبع مصر .

(٢) راجع الاسقصا صحيفة ٢٢٦ وما بعدها الجزء الرابع طبع مصر .

(١) قد بسط صاحب الترجمة افكاره في هذه المسألة فى مقدمة حاشيته على التبصرة المسماة : « الفلك المشحون ، بنفائس تبصرة ابن فرحون » مازال لم يطبع وهو محفوظ بالخزانة الناصرية بسلا .

وتقديره حق قدره، وتحمله على محمله وتعمل به. بل كانوا يتلقون ذلك منه بصفة الاستعجاب والاستغراب.

ومع ذلك فهو بحسن سياسته وهديه كان يتكلف الوسائل ويستعمل غاية مجهوده في تفهيمهم ذلك وتبيينه لهم. وقام في وجهه بعض الناس من ارباب الطوائف والطرق وصار يشنع (١) عليه فلم يهنه ذلك ولم يثن عزمه بل استمر مثابرا على طريقته وخاب سعي ذلك المنكر ولم يدرك منه مراده لحسن قصده وخلوص نيته إلى أن أتته منيته وهو على ذلك الحال.

* * * * * * *

تنقلاته وخدماته المخزنية (٢)

لما ظهر صاحب الترجمة بمظهر النزاهة والارشاد وعلو الهمة وسمو المدارك في العلم طار صيته في أقطار بلاده فندبه السلطان مولاي الحسن للانخراط في سلك موظفي دولته فامتنع أولا لأنه كان يظن أن ذلك يصرفه عن وجهته العلمية، فألح عليه حتى امتثل. وتنقل في عدة وظائف سامية في انحاء المملكة الشريفة، فتولى أولا خطة الشهادة ببلده سلا مدة في حدود سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م، وكان ينوب بها إذ ذاك عن قاضيها الفقيه ابي عبد الله محمد العربي بن أحمد بن منصور.

ثم لما تولى شيخه العلامة أبو بكر بن محمد عواد خطة القضاء بسلا في سنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨م أسندت إليه خطة العدالة والصائر على الاحباس الكبرى بسلا بأمر سلطاني، فأظهر فيها غاية الحزم والضبط، ونظمها تنظيما يشهد ببراعته في الترتيب، ونقب على ما ضاع منها وردها لاصولها، حتى ان الحوالة الموجودة الآن هو الذي استخرجها ووقع جل وثائقها وهي المعتمدة والمرجوع إليها اليوم في الاحباس السلاوية.

---

(١) قد شرح صاحب الترجمة ما لقيه من هؤلاء وما كان مآلهم في كتابه تعظيم المنة بنصرة السنة في باب الكلام على التصوف. وهو مخطوط بالخزانة الناصرية بسلا

(٢) المخزن في الاصطلاح الاداري المغربي يعني الحكومة المغربية.

ومن جملة أعماله المأثورة فى الاحباس أن المدرسة المرينية المشهورة بطالعة سلا قبلة المسجد الاعظم كانت عند توليه لهذا المنصب فى حالة يرثى لها : قد تداعت إلى السقوط وشن الخراب الغارة عليها وكاد يأتى على رائع جمالها ، فأراد بعض ذوى السلطة أن يجعلها مربطا للدواب ، فقام لذلك وقعد ، وأظهر غاية الكراهة لهذا الامر الشنيع ، وكتب إلى المخزن يعرفه بأهمية هذا الاثر العظيم وما يترتب على اندثاره . فصادف كلامه قبولا وأجيب بإجراء المتعين فى اصلاحها وترميمها وردها إلى الحالة التى كانت عليها ، فقام فى ذلك بنفسه أتم قيام حتى آلت لما هى عليه اليوم . ولولاه لما بقى إلّا خبرها كأختها المدرسة العنانية الموجودة بباب حسين من هذه المدينة المعروفة اليوم بفندق آسكور . وقد أصلحت فى العهد الاخير وصارت محكمة شرعية .

وفى هذه المدة كان شيخه القاضى المذكور آنفا يسند إليه النيابة عنه فى الاحكام القضائية ويستشيره فى النوازل المهمة ويقدمه لفصلها ويعول عليه فى حل ما أشكل منها كما كان يسند إليه النيابة عنه فى الخطابة بالمسجد الاعظم بسلا يوم الجمعة .

وقد تنقل صاحب الترجمة خلال هذه المدة من سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣) م إلى سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣) م عدة تنقلات اختيارية بقصد التجول والزيارة والاطلاع على الاحوال بأنحاء المغرب .

فسافر صحبة شيخه السالف الذكر أولا إلى المغرب الشمالى ودخل مدينة فاس وتعرف بعلمائها وكبرائها وذاكر أدباءها ، وكانت له معهم مطارحات ومحاورات فى فنون شتى وأعجبت فاس به وحصل له من الاقبال والاجلال ما زاد فى شهرته وتضافر الناس على تقديره ، وعرج فى جولته هذه على مدينة مكناسة الزيتون وزاوية زرهون ونواحيها وخالط ناسها ودرس أحوالها .

ثم سافر بعد ذلك لجبال الريف وغمارة ودخل مدينة تطوان ومنها الى العرائش واصيلا والقصر الكبير بعد ما زار ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش بجبل العلم وخلف ذكرا جميلا حيث ما مر ، وثناء عاطرا حيث ما قر .

وكانت له جولة اخرى ببلاد الشاوية من المغرب وما جاورها درس فيها احوال

تلك الناحيـــة وسبر غور اهل المغرب وعرف اخلاقهم وميز افكارهم مما زاد فى سعة اطلاعه على أحوال هذه البلاد من الجهة الجغرافية والايتنوكرافية ، كما زار ايضا مدينة آزمور وضريح الشيخ ابى شعيب ايوب بن سعيد الملقب بالسارية ومدحه بقصيدة رائقة اثبتها فى تاريخ الاستقصا ، (١) كلها حكم وآداب .

ثم ورد عليه الامر السلطانى بالتوجه للخدمـــة بمرسى الدار البيضاء سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥) م فامتثل بعد ما تنصل وتعلل بعلـــل كثيرة زهدا فى ذلك ورغبة فى اكتساب العلم ونشره ، ولولا أن شيخه وصهره أبا بكر عواد ألزمه ذلك لما قبل . وأقـــام بهذه الخدمة إلى آخر سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦) م .

وفى سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) استدعاه المخزن للقيام بوظيفة الخدمة فى المالية ببنيقة الصائر بمراكش فاقام بها مـدة ثلاثة اعوام وهناك انتهز الفرصة لجمع مواد تاريخه الاستقصا كما سنذكره بعد ، وأملى دروسا مفيدة بجامع ابن يوسف بمراكش كالسعد والتبصرة والمغنى وكتب بخطه عدة كتب علمية غريبة عثر عليها هناك .

ثم رجع لبلده ، ومـا كاد يستقر به المقام حتى ورد عليه الامر الملكى بالقدوم لمراكش للالتحاق بالسلطان بالحضرة المراكشية سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م) .

وكان القصد من قدومه هـذا أن يختصه السلطان بالخدمة معه فى الحكومة العليا ولكن ذلك لم يوافق طبعه لما كان مركوزا فيه من حب الحرية فى الاعمال ، وعدم التقيد ببعض التقاليد المخزنيـة والانتقالات السلطانية ، حرصا على التفرغ للكتابة والدرس والتقييد . فاعتذر الى السلطان وتخلص مما عرضه عليه ، فوجهه للخدمة بمرسى الجديدة وهناك أتم جمع كتابه الاستقصا وترجم مـا يتعلق به من اللغات الاسبانية والبرتغالية والانجليزية حسبما سنذكره فى فصل خاص بعد هذا .

وقام فى هذه المدينة بجملة اعمال خيرية منها الوقوف فى بناء المنار واصلاح المسجد الموجود الآن وغير ذلك بمعاضدة صديقه باشاها (٢) إذ ذاك السيد محمـد الجراري

---

(١) راجع الاستقصا صحيفة ١٨٥ جزء الاول طبع مصر ١٣١٢ .

(٢) الباشا فى الاصطلاح الادارى المغربى يعنى حاكم المـدينة .

واتخذه المخزن فى هذه المدة مستشارا سريا فكان يكاتبه ويأخذ رأيه فى الأمور المهمة والقضايا السياسية .

وطلب منه ان يبدى رأيه فى اصلاح المالية المغربية ومداخلها على النهج الشرعى فحرر فى ذلك قانونا للخراج والمداخل المالية بالمغرب على مثال عجيب .

وكانت اشغاله المخزنية لا تعوقه عن نشر العلم وبثه ، فدرس تفسير الخازن وختم البخارى هناك وانتفع الناس به نفعا بينا وانفصل عن الخدمة بهذه المرسى سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) . وبعد استراحته ببلده سلا مدة يسيرة ورجوعه لتنفيذ خطته العلمية والدءوب عليها عاد للخدمة بمرسى الدار البيضاء سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) وطال مقامه بها ثلاثة اعوام ، وتعرف بقناصل الدول ونوابهم هناك وحصل بينه وبينهم وداد وجرت له معهم مذاكرات ومحاورات فى مسائل علمية واقتصادية وسياسية ترجع الى ربط العلائق بين المغرب وأوربا فأحبوه وعرفوا قدره وراسلوه وهادوه .

وأثناء ذلك استشاره السلطان المولى الحسن رحمه الله فى المعاملة التجارية مع دول أوربا فيما يرجع للوسق وتسريح ما كان محجورا من المواد كالحبوب والانعام وتعديل « صاكة » الاعشار فتصدى لهذه المسألة وحرر فيها جوابا شافيا أثبته فى تاريخ الاستقصا (١) .

وعاد لبلده فجلس بها أياما قليلة ثم عينه السلطان سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م) لفصل قضية أولاد الدكالى فى معاملتهم التجارية مع تجار الطليان بطنجة فذهب إليها واجتمع بسفراء الدول بها إذ ذاك وخصوصا السفارة الطليانية واستفاد من هذه الوجهة فوائد ومعلومات مهمة .

ولما رجع لبلده استقل بمطالعة دواوين الفقه ومراجعتها إلى أن ورد عليه الامر السلطانى سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٧م) بالتوجه لحضرة فاس بقصد الخدمة بالمالية بقسم الصائر وعند وصوله إليها اشتغل بتدريس مختصر الشيخ خليل بكلية القرويين بشرح الدردير لاختصاره وسهولة مأخذه بالنسبة لشرح الزرقانى الذى كان العمل جاريا بتدريسه بالقرويين ، فاستحسن الناس طريقته واقتفى العلماء فى ذلك أثره إلى أن أصبح الآن

(١) راجع الاستقصا صحيفة ٢٦٦ جزء رابع طبع مصر سنة ١٣١٢

شرح الدردير مقررا فى النظام الجديد لكليتى القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش ، وازداد معرفة واختلاطا بعلماء تلك الحضرة وأبدى فكره فى إصلاح التعليم ، وأكب على مطالعة كتب الانساب وأصولها واستخرج من ذلك المواد لتأليفه : « طلعة المشترى فى النسب الجعفرى » .

ثم آب لمدينة سلا سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) ليستريح من الاشغال ومواصلة الاعمال فأقام بها مدة منكبا على الدرس والتأليف والكتابة والتقييد بغاية الاجتهاد .

ثم خطر بباله حينئذ أن يشد الرحلة لزيارة مقر أجداده ومهد عائلته بزاوية تامكروت من وادى درعة قاصدا بذلك اكتشاف تلك الاصقاع الجنوبية والاطلاع على أحوال سكان تلك الناحية والوقوف على منازل أسلافه وديارهم ومآثرهم ، ومن أعظمها الخزانة العلمية الخطية (١) التى لا نظير لها بالمغرب الموجودة بالزاوية التامكروتية فشرع فى تهييء الزاد والراحلة لطول السفر وبعد الشقة .

وبينما هو فى ذلك ورد عليه الامر الشريف سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٣) م بالخدمة بمرسى الدار البيضاء ايضا فامتثل وأخر تنفيذ هذه الفكرة لوقت آخر إن ساعده على ذلك الزمان . ولم يقصر - مدة خدمته هذه - فى اعمال البر بهذه المدينة كالوقوف على إتمام بناء جامع الحمراء وصرف نصف دخل ضريح سيدى ابى الليوث الى الفقراء والمساكين والتدريس وإلقاء الخطب وغير ذلك . واثناء هذه المدة وقعت قضية السفير ابريشة المشهورة مع اسبانيا إثر حربها مع زنانة الريف وكان قد أبدى رأيا فى فصلها فلم يصادق عليه فحصل له تأسف عظيم على حل هذه المسألة على تلك الصورة التى فصلت عليها كما أشار لذلك فى تاريخه (٢) فانفصل عن الخدمة المخزنية ورجع لوطنه سنة ١٣١١هـ (١٨٩٤م) وذلك عقب وفاة السلطان المقدس المولى الحسن وتولية ابنه المولى عبد العزيز بعده .

ولما تسنم عرش المملكة هذا السلطان اقتفى سنن والده فى تعظيم المترجم له

---

(١) هذه الخزانة تشتمل على نحو عشرة آلاف مخطوط وكلها من غريب الكتب ونفيسها مما لا يقدر بثمن ، ولكن بكل أسف ضاع الشيء الكثير منها الآن . وعثر على أشلائها تباع عند الوراقين والسماسرة بالاسواق ! والامر لله وحده .

(٢) راجع الاستقصا صحيفة ٢٧٧ وما بعدها جزء رابع طبع مصر .

واحترامه ومعرفة قدره ومكانته فى العلم والسياسة .

فندبه سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٥م) لتفقد الاملاك المخزنية واحصائها والبحث فيها بالدار البيضاء فتوجه اليها وقام بذلك احسن قيام ، وجرد فى ماموريته هذه تقريرا رفعه للحكومة ولا زال هو المعتمد لدى إدارة الاملاك المخزنية حتى الآن .

وعند رجوعه من هذه الوجهة انقطع عن مخالطة الناس وانكب على المطالعة والتقييد وتخلى عن الخوض فى الاعمال السياسية واقبل على اتمام مؤلفاته وتحريرها وتخريجها كنصرة السنة وتخريج شرح قصيدة ابن الونان وحاشية التبصرة وغير ذلك مع تكرر عرض المناصب عليه واعراضه عنها غير أنه مع ذلك كان يستشار فى الامور المهمة وبقى على هذا الحال الى ان وافته منيته .

شعـــره :

لقد قال المترجم له شعرا كثيرا فى عهد شبابه ولم يدون منه إلّا نزرا يسيرا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بالمكتبة الناصريـــة ، اذ لم يكن له اعتناء بحفظه وجمعه وكله من الشعر الجيد . وله فى تعاطى الشعر رأى خاص قـال رحمه الله فى رسالته التى ترجم فيها نفسه مخاطبا بها صديقه الاديب الفاطمى الصقلى الفاسى :

« وأما تعاطى الشعر فقد كنت أنتحله أيام الشبيبة ثم أعرضت عنه إذ بضاعته مزجاة سيما فى هذا الزمان الذى سوق الادب فيه كاسدة وقبل اليوم قال المتنبى :

إلى كم ذا التخلف والتـوانى * وكم هذا التمادى فى التمادى

وشغل النفس عن طلب المعالى * ببيع الشعر فى سوق الكساد

وإنما المطلوب أن يعرف الانسان آلته ومادته وكيفية قرضه ونقـده حتى تجود ملكته ، ويتم ذوقه ويصير بصيرا باللسان العربى وأساليبه وفنونه ثم يتفرغ لما هو أهم من ذلك من علم الفقه وأصوله وعلم عيوب النفس وأمراض القلب وكيفية علاجه »

وقد أثبت بعضه فى تاريخ الاستقصا فمن ذلك :

القصيدة النونية التى مدح بها الشيخ أبا شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الملقب بالسارية دفين مدينة آزمور وهى مذكورة فى صفحة ١٨٥ من الاستقصا طبع مصر عام ١٣١٢هـ .

والقصيدة السينية التى مدح بها سلطان عصره مولاى الحسن بن محمد لما زار مدينة سلا فى جمدى الاولى سنة ١٢٩٣ وهى طويلة مليئة بالنصائح والاشارة إلى الامثال العربية والوقائع التاريخية . وقد كان صديقه العلامة القاضى ابو محمد عبد الله ابن خضراء خصها بشرح نفيس إلّا أنه لم يبق منه بخزانة المترجم له الا بضعة اوراق لا غير . وقد ذكرها فى الاستقصا ايضا صفحة ٢٤٧ من الجزء الرابع طبع مصر فى العام المذكور .

ومن ذلك القطعة الحائية التى اجاب بها صديقه الاديب المحاضر ابا عبد الله محمد ابن عزوز الرباطى اصلا المراكشى دارا عما كتب له به لما كان بمراكش وذلك فى فاتح رجب عام ١٢٩٤ وقد اثبتها فى الاستقصا ايضا صفحة ١١٣ من الجزء الثانى طبع مصر .

ولما زار مدينة فاس الادريسية مع شيخه العلامة القاضى المرحوم ابى بكر بن محمد عواد سنة ١٢٨٠ كان ذات يوم وقد عزم السفر بقصد الرجوع الى بلده عند الشرفاء اولاد مولاى الطيب الدرقاوى بمدرسة الصفارين فذاكره مولاى عبد السلام بن مولاى الطيب فى امر السفر والعزم عليه كالمتوجع لفراقه فانشده فى الحال :

أرى القلب ياعبد السلام سليما ... ووشك النوى لي مقعدا ومقيما
إذا أنا سرت عنك اول غدوة ... تركت فؤادى فى ذراك مقيما

ولما سافر من الغد خرج جماعة من الطلبة لوداعه فقال وانشدهم عند الوداع خارج باب المحروق:

غدا الشمل بالتوديع وهو مشتت ... وسيف النوى بين الاحبة مصلت
أسكان قلبى لست انفك بعدكم ... نجيّ الاسى يملي عليّ فانصت
ولو أننى اعطيت حظى منكم ... لما خلتنى عن جمعكم أتفلت
فها أنا سرت اليوم عنكم ومهجتى ... تذوب وكبدى بالفراق تفتت
وأيسر ما ألقى من الشوق أننى ... أسير وقلبى نحوكم يتلفت

ومما قاله في المديح :

أبناء أحمد لستم ذوى كرم ... وانما اشتق من معناكم الكرم
وليس تنسب للعلا مآثركم ... لكنكم في عرانين العلا شمم
ولا أقول نسيم الروض ذكركم ... وإنما هو في روض الثنا ديم

ومما قاله فى النصح ، وكان بعض الطلبة يخضر مجلسه وربما تكاسل فنصحه ذات يوم فتخلف عن المجلس بالكلية وذلك سنة ١٢٨١ هـ :

أيا مبديا هجرى لأجل نصيحة ... كلانا أتى فى رأيه خطة الجهل
فعما قليل تعتريك ندامة ... على فرقتى فاستبق إن كنت ذا عقل

ومما خاطب به جماعة من الادباء أصحابه من أهل سلا فى سفرة عرضت له سنة ١٢٧٧هـ :

لا تَرم منى سلوة ياعذول ... فالذى رمت ما إليه سبيل
شرح حالي لديك : فقد ، ووجد ... وسهاد ، ورقة ، ونحول
واصفرار ، ولوعة ، وولوع ... أترى ذامع الملام يزول ؟
كل يوم من أم أوفى عِتاب ... ومن القلب حيرة وذهول
كيف اسلو ودونها فلوات ... وجبال ، تضل فيها الوعول ؟
أقطع البيد خلفها وحظوظى ... تقطع الحبل بى ، ودهرى يحول
حر شمس ، وقر نحس ، وعيس ... غالها تحتنا السرى والذميل
كلما داس خفها رَبعَ حَىّ ... داسنا الشوق ، فالحداء عويل
والجوى يغتلي الحشى ، وجفون ... تسكب الدمع ، والنوى يستطيل
ورسوم مواثل وديار ... سحبت للسحاب فيها ذيول
دع حديثا من أم أوفى تقضى ... فى زمان به الشبيبة غول
واذكر المجد والسماحة والحلـ ... ـم وبذل النهى ، وفخرا يطول ،
لكرام علت بهم مكرمات ... ما لهم فى الورى يعد مثيل
لكرام غدوا مدى الدهر يلفى ... لسنا المجد فى ذراهم مقيل
لكرام متى نزلت بدار ... لهم ، فالمنا لديك نزول
فى سلا أشرقت شموس علاهم ... ما لها الدهر فى مداها أفول
رب ليل وصلته بصباح ... معهم ، والزمان عنى غفول
وصباح وصلته بمساء ... فى سرور ، به الوقور يميل
فتية عودوني الود صرفا ... فمديحى لهم بشكرى كفيل

أترك القـول فيهم وأوالى ... غيرهم . إننـى إذا لجهـول ؟
أجـدر الناس بالمـديح أناس ... نالك الرفـد منهم والجميـل
تخذوا الحلم والمروءة دينـا ... ليس فى ناديهم يقـال فضول
صغرت سنهم - وما صغر العقـ ... ـل - ولا غرو ، إذ كذاك الاصول
حسب شامخ ، ومجـد أثيـل ، ... ولسان رطب ، وخلق جميـل
لو ترى وجـدهم غـداة مسيرى ... عنهم مـا امتريت فيما أقـول
ياكراما فقدت قرب حماهم ... ان خطبى لفقدكم لجليل
زلت عنكم كرهـا وقلبى مقيم ... عندكم ، والاسى لدى بديـل
كلما لاح لي سنا من حماكم ، ... طفق الجفن بالـدموع يسيل
أبتغى نحوكم نهوضا وحظى ... يعكس القصد ، والزمان بخيل
ليس شىء يروق عينى سواكم ، ... فالحشا بعدكم كئيب عليـل
وإذا مـا قضى الالـه بجمعى ... بكم ، فالذى لقيت قليـل

وفى سنة ١٢٨٢ ورد على سلا العلامة الاديب محمـد الطاهر بوحـدو المكناسى وأقام بها أياما ثم عبر إلى رباط الفتح وأقام عنـد الشيخ العلامة الفاضل العربى بن السائح الشرقاوى وكتب ابياتا خاطب بها بعض علماء سلا وألم بذكر المترجم له فأجابه على بحره وقافيته ورويه :

يـا أديبا غـدا بحسن اتفـاق ... ينفث السحر فى المعانى الرقـاق
قـد أتتنا حدائـق من ثناكم ... جـددت أرسما لعهـد التـلاقى
وعلمنا منها بأنـــك لا زلـ ... ـت بنـا ذا صبابـة واشتياق
لست أدرى أهـى قلائـد در ... أم نجوم محت دياجى الفراق ؟
توجت مفرق الزمان على فتـ ... ـرة شعر من الورى والمحاق
ولقد ساءنى الذى قلت من جهـ ... ـل ، وأنت الفتى الكريم الوفاق
أنت تحكى النسيم فى الخلق ، والصا ... رم فى العزم ، والطلا فى المـذاق
وبنا من فراقك الصعب ما لـو ... كان بالبدر لاكتسى بالمحـاق
فـأزل ما بالقلب من وحشة البيـ ... ـن ، وما بالجفون من إيراق

ما محياك حين تغدو علينا غير يسر أتى على إملاق
فعليك السلام من هائم لا زال من فرط وجدكم فى احتراق
وعلى خدنك الامام الذى حـ ـل من المجد، فى أعز المراقى
سيدى الاعربى من أعربت عن فخره ألسن الورى، باتفاق
ما شدا فى محافل الانس شاد وحدا بالحسان حادى النياق

وكان العلامة أبو العباس أحمد يمل السوسى من أهل تارودانت قد كتب إلى صديقه العلامة القاضى أبى محمد عبد الله بن خضراء بأبيات يتشوق فيها إليه وأنم فيها بذكر المترجم له والسلام عليه فأجابه على بحرها ورويها وذلك عام ١٣٠٠ هـ .

هواى مدان والحبيب منائى وشوقى يناجى من ورائي وراء
فليت الهوى كان الحبيب . وليته يرق لدائى أو يبيح فدائى
وهيهات يسلو من بأرض سلا انتأى وهيهات من بالسوس يدنو لناء
ولكننى أنهى السلام مطيبا بطيب عبير، أو بطيب ثناء
إلى الماجد الارضى الذى بولائه أدين : أبى العباس خير ولاء
وأسأل ربى أن يديم لنا به ومنه أخا صدق، وخدن وفاء
ويجزيه من خير ما قد جزى به أخا مومنا، أبدى ضمير صفاء
ويملأ من نور المعارف صدره ويسعده بالفوز يوم لقاء
بجاه النبى الهاشمى وآله وأصحابه أسد الشرى الامراء
عليه التحايا الغر ثم عليهم تباكرهم صبحا . وكل مساء

واستعار من صديقه العلامة المرحوم أبى العباس أحمد بن الحاج محمد والعلو « شرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون » فوعد وماطل ، فكتب إليه رحمه الله وذلك سنة ١٢٨٥ هـ :

يا فقيها فى حلبة المجد جلا وغدا العلم من تقاه محلا
هل تفى منكم الوعود بشرح لابن بدرون أم تقولون كلا ؟
لست أرضى لمجدكم أن أرى ممـ ـنوعا أو عن ندى يديكم محلا

مـــــؤلفاتـــــه

وخلف صاحب الترجمة مؤلفات شتى فى فنون مختلفة ما بين مطول ومختصر نسردها على حسب تاريخ كتابتها حسب الامكان :

١] تعليق على ديوان أبى الطيب المتنبى .

وهو تعليق لطيف تكلم فيه على غريب اللغة وشرح الابيات المحتاجة للشرح مع الاشارة للنكات البلاغية والتلميحات البديعية ، فرغ من كتابته سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) .

٢] تعليق على رقم الحلل في اخبار الدول لابن الخطيب السلمانى :

هو تعليق مفيد جدا ملىء بالفوائد التاريخية النفيسة ، وزاد فيه ما تركه صاحبه ابن الخطيب المذكور من أخبار ملوك مصر والشام فى القرون الوسطى . فرغ من كتابته سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) .

٣] تعليق على بداية القدماء وهداية الحكماء :

وهو تأليف فى التاريخ والتمدن القديم ترجمه من الاصول الفرنسوية معاصره الشيخ رفاعة بك الطهطاوى المصرى رئيس قلم الترجمة بإدارة العلوم والمعارف بالقاهرة زمن الخديوى محمد علي باشا . فرغ من كتابته سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) .

٤] تعليق على شرح ابن بدرون لقصيدة ابن عبدون :

هـذا الشرح للاديب عبد المالك بن عبد الله بن بدرون الحضرمى الاندلسى على قصيدة أبى محمـد عبد المجيد بن عبدون الشهيرة التى رثى بها بنى سلمة المعروفين ببنى الافطس من ملوك الطوائف بالاندلس .

وهذا التعليق كله غرر وأدبيات رائقة فرغ من كتابته سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) .

٥] الفوائد المحققة في إبطال دعوى أن التاء طاء مرققة :

وسبب تأليفه لهذا الكتاب أنه وقع خلاف بين بعض الطلبة المعاصرين له فى الفرق بين هذين الحرفين واتسعت مادة الخلاف بينهم فى ذلك ، فزعم بعضهم ان التاء طاء مرققة وزعم البعض الآخر أن كلا من الحرفين مستقل بمخرجه . فتصدى لهذه المسألة وحققها فى هذا التأليف وفيه أبحاث نفيسة تتعلق بكيفية الاخذ فى القراءة وتجويدها وحصر مخارج الحروف وصفاتها وغير ذلك من استدلالات أصولية . فرغ من جمعه سنة ١٢٩١ (١٨٧٤) .

٦] رسالة فى تحقيق أمر سبعة رجال ، دفناء مراكش :

هذه الرسالة الفها لما كان مستخدما بهذه المدينة فى حدود سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) جوابا عن الاسئلة التى قدمها اليه صديقه العلامة الاديب محمد الامين بن عبد الله الحجاجى المعروف بالصحراوى الشنكيطى المراكشى، وقد بنى عليها مؤلفه الكبير المسمى «المجد الطارف والتالد ، من اسئلة ابى العباس احمد بن خالد » فى مجلدين وتوجد نسخة منه مخطوطة محفوظة بالخزانة الناصرية .

٧] كشف العرين عن ليوث بنى مرين

وهو تاريخ مختصر فى أخبار الدولة المرينية بالمغرب فقط . كتبه سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨)

٨] رسالة فى الرد على الطبيعيين

ألف هذه الرسالة إثر مذاكرة جرت له مع أحد الاوربيين المتفاسفين لما كان مستخدما بالجديدة ، وبعد مذاكرة طويلة بينه وبين هذا الاوربى أذعن لمقاله وسلم ما كان يقرره له . وهى رسالة احتوت على حجج عقلية فى الرد على من ينكر وجود الصانع ويكذب بالشرائع ، وفيها أبحاث نفيسة عالية . ألفها سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) .

٩] تاليف فى مسألة اعطاء الرسوم

وسبب جمعه لهذا التاليف وقوع المذاكرة بينه وبين مفتى فاس الشهير المهدى

الوزانى ، وكان لايقول بما يقوله صاحب الترجمة فى هذا الموضوع ، فألف هذا التاليف وذكر فيه ما تحصل لديه من نصوص الفقهاء فى جواز إعطاء الرسوم وتعين ذلك فى بعض الاحوال ، واستدل على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة واقوال الفقهاء المجتهدين وسلك فيه مسلكا عاليا فرغ منه بمدينة فاس سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) .

١٠] تقييد مختصر في حصر جمهرة آل ناصر

كان جمع هذا التقييد أولا قبل تصديه لتخريج تأليفه الكبير المسمى : « طلعة المشترى ، فى النسب الجعفرى » وبين فيه تفرق آل ناصر بالمغرب وتتبع فروعهم وألحقها بأصولها . كتبه سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠) .

١١] طلعة المشترى ، في النسب الجعفرى

حقق فيه نسب جده الشيخ ابن ناصر واتصاله بعبد الله بن جعفر بن أبى طالب واستعان فى جمعه بعدة أصول حصل عليها بمدينة فاس لما كان مستخدما بها ، ومواد أخرى وردت إليه من تامكروت وما تلقفه بنفسه من أفواه الجم الغفير من ذرية الشيخ ابن ناصر الوافدين إذذاك على السلطان لغرض يتعلق بالزاوية الناصرية فرغ منه سنة ١٣٠٩ (١٨٩١) .

١٢] شرح مساعدة الاخوان

وهى قصيدة الشيخ محمد ابن ناصر سماها « مساعدة الاخوان من الحشم والاعوان » على ما يعين على البر والتقوى ويصرف عن الاثم والعدوان » فى العبادات على نمط المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين للامام ابن عاشر فى هذا الموضوع . وهذا الشرح خلاصة ما القاه من الدروس فى هذه القصيدة . فرغ منه سنة ١٣١٠ (١٨٩٢) .

١٣) تعظيم المنة ، بنصرة السنة

وهذا التاليف من اهم المؤلفات التى كتبها صاحب الترجمة وهو اوضح دليل

على سعة فكره وبرهان على انه كان فردا غريبا بين ابناء جنسه ووقته .

والسبب (١) الحامل له على جمعه هو انه كان يدرس تفسير القرآن بسلا ويتوخى فى تدريسه التنبيه على البدع المحدثة فى الدين وردها والتشديد فيها والتنديد بأهلها من ارباب الطوائف ، فقرر ذات يوم كلاما فى هذا الموضوع تناقله ارباب البدع والاهواء ومقدمو الطوائف بينهم فمشوا فى بعضهم بعضا وشنعوا عليه وابدأوا وأعادوا فى ذلك وكتبوا الى السلطان فى شأنه ولكن لم يكن لما كتبوا به نتيجة اصلا لمكانته وفضله ولم يثن عزمه عما كان مشتغلا به شيء من ذلك .

وتصدى حينئذ لتاليف هذا الكتاب وبين فيه البدع المحدثة فى الدين ومخالفتها لاصول الشرع الاسلامى وانتقد سائر ما ظهر منها فى الاقطار الاسلامية على الجملة وفى المغرب بالخصوص وذكر أسباب حدوث الزوايا والطوائف بالمغرب وكيف كان أصلها وما آلت اليه فجاء تاليفا عجيبا فى بابه ودستورا جامعا فى فنه لم ينسج على منواله . فرغ منه سنة ١٣١١ (١٨٩٣) .

١٤) زهر الافنان ، من حديقة ابن الونان

وهو شرح على الارجوزة المشهورة بالشمقمقية استوفى فيه فنون اللسان العربى إلّا قليلا واستوعب شرح ما لمح له الناظم من الامثال والحكم والاخبار والنوادر . فرغ منه سنة ١٣١٣ (١٨٩٥) .

١٥) وصية وعظية

وهى وصيته التى أملاها على ولده الاكبر لما عزم على زيارة المولى عبد السلام بن مشيش وكان إذذاك مريضا مرضه الذى مات فيه وكلها حكم ومواعظ نفيسة تاريخها سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧) م .

---

(١) يراجع المبحث الاول من الفصل الثامن فى السماع والرقص عليه من هذا التأليف فقد خصصه المؤلف لشرح السبب الداعى لتأليف هذا الكتاب .

١٦) تاريخ الاستقصا ، لاخبار دول المغرب الاقصى

وهو هذا الكتاب الذى يمثل للطبع من جديد والذى هو تاريخ للمملكة المغربية من لدن الفتح الاسلامى الى صدر دولة السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن وسياتى الكلام عليه بالتفصيل فى الفصل التابع لهذا الفصل . هذا ما وقفنا عليه مؤرخا من تآليفه .

واما التآليف الغير المؤرخة فها بيانها :

١٧) دفتر محررات واصول تاريخية :

هذا الدفتر مملوء بالمحررات والاصول التاريخية والوقائع والمتفرقات المهمة والظهائر والمناشير الملكية التى عثر عليها وجمعها فى رحلاته وتجولاته بالمغرب وما كان يترجمه من جرائد ومجلات اوربا واميركا المكتوبة بغير لغته من اخبار العالم مع بعض الرسائل الادبية التى كانت تجرى بينه وبين بعض ادباء عصره واشتغل فى جمعه مدة عمره وكان لا يترك شاذة ولا فاذة إلّا أدرجها فيه وهو دفتر لا يقدر بثمن .

١٨] تعليق على سفينة الراغب

وهو تعليق على التأليف المسمى بهذا الاسم للفيلسوف الشيخ محمد راغب باشا أحد وزراء الدولة العثمانية وكله أبحاث فلسفية عقلية فى علوم الطبيعة وما وراء الطبيعة .

١٩] مجموع فتاويه الفقهية

وهو مجموع ضخم فى الفتاوى الشرعية والنوازل الفقهيه التى كان يسأل عنها وتصدر منه اجوبتها .

٢٠] رسالة الحواريين

وهى رسالة تكلم فيها على الديانة المسيحية وانتشارها على يد الحواريين اصحاب عيسى عليه السلام وتحقيق امرهم .

٢١) رسالتان فى فن الموسيقى

إحداهما خاطب بها صديقه العلامة الفلكى ادريس بن محمد الجعيدى السلاوى ، والاخرى قيدها فى الموضوع نفسه وبحث فيهما فى النغمات العربية والمقابلة بينها وبين الموسيقى العجمية .

٢٢) رسالة في تحديد السلطة للولاة

وهى رسالة فى الفرق بين خطة القائد والقاضى والمحتسب عند المغاربة وتحديد سلطتهم .

٢٣) قانون في الترتيب الادارى والجبايات المالية بالمغرب (١)

الفه لما كان بالجديدة واستشاره السلطان المولي الحسن فى ذلك وهو محرر على اصول الشرع .

٢٤) تعليق على قصيدة عمرو بن مدرك الشيبانى

فسر فيه الالفاظ الدينية التى وردت فيها وتكلم على معانيها .

٢٥) تقييد في البربر

هذا التقييد يحتوى على أخبار البربر على الجملة قبل الفتح الاسلامى وبعده إلى ولاية بنى الاغلب بإفريقية وبنى إدريس بالمغرب الاقصى .

٢٦) ديوان شعره

ولم يكن صاحب الترجمة يعتنى بتقييد شعره وجمعه فذهب معظمه إذ لم يكن يحفظه إلّا فى القطع الصغيرة من الورق فاغتالته يد الضياع ولم يبق إلّا ماجمعه فى آخر

(١) هذا القانون فقد اصله من خزانة المؤلف ولعله بالخزانة الملكية .

عمره وهو نزر يسير بالنسبة لما قاله فى شبابه .

٢٧) الفلك المشحون ، بنفائس تبصرة ابن فرحون

وهو حاشية على تبصرة أبى اسحاق ابراهيم بن فرحون فى احكام القضاء ، فى غاية التحرير والتحقيق .

وتوّجه بمقدمة عجيبة فى تاريخ الفقه والحقوق الاسلامية وتدرجها فى الاجيال والاعصار الى الان ممزوجا ذلك بأفكاره الخصوصية الفلسفية ، وانتقد فى هذه المقدمة التعليم وبين فساده ونبه على وجوب اصلاحه ، إلّا ان هذا التأليف بقى فيه نحو الربع لم يكمل لان المؤلف عاقه الموت عن إتمامه .

وقد كان صاحب الترجمة عازما على كتابة تآليف أخرى غير ماسطر وشرع فى تهييء أصولها وموادها ومازالت تلك الاصول محفوظة في خزانته إلى الآن ، وكلها نفائس وذخائر . فمن ذلك : مواد تاريخ عام من بدء الخليقة إلى زمنه .

ومن ذلك تأليف عام فى انساب العرب وتفرق قبائلهم في العالم والحاق كل فرع بأصله .

ومن ذلك تفسير القرآن على نسق تهتدى به الامة إلى طريق الرشد وما كان عليه السلف الصالح .

وهذه المؤلفات العديدة الانواع المختلفة الاوضاع لم يطبع منها الآن إلّا ثلاثة فقط ، أولها : « تاريخ الاستقصا » طبع بالقاهرة سنة ١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م

وثانيها : « زهر الافنان ، من حديقة ابن الونان » طبع بفاس سنة ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م

وثالثها : « طلعة المشترى ، فى النسب الجعفرى » طبع بفاس أيضا سنة ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م

والباقى مازال محفوظا مكنونا . هيأ الله الاسباب لطبعه ونشره ، وتعميم فائدته ونفعه .

كيف جمع المؤلف كتاب الاستقصا

كان صاحب الترجمة فى تعاطيه للعلوم سامى الهمة ، إذا خاض فى فن من الفنون أعطاه كليته وطالع جميع ما يتوصل إليه من كتبه الموضوعة فيه وحررها وانتقدها وقيد ما ناسب تقييده عليها من فوائد مهمة ونكت غريبة مفيدة ، وتلك كانت عادته فى سائر العلوم حتى ان كتب خزانته كلها تحمل تصحيحاته وتقريراته عليها .

ولما تشوفت نفسه للخوض فى علم التاريخ ووقف على ما تيسر له العثور عليه من التواريخ الاسلامية وغيرها فى وقته ، صرف وجهته لتاريخ المغرب الاقصى الذى هو وطنه ومحل نشأته ، فتصفح ماهو موجود فيه من التآليف فألفاها قليلة غير مستوعبة لاخبار من سلف من الدول الاسلامية العظمى التى كانت بالمغرب ، ولا مستوفية لشرح احوال فتوحاتها الكبرى ومآثرها المهمة التى قامت بها . وغالب من تكلم من كبار المورخين على المغرب الاقصى إنما يتعرض لاخباره فى عموم الخبر عن الدول الاسلامية فى الاقطار المشرقية والمغربية الشامل لجميع دول الاندلس وافريقية . ولم يخص احد هذا المغرب الاقصى بتاريخ خاص ينظم عقد جميع دوله فى سلك واحد ، ويستوعب تفصيل اخباره وجمله لا سيما فى الازمان المتأخرة عن زمن المؤرخ الشهير العلامة ابن خلدون فقد حصل فى ذلك اضطراب وغموض لعدم وجود التواريخ الموفية بالمقصود ، وقديما قيل : إن أهل المغرب لا اعتناء لهم بتاريخ بلادهم وتدوين اخبار ملوكهم وعلمائهم وأعيانهم وذلك يرجع فى الحقيقة لامرين :

احدهما ان المعتنين بعلم التاريخ والمنقطعين اليه قليلون بالنسبة للمتوفرين على دراسة العلوم الاخرى كاللغة والفقه والاصول مثلا غير ان من تصدى منهم لهذا الفن يبرز فيه ويجيد كما هو مشاهد - وليس الخبر كالعيان - إذ المغاربة معروفون بالاجادة فى التاليف والتحقيق فى المسائل التى يطرقونها ويكتبون فيها وان كانوا أقل تاليفا وكتابة من غيرهم من أمم اخرى .

وثانى الامرين : ان ما الف وكتب في التاريخ المغربى قد اندثر جله وانعدم فرعه وأصله ، لعدم الاعتناء بالنسخ وحتى ما يوخذ من التآليف الخطية فجلها لا ينتفع به لكثرة التحريف والسقط والبتر وذلك لعدم ظهور المطبعة فى الاقطار المغربية وقصور الهمم عن النسخ بالقلم .

ألا ترى ان البلاد المشرقية لما ظهرت فيها المطابع كمصر والشام أحيت سائر التآليف القديمة والفنون العلمية فى الجملة فبقى ذلك محفوظا سهل التناول ، بخلاف بلاد المغرب - وخصوصا الاقصى منه - فإن المطابع كانت معدومة فيه بالكلية إلّا المطبعة الفاسية وهى لم تحدث بفاس إلّا زمن السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن . فبسبب هذا كله كان المتعاطى لفن من الفنون - لا سيما الغريبة منها - يتجشم المشاق الكبرى فى الظفر بالكتب المؤلفة فى ذلك الفن بقصد الانتساخ والمطالعة والتقييد .

ومما زاد الحالة حرجا وتعذرا عدم وجود المكاتب العامة بهذه المملكة كما هو الشأن فى ممالك أخرى بالبلاد المشرقية والاقطار الاوربية ، إذ لا يخفى أن المكاتب العمومية تسهل مهمة المؤلفين والكتاب ، وتفتح لهم للتحرير والتحقيق كل باب .

فلأجل ما سطرناه من الاسباب لم يقنع مؤلف الاستقصا بما تحصل لديه من الكتب المؤلفة فى تاريخ المغرب ورأى ان القيام بجمع تاريخ خاص مستقص لاخبار دوله محيط بتدوين حوادثه وتبيين عللها متعين على ذوى الهمم العالية من العلماء المغاربة فسمت همته اولا لوضع تاليف خاص فى الدولة المرينية لعدم عثوره على من استكمل أخبارها واستوفى آثارها ولانخرام سلك ملوكها فجمع تاليفه المسمى : « بكشف العرين ، عن ليوث بنى مرين » فجاء تاليفا ممتعا غاية الامتاع تستحليه العيون وتستلذه الاسماع ثم ترقى بنظره الى وضع التاريخ الكبير المسمى : « بالاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » فشمر عن ساعد الجد والاجتهاد وجمع ما امكنه من التواريخ الاسلامية العامة والخاصة وطالعها كلها مطالعة تحرير وتحقيق ، وقيد منها ما هو خاص بموضوعه واستعان على هذا العمل العظيم بمطالعة ما فى الخزائن المخزنية المراكشية من المكاتيب والتقارير والكنانيش السلطانية التى كانت محفوظة هناك حيث كان مستخدما بتلك الحضرة سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) وما بعدها وتتبع جميع الآثار هناك

خصوصا القصور الملكية وآثار الدولة السعديـــة كقصر البديع وغيره حسبما أخبر بذلك ، وكان ينفق فى الوقوف على ذلك المـــال الكثير زيادة على ما كان يمده به أصدقاؤه وأحباؤه وخاصته من الوزراء والكتاب والاعيان والرؤساء والامناء من الاحصاءات والمكاتيب والظهائر الشريفة والتقاييد الرسمية وما كان يقيده عن الرجال الطاعنين فى السن من اخبار الدولة العلوية الشريفة والحركات السلطانية والاحوال الداخلية والخارجية ، فاستوعب جميع ذلك حفظا وتقييدا ولم يزل جادا فى تحرير ما ألزم نفسه القيام به ، مكاتبا لجميع الاعيان فى المغرب ملتمسا ما عسى أن يكون لديهم من التآليف والتقاييد وسائر المعلومات الراجعة إلى مطلبه حتى توفر لديه من المـواد ما اطمأنت له نفسه وحصلت له به الثقة في نيل الغاية المقصودة والضالة المنشودة .

ثم قدر الله أن انتقل إلى ماموريه سامية بثغر الجديدة فاجتمع بها مع صديقه الحميم الباشا محمـــد الجرارى فأمده بجميع ما تحت يـــده من المكاتيب الرسمية والظهائر المولوية المجتمعة عنده من أسلافه الجراريين من جيش الودايا القائمين بأمر الدولـــة العلوية المتقلبين فى مناصبها العالية .

قـــال رحمه الله فيما حكاه : إنه ظفر منه بأكياس مملوءة أوراقا كلها أعانته على تحرير أخبار الدولة الشريفة من التوقيعات السلطانية والتقريرات الوزيرية فى جـــل القضايا المهمة .

ثم تاقت نفسه للوقوف على ما لا بد منه من التواريخ الافرنجية خصوصا الدولتين اللتين كانتا محتلتين شواطىء المغرب الاقصى وهما : البرتغالية والاسبانية .

فطلب من أحد القناصل الاوروبيين الذين كانت لـــه معهم معاملات رسمية وودادية جلب بعض التواريخ فى هـــذا الموضوع فجلب له منها ما تيسر واتخـــذ لذلك ترجمانا خاصا من التراجمة الموظفين بإحدى السفارات الاوروبيـــة فصار يترجم له تلك التواريخ ويقيد منها ما دعت الحاجة اليه حتى استوعب ما امكنه العثور عليه ثم اتخذ كاتبا خاصا لتدوين التاريخ المذكور فرتبه ووضع تراجمه وصار يمليه على الكاتب املاء من غير تقييد - كما اخبر بذلك - إلّا بعض المسائل المهمة التى تعرض اثناء التاليف حتى اتم املاءه

فى مدة (١) يسيرة وذلك بثغر الجديدة في اواخر سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠) م .

ولما أتم تأليفه واطلع عليه السلطان المولى الحسن استحسنه وكتب له ظهيرا شريفا بالتنويه به واهتم بطبعه ولم يتيسر ذلك في الحين لما ذكرنا من تعذر المطابع .

ثم ان صاحب الترجمة لما عزم على طبعه على نفقته بمصر وصل الكلام فيه الى آخر دولة مولاى الحسن واول دولة مولاى عبد العزيز وذلك فى متم ذى الحجة عام ١٣١١ هـ ١٨٩٤ م فتم طبعه فى اواخر رمضان عام ١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م على نسخة صححها بنفسه حيث ان نسخته الاصلية التى كان املاها حفظت بالمكتبة السلطانية الخاصة بمكناسة الزيتون .

فهذا سبب تأليف تاريخ الاستقصا وكيفيته حسبما قرره المؤلف قيد حياته لاكبر انجاله .

ومن هذا يعلم ان المؤلف تجشم مشاق عظيمة فى جمع هذا التأليف وتدوينه لانه لم يتيسر له العثور على جميع التواريخ المؤلفة فى المغرب فضلا عن غيره لاسيما التواريخ الاوروبية لعدم معرفته بالالسن الاجنبية و كون التآليف الخطية جلها محرف مصحف ولا توجد مكاتيب عمومية تعين على تحقيق ما يعرض من المسائل الدقيقة حسبما سبق بيان ذلك ؛ فللمؤلف العذر فيما لم يمكنه تحريره من تاريخ البربر ودول المغرب قبل الاسلام . وربما يظن بعض المؤلفين بعده ممن وقف على تاليفه هذا انه قصر فى سياق بعض الاخبار مع انه نثرما فى كنانته واتى بما فى وسعه وطاقته وما لم يتعرض له أو ضرب عنه صفحا انما ذلك لمقصد سياسى خصوصا فيما يرجع للاعصر المتأخرة ، إذ لم يكن الوقت يساعد على ذكر كل شيء لا سيما والهيئة الاجتماعية التى الف لها التاليف إذ ذاك ما زالت فى حالة لا تقبل اكثر مما ذكر والانسان ابن وقته وهو ملزم بمسايرة ابناء عصره .

---

(١) ذكر المؤلف فى آخر النصف الاول منه أنه شرع فى املائه منتصف رجب عام ١٢٩٧ هـ وفرغ منه فى منتصف ذى الحجة من السنة المذكورة ، وعليه فتكون المدة التى استغرقها فى املاء النصف الاول خمسة أشهر فقط اه صفحة ١٥٥ من الجزء الثانى طبع مصر عام ١٣١٢ .

ولو اتيح له الوقوف على بعض ما هو موجود الآن من التآليف والاحصاءات بغير لغته لكان بادر الى ترجمته واستخراج فوائده ودرره لانه كان معروفا بسمو الهمة متعطشا لكل ما يمس بتاريخ هذه الامة ومن اتى بالمستطاع ففوق جهده لا يلام .

هذا وقد ترجم تاريخ الاستقصا إلى اللغة الفرنسية واشترك في ترجمته جماعة من المستشرقين ، فقام بترجمة القسم الاول القنصل الفرنسي المسيو كْرول (١) ، والقسم الثاني المسيو كولان (٢) المستشرق الفرنسي ، والقسم الثالث الاستاذ اسماعيل حامد الجزائري ، والقسم الرابع أحد أنجال المؤلف المحررين لهذه الترجمة وهو الاستاذ محمد ، والقسم الخامس المسيو فيمي (٣) الفرنسي ، وطبع الجميع في مجموعة : « أرشيف ماروكان (٤) » . كما ترجمت منه قطع وتراجم اخرى مختلفة في موضوعات شتى ترجع للسياسة والاجتماع المغربي الى الاسبانية والبرتغالية والايطالية والانجليزية الخ . وبالجملة فهو عمدة المؤرخين ومورد المستشرقين وقد طبقت شهرته الخافقين ولم يظهر الى حد الآن تاريخ مغربي يوازيه او يغني عنه ويسد مسده فهو العمدة والمؤرخون عيال عليه .

وفاتـــه :

لما انقطع صاحب الترجمة عن الاشغال المخزنية وتفرغ للكتابة والمطالعة والتأليف وتاديب اكبر انجاله وتزويده بالعلوم العربية التي خاض فيها ولا تستفاد من غيره إليه . لزم بيته فكان لا يخرج منه إلّا لالقاء درس او اداء فريضة دينية فنسبب عن قلة حركته وتعب فكره بالسهر والمراجعة وحل عويص المشكلات ضعف في قواه البشرية . فبدا له ان يخرج الى مزرعته بالبادية قاصدا صلة الرحم مع اخيه الذي كان مقيما هناك ، وبعد ذلك يتوجه لزيارة ضريح الشيخ المولى عبد السلام ابن مشيش بجبل العلم ويعرج على تطوان والعرائش ويتفقد احبابه واخواله المستوطنين

1) Graulle . 2) G. S. Colin . 3) Fumey . 4) Archives Marocaines

هناك عسى ان يجد راحة مما الم به من تعب الفكر وضعف القوى البشرية .

ولما أزمع على تنفيذ هذا العزم المهم فاجأه المرض فاظهر التجلد لمن كان يريد مرافقته فى هذه الوجهة ثم اعرض عن ذلك ووجه معهم ولده الاكبر محمد العربى واستمر به المرض نحو نصف شهر ، وكان يتزايد يوما فيوما ولم ينجع فيه علاج الاطباء الماهرين الى أن توفاه الله فى غيبة ولده المذكور طلوع فجر يوم الخميس السادس عشر من جمدى الاولى عام خمسة عشر وثلاثمائة والف هجرية الموافق للثانى عشر من اكتوبر سنة سبع وتسعين وثمانمائة والف مسيحية .

واحتفل اهل العدوتين (الرباط وسلا) احتفالا عظيما بجنازته مع المحافظة على السنة طبق ما أوصى به ليلة وفاته ولم يتخلف احد عن مشهدها من كبير أو صغير . ودفن ضحوة اليوم المذكور بالمقبرة المعروفة بمقبرة باب المعلقة من سلا خارج الباب المعروف بهذا الاسم وقبره معروف مشهور هناك يقصد للزيارة ، يبعد عن شاطئ البحر المحيط بنحو المائة وخمسين مترا . وبعد الفراغ من دفنه جاء الغيم والسحاب من كل جانب ، ثم ارسل الله الغيث فسقى قبره رحمة وأمنا ، وتوالت الامطار تنزل مكررة حتى تلطخت المبانى وعصفت الرياح والزوابع وسقطت الحيطان وقلعت الاشجار من أماكنها وعم ذلك المغرب كله وكان الحادث عظيما أفزع الناس واخبر الطاعنون فى السن منهم انهم لم يروا مثله فيما مضى واسترسل ذلك الى الليل ، ومازال الناس يؤرخون بيوم وفاته لما وقع فيه الى الآن ويعتقدون اتصالا بين وفاته وبين هذه الحوادث الجوية لما كان له من التعظيم والوقع فى نفوسهم .

ورثاه جماعة من اهل عصره بالقصائد البديعة منهم تلميذاه الفقيه المؤرخ محمد بن على الدكالى السلاوى ، واديب سلا الفقيه الحاج الطيب عواد وغيرهما نظما ونثرا (رحمه الله) . فاما قصيدة محمد بن على الدكالى فمطلعها :

ماذا يكف مدامعى وهيامى ... وقد انكوى قلبى بنار حمامى ؟

من كان مغترا بأحلام الدنا ... فكأنه فيها من النيام

إلى أن قال :

أو ما نرى فى كل حين ناعيا ... يصمى النهى فى الصحب والاعلام ؟

لم يخل عصر دون خطب فادح ... ومصيبة فى انجم الاسلام
كمصيبتى فى فقد أحمد ذى العلا ... أعنى أبا العباس ، خير إمام

إلى أن قال :

فى كل قطر عنه ذكر شائع ... بالشكر والاجلال والاعظام
لكن هذا الدهر يطوى مثله ... ويحوز ما أسدى من الانعام
بينا أبو العباس ينشر فضله ... ويحوطه ببنانه ، ويحامى
إذ جاءه كأس الحمام كما أتى ... من قبله رفعا إلى آدام
كل الحوادث للفناء مصيرها ... فإلى متى نصغى إلى الاحلام؟
لابد من يوم ترد ودائع ... فيه ، وينهى العمر للاعدام
مد الحمام يديه نحو علائه ... فغدا يلبى فى سرور نام
ما راعه هول الحمام وبطشه ... بل صحت الافكار بالاسقام
لم يخل من ذكر الاله وحبه ... والشوق للمولى وذى الاكرام
ما زال يوصى بالمهم ويختشى ... من بدعة تبدو بذى الايام
حتى قضى ذاك الهمام مهنئا ... بالعفو ، والغفران ، والانعام
بكت العيون مع القلوب لفقده ... حتى السماء بكت بدمع هامى
غيث أصاب القبر منه رحمة ... وبشارة ببلوغ كل مرام
وجرى بيوم الفقد أمر ما جرى ... فى سالف الاعصار والايام
عصفت رياح الجو حتى زلزلت ... راسى البناء ومعظم الآجام
واغبر وجه الافق وانصب الحيا ... يحكى دماء الجرح والآلام
خطب أقام قيامة وكسا السما ... ثوب الحداد لفقد بحر طامى
حجبت عن الابصار شمس نهارنا ... لما اختفى بالرمس بدر تمام
أسفى على تلك المعارف بعده ... من ذا يقوم بحفظها ويحامى ؟
أسفى على أخلاقه وصفائها ... وسنائه الوقاد فى الاظلام
أسفى على فك العويص ، ومن له ... بعد ابن ناصر ، ناصر الاسلام ؟
أسفى على علم الحديث وسيرة ... ومناقب الانصار والاعلام

أسفى على التفسير بعد غيابه ... من يحسن التحقيق فى الابهام؟
أسفى على آدابه وعلومه ... فقدت بفقد جلاله المتسامى
أسفى على علم الاوائل سامه ... فأطاعه العاصى بلا إلزام
كان المشارك فى جميع أصوله ... والمنتقى لمعين كل مرام
وأعاد ميت العلم حيا خالدا ... بالنشر والتأليف والاحكام
من ذا يحقق بعده من أمر ذا ... ما أشكلت معناه للافهام؟
لهفى على تلك المواقف من يقم ... بقيامه فيها ، وحسن كلام
لهفى على نصح العباد ووعظهم ... ذهب الكفيل بكل ذا ، والحامى
يا دهر بع ما شئت من رتب العلا ... إن الجدير بها رهين حمام
عجبا لعصر صار يخفى مثله ... وبه سما اكرم بخير إمام

إلى أن قال عند ختمها وهى طويلة :

أرخت عام وفاته فأتى بذا ... شرف له يتلى على الايام

١٥ ١٢٨٠
١٣١٥

☆☆☆

واما قصيدة الاديب الحاج الطيب غواد فقد توجها بنثر نصه :

ولكاتبه سامحه الله يرثى شيخه امام المعقول والمنقول ، وقبلة الايمة الجهابذة الفحول ، من بكت لفقده الخضراء ، وزلزلت الغبراء ، وانقضت الشماريخ ، وذيل بيوم موته التاريخ ، العالم العلامة النحرير ، المخصوص بكمال التحقيق وأساليب التحرير ، صدر الصدور والمدارس ، وزينة المحافل والمجالس ، المرقى بهمته لنيل المزايا والسلم ، المبهم بالبراهين الساطعة لمن بهرج بزخارف القول وتكلم ، من ارتشف من ثدى الفصاحة والبلاغة ورضع ، وسجد له يراع البراعة فى زوايا الطروس وخضع ، الروض الهتون ، وصاحب الفلك المشحون ، ابو الاستقصا ، وراوية المغرب الاقصى ، الحاوى من كل فن الطارف والتالد ، ابو العباس احمد بن ابى البقاء خالد الناصرى ، وذلك بعد انتقاله لدار البقاء ، بمدة مديدة ، وسنين عديدة ، مضت كالسنة ، تناهز الست عشرة سنة ، واجهنا الله واياه بوجوه السرور ، الباسمة الثغور .

أهالى الطول بعد الطول ترثى * بما اكتسبوه تعصيبا وإرثا

لقد كانوا محل الروح منا ... كما كانوا لتلك الروح جثثا
ومذ أفلت شموسهم وغابت ... نجومهم ، بقينا - حوث - يوثا
ولا كالجعفرى الطود المكنى: ... أبا العباس ، من قد كان ليثا
مهيبا ، بل هماما ، بل إماما ، ... يحث على خصال الخير حثا
ومن نشر العلوم بحسن قصد ... وعن تحصيلها القوم استحثا
له فيها اليد الطولى جميعا ... ويعطى صعبها نظرا وبحثا
سمين نتاجه لا زال غضا ... وما كل السمين يصير غثا
يجد السير فى طلب المعالى ... ولا يرضى ، إذا ما جد مكثا
إذا ما مثله فى ذا توانى ... فمنه لا ترى عجزا وريثا
أبو عزم ، وجد ، وانتقاد ... يبث العلم والاسرار بثا
ويرشد لاتباع الخير جهرا ... وينفث جوهرا من فيه نفثا
على نفع العباد يرى حريصا ... يود عمومه ، ذكرا وأنثى
يجل المستفيد ويرتضيه ... إذا استفتى وإياه استبثا
معاذ الله إن أعطاك عهدا ... ترى يوما له نقضا ونكثا
إذا ما سل سيف النصر يوما ... محا من رام افسادا وعيثا
ففى سد الذرائع كان فردا ... ومالك وقته ، أو كان ليثا
وان تحرز مفاخره تجده ... حوى شطر الفخار ، وزاد ثلثا
إذا ما أمحلت أرض المعانى ... سقاها من سماء الفهم غيثا
فتصبح في لخضرار وابتهاج ... تطاوع من يشا نسلا وحرثا
وحقك ما رأيت له نظيرا ... ولست ترى لقول الحق حنثا
على فقدانه تبكى البواكى ... فقد أمسى رداء المجد رثا
وموئل من تراه إلى فناء ... أبى المولى بدار الحزن لبثا
سقى مزن الرحيم له ضريحا ... يصاحب روحه حشرا وبعثا

الى غير ذلك من القصائد والقطع الشعرية والنثرية ، تغمده الله بغفرانه ، وعامله

برضوانه ، ومهد له فى الفردوس الاعلى من جنانه ، وجزاه عما قام به من خدمة الدين والوطن بنشر العلم الصحيح والارشاد الى طريق الحق والصدع به والذب عن السنة ورفع لوائها خير ماجزى به من آمن بالله ودعا اليه وعمل صالحا وأولئك هم المفلحون .

تقديره :

لما كان المترجم له رحمه الله بالمنزلة التى بوأه الله اياها علما وفضلا وشهرة وذكاء ونبلا فقد قصده الجم الغفير من علماء وطلبة وقته وترددوا الى بيته ، ولازموه للاخذ عنه فانتفعوا به ، واعترفوا بفضله ، وخصوه بالثناء العاطر ، والمدح الفاخر نظما ونثرا ، فمن ذلك ما ترجم له به أحد اعيان تلامذته العلامة المؤرخ ابو عبد الله محمد بن على الدكالى السلاوى فى تاريخه المعنون : « بأزهار البستان فى اخبار العدوتين ومحاسن الاعيان » مانصه :

الشيخ العلامة المشارك الاستاذ الفاضل ابو العباس احمد بن خالد الناصرى الجعفرى رحمه الله . من بيت جلالة ودين ، وشرف نسب وحسب راسخ العمد مكين ، يتوارثون المجد طريفا وتليدا ، ويتوشحونه والدا وولدا ، وهذا السيد فى محاسنه اعجوبة وحده ، ولست ادرى بما اصف كماله ومجده ، كان آية الله ذكاء ونبلا ، وتحصيلا وفضلا ، وهمة ناكبت السهى ، وتحقيقا فى المعارف بد فيه النهى ، اتقن العلوم الآلية فكان فيها اماما . وحرر المقاصد من سواها فملك منها زماما ، فهو انسان كامل ، لم يحلم الدهر بمثله ولا يعثر له على نظير فيقاس بشكله . وقدما قيل : إن النفيس غريب حيثما كانا .

مشارك محصل ، مضطلع مصنف فى علوم شتى ، من ذوى المروءات والاحتفاظ بالرسوم الدينية والاخذ بالجد والنهج الواضح ، لاتاخذه فى الله لومة لائم ، اخو وقار لاتهزه العواصف ، ورقة تسبق فى اللين العواطف ، وله تحقيق بجزئيات العلوم وكليتها وأصنافها واشتاتها ، خالط المالوف منها والمتروك ، واستصفى من قديمها لبابا ماخالطته الظنون والشكوك ، ملأ ذكر آدابه المغارب والمشارق ، وحلى لبات الدواوين بطنانات

قصائده المسطورة فى المهارق . وله تآليف شتى فى اكثر العلوم ما بين مطول مفيد ، ومختصر للمستفيد ، ولسانه فى المحاضرة والدرس كقلمه فى التصنيف والاملاء . طويل الباع ، رحب الذراع ، طلق العنان ، بالحجة والبيان ، ملآن بالبرهان ، عريض الفذلكة للوقوف على المقصود بإمعان فصيح التعبير ذلق اللسان بالحجة ، عصامى النفس ، صعب المقاد إلّا في طريق الحق ، فألين من كف عذراء محدرة . له اضطلاع تام بالاصلين وإحاطة كبرى بالعلوم اللسانية ، وله فى المنطق ملكة عجيبة ، وفى الفقه لا يجارى . أما علوم الادب فهو ابن بجدتها الهمام ، عارف بأحوال الزمان وذويه مشاور فى دولة السلطان المقدس مولاى الحسن أميرا المؤمنين الحفه الله رضوانه ، وأيام الوزير الكبير ابى العباس احمد بن موسى بن احمد رحمهم الله .

وبالجملة فهو الجامع لاشتات المكرمات ، والحائز قصب السبق فى سائر المعلومات ، دروسه محافل للتحقيق ، وتآليفه رياض مونقة بالتحرير والتدقيق ، وأشعاره السحر الحلال ، أو الماء الزلال ، واخلاقه حسنة تاخذ بمجامع القلوب رقة وظرفا ، ونزاهة ولطفا ، وفكاهة يستنزل بها الهم من صياصيها ويقود الشرود من نواصيها ، مجالسه فى المحاضرات نزه للاسماع والارواح ، ومسرات للقلوب والاشباح .

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها * عن الدر ، أوشمت لاغنت عن المسك

وله مع هذا الحالة دؤوب على المعارف وعكوف ، أخبرنى رحمه الله بمدينة فاس سنة ست وثلاثمائة وألف أنه أقام فى مطالعة مقدمة تاريخ العبر لولى الدين ابن خلدون خمسة أعوام يفك معماها ، ويتفهم مغزاها ، حتى لاح له من محياها يوح ، وامتزجت علومها الجمة بفكره فسرت فى تامورة مسرى الروح . وكان يستظهر ديوان أبى الطيب المتنبى ويعجب بمحاسنه وخصوصا بما فيه من الحماسة ويطرب لسماع إنشاده .

وكان علماء تلك الحضرة الفاسية يعرفون قدره ويجلونه غاية الاجلال ويتعجبون من وجود ذلك الفرد على تلك الحال حائزا لصفات الكمال ، ولا بدع فإنه انفرد بالمعارف فى وقته ، وعزّ أن يلحق فى نعته . كان شيخ الحرمين الشريفين شيخ شيوخنا العلامة الصالح أحمد بن زين دحلان رحمه الله وجه للمغرب الاقصى على تاريخ جامع استوعب اخبار ملوك المغرب من لدن الفتح إلى عصرنا ، فلم يلف على هذه الصفة إلّا تأليف شيخنا

صاحب الترجمة المعنون بالاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى فوجه للسيد دحلان منه نسخة فأكبر شانها وطاربها سرورا وعجب من وجود مثل ذلك التاريخ العجيب في زمانه واثنى عليه ، ودعا لمؤلفه ، حدثنى بذلك الثقة عمن حدثه عن السيد دحلان المذكور .

واعجب من ذلك ما حدثنى به شيخنا صاحب الترجمة رحمه الله بمدينة فاس ايضا انه لم يتكلف فى جمعه لذلك التاريخ العجيب مشقة ولا اطال فيه مدة ، بل أملى جله املاء بالجديدة صانها الله لما كان مستخدما بها محررا بدون تسويد ولا إعادة تخريج ، ومثل ذلك غريب فى صناعة التاليف عند من يعانيها ولكن مثل شيخنا المتسع العارضة الصحيح الافكار السالم الذهن لايحتاج إلى تسويد أو اعادة تخريج ، فتبارك الله احسن الخالقين .

وقد ألم ببعض محاسن هذا الامام الفاضل خاتمة الشعراء المجيدين بسلا حاطها الله ابو عبد الله محمد بن ناصر حركات رحمه الله حيث يقول فى قصيدته البائية التى مدحه بها ومطلعها :

بأمى أنتم وأبى * برغم مكابر وأبى (١)

وترجمة هذا الفاضل اوسع من أن يحاط بها وفى هذه الصبابة كفاية للعجلان ، وبلغة تسد رمق اللهفان ، والا فمزاياه ومحاسنه وما جرياته تخص بديوان ، انتهى .

ومرض صاحب الترجمة مرة مرضا شديدا حتى خيف عليه منه ثم تداركه الله بالراحة والعافية ففرح بذلك اهله وذووه ورفقاؤه وتلامذته . وهنأه بالعافية تلميذه ابو عبد الله محمد بن على المذكور بالقطعة الآتية :

حق الهناء وجاءت السراء ... وانزاح عنا الهم والاسواء
وتوالت الافراح فى تنسيقها ... والايك قد غنت بها ورقاء
والروض فاح عبيره ، وتناثرت ... من زهره الحمراء والصفراء
ونثار طل فى اخضرار غصونه ... كالدر ، لكن أرضه خضراء
وبشير يمن مسفر عن غرة ... ضاءت بنور جبينها الانحاء
لما بدا وصف الشفا لامامنا ... حبر العلوم ، سرت بذا الانباء
علامة الدنيا ، وفرد زمانه ... من وصفه التاليف ، والافتاء

---

(١) سناتى بهذه القصيدة بتمامها فى هذا الفصل .

والدرس والنصح الذى عم الورى ... والذكر والتقييد والاملاء
العالم العلامة الطود الذى ... علمت جلالة قدره الزوراء
شيخى أبو العباس أحمد من صفت ... أخلاقه ، يحكى صفاها الماء
وتكاملت اوصافه وتعددت ... آثاره المحمودة الغراء
دامت سعادته ودام شفاؤه ... ما عطرت من ذكره الارجاء

☆☆☆

وقد ذكره أيضا أبو عبد الله ابن علي المذكور فى تأليفه المسمى « اتحاف اشراف الملا ، ببعض أخبار الرباط وسلا » قال :

ومنهم الشيخ ابو العباس ... أحمد صدر الجلة الاكياس
وهو ابن خالد بن ناصر ، العلم ... الاوحد الفرد النزيه المحترم
آخر أهل الفضل علما ودها ... وخبرة جلت . وجازت السهى
مشارك محصل محقق ... فهامة دراكة مدقق
مؤرخ نسابة اخبارى ... محاضر مخالط الاكثار
محدث ، أخو أصول وفروع ... وعنده لكل عرفان نزوع
وشارك الاعلام فى التعالم ... وللذى بعد الطبيعة نمى
وكان فى الرياضى والمسيقى ... أخا دراية ، وذا تدقيق
واضطلعت افكاره لما بدا ... من المعارف جديدا فغدا
مستشرفا لها وصار دريا ... بجلها ، ولحفاها حريا
فعظم الفيد وجل الخطر ... وكثر الخير وطاب الخبر
فلم يكن في عصره مماثله ... ولا مقارب له يشاكله
وفى الذى ألف اعظم دليل ... على مقالنا ، فراجع واستدل
الف فى التاريخ والاداب ... والفقه والرسم وفى الانساب
وغيرها من فائد الاوضاع ... مما ينيل الفيد ، كالامتاع
حاور منكرا وجود الصانع ... بما أفاده بوجه نافع
وعاد للحق بأوضح دليل ... واسهل الطرق ببرهان جليل

وهو مسير سفن البحار ... بغير ربان ، ولا مجارى
بل وحدها تسافر استقلالا ! ... فاظهر الدهرى لذا اختلالا !
قال له الشيخ : كفاك فاعترف ! ... فإنما الكون كما قبل وصف !
سفينة ليست تسير وحدها ! ... ومن يدير جمعها وفردها ؟
قال : يقال قوة لا تعرف ! ... وانما بقدرة تتصف !
قال له الشيخ : بلى رب الوجود ! ... هو مدبر الخفاء والشهود !
وما زعمتم قوة ليس كذاك ... فانما الجهل محيط بسناك !
فاعترف الدهرى بان الصانعا ... مدبر الكون ولا منازعا !
والتزم التقبيل للنعال ... لما بدا الحق بلا إشكال
وكان فى الدرس فصيحا ممتعا ... ينفع من خص ومن عم معا
وفى الخطابة تخال قسا ... وفى المحاضرة جل أنسا
وكان كشكولا لكل فضل ... وعيبة ليس لها من مثل
وهو إمامي ومفيدى الاكبر ... وهو ملاذى بسلا المعتبر
لازمت درسه لدى التفسير ... فى معظم القرآن بالتحبير
وفى سواه لم أزل مرددا ... لفيده . وللمعالى مسندا
سحت عليه سحب الرضوان ... فى كل حين بارتفاع شان
قضى بأرضة سلا حميدا ... بعام يه (١) عصرنا رشيدا
وفقدت بفقده المعارف ... ومن سحاب الغيث صب واكف
على ثراه عندما فرغنا ... من دفنه وربنا دعونا !
وأرسل الجو بريح عاصف ! ... واتصل الغيث بما لم يوصف !

* * *

وممن مدحه أيضا أديب سلا فى وقته أبو عبد الله محمد بن ناصر حركات السلاوى قال :

بأمى انتم وابى ... برغم مكابر وأبى
اخلائى وإن خنتم ... وضرب الخل كالضرب

---

(١) أى عام خمسة عشر .

محاسنكم وحاسدكم كخذلان ومكتئب
سبت عقلى - ولا عجب - فكم غيرى بهن سبى
أحبكم . وكم حب ترى خيرا من النسب
وسر الحب فى قلبى قلوب الناس كالقلب
نصبت لرفعكم أملى لكى انجو من النصب
صلوا عبدا لكم اضحى سدى متقطع السبب
يحن إلى الذهاب الى رضاكم لا إلى الذهب
تقربه اليكم بالـ خضوع لكم من القرب
ومطلوبى لان احظى من الرضوان بالارب
لعل الله يغفر لى بفضلكم ويلطف بى
وراجيكم وآملكم وايم الله لم يخب
ألايا احمد المجلى محياه دجى الكرب
جمعت من المعالى كـ ـل مجتمع ، ومنشعب
زها بك كل ديوان من الاشعار والخطب
وقد عرفتك انواع الـ ـعلوم بدون ما ريب
وقد نشبت بنهيتك الـ ـمعانى كل منتشب
وقد القت ازمتها اليك تقول : ها سلبى
سلا عما ذكرت سلا بتصديقى اذا تجب
به زانت محاسنها كزين اللحظ بالهدب
به تاهت على الامصا ر تسحب حلة العجب
به افتخرت على الاحبا ر فخر الافق بالشهب
لقد فاق الورى طرا بحسن الخلق والادب
وناديه الباهى العارى من الافحاش والصخب
تمهر فى العلا طفلا ونال الفخر وهو صبى
مقر العلم مقريه قرير الجفن بالكتب

رمى اغراض معناه بأسهم فهمه الصيب
فلم تعب الذى قد حا ز من شيم ولم تعب
حبيت بنصرة يا نا صرى على ذوى الحرب
وخلد فضلكم يا خا لدى لرفع مكتئب
ظفرت بكل مختار لذى امل ومنتخب
وحسبك يا أبا العبا س ما قد نلت من حسب
بنفسك انت سدت فلم تقل للفخر: كان ابى
على ان العلا تنمى الى آبائك النجب
نحارير مشاهير ذوو الاقدار والرتب
لقد سادوا وقد قادوا وقد جادوا بمطيب
لهم قصب السباق يرى فيا لله للنصب
لزوم المكرمات لهم لزوم الكف للشعب
مفاخرهم لها فى كـ ـل عصر شهرة الشهب
ألا يا لا ئمى فيهم لقد افسدت فارتئب
متى اضحيت فى تعب بتعنيفى ولم تعب
فهم قومى الذين بهم أؤمل نجح مطلبى
اساتيذى واشياخ ى حماة الصارخ الشجب
بهم واليهم لا زا ل مفتخرى ومنتسبى
ومن إعراضهم هربى وفى اقبالهم رغبى
إلى احسابهم ابدا ياكم صاد وكم سغب
بهم ضاءت مغاربنا ضياء البدر فى الغرب
واشرق فى المشارق نور بهجتهم ، فسل تجب
أجل جلة قاموا بسنة خير كل نبى
محمدنا اجل الخلق من عجم ومن عرب
صلاة الله دائمة عليه لمنتهى الحقب

كذا اهلوه ما ضحكت ... بروق من بكا السحب
واصحاب وأنصـــار ... مع الازواج والعقب
أبا العباس تـــه فخرا ... على إرغام كل غبى
فأنت المرء فى نبـــل ... وأنت الفرد فى أرب
وأنت البحر مـــا تلفظ ... بالياقوت لا الحطب
عصامـى عظامـــى ... حميد البعد والقرب
احق فتى تحلى بالـــ ... زكى النفس والحسب
وبالعـــلام والاستا ... ذ والتحرير والارب
وبالعـدل الرضى الـ ... مرضى ذى الانصاف والهذب
ومشكلة جلوت عن ... غوامضها دجى الريب
بتحقيق وتدقيـــق ... وتوضيح وكشف خبى
توقفها عليك كما ... مسببة على السبب
وكم علم حـــدائقه ... بغير شذاك لـــم تطب
واغراض لمغنـــاه ... بدون حجاك لم تصب
فيا قاموس قـــد أربى ... على الايام بـــالعجب
فـــلا تنفك زخارا ... بلـــج العلم والادب
لتبعث لى سميك من ... بويبى آخرى طلبى

***

وقد مدحه أيضا الشيخ العلامة القاضى الاديب الحاج أحمد سكيرج بقصيدته التى قرّض فيها تاريخ الاستقصا وهى :

إذا رمت تاريخا لمغربنا الاقصى ... عليك بتاليف يسمى بالاستقصا
كتاب تجلت فيه صورة من مضى ... لدى كل ذى عينين يفحصها فحصا
تجلت مرائيها بمرآته التى ... صفت، وانجلى فيه القريب مع الاقصى
كأنك إن تقراه كنت معاصرا ... لمن صار عنهم، مخبرا بالذى احصى

فراجع اذا ما شئت كل مؤرخ ... ترى ممن الاستقصاء ما فيه قد خصا
يعبر فيه بالحقائق كاشفا ... خفايا امور قد مضت طبق ما نصا
وقد شاد فى اوج الكمال قصوره ... بغير قصور وهو عنه نفى النقصا
وكم من حسود رام ينكر فضله ... ولكنه فى الناس فى ريقه غصا
فطالعه تشهد بالذى قد شهدته ... فكم شاهد يتلوه منه نفى الخرصا
مؤلفه الحبر المبرز احمد ... محامده لم يحصها الناس باستقصا
وقد جد فى تحريره فى «جديدة» ... فجاء جديدا ، فيه سهل ما استعصى
وقد جاء تاليفا بأسلوبه سبى ... نفوسا بتحقيق لها قرب الاقصى
فأكرم بهذا الناصرى الجعفرى الذى ... به كان فى نشر المعارف مختصا
جنى زهر أفنان الفنون لطالب ... وطلعتها للمشترى تنتج الرقصا
فجازاه خيرا ربه فى الذى به ... أفاد وأعطاه مكارم لا تحصى
وبارك فى انجاله وأنا لهم ... كمال الرضى فيما به عم أو خصا

☆☆☆

واثنى عليه أيضا فى القصيدة التى خاطب بها أنجاله بقوله :

وابوهم محيى مآثر من مضى ... فى عصره بمناقب لم تنكر
وهو المبجل احمد ذو المنصب الـ ... ـاسمى السلاوى الناصرى الحبر السرى
المتقن التأليف حقا للعلو ... م وللقلوب بخبرة وتبصر
فانظر للاستقصاء فهو به أتى ... فى عالم التاريخ أصدق مخبر
ولديه فى الاداب والانساب ما ... هو زهر أفنان وطلعة مشترى

وممن ترجم له فى فهرسة اشياخه واثنى عليه الفقيه العلامة القاضى عبد القادر المراكشى دارا ، الدكالى اصلا رحمه الله قال :

ومنهم علامة زمانه ، ونادرة قطره واعجوبة اوانه ، العالم العلامة الحبر الفهامة ، رئيس العلوم وجبل التقوى ، وشيخ من أسند وروى ، ابو العباس احمد بن خالد الناصرى ، اذا شملتك اندية دروسه ترى حبرا بحرا ، وعالما هو بجميع اوضاع العلوم اعلم وادرى ،

يوضح من كلام الفحول كل ما اشكل ، ويحل من مقفلات المسائل ما تعاصى عن الافهام وأعضل .

فلله من حبر يفيد جليسه بما يملأ الاوطاب زبدا ومن عسل

قرأنا عليه بمراكش فى حدود سنة ١٢٩٥ مقدمة تلخيص القزوينى كلها بمختصر السعد ومطالعة المطول والاطول ، كان يجلس بعد صلاة العصر إلى ان يتدانى الغروب ، ومجالس من الصحيح وشمائل الترمذى بقصد الاخذ ومذاكرات وتحقيقات وإفادات الخ .

هذا وقد أطبق أهل عصره ومن بعدهم على الثناء عليه ، والشهادة له بطول الباع وسعة الاطلاع ، والاستقلال التام فى الفكر والرأى والمجاهرة بنصرة السنة والتحذير من البدع والصراحة فى القول بالحق ولو كان مرا ، مع الاخلاص فى محبة وطنه المغرب الاقصى ، والتفانى فى سبل الدفاع عن كيانه الدينى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى والادبى بقلمه ولسانه ، ومحض النصح لذوى الامر والرياسة فى وقته وتحذيرهم مغبة التهاون والتفريط والاخذ بالحيطة وسلوك السياسة الناجعة فى تدبير شؤن البلاد وتسيير دفة ادارتها فى الخارج والداخل .

وقد ترجم له الجم الغفير من الكتاب والمؤلفين المسلمين والاوروبيين ونقلوا عنه واعتمدوه فى ابحاثهم الاجتماعية والتاريخية والدينية بحيث لا تكاد تجد موسوعة او فهرسا الا وله فيه ذكر .

ولو تتبعنا من كتب فيه من المسلمين والفرنسيين والاسبانيين والبرتغاليين والانجليز وغيرهم لطال بنا الكلام فيما اصبح معلوما عند ارباب الصحف والاقلام .

خاتمة :

لقد تحصل من سرد سيرة واخبار حياة هذا الرجل المنقولة عما كتبه عن نفسه وما هو مقرر معروف من أحواله فى عائلته وقومه وما يستنتج من مطالعة مجموع مؤلفاته ونتف افكاره أنه كان نسيج وحده ، وفريد دهره . كأنما كان ينظر إلى المستقبل من وراء حجاب ، ويكشف عن احوال الدهر بنور افكاره الصائبة النقاب ، ولو نشأ فى عصر غير الذى نشأ فيه ، وأمة أرقى من التى أوجده الله فيها لظهر منه العجب العجاب .

وهذا مع كونه لم يفارق هذه الاقطار المغربية ، ولم يطلع على لسان من الالسن الاجنبية ، ومع ذلك فقد طرق مواضيع شتى فى فنون مختلفة برهن فيها على كمال مقدرته وسعة مداركه فى عصر لم يكن أحد من ابناء جلدته يهتم بشىء مما كان يرمى اليه أو يقدر قدر العلوم التى خاض فيها ، أو تصدى إليها ويعرف اهمية المنازع الاجتماعية والاخلاقية التى كان يهتم بها فجزاه الله خيرا على ذلك .

وقد بسطنا ترجمته فى محل غير هذا وشرحنا جل هذه النقط التى ألمعنا بها فى هذه العجالة . وفى هذا القدر كفاية ومقنع .

سلا : ١٨ ربيع الاول ١٩٤٠
١٩ دجنبر ١٩٢١

جعفر الناصرى - محمد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

* * *

تأليف :

الشيخ أبى العباس أحمد بن خالد الناصري

الجزء الأول

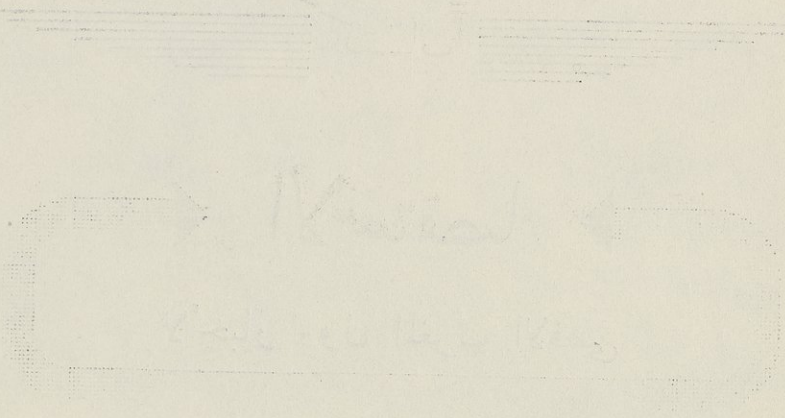

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المعبود (١) ☆ الرؤوف الرحيم الودود ☆ المخرج للخلق من ظلمة العدم إلى نور الوجود ☆ الفاتح عليهم بمعرفته ☆ والتحقق بوحدانيته ☆ كل باب مسدود ☆ الدال لهم على باهر حكمته ☆ وعظيم قدرته ☆ بالمعنى المعقول والحس المشهود ☆ فلا يرتاب فى أنه الواحد القدير ☆ العليم الخبير ☆ إلَّا الكفور الكنود ☆ خالق العباد وقدر آجالهم ☆ وأحصى أنفاسهم وأعمالهم ☆ وأوقفهم من شرعه على نهج سوى وحد محدود ☆ فمن وقف عنده وأطاع ☆ فقد فاز من ثمرة الايجاد بالمقصود ☆ ومن حاد عنه واستكبر ☆ فقد أورد نفسه الردى وبئس الورد المورود ☆ نحمده تعالى على ما أسبغ من النعم البيض وكسا من البرود ☆ وأزاح من العلل ووقى من النوب السود ☆ (ونشهد) أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شهادة نتبوأ بها من الجنان السدر المخضود ☆ والطلح المنضود ☆ والظل الممدود ☆ (ونشهد) أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله أكرم مبعوث وأشرف مولود ☆ صاحب المقام

---

(١) الحمد لله ، يقول مؤلف هذا الكتاب أحمد الناصرى عفا الله عنه : انى التمس ممن يقف عليه من ساداتنا العلماء - وفرهم الله - أن ينظر فيه بعين الانصاف حسب الامكان ، بل وبعين الاغضاء عما لا يكاد يسلم منه انسان ، وأن يعاملنا فيه بمقتضى قول القائل :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقد قال الامام مالك رضى الله عنه : كل كلام منه مقبول ومردود ، إلَّا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم . وإذا كان الشيخ خليل رضى الله عنه على علو قدره في العلم والتحقيق ، وطول باعه في التحرير والتدقيق يقول : وأسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن ينظر بعين الرضا والصواب الخ . . فماذا عسى نقول نحن حثالة الحثالة فى هذا الزمان الذى انمحى فيه من العلم حقيقته ورسمه ، ولم يبق منه إلَّا اسمه . اللهم استر عوراتنا ، وأمن روعاتنا ، واغفر زلاتنا ، وارحمنا بفضلك يا أرحم الراحمين يارب العالمين آمين . وكتب فى اواسط رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٦

المحمود ☆ واللواء المعقود ☆ والحوض المورود ☆ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم فى محافل السلم بدور وفى جحافل الحرب أسود ☆ ولهم فى اتباعه ونصرته اليد البيضاء والباع الممدود ☆ والدعاء لامير المؤمنين مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين مولانا محمد ابن أمير المومنين مولانا عبد الرحمن كوكب السعود ☆ ومنبع الكرم والجود ☆ والمنير بطلعته الغراء ☆ وإمامته البيضاء ☆ الاغوار والنجود ☆ لازالت به ملة الاسلام بحول الله فى صعود ☆ تردى الكفر وتنفى البغى وتذود ☆ وتصول على الضلال وتسود ☆ آمين ﴿ وبعد ﴾ فيقول مؤلفه أحمد بن خالد الناصرى السلاوى عفا الله عنه : هذا ـ بعون الله ـ كتاب الاستقصا ☆ لاخبار دول المغرب الاقصى ☆ كتاب جمعته لنفسى ☆ ولمن شاء الله من أبناء جنسى ☆ ذكرت فيه دول هذا القطر المغربى من لدن الفتح الاسلامى إلى وقتنا هذا الذى هو آخر القرن الثالث عشر ☆ سالكا فيما أنقله من ذلك سبيل الاختصار ☆ آتيا منه بما تسمو إليه النفوس من حوادث الأعصار ☆ ملمعا بما لابد منه من وفيات بعض الائمة المقتدى بهم فى الدين ☆ متبركا أولا بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ☆ متحريا من النقول أصحها ☆ ومن العبارات أفصحها ☆ والله تعالى المسؤل ★ فى بلوغ المأمول ☆ فمنه سبحانه المنة والطول ☆ وبيده تعالى القوة والحول .

مقدمة فى فضل علم التاريخ (١)

اعلم ان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا ، وأرفعها منزلة وذكرا ، وأنفعها عائدة وذخرا ، وكفاه شرفا ان الله تعالى شحن كتابه العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية ، بما أفحم به أكابر أهل الكتاب ، وأتى من ذلك بما لم يكن لهم فى ظن ولا حساب ، ثم لم يكتف تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم . وجعله من جملة ما أسداه إليه من الخير العميم ، فقال جل وعلا : تلك القرى نقص عليك من أنبائها . وقال : وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك . وقال : لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث أصحابه باخبار الامم الذين قبلهم ، ويحكى من ذلك ما يشرح به صدورهم ، ويقوى ايمانهم ، ويؤكد فضلهم ، وكتاب بدء الخلق من صحيح البخارى رحمه الله كفيل بهذا الشان ، وآت من القدر المهم منه بما يبرد غلة العطشان . (قال بعضهم) : احتج الله تعالى فى القرآن على أهل الكتابين بالتاريخ فقال تعالى ! يأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل إلّا من بعد أفلا تعقلون . (وحكى بدر الدين القرافى رحمه الله) ان الامام الشافعى رضى الله عنه كان يقول ما معناه دأبت في قراءة علم التاريخ كذا وكذا سنة وما قرأته إلّا لاستعين به على الفقه . (قلت) معنى كلام الشافعى هذا ان علم التاريخ لما كان مطلعا على أحوال الامم والاجيال ومفصحا عن عوائد الملوك والاقيال ومبينا من اعراف الناس وأزيائهم ونحلهم وأديانهم ما فيه عبرة لمن اعتبر وحكمة بالغة لمن تدبر وافتكر ، كان معينا على الفقه ولابد وذلك أن جل الاحكام الشرعية مبنى على العرف

---

(١) قال مؤلفه عفا الله عنه الذى لابن حزم فى صدر الجمهرة وكذا لابن عبد البر فى صدر كتاب النسب : هو علم النسب لاعلم التاريخ كما هنا . وأنكر ابن حزم أن يكون ذلك أعنى أن علم النسب علم لاينفع وجهالة لاتضر مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورده ببرهانين فانظره . ولكن علم النسب وعلم التاريخ متلازمان . والله اعلم .

وما كان مبنيا على العرف لابد أن يطرد باطراده وينعكس بانعكاسه ، ولهذا ترى فتاوى الفقهاء تختلف باختلاف الاعصار والاقطار بل والاشخاص والاحوال . وهذا السبب بعينه هو السر فى اختلاف شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام وتباينها حتى جاء موسى بشرع وعيسى بآخر ومحمد بسوى ذلك صلى الله على جميعهم وسلم ، ثم فائدة التاريخ ليست محصورة فيما ذكرناه بل له فوائد أخر جليلة لو قيل بعدم حصرها ما بعد . قال الجلال السيوطى رحمه الله : من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء (١) المشهورة مع اليهود ببغداد وحاصلها أنهم اظهروا رسما قديما يتضمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باسقاط الجزية عن يهود خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، فرفع الرسم إلى رئيس الرؤساء وعظمت حيرة الناس فى شأنه ، ثم عرض على الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى (٢) فتأمله وقال : هذا مزور . فقيل له : بم عرفته ؟ قال : فيه شهادة معاوية وهو انما أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة وخيبر فتحت سنة سبع . وفيه شهادة سعد بن معاذ وهو مات يوم بنى قريظة وذلك قبل فتح خيبر . فسر الناس بذلك وزالت حيرتهم اه . قال العلامة القادرى فى الازهار الندية : وفى حدود صدر هذه المائة ـ أعنى المائة الحادية عشرة ـ ظهر نحو هذا الكتاب المزور بمعناه والرفع على خطوطه بتاريخ سبع وعشرين وسبعمائة بالموحدة ثم ظهر أيضا بتاريخ ست وثمانمائة ثم تعدد ظهوره مرارا آخرها سنة اثنتين وأربعين وألف مسمى فيه جماعة ممن شهرتهم بالدين والعلم قاطعة بالتقول عليهم فى ذلك ـ انظر بقية كلامه ـ (قلت) وقد وقفت فى بعض التقاييد المظنون بها الصحة على كلام للاديب أبى عبد الله اليفرنى المعروف بالصغير فى هذا المعنى ، قال : جرى بمجلس شيخنا قاضى الجماعة فلان الفلانى (٣) ذكر علم التاريخ فقال : ان علم

---

(١) وزير القائم بأمر الله العباسى على بن الحسين المعروف بابن المسلمة .

(٢) احمد بن على بن ثابت المتوفى سنة ٤٦٣ انظر ترجمته بطبقات السبكى وغيرها صفحة ١٢ جزء ٢ .

(٣) هو العلامة أحمد بن ناجى ، قال أبو العباس الحافى فى فهرسته فى حقه : ومنهم ـ

التاريخ يضر جهله ، وتنفع معرفته ، لا كما قيل : انه علم لاينفع وجهالة لاتضر . قال : وانظر ما وقع فى هذا الوقت فى حدود عشر ومائة وألف : من أن نفرا من يهود فاس الجديد امتنعوا من أداء الجزية وأخرجوا ظهيرا قديما مضمنه أن النبى صلى الله عليه وسلم عقد لموسى بن حيى بن أخطب أخى صفية رضى الله عنها ، ولاهل بيت صفية الامان : لايطأ أرضهم جيش ، ولا عليهم نزل ، ولهم ربط العمائم ، فعلى من أحب الله ورسوله أن يؤمنهم . وكتب علي بن أبى طالب ، وشهد عتيق بن أبى قحافة ، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان . وتاريخ شهادتهم فى ذى القعدة سنة تسع من الهجرة . قال شيخنا : فظهر لي ولعلماء العصر ، أن ذلك زور وافتراء ، لاشك فيه ولا امتراء ، لان التاريخ بالهجرة إنما حدث زمن عمر ، سنة سبع عشرة لاسباب اقتضت ذلك كما فى ابن حجر ، ولان أهل التاريخ لم يذكروا لصفية أخا اسمه موسى ، وإنما المروى فى الاحاديث أنه عليه الصلاة والسلام قتل أبا صفية وزوجها ، ولان الظهير الذى استظهروا به نسخة من الاصل الذى فيه خطوط الصحابة ، وقد أرخوا الاستنساخ من الاصل بسنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، فقد تأخر خط الصحابة بزعمهم إلى المائة الثامنة وكيف يتوصل فى المائة الثامنة إلى أن ذلك خط الصحابة ؟ . هذا خلاصة ما كتبه أهل فاس فى ابطال الظهير . ولما رفع ذلك إلى السلطان المولى اسماعيل رحمه الله ، عاقب اليهود عقابا شديدا اه . (وبالجملة) : ففضيلة علم التاريخ شهيرة ، وفائدته جليلة خطيرة ، ومادحه محمود غير ملوم ، والحديث بفضله حديث بمعلوم ، ولله در ابن الخطيب

ـ شيخنا الفقيه العلامة سيدى أحمد بن محمد بن ناجى السجلماسى ، تولى القضاء بسلا والرباط ونواحيهما ، وبقى متوليا بهما نحو العشرين سنة ثم تولى القضاء بفاس ثم بمكناسة الزيتون ، حضرنا عليه فى تفسير القرآن العظيم ، وفى رسالة ابن ابى زيد ، وذلك كله بمحروسة سلا ، وصحيح البخارى وصحيح مسلم بن الحجاج . وقرأت عليه شمائل الترمذى ، وكان رحمه الله معظما لجميع من ينتسب للطلب ، وقورا ذا تؤدة وهمة عالية ، وكلمة نافذة عند السلطان وغيره . توفى رحمه الله بمحروسة مكناسة يوم الجمعة ٢٤ من رجب عام ١١٢٢ . ودفن داخل المدينة المذكورة بروضة السيدة عائشة العدوية . ه

إذ يقول :

وبعد فالتاريخ والاخبار * فيه لنفس العاقل اعتبار
وفيه للمستبصر استبصار * كيف أتى القوم وكيف صاروا
يجرى على الحاضر حكم الغائب * فيثبت الحق بسهم صائب
وينظر الدنيا بعين النبل * ويترك الجهل لاهل الجهل

وقال الآخر :

ليس بانسان ولا عاقل * من لا يعى التاريخ فى صدره
ومن روى أخبار من قد مضى * أضاف أعمارا إلى عمره



ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الاربعة رضى الله عنهم

أما رسول الله صلى عليه وسلم فهو : أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان ابن نبت بن حمل بن قيدار بن اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن خنوخ ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليهما السلام . فأما ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عدنان فمتفق عليه عند علماء الاسلام ؛ واما ما بين عدنان واسمعيل ، فمختلف فيه اختلافا كثيرا ، ما بين سبعة آباء إلى نحو الاربعين (١) والمختار ما ذكرناه تبعا لابى الفداء . وأما ما بين اسمعيل وآدم عليهما السلام فمتفق عليه عند أهل الكتاب ، وهى أسماء أعجمية يكثر تغييرها لصعوبة النطق بحروفها ، والله اعلم ؛ ﴿ قال ابن خلدون ﴾ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، لاربعين سنة من ملك كسرى انو شروان ، وقيل لثمان واربعين ولثمانمائة واثنتين وثمانين سنة لذى القرنين (٢) ، ومات ابوه عبد الله وأمه حامل به ، وكفله جده عبد المطلب ، واسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر ، اسمها حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية ، فكان عندها نحو أربع سنين ، وشق صدره صلى الله عليه وسلم وهو عندها فى السنة الرابعة من مولده ، فخافت عليه وردته إلى أمه ،

---

(١) وقد عدها صاحب الاغانى أربعين أبا ، وهو الاقرب إلى الصواب ، إذ بين معد واسمعيل نحو من ست عشرة مائة سنة على التحقيق ، ويستحيل فى العادة ان يكون فى هذه المدة ثمانية آباء .

(٢) ولاحدى وسبعين وخمسمائة سنة من ولادة المسيح عليه السلام .

ثم ماتت امـــه عقب ذلك ، واستمر فى كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفى أيضا لمضى ثمان سنين من مولده صلى الله عليه وسلم ، فأوصى به عبد المطلب إلى ابنه أبى طالب ، فكفله أبو طالب أحسن كفالة ، وقام بشأنه أتم قيام ، ونشأ صلى الله عليه وسلم نشأة طيبة ، يحفظه ربه ويكلؤه لما يريد بـه من كرامته ، ويهيئ له من نبوته ورسالته . وتزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وشهد بناء الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، ووضع الحجر الاسود بيده الشريفة فى موضعه بعد ان تراضت قبائـل قريش عليه ، ثم آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم (أخرج) البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة . ولمسلم الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا إلّاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ، والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحى ، وفى رواية حتى فجئه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، فقال ما انا بقارئ قال : فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة أى خديجة مالى واخبرها الخبر ، وقال لقد خشيت على نفسى ، قالت له خديجة : كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبـــدا انك لتصل الرحم ، وتصدق الحـــديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قـد عمى ، فقالت له خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيك فقال

له ورقة : يابن أخى ما ذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلّا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى . زاد البخارى قال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد انك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك . ثم نزل عليه بعد فترة الوحى سورة المدثر . (قال العلماء) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحى عليه نبيا فقط ثلاث سنين لم يؤمر فيها بانذار ، ثم أتاه جبريل عليه السلام برسالة من ربه عز وجل ، فكان فيما انزل عليه فى ذلك قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الاقربين . (روى) محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا علي إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره ، فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يا محمد إن لا تفعل ماتؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال : كلوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشىء من حاجة ، وأيم الله إن كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ، ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا ، وأيم الله إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال : سحركم صاحبكم ، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الغد يا علي إن هذا الرجل قد سبقنى إلى مـا سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعدد لنا من الطعام مثل مـا صنعت ؛ ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا بنى عبد المطلب إنى قـد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله عز وجل أن أدعوكم إليه ، فأيكم يوازرنى على أمرى هذا ويكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم » فأحجم القوم عنها جميعا ؛ ـ وأنا احدثهم سنا ـ فقلت يا رسول الله : أنا أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتى ثم قال : هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا . فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب : قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع . وأخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس قال : لما نزلت « وانذر عشيرتك الاقربين » صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعـل ينادى : يا بنى فهر ، يا بنى عدى لبطون من قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ؛ فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرايتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا ، قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبا لـك سائر اليوم ، ألهـذا جمعتنا ؟ فنزلت « تبت يدا أبى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب » ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ربه صابرا محتسبا فيما ينالـه من المحن وضروب الاذى معلنا بالتذكير والانذار ، داعيا الى الله آناء الليل وأطراف النهار ، واسلم معه جماعة من السابقين إلى الاسلام كخديجة وعلي وأبى بكر وزيد بن حارثة وعثمان وسائر العشرة سوى عمر بن الخطاب فإن إسلامه كان قد تأخر قليلا ، ونصبت قريش العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافترقت كلمتهم عليه ، وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب ، وتعاهدت قريش على أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا ينفعوهم بشىء . ونال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا معه من الاذى فوق ما يوصف؛ وهاجر جماعـة منهم إلى النجاشى بالحبشة فرارا بدينهم من الفتنة ؛ وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب وقام دونه وذب عنه سفهاء قريش ومنعه منهم

ما استطاع ؛ وكانت خديجة رضى الله عنها توازره على أمره وتسليه وتهون عليه ما يلقاه من قومه فكان صلى الله عليه وسلم يرتاح لذلك ويخف عليه بعض ما يجد . ثم توفى أبو طالب فى شوال سنة عشر من النبوة ؛ وتوفيت خديجة بعد ذلك بيسير ؛ وكانت وفاتهما قبل الهجرة بثلاث سنين ؛ فعظمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصيبة وتتابعت عليه المحن حتى كان يسمى ذلك العام عام الحزن . ونالت قريش منه ما لم تكن تطمع فى نيله قبل ذلك ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الثلاث سنين إذا حضر الموسم خرج إلى قبائل العرب بمنى . وطاف عليهم قبيلة قبيلة ، يدعوهم إلى الله تعالى ويعرض عليهم نفسه ويسألهم النصرة له والقيام معه حتى يبلغ رسالة ربه ؛ فإن قريشا قد عتت على الله وكذبت رسوله وردت عليه كرامته ، ويقول فيما يقول : يا بنى فلان انى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وتصدقونى . ولقى صلى الله عليه وسلم فى هذه المدة من الشدائد ما رفع الله به فى عليين درجته ، واجزل به كرامته ، وشرف منزلته ؛ وحاز به فى جوار الله تعالى أكرم نزل ؛ وصار إمام أولي العزم من الرسل صلى الله على جميعهم وسلم . ولما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه خرج صلى الله عليه وسلم في بعض المواسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع ، فبينما هو عند العقبة بمنى اذ لقى ستة نفر من الخزرج من أهل مدينة يثرب ، وأهلها يومئذ قبيلتان : الاوس والخزرج ، ويجمعهم أب واحد ، وهم من عرب اليمن والنفر الستة هم : أبو امامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن نابى ، وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود ؟ - وكانوا يحالفون قريظة والنضير - قالوا : نعم ! قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال ومما كان صنع الله لهم فى الاسلام ، ان اليهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل أوثان وشرك وكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا : إن نبينا الآن مبعوث قد أظل زمانه سنتبعه ونقتلكم

معه قتل عاد وارم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل ، قال بعضهم لبعض : ياقوم تعلموا والله انه النبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، فاجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا : انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك ، وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا أحد أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم . فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الانصار إلّا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين ذكرناهم آنفا - عدى جابر بن عبد الله فإنه لم يحضرها - وسبعة من غيرهم وهم : معاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور ، وذكوان بن عبد القيس ، ويزيد بن ثعلبة البلوى ، وعبادة بن الصامت ، والعباس بن عبادة بن نضلة ، وهؤلاء العشرة من الخزرج . ومن الاوس : أبو الهيثم مالك بن التيهان ، وعويم بن ساعدة ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعوه بيعة النساء : أن لا يشركوا بالله شيأ ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم إلى آخر الآية . فقال صلى الله عليه وسلم : فإن وفيتم فلكم الجنة ؛ وإن غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة لكم ، وان ستر عليكم فأمركم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم . قال : وذلك قبل أن تفرض الحرب . فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، ومعه عمرو بن أم مكتوم الاعمى ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ، ويفقههم فى الدين ؛ فكان مصعب بالمدينة يسمى : المقرئ ؛ وكان منزله على أسعد بن زرارة فأسلم على يده كثير من الاوس والخزرج ، منهم : أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ - سيدا الاوس - وسعد هذا هو الذى يقول فيه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وما اهتز عرش الله من أجل هالك * سمعنا به إلّا لسعد : أبى عمرو

ولم تبق دار من دور الانصار إلّا فيها رجال ونساء مسلمون إلّا ما كان من دار بنى

أمية بن زيد وخطمة ووائل ، وواقف بطون من الاوس وكانوا فى عوالى المدينة ، وكان فيهم أبو قيس بن الاسلت الشاعر سيدا مطاعا ، فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ومضى بدر ، وأحد ، والخندق ، فأسلموا كلهم ، ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة من العام المقبل وذلك سنة ثلاث عشرة من المبعث ، وخرج معه من الانصار الذين أسلموا : ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ؛ بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج مع حجاج قومهم من اهل الشرك ، فلما وصلوا الى مكة ، واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجتمعوا به ليلا فى أوسط أيام التشريق بالعقبة من منى ، وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلّا أنه أحب ان يتوثق لابن أخيه فقال : يامعشر الخزرج : ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز ومنعة من قومه وبلده ، وانه قد أبى إلّا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه فمن الآن فدعوه فقالوا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ماشئت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم ، قال : فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ، ورثناهما كابرا عن كابر ، فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله : ان بيننا وبين الناس حبالا يعنى : عهودا ، وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا الي منكم اثنى عشر نقيبا يكونون كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، فأخرجوا له اثنى عشر نقيبا : تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس . قال عاصم بن عمر بن قتادة : ان القوم لما اجتمعوا

لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة : يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل ؟ انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود ، فإن كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه على نكهة الاموال وقتل الاشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه . وأول من ضرب على يده البراء ابن معرور ثم تتابع القوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة ابن نضلة : والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى باسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لم أومر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم ، ثم انصرف القوم راجعين الى المدينة ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر الاذن من ربه فى الهجرة ، وبقى معه أبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب الى أن أذن الله لنبيه فى الهجرة ، فهاجر كما هو معلوم فى كتب الحديث والسير . ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أظهر الاسلام ، وشرع الاحكام ، وبين الحلال والحرام ، ونزل عليه من القرآن السبع الطول سوى سورة الانعام فانها نزلت بمكة . ونزل عليه قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلّا ان يقولوا ربنا الله » فكانت هذه أول آية نزلت بالاذن فى القتال ، فجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الله حق جهاده ، ونال من نصرة الدين واعلاء كلمة الله غاية مراده ، وانثالت عليه وفود العرب من كل ناحية ، ولبت دعوته من أماكنها الدانية والقاصية وضرب الاسلام بجرانه فى جزيرة العرب كلها ، وأجمع على التمسك بدينه أهل عقدها وحلها . قال القاضى عياض رحمه الله فى كتاب الشفا : فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته بلاد الحجاز واليمن ، وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجبى اليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلّا بعضه ، وهادته جماعة من ملوك الاقاليم ، فما استأثر بشىء

منه ولا أمسك منه درهما ، بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره ، وقوى به المسلمين صلى الله عليه وسلم . ولما حصل المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم ، وأظهر الله دينه على الدين كله ، أنزل الله تعالى عليه : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » قال المفسرون : نزلت هذه الآية فى يوم الجمعة بعد العصر يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء ، فكادت عضد الناقة تندق ، وبركت لثقل الوحى ، وذلك فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة . روى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر ، فقال له النبى صلى الله عيله وسلم : مايبكيك ياعمر ؟ فقال : أبكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما إذ كمل فانه لم يكمل شىء إلّا نقص . قال : صدقت ، فكانت هذه الاية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاش بعدها أحدى وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول ، وقيل : لاثنتى عشرة ليلة . قال الخازن فى تفسيره وهو الاصح : سنة احدى عشرة من الهجرة (١) . فمجموع عمره صلى الله عليه وسلم : ثلاث وستون سنة على الصحيح. (أخرج) البخارى ومسلم عن ابن عباس قال : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ، ثم توفى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة . قال الشيخ محى الدين النووى : ورد فى عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها انه صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن ستين سنة ، الثانية خمس وستون سنة ، والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها وأشهرها اه . وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهر من ان يشرح ويبين ، فهو حجة الله فى الارض ، وشهيده على الخلق ، ومصطفاه من البشر ، والمخصوص بمزية النبوة وآدم بين الماء والطين ، والله در ابن الخطيب إذ يقول :

يامصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما * أثنى على أخلاقك الخلاق ؟

---

(١) الموافق لسنة ٥٧١ من الميلاد

خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

هو أبو بكر - واسمه عبد الله - وقيل : عتيق - ابن أبى قحافة - واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب التيمى المعروف بالصديق ، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب ، ولى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع من الصحابة ، ومن تأخر عنها أو لا رجع إليها ثانيا ، إلّا ما كان من سعد بن عبادة الانصارى ، فانه توقف عن بيعته ، وذلك انه لما توفى رسول الله صلى عليه وسلم اجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة ، وهموا بمبايعة سعد بن عبادة سيد الخزرج ، لانهم كانو ايرون انهم أحق بالامر ، لانهم الذين آووا ونصروا ، وتبوأوا الدار والايمان من قبل المهاجرين ، ولما انتهى الخبر الى أبى بكر وعمر أفزعهما ذلك ، وبادرا الى السقيفة ومعهم أبو عبيدة بن الجراح ، فوجدوا الانصار بها على ما بلغهم من العزم على بيعة سعد ، فحاجهم أبو بكر رضى الله عنه وقال : نحن أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشيرته ، وأحق الناس بالامر بعده فنحن الامراء وأنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر : لا ، والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير ، وان شئتم أعدناها جذعة ، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، فقام بشير بن سعد الانصارى فقال : ألا ان محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش ، وان قومه أحق وأولى بالامر بعده ، ونحن وان كنا أولى فضل فى الجهاد وسابقة فى الدين ، فما أردنا بذلك إلّا رضى الله وطاعة نبيه ، فلا نبتغى به من الدنيا عوضا ولا نستطيل به على الناس ، ثم أشار أبو بكر بان يبايعوا أحد الرجلين اما عمر بن الخطاب واما أبا عبيدة بن الجراح فكرها ذلك وبايعا أبا بكر ، وسبقهما اليه بشير بن سعد ، ثم تناجى الاوس فيما بينهم - وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء - فكرهوا امارة الخزرج عليهم ، ومالوا الى بيعة أبى بكر فبايعوه ، وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر حتى كادوا يطأون سعد بن عبادة وهو مضطجع بينهم يوعك ، فقال رجل من اصحابه : قتلتم سعد بن عبادة ، فقال عمر : قتله الله فقال أبو بكر : مهلا يا عمر ، الرفق هنا أبلغ . ثم لحق سعد بالشام فلم يزل هناك حتى

توفى أيام عمر رحم الله جميعهم . وكانت بيعة أبى بكر يوم الثلاثاء الثانى من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل دفنه ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت عامة العرب ، لان كلمة الاسلام لم تكن رسخت فى قلوبهم على ما ينبغى ، ومنع آخرون منهم الزكاة وقالوا : نصلى ولانؤدى الزكاة ظنا منهم ان ذلك كان واجبا عليهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فقط ، واضطرب أمر المسلمين عند وفاته صلى الله عليه وسلم لقلتهم وكثرة عدوهم . قالت عائشة رضى الله عنها : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ونجم النفاق ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونزل بابى بكر ما لو نزل بالجبال الراسية لهاضها ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم . وقال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا حصين (١) يقول : ما ولد بعد النبيين أفضل من أبى بكر الصديق ، لقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال أهل الردة . (وفى الصحيح) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر : يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله ، فمن قال لا إله إلّا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلّا بحقه وحسابه على الله ؟ قال أبو بكر : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو إلّا ان رأيت ان قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال فعرفت انه الحق . (وحكى ابن خلدون) : ان ابا بكر رضى الله عنه لما عزم على قتال أهل الردة استخلف أسامة بن زيد بعد رجوعه من بعثه الذى كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قبل وفاته ، فبقى بالمدينة حتى انفذه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فخرج أبو بكر في جماعة من المسلمين إلى ذى حسى والى ذى القصة - موضعين قرب المدينة - ثم سار حتى نزل على أهل الربذة بالابريق - وبها عبس وذبيان وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وثعلبة بن سعد وغيرهم - فقاتلهم أبو بكر وهزمهم ورجع الى المدينة ، ثم خرج الى ذى القصة ثانيا فعقد فيه أحد

---

(١) عثمان بن عاصم الكوفى توفى سنة ١٢٨

عشر لواء ، على احد عشر جندا لقتال أهل الردة ، وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيلة ، وعقد للامراء على تلك الاجناد : منهم خالد بن الوليد ، وخالد ابن سعيد بن العاص : وعمرو بن العاص وغيرهم ، وكتب لهم عهودهم بنص واحد : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام ، وعهد إليه ان يتقى الله ما استطاع فى أمره كله - سره وجهره - وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان ، بعد ان يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الاسلام ، فإن أجابوه أمسك عنهم وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له . ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ ماعليهم ويعطيهم الذى لهم ، لاينظرهم ، ولايرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فان أجاب الى امر الله تعالى وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله ، فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به . ومن لم يجب الى داعية الله قوتل وقتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة ، لا يقبل الله من أحد شيأ مما أعطى إلّا الاسلام ، فمن أجابه وأقربه قبل منه وأعانه ، ومن أبى قاتله ، فان أظهره الله عليه قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلّا الخمس فإنه يبلغناه ، ويمنع أصحابه العجلة والفساد . وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم . وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ، ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول اه . وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتدين كتابا واحدا أيضا وجعله فى نسخ متعددة بيد رسل تقدموا أمام الامراء يأمرهم فيه بالتمسك بكلمة الاسلام وينهاهم عن الارتداد ويحذرهم عاقبته وسوء أثره - تركنا ذكره اختصارا - وكان أول ما بدأ به خالد بن الوليد رحمه الله من القتال : قتال طليحة بن خويلد الاسدى : أسد خزيمة ؛ وكان كاهنا وادعى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه أفاريق من قومه بنى أسد ومن غيرهم ؛ فوجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الازور ليقاتله ؛ فبينما ضرار يريد مناجزته إذ ورد عليه الخبر بوفاة رسول

الله صلى الله عليه وسلم ففت ذلك فى عضد ضرار وانكفأ راجعا بمن معه من المسلمين إلى المدينة ؛ وعظم أمر طليحة حينئذ ، واستطار شرره ، وانضمت إليه غطفان وبعض طيىء وأخلاط من العرب على ماء من مياه بنى أسد يقال له : بزاخة ؛ فسار إليهم خالد رحمه الله فأوقع بهم وقعة شنعاء ، فل بها جمعهم وقتل من قتل منهم ونجا طليحة إلى الشام برأس طمرة ولجام ؛ وبقى هناك إلى ان أسلم وحسن اسلامه ؛ وكانت له فى قتال فارس والروم زمان الفتح اليد البيضاء ؛ ثم تتبع خالد رحمه الله أهل الردة قبيلة قبيلة وجمعا جمعا ؛ فقتل وحرق ورضخ بالحجارة ورمى من رؤوس الجبال وأبلغ فى النكاية بكل وجه فخشعت نفوس المرتدين وخامر قلوبهم الرعب وقوم اعوجاجهم الطعن والضرب حتى راجعوا الاسلام كرها . وكان من أعظمهم شوكة وأشدهم قوة بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وكان موطنهم باليمامة وهى : بلاد واسعة ذات نخل وزرع على أربعة أيام من مكة . وكان مسيلمة هذا قد قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى حنيفة فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة استقلالا ثم مشاركة مع النبى صلى الله عليه وسلم . وشهد له بذلك الرجال ابن عنفوة أحد أشراف بنى حنيفة وكان قد هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأقام عنده وقرأ القرآن وتفقه فى الدين - فلما ارتد مسيلمة بعثه النبى صلى الله عليه وسلم معلما لاهل اليمامة ومشغبا على مسيلمة فكان من أعظم الفتن على بنى حنيفة فانه شهد لمسيلمة بالنبوة واتبعه على شأنه وصار مؤذنا له يشهد له بالرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم شأنه فيهم . وكان مسيلمة ينتهى الى رأيه وكان يأتى بأسجاع كثيرة يزعم انها قرآن ينزل عليه ويأتى بمخارق من الشعبذة ويقول انها معجزاته ، فتقع على خلاف المقصود اهانة من الله له . فنهض خالد رحمه الله بعد الفراغ من طليحة وغيره من أهل الردة الى بنى حنيفة - وهم يومئذ كثير - يقال كانوا أربعين ألف مقاتل ولما سمعوا بدنو خالد منهم خرجوا وعسكروا فى منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا معهم وأقبل خالد وعلى مقدمته شرحبيل بن حسنة ؛ ونازل بنى حنيفة - وكان الرجال بن عنفوة على مقدمة مسيلمة فالتقوا واقتتلوا واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ثم تراجع المسلمون وكروا على بنى حنيفة وقاتل ثابت بن قيس بن

شماس حتى قتل ثم زيد ابن الخطاب أخو عمر كذلك ثم أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة ثم مولاه سالم ثم البراء أخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ثم يثور كالاسد فقاتل ذلك اليوم وفعل الافاعيل واستحر القتل فى المسلمين خصوصا قراء القرآن وأهل السابقة .

(قال ابن خلدون) : قتل يوم اليمامة من الانصار ما ينيف على الثلاثمائة وستين ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أو يزيدون وفشت الجراحات فيمن بقى ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون الى حديقة كانت هناك وفيها مسيلمة فقال البراء بن مالك : ألقونى عليهم من أعلى الجدار فاقتحم وقاتلهم على باب الحديقة حتى دخل بعض المسلمين عليهم ، واقتحم الباقون من أعلى الحيطان فقتل من بنى حنيفة يومئذ سبعة عشر ألف مقاتل . فسميت الحديقة حديقة الموت . وأما مسيلمة فقتله وحشى بالحربة التى قتل بها حمزة بن عبد المطلب يوم أحد وشاركه فى قتله رجل من الانصار ثم صالح خالد بنى حنيفة فى خبر طويل . وهذه الوقعة من أعظم الوقعات التى كانت فى زمن أبى بكر رضى الله عنه وهى كانت السبب الداعى إلى جمع القرآن فى الصحف ، واستمر كذلك إلى أن جمعه عثمان بن عفان رضى الله عنه الجمع الثانى فى المصحف . ﴿ ففى الصحيح ﴾ عن زيد بن ثابت رضى عنه قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ؛ قال أبو بكر رضى عنه : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن . وانى أرى ان تأمر بجمع القرآن قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى ورأيت الذى رأى عمر . قال زيد بن ثابت - وعمر عنده جالس لا يتكلم - فقال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرنى به من جمع القرآن ؛ قلت : كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم أزل أراجعهم حتى شرح الله صدرى للذى

شرح له صدر أبى بكر وعمر . فقمت فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى لم أجدها مع أحد غيره : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم» . حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر اه . ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر فى المحرم سنة اثنتى عشرة يأمره بالسير إلى العراق وذلك عندما أجمعت العرب على الاسلام واتفقوا على التمسك بكلمته وأخلصوا الطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمت لابى بكر رضى الله عنه همة فى قتال فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين فى العالم يومئذ فتوجه خالد رحمه الله نحو فارس وكان عذابا من عذاب الله أرسله على أهل الكفر والضلال ، وما مثله إلّا قول المتنبى :

وما كان إلّا النار فى كل موضع * يثير غبارا فى مكان دخان

فتوجه خالد رحمه الله وفتح الحيرة وما وراءها من أعمال العراق وفتح الانبار وعين التمر وأوقع الوقائع العظيمة بمسالح أهل فارس وجيوشهم حتى أخافهم فى بلادهم وهم بالاقتحام عليهم ومقاتلتهم فى عقر دارهم وكتب إليهم بكتابين يتوعدهم ويتهددهم ثم صرفه أبو بكر رضى الله عنه إلى الشام فشهد اليرموك مع جيوش المسلمين الذين كانوا هناك . ففى الاكتفاء عن عبد الله بن أبى أوفى الخزاعى - وكانت له صحبة - قال : لما أراد أبو بكر أن يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر وعثمان وعلي بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه - وأنا فيهم - فقال : إن الله لا تحصى نعمه ولا تبلغ جزاءها الاعمال فله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم ثم جمع كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم إلى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا بالله ولا ان تتخذوا إلها غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد رأيت ان استنفرهم إلى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيدا وما عند الله خير للابرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين

مستوجبا على الله ثواب المجاهدين . هذا رأيي الذى رأيت فليشر علي امرؤ بمبلغ رأيه. فأجاب كل من الحاضرين باستصواب رأيه وتقوية عزمه . فجهز أبو بكر رضى الله عنه جيوشا وأمر عليهم امراء : كخالد بن سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعكرمة ابن أبى جهل والوليد بن عقبة ويزيد بن أبى سفيان وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص وأوصى كل واحد منهم بما تنبغى الوصية به فكان بسبب تلك الجموع وقعة اليرموك بين المسلمين والروم فى رجب سنة ثلاث عشرة من الهجرة بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه بنحو شهر ، لان وفاته رضى الله عنه كانت مساء ليلة الثلاثاء بين العشاءين لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وعمره ثلاث وستون سنة رضى الله عنه ونفعنا به .

* * *

خلافة أمير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

هو أول من دعى أمير المؤمنين — وكان أبو بكر قبله يدعى : خليفة رسول الله — وهو ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل مصغرا بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح المثناة التحتية بن عبد الله بن قرط بضم القاف بن رزاح بفتح الراء بن عدى ابن كعب بن لؤى - يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى - ولى الخلافة بعد ابى بكر رضى الله عنه بعهد منه إليه . قال ابن خلدون : لما احتضر ابو بكر عهد إلى عمر رضى الله عنهما بالامر من بعده بعد ان شاور عليه طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم واخبرهم بما يريد فيه ، فاثنوا على رايه فاشرف على الناس وقال : « انى قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصحا فاسمعوا له وأطيعوا » ودعا عثمان فأمره فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر وينيب فيها الفاجر . انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا فإن

صبر وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ولكل امرىء ما اكتسب « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ». فكان أول ما انفذه من الامور عزل خالد بن الوليد عن امارة الجيوش بالشام وتولية أبى عبيدة وجاء الخبر بذلك والمسلمون مواقفون عدوهم باليرموك ، فكتم ابو عبيدة الامر كله حتى انقضى امر اليرموك . وكان فتح دمشق بعدها فحينئذ أظهر أبو عبيدة إمارته وعزل خالد . فسمع خالد واطاع - وقيل فى هذا الخبر غير هذا مما هو مبسوط فى كتب الفتح - ثم ان عمر رضى الله عنه سدد عزمه وارهف حده لغزو فارس والروم فتابع عليهم الجنود وعين لكل امير عمله ، وعقد لابى عبيد بن مسعود الثقفى على جيش من المسلمين وبعثه نحو العراق فاستشهد ابو عبيد بموضع يقال له : قس الناطف على الفرات فولى مكانه المثنى بن حارثة الشيبانى وكان بطلا من الابطال نظير خالد بن الوليد فى يمن النقيبة والجراءة على الاعداء . فأوقع بأهل فارس عدة وقعات منها وقعة البويب قتل فيها من الفرس مائة ألف أو يزيدون ثم ان عمر رضى الله عنه استأنف الجد لجهاد فارس وقال : والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيسا ولا ذا رأى ولا خطيبا ولا شاعرا إلّا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وكتب إلى المثنى يأمره أن يخرج بالمسلمين من بين العجم ويتفرق بهم على المياه بحيالهم ، وان يدعوا الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعا وكرها ثم حج عمر سنة ثلاث عشرة ورجع الى المدينة فوافته امداد العرب بها . فعقد عليهم لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وولاه حرب العراق وأوصاه وقال : « يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله ان يقال : خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لايمحو السيىء بالسيىء ولكنه يمحو السيىء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلّا بطاعته فالناس فى دين الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر » ثم سرحه فى أربعة آلاف ممن اجتمع اليه فيهم وجوه العرب وأشرافها وانضاف اليه فى طريقه جموع أخر فكانت له فى هذا الوجه وقعة القادسية المشهورة دامت فيها الحرب بين المسلمين والفرس أربعة أيام بلياليها وقتل فيها رستم زعيم الفرس وصاحب حربها

واستلحمت جنوده وكان الفتح الذى لم يكن لـه فى الاسلام نظير وذلك فى المحرم سنة أربـع عشرة - وقيل خمس عشرة - ثم كان بعدها فتح المدائن (١) وجلولاء وسائر بلاد العراق وغيرها من بلاد فارس والجبل وارمينيـة واذربيجان وسجستان وكرمان ومكران وخراسان وغير ذلك مما يطول ذكره وكـذا استولى جيوش المسلمين الذين بالشام على بلاد الشام والجزيرة وانطاكية وغيرها من بلاد الروم ومصر والاسكندرية وبرقة وطرابلس الغرب وغير ذلك . (وفى سنة أربع عشرة) أمر عمر رضى الله عنه باختطاط البصرة والكوفة بعراق العرب لما بلغه من وخامة البلاد وان العرب قد تغيرت الوانهم بالعراق فاذن لهم فى اختطاط المصرين وان لايتجاوزوا فى بنائهما السنة . ويقال : إن اختطاط الكوفة كان فى سنة سبع عشرة (وفي سنة خمس عشرة) وضع عمر الديوان وفرض العطاء للمسلمين ولم يكن قبـل ذلك . وروى الزهرى عن ابن المسيب : ان ذلك كان فى المحرم سنة عشرين . قال ابن خلدون : يقال وضع عمر الديوان لسبب مال أتى بـه أبو هريرة من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر . وقيل : بـل أشار عليه بـه الهرمزان لمـا رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقال لـه : ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف أخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فاثبت لهم ديوانا . فامر عمر رضى الله عنه عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم - وكانوا من كتاب قريش - فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية مرتبا على الانساب مبتدأ فيه بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب بعـد ان قال علي وعبد الرحمن بن عوف لعمر : ابدأ بنفسك فقـال : لا بل بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بالعباس ثم بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لاهل بـدر خمسة آلاف خمسة آلاف وفرض لمن بعدهم إلى الحديبيـة أربعة آلاف أربعة آلاف ثم لمن

---

(١) المدائن يعنى بهـا اقطيزبيون وسيلانسيا على شاطىء نهر الدجلة جنوب بغداد ومجموعها الآن هو المعروف بالمدائن . ولفظ أقطيزبيون فارسى .

بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم ألفين وخمسمائة ؛ ثم لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ، وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ولروادفهم خمسمائة خمسمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين ، وأعطى نساء النبى صلى الله عليه وسلم لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة بألفين ، وجعل النساء على مراتب : فلاهل بدر خمسمائة ثم اربعمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين ، والصبيان مائة مائة والمساكين جريبين فى الشهر ولم يترك فى بيت المال شيأ . وسئل فى ذلك فأبى وقال : هى فتنة لمن بعدى . ثم سأل رضى الله عنه الصحابة فى قوته هو من بيت المال فأذنوا له ، وسألوه فى الزيادة على لسان ابنته حفصة - متكتمين عنه - فغضب وامتنع .

وفى سنة ست عشرة قدم جبلة بن الايهم ملك غسان على عمر رضى الله عنه فى جماعة من اصحابه مسلمين ، فتلقاه المسلمون ودخل فى زى حسن وبين يديه جنائب مقادة وعلى اصحابه الديباج حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته ؛ وأكرم عمر وفادته واحسن نزله وأجله بأرفع رتب المهاجرين . ثم خرج عمر للحج فى هذه السنة فحج معه جبلة فبينا جبلة يطوف بالبيت إذ وطىء رجل من فزارة فضل ازاره فلطمه جبلة فهشم أنفه ، فأقبل الفزارى إلى عمر وشكاه ؛ فأحضره عمر وقال له : افتد نفسك وإلّا أمرته بلطمك . فقال جبلة : كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر : إن الاسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقة فى الحد . فقال جبلة : كنت أظن انى بالاسلام أعز منى فى الجاهلية ! فقال عمر : دع عنك هذا . فقال جبلة : إنى أتنصر ! فقال عمر : إن تنصرت ضربت عنقك ! فقال له : أنظرنى ليلتى هذه ؛ فأنظره فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله إلى الشام ثم منها إلى القسطنطينية ، وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم . وفرح هرقل به وأكرمه ثم ندم جبلة على فعلته تلك وقال :

تنصرت الاشراف من عار لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت إلى القول الذى قاله عمر
ويالبتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر

ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة * وقد يحبس العير الدجون على الدبر

وكان قد مضى رسول عمر إلى هرقل وشاهد ما هو فيه جبلة من النعمة فأرسل جبلة بخمسمائة دينار إلى حسان بن ثابت وأمضاها له عمر ، فمدحه حسان بن ثابت بأبيات منها :

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام إذ هو ربها * كلا ، ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده * إلّا كبعض عطية المذموم

(وفى سنة سبع عشرة) جىء الى عمر بالهرمزان ملك الاهواز أسيرا ومعه وفد فيهم أنس بن مالك والاحنف ابن قيس ، فلما وصلوا به الى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه - وهو مكلل بالياقوت - ليراه عمر والمسلمون على هيئته التى يكون عليها فى ملكه! فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل : هو فى المسجد. فاتوه فاذا هو نائم فجلسوا دونه فقال الهرمزان : أين هو عمر؟ قالوا : هوذا . قال : فأين حرسه وحجابه ؟ قالوا ليس له حارس ولا حاجب ! فنظر الهرمزان الى عمر وقال : عدلت فأمنت فنمت ، واستيقظ عمر لجلبة الناس فقال : الهرمزان ؟ قالوا نعم يا أمير المؤمنين . فقال: الحمد لله الذى أذل بالاسلام هذا وأشباهه ؛ وأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوبا ضيقا . فقال عمر : كيف رأيت عاقبة أمر الله فيك ؟ فقال الهرمزان : لما خلى الله بيننا وبينكم فى الجاهلية غلبناكم ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا (وفى سنة ثمان عشرة) كانت مجاعة الرمادة وطاعون عمواس ؛ وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيى الناس واستسقى عمر بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فسقوا . وهلك بالطاعون أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبى سفيان والحرث بن هشام وسهيل ابن عمرو وابنه عتبة فى آخرين أمثالهم ، وتفانى الناس بالشام وبالبصرة أيضا ؛ ولما فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر المسير اليه ليقسم مواريث المسلمين ويتطوف على الثغور ففعل ورجع وكانت له خرجة أخرى قبل هذا لفتح بيت المقدس (وفى سنة عشرين) فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية وشهد الفتح معه الزبير بن العوام وجماعة من كبار الصحابة . (وفى سنة اثنتين وعشرين) سار عمرو بن العاص الى برقة

فصالحه أهلها على الجزية . ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وفتحها عنوة . (وفى سنة ثلاث وعشرين) كانت وفاة عمر رضى الله عنه على ما سيأتى . وفى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . (وعنه أيضا) قال : لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلّا قوة ولما مات عمر كان الاسلام كالرجل المدبر لايزداد إلّا ضعفا . وعند ابن أبى شيبة عنه رضى الله عنه قال : كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة . وفى الصحيح أيضا عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم رأيتنى على قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر . وفى رواية : فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن » قال النووى رحمه الله : قالوا : هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما ، وكل ذلك مأخوذ من النبى صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به أكمل قيام وقرر قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم . ثم خلفه عمر فطالت مدة خلافته عشر سنين وزيادة ، واتسع الاسلام فى زمانه فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذى فيه حياتهم وصلاحهم وأميرهم بالمستقى لهم منها وسعته هى قيامه بمصالحهم اه . ﴿ قلت ﴾ من تأمل أمر عمر رضى الله عنه علم انه كان عجبا من العجب فانه عمد إلى ثلاث دول هى أعظم دول العالم فى ذلك الوقت : دولة الفرس ودولة الروم ودولة القبط فحاربهم فى نفس واحد وفرق جيوشه عليهم مع قلة المسلمين إذ ذاك وشظف عيشهم فغلبهم على ممالكهم وأزال عزهم ، وكسر كراسيهم ، وأمات نخوتهم! بحيث ضرب الجزية على رقابهم طول أحقابهم ! فلم يطالبوا بعدها بثار ولا عادوا إلى جماح ونفار بل أعطوا المقادة وأسلموا أنفسهم للصغار . ثم لم يكتف بذلك حتى أغزى خيل المسلمين أطراف المعمور من خراسان والترك وبلاد النوبة وبلاد البربر . ولعمرى ما أمر الاسكندر الذى تضرب الامم به المثل فى الغلبة والتمكن فى الارض إلّا دون أمر عمر بكثير . فإن الاسكندر كان غازيا بجميع جيشه متوليا ذلك بنفسه ! جوالا

فى الارض غير مقيم ووجهته فى حروبه وجهة واحدة كلما فرغ من مملكة انتقل الى غيرها تاركا للتى خلف وراءه غير ملتفت اليها ، وكأنه كان لا غرض له إلّا فى اظهار القوة والبطش والغلبة على الامم دون ما سوى ذلك من تصريف الممالك طوع الامر والنهى . ولذا قال حمزة الاصبهانى فى كتابه تواريخ الامم : وما رواه القصاص من ان الاسكندر بنى بارض ايران عدة مدن منها اصبهان ، ومرو ، وهراة ، وسمرقند ، فحديث لا أصل له . لان الرجل كان مخربا لا عامرا اه . فاما عمر رضى الله عنه فانه لما استولت جيوشه على أكثر المعمور ، صرف ممالكها طوع أمره حتى جبى اليه خراجها ، وثبتت استقامتها وزال اعوجاجها ، أقوى ما كانوا شوكة وأشدقوة ، وأكثر حامية ، ولم يمت رحمه الله حتى انتهت خيله فى جهة الشرق الى نهر بلخ ، وفى جهة الشمال إلى البيضاء على مائتى فرسخ من بلنجر ، وفى جهة المغرب الى تخوم الروم وبلاد برقة وطرابلس الغرب . كل ذلك في مدة يسيرة لم يجاوز معظمها الثلاث سنين ، وهو مع ذلك فى جوف بيته متردد فيما بين منزله ومسجده . لم يستعمل لذلك كثير أسباب ، ولا أجلب بنفسه بخيل ولا ركاب ، انما هو الرأى الميمون ، والنصر المضمون ، والامر الجارى بين الكاف والنون ، والوعد المنجز بقوله تعالى : « ليظهره على الذين كله ولو كره المشركون » فاما وفاة عمر رضى الله عنه فروى ابن سعد باسناد صحيح : ان عمر كان لا يأذن لمن احتلم من أولاد العجم فى دخول المدينة ، حتى كتب اليه المغيرة بن شعبة - وهو على الكوفة - فذكر له ان عنده غلاما صنعا ، وهو يستأذنه ان يدخله المدينة ، ويقول : ان له أعمالا تنفع الناس ، انه حداد ، نقاش ، نجار ، فاذن له عمر ، وضرب عليه مولاه كل شهر مائة فشكى الى عمر شدة الخراج فقال له : ما خراجك بكثير فى جنب ما تعمل ، فانصرف ساخطا ، فلبث عمر ليالى فمر به العبد فقال عمر : ألم أحدث انك تقول لو شئت لصنعت رحى تطحن بالريح ؟ فالتفت اليه عابسا فقال : لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فاقبل عمر على من معه فقال : توعدنى العبد ، فلبث ليالى ثم اشتمل على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس ، حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة - وكان عمر يفعل ذلك - فلما دنا عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات احدا هن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهى التى قتلته . (وفى صحيح البخارى) عن

عمرو بن ميمون قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بايام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما ؟ - يعنى فى أرض السواد - أتخافان ان تكونا قد حملتما الارض مالا تطيق ؟ - يعنى من الخراج - قالا : حملناها أمرا هى له مطيقة ما فيها كبير فضل قال : انظرا ان تكونا حملتما الارض ما لا تطيق ؟ قالا : لا . فقال عمر : لئن سلمنى الله تعالى لادعن أرامل أهل العراق لا يحتجن الى رجل بعدى أبدا. قال : فما أتت عليه رابعة حتى أصيب . قال عمرو بن ميمون : انى لقائم ما بينى وبينه إلّا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان اذا مر بين الصفين قال : استووا حتى اذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلّا ان كبر فسمعته يقول : قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة واسمه فيروز فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلّا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين واسمه حطاب التميمى اليربوعى طرح عليه برنوسا فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه . وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى ، وأما نواحى المسجد فانهم لا يدرون ، غير انهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة . فلما انصرفوا قال : يا بن عباس انظر من قتلنى فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة قال : الصنع ؟ قال : نعم . قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الاسلام قد كنت أنت وأبوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقا - قال : ان شئت فعلنا ! أى ان شئت قتلنا . قال : كذبت! بعد ما تكلموا بلسانكم! وصلوا الى قبلتكم ! وحجوا حجكم ! فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ . فقائل يقول : لا بأس ، وقائل يقول : أخاف عليه فاتى بنبيذ فشربه فخرج من جرحه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه ، فعلموا أنه ميت ، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم فى الاسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كفاف لا علي ولا لي . فلما أدبر الشاب إذا ازاره يمس

الارض ، قال ردوا علي الغلام ، قال : يا بن أخى ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك ! وأتقى لربك ! ياعبد الله بن عمر ، انظر ماذا علي من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه ، قال : إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلّا فاسأل فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف اموالهم فاسأل فى قريش ولا تعدهم إلى غيرهم ، فأد عنى هـذا المـال ، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين ، فقل : يقرأ عليك عمر السلام ـ ولا تقل أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا ـ وقـل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فسلم واستأذن . ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرنه به اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال : ارفعونى فاسنده رجل إليه ، فقال : ما لديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين : أذنت . قـال : الحمد لله ! ما كان من شىء أهم علي من ذلك ، فإذا أنا قضيت فاحملونى ، ثم سلم فقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن اذنت لي فادخلونى ، وان ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة ـ والنساء تسير معها ـ فلما رأيناها قمنا ، فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم ، فسمعنا بـكاءها من الداخل ، فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين : استخلف ، قال : مـا أجد أحدا أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فسمى : عليا ، وعثمان ، والزبير ، وطلحـة ، وسعدا ، وعبد الرحمن ، وقـال : يشهدكم عبد الله ابن عمر وليس له من الامر شىء كهيئة التعزية له فإن أصابت الامارة سعدا فهو ذاك ، وإلّا فليستعن به أيكم ما أمر فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، وقال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم : أن يقبل من محسنهم ، وان يعفى عن مسيئهم ؛ واوصيه بالانصار خيرا ، فإنهم ردء الاسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدو . وأن لايؤخذ منهم إلّا فضلهم عن رضاهم . وأوصيه بالاعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ومادة الاسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم وترد على فقرائهم . وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله : أن يوفى لهم بعهدهم ؛ وأن يقاتل من ورائهم ولايكلفوا إلّا طاقتهم .

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال : يستأذن عمر بن الخطاب قالت : أدخلوه فأدخل فوضع هنا لك مع صاحبيه ؛ فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ؛ فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى على ، فقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان ؛ وقال سعد : قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فقال عبد الرحمن : أيكما يتبرأ من هذا الامر فنجعله اليه ؛ والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه فاسكت الشيخان ! فقال عبد الرحمن : افتجعلونه إلى والله على ان لا آلو عن افضلكم ؟ قالا : نعم فأخذ بيد احدهما فقال : لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن امرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك ، فلما اخذ الميثاق قال : ارفع يدك ياعثمان ، فبايعه وبايع له على وولج اهل الدار فبايعوه اه .

وكانت وفاة عمر رضى الله عنه يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة اربع وعشرين ، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وثمانية أيام ـ كذا لابى الفداء ـ . وفي حديث عائشة مما خرجه أبو عمر بن عبد البر ناحت الجن على عمر رضى الله عنه ـ قبل ان يموت بثلاث ـ فقالت :

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت * له الارض تهتز العضاه بأسوق
جزى الله خيرا من امام وباركت * يد الله فى ذاك الاديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحى نعامة * ليدرك ما قدمت بالامس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق من اكمامها لم تفتق

* * * *

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه

هو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف ، ولى الخلافة بعد عمر رضى الله عنه باختيار أهل الشورى له وقد تقدم خبر ذلك مستوفى . ولما بويع رقى المنبر وقام

خطيبا فحمد الله وتشهد ثم ارتج عليه فقال : ان أول كل أمر صعب وان أعش فستأتيكم الخطب على وجهها ان شاء الله . ثم نزل . وأقر عمال عمر كلهم إلّا ما كان من المغيرة بن شعبة أمير الكوفة فانه عزله واستبدل به سعد بن أبى وقاص لوصية عمر بذلك ، ثم بعد مدة نحو سنة عزل من عزل من عمال عمر واستبدل بهم آخرين كان فيهم من هو من قرابته ، فعزل سعد بن أبى وقاص عن الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة ، وكان أخا عثمان من أمه ، وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد ابن أبى سرح العامرى ، وكان أخاه من الرضاعة ، ثم عزل بعد ذلك أبا موسى الاشعرى عن البصرة ، وولى عليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وهو ابن خاله ، واستكتب مروان ابن الحكم بن أبى العاص وهو ابن عمه ، كل ذلك كان لمصلحة اقتضاها الحال ، وضم حمص وقنسرين وفلسطين وغيرها من بلاد الشام الى معاوية بن أبى سفيان : أمير دمشق ومضى رضى الله عنه على سنن عمر فى الجهاد ، وتجهيز الجيوش وتكتيب الكتائب ، حتى اتسعت خطة الاسلام اتساعا أعظم منه فى خلافة عمر رضى الله عنه . وكان لاول خلافة عثمان قد انتقض بعض الثغور والجهات ، مثل الاسكندرية وبعض بلاد العجم وفارس ونحو ذلك ، فتلافاها بالغزو والبعوث ، حتى عادت إلى الطاعة ، وأدت ما كانت تؤديه أيام عمر أو أكثر ، وفتح عليه بلاد ارمينية ، مثل تفليس ، وقاليقلا ، وخلاط ، والسيرجان ، وعدة حصون . وانتهى الفتح إلى مدينة الباب - وكان ذلك على يد سلمان بن ربيعة الباهلى سنة أربع وعشرين - وغزا معاوية صاحب الشام أيضا بلاد الروم حتى بلغ عمورية ، ووجد ما بين انطاكية وطرطوس من حصون الروم خاليا ، فجمع فيها العساكر حتى رجع وخربها ، وكذا استتم المسلمون فى خلافة عثمان رضى الله عنه فتح مدن خراسان والجوزجان والطالقان وطخارستان وما وراء النهر إلى فرغانة فى الشرق ، وانتهى الفتح أيضا إلى كابل وزابلستان وهى بلاد غزنة من ثغور الهند في الجنوب .

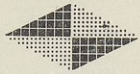

فتح افريقية

وفتح فى خلافة عثمان رضى الله عنه افريقية ـ أيضا ـ من بلاد المغرب ، وكان من خبرها انه لما كانت سنة ست وعشرين من الهجرة ، عزل عثمان رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه عن خراج مصر ، واستعمل مكانه عبد الله بن سعد بن أبى سرح رضى الله عنه ، فلما قدم ابن أبى سرح مصر كان على خراجها ، وعمرو بن العاص على حربها ، فكتب ابن أبى سرح إلى عثمان يشكو عمرا فاستقدمه عثمان ! واستقل ابن أبى سرح بالخراج والحرب معا . ثم أمره عثمان بغزو افريقية بعد أن كان عمرو بن العاص استشار عمر رضى الله عنه فى غزوها فمنعه من ذلك ، وقال له : تلك المفرقة وليست بافريقية أو كلاما هذا معناه . ولما (١) أمر عثمان ابن أبى سرح بغزوها قال له : إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم ، ثم عقد عثمان لعبد الله بن نافع بن عبد القيس على جند ، ولعبد الله بن نافع بن الحرث (٢) على آخر وسرحهما ، فخرجوا إلى افريقية فى عشرة آلاف ، وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ، ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها . ثم ان ابن أبى سرح استأذن عثمان فى ذلك واستمده ، فاستشار عثمان الصحابة رضى الله عنهم فأشاروا به ، فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين رضى الله عنهم. وساروا مع ابن أبى سرح سنة ست وعشرين ، ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة (٣) ، ثم ساروا إلى طرابلس ، فنهبوا الروم عندها

---

(١) هذا كان فى غزوة قبل هذه سنة خمس وعشرين . (مؤلف)

(٢) وفى رواية : الحصين ، بدل الحرث كما فى الطبرى والاكتفا وهو الاصح .

(٣) وكانوا بها منذ فتحوا زويلة فى ولاية عمرو بن العاص على مصر زمان عمر رضى الله عنه .

ثم ساروا إلى افريقية ، وبثو السرايا فى كل ناحية . وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ، ويحمل اليه الخراج . فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيطلة : دار ملكهم ، وأقاموا يقتتلون ، ودعوه إلى الاسلام أو الجزية فاستكبر ، ولحقهم عبد الله بن الزبير مددا بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم ، وسمع جرجير بوصول المدد ففت فى عضده ، وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبى سرح ، فسأل عنه فقيل : انه سمع منادى جرجير يقول من قتل ابن ابى سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتى فخاف وتأخر عن شهود القتال ، فقال له ابن الزبير : تنادى أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ، فخاف جرجير أشد منه . ثم قال عبد الله ابن الزبير لابن أبى سرح : الرأى أن تترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب وتقاتل الروم بباقى العسكر إلى ان يضجروا فتركبهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ، ووافق على ذلك اعيان الصحابة ، ففعلوا ذلك وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا ، وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم فى خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم ، وقتل ابن الزبير جرجير ، وأخذت ابنته سبية فنفلها ابن أبى سرح ابن الزبير ، ثم حاصر ابن أبى سرح سبيطلة حتى فتحها . وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألفا ، وبث جيوشه فى البلاد إلى قفصة ، فسبوا وغنموا ، وبعث عسكرا إلى حصن الاجم - وقد اجتمع به أهل البلاد - فحاصره وفتحه على الامان ، ثم صالحه أهل افريقية على ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار . وأرسل عبد الله بن أبى سرح عبد الله بن الزبير بخبر الفتح وبالخمس إلى عثمان رضى الله عنه ، فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة الف دينار ، ثم وضعها عنه عثمان . وأعطى ابن أبى سرح خمس الخمس من الغزوة الاولى ، ثم بعد تمام الصلح رجع عبد الله بن أبى سرح إلى مصر بعد مقامه بافريقية سنة وثلاثة أشهر ، ويقال : انه لما فتح افريقية أمر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن نافع (١) ان يسير الى جهة الاندلس فغزا تلك الجهة وعاد الى افريقية فأقام

---

(١) هو ابن عبد القيس كما عند الطبرى .

بها واليا من قبل عثمان ورجع ابن أبى سرح الى مصر والله أعلم .

وفى سنة ثمان وعشرين استأذن معاوية عثمان فى غزو البحر فأذن له ، وقد كان معاوية وهو بحمص أيام عمر رضى عنه كتب اليه فى شأن جزيرة قبرس يقول : ان قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرس وصياح ديوكهم ، فكتب عمر الى عمرو بن العاص يقول : صف لى البحر وراكبه ! فكتب اليه عمرو يقول : هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلّا السماء والماء ، إن ركد أقلق القلوب وان تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، وراكبه دود على عود ، إن مال غرق ، وان نجا فرق . فكتب عمر الى معاوية : والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا وقد بلغنى ان بحر الشام يشرف على أطول جبل بالارض فيستأذن الله كل يوم وليلة فى ان يغرق الارض فكيف أحمل الجنود على هذا البحر الكافر ؟ وبالله لمسلم واحد احب الى مما حوت الروم ، فاياك ان تعرض لى فى ذلك فقد علمت ما لقى العلاء منى . ثم لما كانت خلافة عثمان ألح معاوية عليه فى غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم فاختار الغزو جماعة من الصحابة ؛ فيهم ابو ذر ، وابو الدرداء ، وشداد بن اوس ، وعبادة ابن الصامت وزوجه ام حرام بنت ملحان ، واستعمل عليهم عبد الله بن قيس حليف بنى فزارة . وساروا الى قبرس وجاء عبد الله بن ابى سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم اهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم على المسلمين ممن ارادهم من سواهم ، وعلى ان يكونوا عينا للمسلمين على عدوهم ، ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم . وكانت هذه الغزاة سنة ثمان وعشرين كما قدمنا - وقيل غير ذلك - وفيها توفيت ام حرام بنت ملحان سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر وكان النبى صلى الله عليه وسلم اخبرها بذلك وهو نائم عندها كما فى الصحيح ؛ وأقام عبد الله بن قيس على البحر فغزا خمسين غزوة لم ينكب فيها احد الى ان نزل فى بعض الايام فى ساحل المرفإ من ارض الروم فثاروا اليه فقتلوه ونجا الملاح ، وكان استخلف سفيان بن عوف الازدى على السفن فجاء الى اهل المرفإ وقاتلهم حتى قتل ، وقتل معه جماعة من المسلمين .

وفى سنة ثلاثين : جمع عثمان القرآن الجمع الثانى فى المصاحف وفيها هلك

يزدجرد كسرى فارا من جيوش المسلمين بمدينة مرو من خراسان وهو آخر الاكاسرة ، وبموته انقرضت دولة آل ساسان . وكان من خبر جمع القرآن ما أخرجه البخارى عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية واذربيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : ياامير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك ، فارسلت بها حفصة الى عثمان فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا ؛ حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ؛ فارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة او مصحف ان يحرق . قال ابن شهاب : واخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع اباه زيد بن ثابت قال فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه » فألحقناها فى سورتها فى المصحف .

وفى سنة ثلاث وثلاثين : تكلم جماعة من أهل الكوفة فى عثمان بأنه ولى جماعة من اهل بيته لايصلحون للولاية ونقموا عليه امورا أخر لاحاجة بنا الى ذكرها مع انه كان فيها مجتهدا . وذلك ان عثمان رضى الله عنه كان فيه مزيد حياء ورأفة وبرور بأقاربه وكان عمر رضى الله عنه مرهوب الجانب عند الخاصة والعامة ، له عين كالئة على الرعية بصيرا بما يأتون ويذرون . محدثا فى ذلك كما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان من الحزم والضبط على ما وصفته به عائشة رضى الله عنها اذ قالت : رحم الله عمر كان أحوذيا نسيج وحده قد اعد للامور اقرانها فكان عثمان ألين جانبا من عمر فتوسع الناس فى زمانه فى أمور الدنيا أكثر مما كانوا عليه فى زمان عمر ، واستعملوا النفيس من الملبس والمسكن والمطعم ، واقتنوا الضياع والآثاث .

قال المسعودى فى مروج الذهب : وفى أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار ، وألف ألف درهم ، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار ، وخلف ابلا وخيلا كثيرة ، وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف ألف فرس ، وألف أمة ، وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك ، وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف من الغنم ، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفا ، وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة ألف دينار ، وبنى الزبير داره بالبصرة ، وكذلك بنى بمصر والاسكندرية والكوفة ، وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والاجر والساج . وبنى سعد ابن أبى وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات . وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن . وخلف يعلى بن منية خمسين ألف دينار وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف درهم . اه كلام المسعودى فاستحالت الاحوال فى زمان عثمان كما ترى ، ولما رأى ذلك بعض الناس ممن لم يكن له رسوخ فى الفقه والدين ولاهو من أهل السابقة من فضلاء الصحابة والمسلمين ، صاروا ينقمون على عثمان بانه أهمل أمر الرعية وخالف سيرة العمرين مع ما انضاف الى ذلك من تولية أقاربه ، وحاشاه من ذلك رضى الله عنه فان الرجل كان مجتهدا - وهو أهل للاجتهاد - وماتخيلوه من اهماله أمر الرعية حتى استحال أمرها الى ما ذكر تخيل باطل ، اذ ليس ذلك فى طوقه ولابسببه ، وانما طبيعة العمران البشرى تقتضى ذلك بسبب ما فتح على المسلمين من الاقاليم والممالك والاقطار والنواحى والامصار وترادف الجبايات الفائقة الحصر وانثيال كنوز كسرى وقيصر وغيرهم من ملوك الارض عليهم ، فأنى يبقى الامر على حاله مع هذا الفتح العجيب والنصر الغريب ، وقد قيل دوام الحال من المحال والناس ليسوا على قدم واحد فى الزهد فى الدنيا ، فالحق الذى لاعوج فيه ولاأمت ان عثمان رضى الله عنه كان على الحق حتى لقى ربه ، ومايعتدون به عليه من مخالفة سيرة الشيخين رضى الله عنهما - ان صح - فمحمله الاجتهاد كما قلنا . ومعلوم ان أحكام الشرع تدور مع

المصالح والمفاسد وتختلف باختلاف الازمان والاحوال كما لا يخفى على من له أدنى مسيس بالفقه .

قال ابن خلدون : اختلاف الصحابة والتابعين انما يقع فى الامور الدينية ، وينشأ عن الاجتهاد فى الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا ، فإن قلنا : ان الحق فى المسائل الاجتهادية فى واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطىء ، فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة ، والتأثيم مدفوع عن الكل اجماعا ؛ وان قلنا ان الكل حق ، وان كل مجتهد مصيب ، فاحرى بنفى الخطا والتأثيم . ثم استمر اولئك الناقمون على عثمان رضى الله عنه وتمادوا فى طعنهم وتشغيبهم حتى تفاقم الامر وشرى الداء ، واعوز الدواء ، واختلط المرعى بالهمل .

وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وآخر الامر انه لما كانت سنة خمس وثلاثين قدم من مصر جمع قيل ألف ، وقيل سبعمائة وقدم من الكوفة جمع آخر ومن البصرة كذلك وحاصروا عثمان رضى الله عنه فى داره ، وكانت خطوب ، وقطعوا عنه الماء واستمر الحصار نحو أربعين يوما ، ثم تسور عليه جماعة من أهل مصر داره فقتلوه وسال دمه على المصحف . يقال ان الذى تولى قتله كنانة بن بشر التجيبى ؛ وطعنه عمرو بن الحمق طعنات وجاء عمير بن ضابئ البرجمى - وكان أبوه قد مات فى سجن عثمان - فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه . وكان قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلّا اثنى عشر يوما . وقيل : انه قتل صبيحة عيد الاضحى من السنة المذكورة وهو الذى عند ابن الخطيب فى رقم الحلل ؛ وابن بدرون فى شرح العبدونية ؛ ويؤيده قول حسان بن ثابت يرثيه :

ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر ، يا ثارات عثمانا

وقول الفرزدق بعده :

عثمان إذ قتلوه وانتهكوا * دمه صبيحة ليلة النحر

رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به .

خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه

هـو أبو الحسن على بن أبى طالب - واسمه عبد مناف - بن عبد المطلب جـد النبى صلى الله عليه وسلم - واسمه شيبة - وفيه يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم ، بويع بعد مقتل عثمان رضى الله عنه باتفاق من يعتبر أهل الحل والعقد بعد امتناعه من ذلك

قال ابن خلدون : لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والانصار وأتوا عليا يبايعونه فأبى وقال : أكون وزيرا لكم خير من أن أكون أميرا ، ومن اخترتم رضيته فألحوا عليه وقالوا : لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه فى ذلك فخرج الى المسجد وبايعوه ، وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد ان خيرهما ، ويقال : انهما ادعيا الاكراه بعد ذلك باربعة أشهر ، وتخلف عن بيعته على رضى الله عنه ناس من الصحابة وغيرهم فلم يبغضهم وقال : أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مـع الباطل ! ولما ولى الخلافة رضى الله عنه أحيى السنة وأمات البدعة وأوضح منار الحق وأخمد نار الباطل ولم تأخذه فى الله لومة لائم .

ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرق عماله على النواحى فبعث الى الكـوفة عمارة بن شهاب وكان من المهاجرين وولى على البصرة عثمـان بن حنيف الانصارى وعلى اليمن عبيد الله بن عباس - وكان من الاجواد - وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة الانصارى وكان من أهل الجود والشجاعة والرأى وعلى الشام سهل بن حنيف الانصارى ، فلما وصل سهل الى تبوك لقيته خيل فقالوا من أنت ؟ قال : أمير على الشام فقالوا : ان كان بعثك غير عثمان فارجع . فرجع الى على . ومضى قيس بن سعد الى مصر فوليها واعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانية وأبوا ان يدخلوا فى طاعة على حتى يقتل قتلة عثمان . ومضى عثمان بن حنيف الى البصرة فدخلها واتبعته فرقة وخالفته أخرى . ومضى عمـارة بن شهاب الى الكوفة فلقيه طلحة بن خويلد الاسدى الذى كان ادعى النبوة زمان الردة فقال له : ان أهل الكوفة لا يستبدلون بأميرهم أحدا - وكان عليها ابو موسى الاشعرى من قبل عثمان رحمه الله تعالى - فرجع عمارة الى على ومضى عبيد الله بن عباس الى اليمن فوليها وكان

العامل بها من قبل عثمان يعلى بن منية ، فاخذ ما كان بها من المال ولحق بمكة ومعه ستمائة بعير وصار مع عائشة رضى الله عنها وذلك ان عائشة كانت خرجت الى مكة زمان حصار عثمان فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقيها الخبر بمقتل عثمان فأعظمت ذلك ودعت الى الطلب بدمه ، ولحق بها طلحة والزبير وعبد الله بن عامر ، وجماعة من بنى أمية ، واتفق رأيهم على المضى الى البصرة للاستيلاء عليها . وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة من المدينة فدعوه الى المسير معهم فأبى . وأعطى يعلى بن منية عائشة الجمل المسمى بعسكر وكان اشتراه بمائة دينار فركبته وساروا ، فمروا في طريقهم بماء يقال له : الحوأب فنبحتهم كلابه فقالت عائشة : أى ماء هذا ؟ فقيل ماء الحوأب فصرخت بأعلى صوتها وقالت : انا لله وانا اليه راجعون ، سمعت رسول الله صلى الله وعليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ، ثم ضربت عضد الجمل فأناخته وقالت : ردونى ، أنا والله صاحبة ماء الحوأب ، وأقامت بهم يوما وليلة الى ان قيل : النجاء فقد ادركهم على بن أبى طالب ، وغلبوها على رأيها فارتحلوا نحو البصرة فاستولوا عليها بعد قتال مع أميرها عثمان بن حنيف . ولما بلغ عليا رضى الله عنه مسير عائشة وطلحة والزبير الى البصرة سار نحوهم فى أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة وثمانمائة من الانصار . وكانت رايته مع ابنه محمد بن الحنفية ، وعلى ميمنته الحسن ، وعلى ميسرته الحسين ، وعلى الخيل عمار بن ياسر ، وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر الصديق وعلى مقدمته عبد الله بن العباس . وكان مسيره فى ربيع الاخر سنة ست وثلاثين .

ولما وصل على الى ذى قار لقيه أمير البصرة عثمان بن حنيف ، وأخبره الخبر . فقال على : ان الناس وليهم قبلى رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا فى حقه وفعلوا ثم بايعونى وبايعنى طلحة والزبير ثم نكثا . ومن العجب انقيادهما لابى بكر وعمر وعثمان وخلافهما على ، والله انهما ليعلمان انى لست بدون رجل ممن تقدم . ثم سار على يؤم البصرة فيمن معه من أهل المدينة وأهل الكوفة ، وانضم الى عائشة وطلحة والزبير جمع آخر . والتقوا بمكان يقال له : الخريبة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . ولما تراءى الجمعان خرج طلحة والزبير ، وجاءهم على حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال على : لقد اعددتما سلاحا

وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا . ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دمكما ؟ فهل من حدث أحل لكما دمى ؟ قال طلحة : ألبت على عثمان قال على : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) . فلعن الله قتلة عثمان . يا طلحة أما بايعتنى ؟ قال والسيف على عنقى . ثم قال للزبير : أتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم ؟ قال : اللهم نعم ولو ذكرت ذلك قبل مسيرى ما سرت ووالله لا أقاتلك أبدا . وافترقوا . وكان على رضى الله عنه قد بعث اليهم قبل اللقاء القعقاع ابن عمرو التميمى وأمره ان يشير بالصلح ما استطاع . فقدم القعقاع على عائشة أولا وقال : أى أماه ما أشخصك ؟ قالت : أريد الاصلاح بين الناس قال : فابعثى الى طلحة والزبير فاسمعى منى ومنهما فبعثت اليهما فجاءا فقال لهما القعقاع انى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح فقال طلحة والزبير كذلك هو . قال القعقاع : فأخبرانى ما هو ؟ قالا : قتلة عثمان فان تركهم ترك للقرآن . قال : فقد قتلتم منهم عددا من أهل البصرة - يعنى حين قاتلوا أميرها عثمان بن حنيف - قال : وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف . فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمع ربيعة ومضر على حربكم فأين الاصلاح ؟ قالت عائشة : فما ذا تقول أنت ؟ قال : هذا الامر دواؤه التسكين ، فاذا سكن الامر اختلجوا : أى أخذوا على غرة . فقالوا قد أصبت وأحسنت ! فارجع الى على فان كان على مثل رأيك صلح الامر . فرجع القعقاع الى على فاعجبه وأشرف القوم على الصلح . وعلم بذلك جماعة ممن كان سعى فى قتل عثمان أورضى به . فقالوا : إن يصطلح هؤلاء فعلى دمائنا يصطلحون ، ثم تعاقدوا على انهم إذا التقوا بجيش عائشة وطلحة والزبير انشبوا القتال حتى يشتغل الناس عما عزموا عليه من الصلح ، فكان كذلك ، فانه لما كانت صبيحة الليلة التى اجتمع فيها على بطلحة والزبير غلس أولئك المتعاهدون على انشاب الحرب - وما يشعر بهم أحد - وصمدت منهم مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن فوضعوا فيهم السلاح على حين غفلة فثار الناس وتسابقوا إلى خيولهم وزحف البعض إلى البعض واشتبكت الحرب ، فكانت الوقعة العظمى المعروفة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور أعنى جمادى

الاخيرة سنة ست وثلاثين . وقتل طلحة فى المعركة ، والزبير وهو راجع الى المدينة ، وعقر الجمل الذى كانت عليه عائشة . وأمر على رضى الله عنه بنقل هودجها الى دار عبد الله بن خلف الخزاعى ، ونادى منادى علي يوم الجمل وكذا يوم صفين الآتى : أن لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور . ثم صلى على القتلى من الجانبين ، وأمر بالاطراف فدفنت فى قبر عظيم ، وجمع ما كان فى العسكر من الاثاث وبعث به الى مسجد البصرة وقال: من عرف شيأ فليأخذه إلّا سلاحا عليه ميسم السلطان. وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف ـ منهم من ضبة ألف رجل ـ وبلغ عليا أن بعض الغوغاء عرض لعائشة رضى الله عنها بالقول السيء فأحضر البعض منهم وأوجعهم ضربا ، ثم جهزها إلى المدينة بما احتاجت اليه وبعث معها أخاها محمد بن أبى بكر فى أربعين امرأة من نساء البصرة اختارهن لمرافقتها ، وجاء يوم ارتحالها فودعها واستعتب لها واستعتبت له ومشى معها اميالا وشيعها بنوه مسافة يوم . وذلك غرة رجب . فذهبت الى مكة وأقامت بها حتى حجت تلك السنة ثم رجعت الى المدينة . واستعمل على رضى الله عنه على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فنزل بها وانتظم له الامر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ولم يبق خارجا عن طاعته إلّا أهل الشام وأميرهم معاوية بن أبى سفيان ، فبعث إليه علي رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلي يأمره بالدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار ، فلما قدم جرير على معاوية ماطله حتى قدم عليه عمرو بن العاص من فلسطين فاستشاره فأشار عليه بترك البيعة والطلب بدم عثمان وأن يقاتل معه على أنه إذا ظفر ولاه مصر . فأجابه معاوية إلى ذلك ، ورجع جرير إلى علي رضى الله عنه بالخبر . فسار علي من الكوفة قاصدا معاوية ومن معه بالشام ، وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة فقال علي رضى الله عنه :

لاصبحن العاص وابن العاص * سبعين ألفا عاقدى النواصى

مجنبين الخيل بالقلاص * مستحقبين حلق الدلاص

وسار معاوية ومعه عمرو بن العاص وأهل الشام من دمشق يريد عليا وتأنى معاوية فى مسيره .

حرب صفين

وخرجت سنة ست وثلاثين ودخلت سنة سبع بعدها فاجتمع الجيشان بصفين وتراسلوا وتداعوا الى الصلح فلم يقض الله بذلك ، وكانت حرب يسيرة بالنسبة لما بعدها ولما دخل صفر وقع بينهما القتال فكانت وقعات كثيرة بصفين يقال : انها تسعون وقعة وكانت مدة مقامهم على الحرب مائة يوم وعشرة أيام ، وعدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا ، منهم ستة وعشرون من أهل بدر . وكان علي رضى الله عنه قد تقدم الى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدأوهم بالقتال ، وأن لا يقتلوا مدبرا ولا يكشفوا عورة ولا يأخذوا من أموالهم شيئا . وقاتل عمار بن ياسر رضى الله عنه مع على قتالا عظيما وكان عمره قد نيف على تسعين سنة وكانت الحربة فى يده ويده ترتعد فقال : هذه راية قاتلت بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة ، ودعا بقدح من لبن فشرب منه ثم قال : صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبة : محمدا وحزبه . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان آخر رزقى من الدنيا ضيحة لبن . وروى انه كان يرتجز (١) :

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

ولم يزل عمار يقاتل ذلك اليوم حتى استشهد رضى الله عنه .

وفى الصحيح المتفق عليه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، وبعد قتل عمار رضى الله عنه انتخب على اثنى عشر ألفا - بعد ان روى لهم حديث عمار - وحمل بهم على عسكر معاوية ، فلم يبق لاهل الشام صف إلّا انتقض ثم نادى يامعاوية على م نقتل الناس بيننا ؟ هلم أحاكمك الى الله فاينا قتل صاحبه استقام له الامر ! فقال له عمرو بن العاص : أنصفك . فقال معاوية : لكنك ما أنصفت ، ثم تقاتلوا ليلة الهرير شبهت

---

(١) يعنى متمثلا لان البيتين رويا لعبد الله بن رواحة رضى الله عنه .

بليلة القادسية - وكانت ليلة الجمعة - واستمر القتال الى الصباح ، وكان علي يسير بين الصفوف ويحرض كل كتيبة على التقدم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره . (وروى) انه كبر تلك الليلة سبعمائة تكبيرة وكانت عادته : انه كلما قتل قتيلا كبر ودام القتال الى ضحى يوم الجمعة ، وقاتل الاشتر النخعي قتالا عظيما حتى انتهى إلى معسكرهم . وقتل صاحب رايتهم ، وأمده علي بالرجال . فلما رأى عمرو شدة الامر قال لمعاوية : مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون : كتاب الله بيننا وبينكم ، فإن قبلوا ذلك ارتفع عنا القتال وإن أبى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ، ففعلوا ذلك . فقال الناس : نجيب إلى كتاب الله ، فقال علي : « يا عباد الله امضوا على حقكم في قتال عدوكم فإن عمرا ومعاوية وابن أبي معيط وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا باصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم ، ويحكم والله ما رفعوها إلّا خديعة ومكيدة » فقالوا : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلا نقبل . فقال علي : « إنما قاتلناهم ليدينوا بكتاب الله فإنهم نبذوه » فقال جماعة من القراء الذين صاروا خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله وإلّا دفعناك برمتك إلى القوم أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفان . فقال علي رضى الله عنه : « إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدالكم » وآخر الامر انهم اتفقوا على أن يحكموا رجلين من الجانبين وما حكما به عليهم صاروا إليه . فاختار أهل الشام عمرو بن العاص داهية العرب واختار أهل العراق أبا موسى الاشعري بعد مراجعات وقعت بين علي وبينهم واجتمع الحكمان عند علي لتكتب القضية بحضوره ، فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال عمرو بن العاص إنما هو أميركم وليس هو بأميرنا . فقال الاحنف : لا تمحوا اسم أمير المؤمنين . وقال الاشعث : امحها . فقال علي : الله أكبر سنة بسنة ! والله انى لكاتب القضية يوم الحديبية ، فكتبت محمد رسول الله فقالت قريش : لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه فقلت : لا أستطيع قال : فأرنيه ، فأريته اياه فمحاه بيده ، فقال لي : إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب ، ثم كتب الكتاب : هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم ؛ وقاضى معاويه على أهل الشام ومن معهم

انا ننزل عند حكم الله و كتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيى ما أحيى ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما : أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا بـه ؛ وما لم يجدا فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق انهما آمنان على أنفسهما وأهلهما وكلامة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هـذه الامة ولا يورداها فى حرب ولا فرقة ، وأجلا القضاء إلى رمضان من السنة ، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه ، وان مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشام ، ووضعوا خطوطهم فى الصحيفة ودعى الاشتر النخعى ليشهد فقال : لاصحبتنى يمينى ولانفعتنى بعدها شمالي إن وضع لي فيها اسم . وكتب الكتاب فى يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين وعينوا موضع الحكم بدومة الجندل فوقع الاجتماع للاجل المذكور .

وحاصل مـا كان من ذلك أن الحكمين اتفقا على خلع علي ومعاوية ويكون الامر شورى بين الناس حتى يختاروا من يقدمونه للامر . وقـدم عمرو بن العاص أبـا موسى على نفسه فى الكلام فتكلم أبو موسى على رؤوس الناس بما اتفقا عليه من خلع علي ومعاوية حتى ينظر الناس لانفسهم . فلما سكت أبو موسى قـام عمرو فقال : « أيها الناس إن هذا قد خلع صاحبه وقـد خلعته كما خلعه ، واثبت معاوية فهو ولى ابن عفان وأحق الناس بمقامه . » فكذبه أبو موسى وتنازعا وتشاتما ومرج أمر الناس ولم يحصلوا على طائل . وانسل أبو موسى الاشعرى إلى مكة فأقام بها ولم يرجع إلى علي حياء منه . ومضى عمرو بن العاص فى أهل الشام فسلموا على معاويـة بالخلافة ولام علي أصحابه فيما كان منهم من عصيانه أولا وانخداعهم لاهـل الشام آخرا وقال فيما قال « كأنى واياكم كما قال أخو جشم (١) :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللـوا * فلم يستبينوا الرشد إلّا ضحى الغد »

وقال : « إن هذين الحكمين اللذين اخترتموهما تركا حكم الله وحكما بهوى النفس

﴿١﴾ هو دريد بن الصمة .

واختلفا فى حكمهما فلم يرشدهما الله ، فتاهبوا للجهـاد واستعدوا للسير » . وأصبح علي رضى الله عنه غاديا يريد الشام فى ثمانية وسبعين ألفا .

وكانت الخوارج قد خرجوا عليه واعتزلوه وقالوا : حكمت الرجال فى دين الله ! ولا حكم إلّا لله ! وبلغه ان الخوارج قد اجتمعوا بالنهروان وتعاهدوا على حرب المسلمين ثم بلغه أن خوارج البصرة لقوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهروان فعرفهم بنفسه فسألوه عن أبى بكر وعمر فاثنى خيرا ، ثم عن عثمان فى أول خلافته وآخرها ، فقال كان محقا فى الأول والآخر ، فسألوه عن على قبل التحكيم وبعده ، فقال : هو أعلم بالله وأشد توقيا على دينه . فقالوا : انك توالى الرجال على أسمائها ثم ذبحوه وبقروا بطن امرأته . وقتلوا معهما ثلاث نسوة من طيىء ، ومن عجيب أمرهم انهم لقوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم فى النصرانى ، فسار اليهم على رضى الله عنه وأرسل اليهم ان ادفعوا قتلة اخواننا منكم فنكف عنكم حتى نلقى أهل المغرب (١) فلعل الله يردكم الى خير ، فارسلوا اليه كلنا قد قتلهم وكلنا يستحل دماءكم ، فأتاهم على رضى الله عنه فقال : « أيتها العصبة التى أخرجها المراء من الحق الى الباطل ، وأصبحت فى اللبس والخطب العظيم ، انى نذير لكم ان تصبحوا تلقاكم الامة غدا صرعى باثناء هذا النهر بغير بينة منكم ولا برهان ، ألم تعلموا انى قد نهيتكم عن الحكومة الى وأخبرتكم ان القوم انما طلبوها خديعة فعصيتمونى وحملتمونى على ان حكمت ، ولما حكمت شرطت وأخذت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات فانقلبا وحكما بغير حكم الكتاب ، فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى أصابكم ؟ ومن أين أتيتم ؟» قالوا : « حكمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا ، فان تبت كما تبنا فنحن قومك ، وإلّا فاعتزلنا ونحن ننابذك على سواء ان الله لا يحب الخائنين » فقال على رضى الله عنه : « صبحكم حاصب ، ولا بقى منكم وافد ، أبعد ايمانى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادى فى سبيل الله وهجرتى مع رسول الله أشهد على نفسى بالكفر ؟ (قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) . وروى انه لما كلمهم واحتج عليهم تنادوا : « لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، وتهيأوا للقاء الرب . الرواح الرواح الى الجنة » فخرج علي

---

(١) يعنى بذلك أهل الشام .

رضى الله عنه فعبأ الناس ميمنة وميسرة ووقف هو فى القلب فى مضر وجعل على الخيل أبا أيوب الانصارى وعلى أهل المدينة - وكانوا سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة . وعبأت الخوارج على نحو هذه التعبية ورفع على رضى الله عنه مع أبى أيوب الانصارى راية الامان . فنادى أبو أيوب من أتى هـذه الراية ولم يقاتل ولم يستعرض فهو آمن ، ومن انصرف الى الكوفة أو المدائن فهو آمن ، ومن انصرف عن هذه الجماعة فهو آمن ، فاعتزل فروة بن نوفل الاشجعى في خمسمائة وقال : « أعتزل حتى يتضح لى الامر فى قتال علي » فنزل الدسكرة وخرج آخرون الى الكوفة ورجـع آخرون الى على رضى الله عنه وكانوا أربعة آلاف فبقى منهم ألف وثمانمائة فحمل عليهم على والناس وزحفوا هم الى على رضي الله عنه ينادون : الرواح الرواح الى الجنـــة فاستقبلتهم الرماة وعطفت عليه الخيل من المجنبتين ، ونهض اليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم فى ساعة واحدة كأنما قيل لهم موتوا فماتوا . وكان جملة من قتل من اصحاب على رضى الله عنه سبعة نفر ؛ فطلب علي رضى الله عنه المخدج فى القتلى فلم يوجد ، فقام رضى الله عنه وعليه اثر الحزن لفقده فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال : « افرجوا » ففرجوا يمينا وشمالا فاستخرجوه فقال : « الله أكبر والله ما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لناقص اليد مافيها عظم طرفها مثل ثدى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رؤوسها معقفة » ثم قال : « ائتونى به » فنظر الى منكبه فاذا اللحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة عليهـــا شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فقال أصحـاب علي رضى الله عنه : « قد قطع الله دابرهم آخر الدهر » فقال علي : « والذى نفسى بيده انهم لفى اصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة إلّا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة يقال لهم الشمط فيخرج اليهم رجل منا أهل البيت فيقتلهم فلا تخرج لهم بعدها خارجة الى يوم القيامة »

وفى الصحيح عن سويد بن غفلة قال : قال علي رضى الله عنه : « اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فوالله لأن أخر من السماء أحب الى من أن أكذب عليه واذا حدثتكم فيمـــا بينى وبينكم فان الحرب خدعة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم فى آخر الزمان أحداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من

خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم »

ثم ان عليا رضى الله عنه ندب أصحابه الى غزو الشام فتثاقلوا عليه ولما وصلوا الى الكوفة تسللوا الى بيوتهم وتركوا المعسكر خاليا . ولما رأى على ذلك دخل الكوفة ثم ندبهم ثانيا فلم ينفروا ثم ثالثا فلم ينشط منهم إلّا القليل ، فخطبهم وأغلظ فى عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة فى الحق والنصح فتثاقلوا وسكتوا واستمر الحال الى ان استأثر به ربه وأراحه من شغبهم وقبضه اليه ونقله الى كرامته وجنته ، سابق مضمار الايمان والهجرة والنصرة والنجدة والصهر والقربى والقناعة والجهاد والعلم والزهد رضى الله عنه .

وكان من خبر وفاته ان ثلاثة من الخوارج ممن نجا من وقعة النهروان وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمرو بن بكر التميمى السعدى والحجاج بن عبد الله التميمى الصريمى - ويلقب بالبرك - اجتمعوا بمكة فذكروا اخوانهم الذين قتلوا بالنهروان وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس فقال ابن ملجم - وكان من مصر - « أنا أكفيكم عليا » وقال البرك : « أنا أكفيكم معاوية » وقال عمرو بن بكر : « أنا أكفيكم عمرو بن العاص » وتعاهدوا أن لا يرجع أحد منهم عن صاحبه حتى يقتله او يموت دونه وتواعدوا لسبع عشرة ليلة تمضى من رمضان من هذه السنة - اعنى سنة اربعين - وانطلقوا فلقى ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم إلّا انه جاء إلى شبيب بن شجرة الاشجعى ودعاه إلى الموافقة على شأنه فقال شبيب : ثكلتك أمك فكيف تقدر على قتله ؟ فقال أكمن له فى المسجد عند صلاة الغداة فإن قتلناه وإلّا فهى الشهادة ! قال ويحك لا أجدنى أنشرح لقتله مع سابقته وفضله ، قال ألم يقتل العباد الصالحين أصحاب النهروان ؟ قال : بلى قال : فنقتله بمن قتله منهم فأجابه . ثم لقى امرأة من تيم الرباب فائقة الجمال اسمها قطام قتل أبوها وأخوها يوم النهروان فخطبها ابن ملجم فشرطت عليه ثلاثة آلاف درهم وعبدا وقينة وأن يقتل عليا وقالت : « فإن قتلته شفيت النفوس وإلّا فهى الشهادة » قال : « والله ماجئت إلّا لذلك ولك ماسألت » وفى ذلك قيل :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا فتك إلّا دون ابن ملجم

ثم قالت : سأبعث معك من يشد ظهرك ويساعدك ، وبعثت معه رجلا من قومها اسمه وردان .

فلما كانت الليلة التى واعد ابن ملجم أصحابه فيها - وكانت ليلة الجمعة - جاء الى المسجد ومعه شبيب ووردان . وجلسوا قبالة السدة التى يخرج منها علي للصلاة ، فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع فى عضادة الباب ، وضربه ابن ملجم على مقدم رأسه وقال : الحكم لله يا علي لالك ولا لاصحابك ، وهرب وردان الى منزله ، وهرب شبيب مغلسا ، ونجا فى غمار الناس ، وقبض على ابن ملجم فجيء به مكتوفا الى علي - وقد حمل الى بيته - فقال : أى عدو الله ما حملك على هذا ؟ ثم قال ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى ، وان بقيت رأيت فيه رأيى . يابنى عبد المطلب لا تحرضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين : لاتقتلوا الاقاتلى ، ياحسن ان أنامت من ضربتى هذه فاضربه بسيفه ، ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إياكم المثلة . وقال له جندب بن عبد الله : أنبايع الحسن ان فقدناك ؟ فقال : ما آمركم به ولا أنهاكم عنه أنتم أبصر . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم لم ينطق إلّا بلا إله إلّا الله حتى قبض رضى الله عنه .

ولما قبض أخرج عبد الرحمن بن ملجم من السجن فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم رجله ثم لسانه وكحلت عيناه بمسمار محمى وأحرق لعنه الله . وأما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف فوقع فى اليته وأخذ البرك فقال لمعاوية : عندى بشرى أتنفعنى ان أنا أخبرتك بها ؟ قال نعم قال ان أخالى قتل عليا هذه الليلة فقال معاوية لعله لم يقدر عليه فقال بلى ان عليا ليس معه من يحرسه فقتله معاوية وقيل قطع يده ورجله وأقام الى أيام زياد فقتله بالبصرة وأما عمرو بن بكر التميمى فانه جلس تلك الليلة لعمرو بن العاص فلم يخرج عمرو الى الصلاة لمرض أصابه واستناب خارجة بن حذافة العدوى فى الصلاة فشد عليه عمرو بن بكر وهو يظن انه عمرو بن

العاص فقتله فلما أخذوه وادخلوه على عمرو قال فمن قتلت اذا ؟ قالوا قتلت خارجة ابن حذافة فقال « أردت عمرا وأراد الله خارجة » فارسلها مثلا وأمر به عمرو فقتل ويرحم الله ابن عبدون اذ يقول :

وليتها إذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بما شاءت من البشر

وكانت وفاة علي رضى الله عنه صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين كما ذكرنا . وكانت مدة خلافته خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر . واختلف فى موضع قبره فقيل دفن مما يلى قبلة المسجد بالكوفة وقيل عند قصر الامارة بها وقيل نقله ابنه الحسن الى المدينة ودفنه بالبقيع عند زوجه فاطمة رضى الله عنها .

قال أبو الفداء والاصح وهو الذى ارتضاه ابن الاثير وغيره ان قبره هو المشهور بالنجف وهو الذى يزار اليوم .

وفضائل على رضى الله عنه ومناقبه فى العدل وحسن السيرة أجل من أن يحاط بها ، من ذلك مشاهده المشهورة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤاخاته له وسبق اسلامه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه وقوله عليه الصلاة والسلام يوم خيبر لابعثن الراية غدا مع رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى وقال صلى الله عليه وسلم « أقضاكم علي » والقضاء يستدعى معرفة أبواب الفقه كلها بخلاف قوله عليه السلام أفرضكم زيد وأقرؤكم أبى . ولم يضع رضى الله عنه لبنة على لبنة حتى لقى الله وكان يقسم ما فى بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيأ . ودخل مرة بيت المال فوجد الذهب والفضة فقال « يا صفراء اصفرى ويابيضاء ابيضى وغرى غيرى لا حاجة لى فيك » (وروى) ابن عبد البر فى الاستيعاب بسنده الى مجمع التميمى ان عليا رضى الله عنه قسم ما فى بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة (وروى) أيضا بسنده الى عاصم بن كليب عن أبيه قال قدم على علي مال من أصبهان فقسمه سبعة أسباع ووجد فيه رغيفا فقسمه سبع كسر وجعل على كل جزء كسرة ثم أقرع بينهم أيهم يعطى أولا . قال ابن عبد البر : وأخباره رضى الله عنه فى مثل هذا من سيرته لا يحيط بها كتاب ويرحم الله من قال :

أحسن من عود ومن ضارب * ومن فتاة ناهد كاعب
ومن مدام فى قواريرها * يسعى بها ساق الى شارب
ومن جياد الخيل فى مهمه * وضارب يسطو على ضارب
أحسن من ذاك وهذا وذا * حب علي بن أبى طالب
لوفتشوا قلبى لالفوا به * سطرين قد خطا بلا كاتب
العلم والتوحيد فى جانب * وحب آل البيت فى جانب
ان كنت فيما قلته كاذبا * فلعنة الله على الكاذب

ولما توفى علي رضى الله عنه بايع الناس ابنه الحسن رضى الله عنه ، وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له : ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين ، فقال الحسن : على كتاب الله وسنة رسوله ويأتيان على كل شرط . ثم بعد ذلك نزل لمعاوية عن الامر فى خبر طويل نذكر منه ما فى الصحيح . فعن الحسن البصرى رحمه الله قال : استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص : انى لأرى كتائب لاتولى حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : اى عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، فمن لى بأمور الناس ؟ من لى بنسائهم ؟ من لى بضيعتهم ؟ فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز فقال : اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه ، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا اليه ، فقال لهما الحسن بن علي رضى الله عنهما : إنا بنى عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عاثت فى دمائها قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك ، قال : فمن لى بهذا ؟ قالا نحن لك به ، فما سألهما شيئا إلّا قالا : نحن لك به ؛ فصالحه . قال الحسن البصرى رحمه الله « ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . »

وها هنا فائدتان الاولى : هذه الحروب التى وقعت بين الصحابة رضى الله عنهم محملها الاجتهاد كما قدمنا والذب عن الدين ، وكان الناس من السذاجة فى الدين والتمسك به على ما

عهد منهم ، فكانوا اذا رأوا ما يظنونه منكرا غيروه ولو باتلاف مهجهم ، إلّا انهم كان منهم المجتهد المصيب ، وهو ذو الاجرين كما فى الحديث ، ومنهم المجتهد المخطئ وهو ذو الاجر الواحد كما فى الحديث أيضا . وكان على رضى الله عنه مصيبا فى جميع أمره من أوله الى آخره . فعلى العاقل المحتاط لدينه أن يظن بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الظن الجميل ، ويعمل بوصيته فيهم إذ قال عليه الصلاة والسلام : « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم » الحديث . واياى واياه ان يجرح من زكاهم الله تعالى بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وزكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » اللهم احشرنا فى زمرتهم وأمتنا على سنتهم وطريقتهم يا أكرم الاكرمين ويا أرحم الراحمين ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم .

الفائدة الثانية : أطبق السلف على ان ترتيب الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم فى الفضل على حسب ترتيبهم فى الخلافة ، وذهب بعض السلف الى تقديم علي على عثمان وممن قال به سفيان الثورى لكن قيل انه رجع عنه ، وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والحق هو القول الاول . وهل التفضيل بين الخلفاء قطعى أو ظنى فالذى مال إليه الاشعرى هو الاول ، والذى مال إليه القاضى أبو بكر الباقلانى واختاره امام الحرمين فى الارشاد هو الثانى ، وعبارته : « لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الائمة على بعض ، اذ العقل لا يدل على ذلك ، والاخبار الواردة فى فضائلهم متعارضة ، ولكن الغالب على الظن ان أبا بكر أفضل الخلائق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عمر أفضلهم بعده ، وتتعارض الظنون فى عثمان وعلي . »

وهاهنا انتهى بنا القول فيما قصدناه من التبرك بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر خلفائه الاربعة رضى الله عنهم ، ولنرجع الى ما نحن بصدده من ذكر أخبار المغرب الاقصى مقدمين القول أولا في نسب البربر وبيان حالهم قبل الاسلام وبعده على الجملة ، لنتخلص بعده للمقصود ، والله تعالى يعصمنا من الزلل بمنه وكرمه .

القول فى نسب البربر وبيان أصلهم

اعلم ان الناس اختلفوا فى تحقيق نسب البربر وإلى أى أصل من أصول الخليقة يرجعون ، فذكر صاحب كتاب الجمان فى اخبار الزمان ونقله عن أهل العلم بالسير أن بنى حام تنازعوا مع بنى سام فانهزم بنو حام أمامهم إلى المغرب وتناسلوا به ، واتصلت شعوبهم من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى تخوم السودان ، وكان بسواحل المغرب الافارقة والافرنج فكانت ذرية حام فى المداشر والخيام ، والاعاجم الاول فى البلدان . وبقى أكثر أولاد حام فى بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن داود عليه الصلاة والسلام . وكان ملكهم يسمى جالوت فلما قتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء أمر باجلائهم من بلاد كنعان وفلسطين إلى أرض المغرب ! فساروا نحو افريقية والزاب وانتشروا هنالك حتى ضاقت بهم تلك البلاد وامتلأت منهم الجبال والكهوف والرمال وصاروا يتبعون مواقع القطر بالابل وبيوت الشعر ، ولم تقدر الفرنج على ردهم ودفاعهم ، فانحازت الاعاجم للمدن وبقى البربر فيما عدى المدن وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة ، فمنهم من تمجس ومنهم من تهود ومنهم من تنصر ، واستمروا على ذلك إلى زمان الاسلام . وكان فيهم رؤساء وملوك وكهان ، ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم من الامم.

وقال الطبرى وغيره « إن البربر أخلاط من كنعان والعماليق وغيرهم . فلما قتل داود جالوت تفرقوا فى البلاد »

وقال الكلبى :« اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام فقيل داود بالوحى قيل : ياداود أخرج البربر من الشام فانهم جذام الارض ، وقيل: يوشع بن نون عليه السلام . وقيل: افريقش الحميرى واختلف فى افريقش هذا فقال المسعودى هو افريقش بن ابرهة ذى المنار أحد التبابعة المشهورين . »

وقال ابن حزم :« هو افريقش بن قيس بن صيفى أخو الحرث الرائش منهم ، وهو

الذى ذهب بقبائل العرب إلى افريقية وبه سميت ، وساق البربر اليها من أرض كنعان : مر بها عند ما غلبهم يوشع بن نون وقتلهم فاحتمل الفل منهم وساقهم إلى افريقية فأنزلهم بها وقتل ملكها جرجير ، ويقال انه الذى سمى البربر بهذا الاسم لانه لما فتح المغرب وسمع رطانتهم قال : ما أكثر بربرتهم ! فسموا البربر . والبربرة فى لغة العرب اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الاسد ، وينسبون إليه فى ذلك شعرا وهو قوله :

بربرت كنعان لما سقتها * من بلاد الضنك للخصب العجيب
أى أرض سكنوها ولقد * فازت البربر بالعيش الخصيب

ولما قفل افريقش من غزو المغرب ترك هنا لك حامية من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهما بها الى الآن وليسوا من نسب البربر قاله الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى والسهيلى وجميع النسابين من العرب .

وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد له : « اختلف الناس فى نسب البربر اختلافا كثيرا ، وأنسب ما قيل فيهم انهم من ولد قبط بن حام وانه لما نزل مصر خرج بنوه يريدون المغرب فسكنوا من آخر عمالة مصر وذلك فيما وراء برقة إلى البحر الاخضر مع بحر الاندلس (١) الى منقطع الرمل متصلين بالسودان . وقيل : ان البربر صنفان البرانس والبتر وان البتر منهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر ، واختلفوا فى توجيه ذلك فقال الطبرى : خرج بر بن قيس بن عيلان ينشد ضالة له باحياء البربر فرأى جارية منهم فخطبها من أبيها وتزوجها فولدت له . »

وقال فى كتاب الجمان : وأما تسميتهم بالبربر فانه لما صار ملك مضر لقيس بن عيلان كان له ولد اسمه بر فخرج مغاضبا لابيه واخوته إلى جهة المغرب فقال الناس : بربر أى توحش فى البرارى فسموا بربرا . ونقل ابن أبى زرع وابن خلدون عن النسابين من البربر وحكاه أيضا البكرى وغيره : انه كان لمضر بن نزار ولدان الياس وعيلان أمهما الرباب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عيلان بن مضر ولدين وهما قيس ودهمان ابنا عيلان ، أما دهمان فولده قليل وهم أهل بيت من قيس يقال لهم بنو امامة ، وأما قيس بن عيلان فولد أربعة بنين وجارية وهم سعد وعمرو وخصفة

---

(١) البحر الاخضر هو المحيط وبحر الاندلس هو البحر المتوسط .

أمهم مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، ثم برّ وأخته تماضر أمهما تمريغ بنت يجدول ابن غمار بن مصمود البربرى اليجدولى .

وكانت قبائل البربر اذ ذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن والاسواق والمساعى ، ويشاركونهم فى المياه والمسارح والمراعى ، ويصاهر بعضهم بعضا ، وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر من أجمل نساء زمانها وأكملهن ظرفا وأدبا فكثر خطابها من سائر قبائل العرب فقال بنوعمها - وهم عمرو وسعد وخصفة وبر - : لايتزوج ابنة عمنا إلّا أحدنا ولا تخرج منا الى غيرنا فخيروها فيمن شاءت منهم ، فاختارت برا - وكان أصغرهم سنا وأكملهم شبابا - فتزوجها دون اخوته فحسدوه عليها وهموا بقتله من أجلها . وكانت أمه تمريغ من دهاة النساء فبعثت إلى أبيها دهمان وأعلمته الخبر وواطأته على الخروج بولدها إلى أرض قومها من البربر حيث تأمن عليه ، ثم بعثت إلى قومها فأتوها سرا فارتحلت معهم هى وولدها بر وكنتها البهاء بنت دهمان فلحقوا ببلاد البربر - وهم يومئذ مستوطنون فلسطين وأكناف الشام - فنزل بر على أخواله واعتز بهم ، وبنى بابنة عمه البهاء فولدت له هناك ولدين : علوان ومادغيس ابنى بر ابن قيس بن عيلان ، فأما علوان فمات صغيرا ولم يعقب وأما مادغيس فكان يلقب الابتر وهو أبو البتر من البربر وإليه يرفعون أنسابهم ، ومن ولده جميع زناتة كما سيأتى ، ويزعمون أن تماضر أخت بر بكته بعد فرقته بشعر تقول فيه :

لتبك كل باكية أخاها * كما أبكى على برّ بن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحى * ودون لقائه انضاء عنس

ومما ينسب إليها أيضا قولها :

وشطت ببرّ داره عن بلادنا * وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لكنة أعجمية * وما كان بر فى الحجاز بأعجما
كانا وبرا لم نقف بجيادنا * بنجد ، ولم نقسم نهابا ومغنما

وأنشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلى :

ألا أيها الساعى لفرقة بيننا * توقف هداك الله سبل الاطايب
فأقسم أنا والبرابر اخوة * تناولنا جد كريم المناسب

أبونا أبوهم قيس عيلان فى الذرى * له حومة تشفى غليـل المحارب
وبرّ بن قيس عصبة مضرية * وفى الفرع من احسابها والذوائب
فنحن وهم ركن منيع وأخوة * على رغم أعـداء لئام المناقب

فى أبيات غير هذه . وينشد أيضا ليزيد بن خالد يمدح البربر قوله :

أيهـا السائـل عنا أصلنـا * قيس عيلان ، بنو الغرّ الاول
نحن ما نحن ، بنو برّ الندى * طارد الازمـة ، نحار الابل
قـد بنى المجد فأورى زنده * وكفانا كل خطب ذى جلـل
ان قيسا يعتزى بـر له * ولبر يعتزى قيس الاجـل
فلنـا الفخر بقيس انـه * جدنا الاكبر ، فكاك الكبل
ان قيسا قيس عيلان هم * معدن الخير ، على الخير دلـل
حسبى البربر قـومى انهم * ملكوا الارض بأطراف الاسل

فى ابيات اخر .

واعلم ان الخلاف فى نسب البربر طويل وقد تركنا جله اختصارا ، وأشبه هـذه الاقوال بالصحة ما نقلناه أولا (١) مما يدل على ان جيل البربر من ولـد حام ؛ وانهم جيل قديم قد سكنوا المغرب عندما تناسلت ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليقة على وجه الارض ، ثم تلاحقت بهم بقية بنى كنعان من الشام عندما أجـلاهم يوشع بن نون عليه السلام أولا ثم داود عليه السلام ثانيا .

قال ابن خلدون بعد تزييف القول بأن البربر من ولد جالوت بالخصوص أو من العرب ما نصه : « والحق الذى لاينبغى التعويل على غيره فى شأنهم أنهم من ولد كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام وان اسم أبيهم مازيغ اه . »

ومما يستملح من النوادر المقولة فى نسب البربر قول خلف بن فرج السميسير من شعراء الاندلس يهجو البربر :

رأيت آدم فى نومى فقلت له : * أبا البرية إن الناس قـد حكموا
ان البرابر نسل منك ، قال : اذا * حواء طالق إن كان الذى زعموا

---

(١) يعنى ان البرابر جيل قديم سكن ارض افريقية منذ احقاب طويلة ، واما كون أرض المغرب اذ ذاك كانت معمورة السواحل بالفرنج والروم فليس بمحرر .

وهـذا من ملح الشعراء وشيطنتهم ، وإلّا فالبربر جيل معروف من أعظم الاجيال وأعزها ، ولهم الفخر الذى لايجهل ، والذكر الذى لايهمل ، وقد تعددت فيهم الدول ، وكثرت فيهم الملوك العظام ، وكان لهم القدم الراسخ فى الاسلام ، واليد البيضاء فى الجهاد . ومنهم الائمة والعلماء والاولياء والشعراء ، وأهل المزايا والفضائل ، وستقف على كثير من ذلك عن قريب إن شاء الله .

القـــول فى تقسيم شعوب البربر على الجملـة

اعلم أن أمة البربر أمة عظيمة قد ملأت ما بين برقة والبحر المحيط شرقا وغربا ، ومـا بين بلاد السودان والبحر الرومى جنوبا وشمالا ؛ ومع عظمها فيجمعها شعبان عظيمان بحيث لايخرج بربرى عنهما .

قال ابن خلدون : علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما : برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالابتر فلذلك يقال لشعوبه : البتر . ويقال لشعوب برنس : البرانس . وبين النسابين خلاف : هل هما لاب واحد أم لا ؟ فعند ابن حزم انهما لاب واحد والجميع من نسل كنعان بن حام ، وقال سابق بن سليمان المطماطى وغيره من نساب البربر : إن البرانس فقط من نسل كنعان ، وامـا البتر فهم بنو بر بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهذا القول قد تقدم مافيه ، فالحق ان الشعبين معـا عريقان فى البربرية وان الجميع من ولد مازيـغ ، ومازيغ هو من ولد كنعان بن حام كما مر .

فاما البرانس فتنقسم إلى سبع قبائل : أوربـة وصنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة وأوريغة وارداجة ، ويقال : ورداجة بالواو بدل الهمزة ، وزاد سابق المطماطى وغيره ثلاث قبائل أخر وهم : لمطة وهسكورة وجزولة فتكون عشرا . فامـا اوربة فكان منهم كسيلة بن اغز الاوربى قاتل عقبة بن نافع رضى الله عنه زمان

الفتح ، ومنهم اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربى القائم بدعوة ادريس بن عبد الله رضى الله عنه . واما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس أنهم مقدار الثلث منهم ، وكان منهم بنو زيرى بن مناد ملوك افريقية ، والملثمون ملوك مراكش والاندلس . وأما كتامة فهم القائمون بدعوة العبيديين بافريقية ومصر . وأما المصامدة فمنهم غمارة ، وكان منهم يليان النصرانى صاحب سبتة وطنجة أيام دخول عقبة بن نافع للمغرب الاقصى ، وهم القائمون أيضا بدعوة بنى ادريس فى دولتهم الثانية بعد بنى أبى العافية ، ومن المصامدة أيضا برغواطة أهل تامسنا وما اتصل بها ، ومنهم أهل جبل درن القائمون بدعوة محمد بن تومرت : مهدى الموحدين .

وأما باقى قبائل البرانس فلم يكن لهم ملك يذكر ، وقد تقدم لنا ان النسابين من العرب يقولون ان صنهاجة وكتامة من حمير ، وان افريقش الحميرى تركهم حامية بافريقية فتناسلوا بها واستحال لسانهم الى البربرية ، لكن المحققون من نساب البربر كسابق المطماطى وغيره ينكرون ذلك ويجزمون بانهما قبيلتان عريقتان فى البربر

وأما البتر وهم بنو مادغيس الابتر فينقسم شعبهم إلى أربع قبائل وهم : ضريسة ونفوسة وأداسة وبنو لوى وهم : لواتة . فأما ضريسة فمنهم مكناسة ، ومن مكناسة بنو مدرار ملوك سجلماسة ، وبنو أبى العافية ملوك فاس . ومن ضريسة أيضا زناتة كلها ومن زناتة جراوة قوم الكاهنة داهيا صاحبة جبل أوراس التى أوقعت بحسان بن النعمان عامل الخليفة عبد الملك بن مروان . ومن زناتة أيضا بنو خزر المغراويون ملوك تلمسان والمغرب الاوسط ، ومنهم مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا وتادلا ، ومنهم بنو زيان ملوك تلمسان ، وبنو مرين ملوك فاس أيضا ، فهؤلاء كلهم من زناتة . وزناتة هو زانا بن يحيى بن ضرى بن زجيك بن مادغيس الابتر .

وأما نفوسة واداسة ولواتة فلم يكن لهم ملك يذكر .

واعلم ان كل قبيلة من هذه القبائل الاربع عشرة تشتمل على عمائر وبطون وأفخاذ وفصائل لاحصر لها وفيما ذكرناه كفاية وبالله التوفيق .

الخبر عن حال البربر قبـــل الاسلام
وذكر بعض أمصار المغرب القديمة وما قيل في ذلك

* * *

قد تقدم لنا ان البربر أمة قديمة سكنوا أرض المغرب فى قديم الزمان ، وانهم لما عمروا بلاده وملأوا أكنافه انحازت الفرنج عنهم الى السواحل والثغور ، وبقى البربر فيمـا سوى ذلك من الضواحى والجبال والكهوف ، وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة الى آخر مامر فهذا كان حالهم على الجملة .

وقـال ابن خلدون : لم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومى وبلاد السودان منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلهـا ، وكان دينهم دين المجوسية - شأن الاعاجم كلها بالمشرق والمغرب - إلّا فى بعض الاحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الامم ، فان الامم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم . فقد غزتهم ملوك اليمن من قراهم مرارا على ماذكر مؤرخوهم فاستكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم . ذكر ابن الكلبى : ان حميرا أبا القبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة وانه الذى ابتنى مدائنه مثل افريقية وصقلية (١) ، واتفق المؤرخون من العرب على غزو افريقش الحميرى من التبـابعة أرض المغـرب . اه وما نقلـه عن ابن الكلبى من غزو حمير أرض المغرب قد نقل أيضا انكاره عن الحافظين أبى عمر بن عبد البر وأبى محمد بن حزم وانهما قالا : ما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلّا فى تـكاذيب مؤرخى اليمن ، ثم ذكر أن البعض من البربر كانوا قد دانوا بدين اليهودية وأخذوه عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم ، كما كان جراوة أهـل جبل آوراس قبيلة الكاهنة

---

(١) كلام ابن الكلبى هذا غير محرر ومخالف للحقيقة كما هو معلوم ، لان صقلية جزيرة بوسط البحر المتوسط بين قارتى اوربا وافريقيا وهى إلى اوربا اقرب ، وإنما ساق المؤلف هذا النقل هنا ليستقصى ما ذكره الناس فى هذا الموضوع سيما وقد ساق اعتراض ذلك ونقل انكاره عن الحافظين : ابن عبد البر وابن حزم .

وكما كانت نفوسة من برابرة افريقية وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز من برابرة المغرب الاقصى حتى محا ادريس الاكبر جميع ما كان فى نواحيه من بقايا الاديان والملل .

وقال غير واحد من المؤرخين : كان أهل المغرب الاقصى يضرون بأهل الاندلس لاتصال الارض بينهم ويلقون منهم الجهد الجهيد فى كل وقت إلى ان اجتاز بهم الاسكندر فشكوا حالهم إليه ، فأحضر المهندسين وأتى إلى الزقاق - يعنى زقاق سبتة - فأمرهم بوزن سطح الماء من البحر المحيط والبحر الرومى ، فوجدوا المحيط يعلو الرومى بشىء يسير فأمر برفع البلاد التى على ساحل البحر الرومى ونقلها من الحضيض إلى الاعلى ، ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض ، فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية ، وبنى عليها رصيفا بالحجر والجير بناء محكما ، وجعل طوله اثنى عشر ميلا وهى المسافة التى كانت بين البحرين . وبنى رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال ، فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل فى البحر الرومى ثم ارتفع الماء فأغرق مدنا كثيرة وأهلك أمما عظيمة كانت على الشطين ، وطمى الماء على الرصيفين باحدى عشرة قامة ، فأما الرصيف الذى يلى بلاد الاندلس فانه يظهر فى بعض الاوقات إذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد ، وأهل الجزيرة يسمونه القنطرة ، وأما الرصيف الذى من جهة العدوة فان الماء حمله فى صدره واحتفر ما خلفه من الارض بنحو اثنى عشر ميلا ، وعلى طرفه من جهة المغرب قصر المجاز وسبتة وطنجة ، وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد ، وجزيرة طريف بن مالك والجزيرة الخضراء ؛ وما بين سبتة والخضراء هو عرض البحر المسمى بالزقاق وبالبوغاز أيضا اه .

وما ذكروه من أن أرض المغرب كانت متصلة بأرض الاندلس نحوه فى تواريخ الفرنج القديمة ، غير انهم يسمون الملك الذى فتح البوغاز هرقول الجبار ، وعند ابن سعيد : انه كان فيما بين قصر المجاز وطريف قنطرة عظيمة قد وصلت ما بين البرين يزعم الناس ان الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الاندلس إلى بر العدوة والله تعالى أعلم بحقيقة الامر .

وفى تواريخ الفرنج المقطوع بصحتها عندهم : ان ملوك الروم الاولى حاربوا القرطاجنيين من أهل افريقية والمغرب وغلبوهم على البلاد وهدموا فى بعض تلك الحروب مدينة قرطاجنة الشهيرة الذكر . قال الشيخ رفاعة فى بدايـة القدماء ما نصه : « قرطاجنة مدينة بأرض افريقية وهى احدى مدن الدنيا الشهيرة ، وقد هدمها الروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وست وأربعين سنة ثم أسست ثانية وخربها العرب حتى انه لا يرى الآن شىء من آثارها إلّا بغاية الجهد وبقرب موضعها مدينة تونس اه . »

وقال ابن خلدون فى كتاب طبيعة العمران حين تكلم على قيادة الاساطيل ما نصه : « وقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومى ، وكان أكثر حروبهم ومتاجرهم فى السفن ، فكانوا مهرة فى ركوبه والحرب فى أساطيله ولما أسفّ من أسفّ منهم الى ملك العدوة الجنوبية ، مثل الروم الى أفريقية والقوط الى المغرب ، أجازوا اليها فى الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من أيديهم أمرها ، وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسبيطلة وجاولاء ومرناق وشرشال وطنجة ، وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحـارب صـاحب رومة ويبعث الاساطيل لحربه مشحـونة بالعساكر والعدد ، فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حقافيه معروفة فى القديم والحديث اه . »

قلت : الفرنج اليوم جازمون بان ملوك الروم الاولى كانوا مستولين على أرض المغرب باسرها قد ملكوها مدة طويلة من الزمان قبـل ميلاد المسيـح عليه السلام بكـثير وان الامصار القديمة بالمغرب مثل سبتة وطنجة وسلا وشالة ووليلى ونحوهـا هى من بنـائهم أو بناء القرطاجنيين قبلهم ولقد قـال لى بعض أهل الخبرة منهم : ان مدينة سلا كانت كانت موجودة فى ذلك العصر وانه رآها مذكورة بهذا الاسم فى تواريـخ الروم (١) القديمة المذكورة فيها أخبار المغرب وأمصاره ، وحققت عليه ذلك فجزم به ولم يرجع وما يقال من ان سبتة وسلا من بناء بعض أولاد نوح عليه السلام فقول بعيد عن الصحة نعم قـد ذكر فى التوراة عنـد الكلام على ذرية نوح وتناسلهم بالارض انه كان منهم سبتة بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ويبعد أن تكون المدينة من بناء هذا الرجـل

---

(١) يعنى تواريخ اللاتينيين .

أو بناء بعض بنيه لبعد العهد وطول المدة وعدم نقل ذلك من وجه صحيح ، وان كانت أرض المغرب هى لاولاد حام من قديم الزمان والله أعلم .

ولما أخذ الروم بدين النصرانية فى زمن قسطنطين الملك ، وكانت لهم اليد العالية على من جاورهم من الامم ، مثل الحبشة والقبط والفرنج والقوط وغيرهم ، حملوهم على الاخذ به فدانوا به معهم وتلقوه عنهم وبثوه في بلادهم ورعاياهم ، وكان الفرنج مجاورين للبربر في المغرب الادنى ، والقوط مجاورين لهم في الاقصى ، ليس بينهم وبينهم إلّا خليج البحر . فحملوا أهل السواحل منهم على الاخذ بذلك الدين فدانوا به أيضا ، ونظر القياصرة يومئذ منسحب على الجميع وأمرهم نافذ فى الكل ، واستمر الحال على ذلك حتى جاء الله بالاسلام وأظهره على الدين كله ، فدانت به البربر على ما نذكره ان شاء الله فلهذا السبب كان كسيلة الاوربى ويليان الغمارى وغيرهما من كبار البربر نصارى .

وقال ابن خلدون : « كان للبربر في الضواحى وراء ملك الامصار المرهوبة الحامية ما شاء الله من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وأقيال وأمراء لايرامون بذل ، ولا تنالهم الروم والفرنج فى ضواحيهم تلك بمسخطة ولا اساءة » ثم قال : « وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية - كما كان المقوقس صاحب مصر والاسكندرية وبرقة يؤدى الجباية له - وكما كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم قد غلبوا على هؤلاء الامم أجمع وعنهم أخذوا دين النصرانية ، وكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر أفريقية ولم تكن للروم فيها ولاية وانما كان كل من كان منهم بها جندا للفرنج ومن حشودهم . وما يسمع فى كتب الفتح من ذكر الروم فى فتح أفريقية فمن باب التغليب ، لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج وما قاتلوا فى الشام إلّا الروم فظنوا انهم هم الغالبون على أمم النصرانية ، فان هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلبوا اسم الروم على جميع أمم النصرانية ، ونقلت الاخبار عن العرب كما هى . فجرجير المقتول عند الفتح من الفرنج وليس من الروم ، وكذا الامة الذين كانوا بافريقية غالبين على البربر ونازلين بمدنها وحصونها انما كانوا من الفرنجة » اه .

القول فى تحديد المغرب وذكر حال البربر بعد الاسلام

اعلم ان لفظ المغرب يطلق فى عرف أهله على ناحية من الارض معروفة بعينها ، حدها من جهة مغرب الشمس البحر المحيط المعروف بالكبير، ومن جهة مشرق الشمس بلاد برقة وما خلفها الى الاسكندرية ومصر ، فبرقة خارجة عن بلاد المغرب بهذا الاعتبار ، وبلاد طرابلس وما دونها الى جهة البحر المحيط داخلة فيه ، وحـدها من جهة الشمال البحر الرومى المتفرع عن المحيط ويعرف هذا الرومى بالصغير، ومن جهة الجنوب جبال الرمل الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد البربر ، وتعرف عند العرب الرحالة هنالك بالعرق .

ثم هذا المغرب يشتمل على ثلاث ممالك : مملكة أفريقية وهى المغرب الادنى - وقاعدتها فى صدر الاسلام مدينة القيروان وفى هذا العصر مدينة تونس - وسمى أدنى لانه أقرب الى افريقية بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز . ثم بعد أفريقية مملكة المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وجزائر بنى مزغنة وهذه المملكة اليوم فى يد فرنج افرانسة ملكوها فى سنة ست وأربعين ومائتين وألف ، وأهلها مسلمون . ثم بعد ذلك مملكة المغرب الاقصى وسمى أقصى لانه أبعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة فى صدر الاسلام ، وحد هذا الاقصى من جهة المغرب البحر المحيط ، ومن جهة المشرق وادى ملوية مع جبال تازا ومن جهة الشمال البحر الرومى ومن جهة الجنوب جبل درن قالـه ابن خلدون .

وفى تقاسيم الفرنج ان المغرب الاقصى يشتمل على خمس عمالات : عمالة فاس وعمالة مراكش وعمالة السوس وعمالة درعة وعمالة تافيلالت . ودار الملك به تارة فاس وتارة مراكش . (١) وهو فى الاغلب ديار المصامدة من البربر ويساكنهم فيه عوالم من صنهاجة ومضغرة وأوربة وغيرهم لكنهم قليل بالنسبة الى المصامـدة ويساكنهم فيه أيضا عالم من العرب أهل الخيام ، انتقلوا من جزيرة العرب الى أفريقية ثم من أفريقية اليه أواخر المائة السادسة أيام الخليفة يعقوب المنصور الموحدى وهم اليوم قبائل عـديدة يرجعون فى نسبهم الى رياح وجشم، فأما رياح فهم من بنى هلال بن عامر بن صعصعة ، وأما جشم

(١) وفى عصرنا هذا صارت العاصمة السياسية الادارية هى : الرباط .

فهم بنوجشم بن معاوية بن بكر وكلهم ينتهى نسبهم الى مضر ، ويضاف اليهم قبائل أخر نحقق الكلام فيهم بعد هذا ان شاء الله .

ثم قد علمت ان كلامنا بالقصد الاول فى هذا الكتاب انما هو على المغرب الاقصى ، لكنا نتكلم أولا على أخبار المغرب مطلقا ، ونذكر أمراءه الموجهين من قبل الخلفاء بالمشرق على التفصيل ما دام نظرهم منسحبا عليه وظلهم ممتدا اليه ، اذ كان أمر الخلافة فى صدر الاسلام متحدا وحكمها مجتمعا وكلمتها نافذة فى جميع ممالك الاسلام شرقا وغربا ، بحيث لايخرج قطر من الاقطار ولامصر من الامصار فيما بعد أودنا من الارض عن نظر الخليفة الاعظم ، وقد كان ذلك دينا متبعا وحكما مجمعا عليه ، ولا تصح لاحد امارة أو ولاية إلّا بالاستناد اليه ، حتى اذا طال العهد وضعف أمر الخلافة وتقاص ظلها عن القاصية ، تفرقت ممالك الاسلام البعيدة عن دارها وتوزعتها الثوار من بنى هاشم وغيرهم واستبدالا مراء النازحون عنها كل بما غلب عليه وسار أمر الوحدة الى الكثرة وحكم الاجتماع الى الفرقة ، فلهذا نتكلم الآن على أخبار المغرب مطلقا ، ونذكر ولاته الموجهين اليه من قبل الخلفاء واحدا بعد واحد الى زمن ادريس بن عبد الله المستبد بملك المغرب الاقصى ، والمقتطع له عما عداه من الممالك الاسلامية ، فحينئذ نفرد الكلام عليه بخصوصه على ماشرطناه ، فاما الآن فلايمكننا الكلام عليه وحده لانه - والحالة هذه - مندرج فى غيره من ممالك المغرب ، إذ الوالى الموجه من قبل الخليفة فى صدر الاسلام كان يكون واليا على أفريقية وما بعدها من بلاد المغرب الى البحر المحيط ، وقد تضاف الى نظره الاندلس ، بل كان الوالى بمصر قد يكون نظره شاملا لجميع بلاد المغرب حسبما نقف عليه ، فاعرف هذه الجملة ولتكن منك على بال .

وأما حال البربر بعد الاسلام فيعرف من أخبار الولاة التى نسردها الآن وبالله التوفيق .

ولاية عمرو بن العاص رضى الله عنه وفتحه برقة وطرابلس



لما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية وفرغ منهما سار فى سنة احدى وعشرين من الهجرة إلى برقة - وكانت تسمى فى القديم انطابلس - فصالحه أهلها على الجزية ، ثم سار بعدها إلى طرابلس فحاصرها شهرا ، وكانت مكشوفة السور من جانب البحر وسفن الروم فى مرساها ، فحسر الماء فى بعض الايام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين لها ، فاقتحموا البلد فيما بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ إلّا سفنهم ، وارتفع الصياح فأقبل عمرو بعساكره فدخل المدينة ولم يفلت الروم إلّا بما خف فى المراكب . ثم عطف عمرو رضى الله عنه على مدينة صبرة (١) وكانوا قد أمنوا بمنعة طرابلس واشتغال المسلمين بحصارها فصبحهم (٢) فى جيش المسلمين واقتحمها عليهم عنوة وكمل الفتح ، ورجع عمرو إلى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية ، وكان أكثر أهل برقة لواتة وهم بنو لوى الاكبر ، وأكثر أهل طرابلس وصبرة نفوسة وكلتا القبيلتين من البتر .

ولما فرغ عمرو رضى الله عنه من أمر طرابلس وما معها استأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى التقدم إلى افريقية فمنعه وقال : تلك المفرقة وليست بافريقية ، أو كلاما هذا معناه ، فامتثل وعاد إلى مصر ، فكان عمرو بن العاص أول أمير للمسلمين وطئت خيله أرض المغرب لكنه لم يصل إلى افريقية ولا كان من البرابر اسلام . غير ان صاحب كتاب الجمان نقل انه لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستفتحت مدينة مصر - وكان عليها عمرو بن العاص - قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين

---

(١) لم يسر عمرو بنفسه إلى صبرة انما بعث سرية من الجيش . (مؤلف)

(٢) وفى الاكتفاء : لما ظفر عمرو بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة صبرة وهم غافلون . (مؤلف)

الرؤوس واللحى فقال لهم عمرو من أنتم وما الذى جاء بكم ؟ قالوا رغبنا فى الاسلام فجئنا له لان جدودنا قد أوصونا بذلك ! فوجههم عمرو إلى عمر رضى الله عنهما وكتب اليه بخبرهم ، فلما قدموا عليه - وهم لا يعرفون لسان العرب - كلمهم الترجمان على لسان عمر فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نحن بنو مازيغ ، فقال عمر لجلسائه : هل سمعتم قط بهؤلاء ؟ فقال شيخ من قريش : يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بر ابن قيس بن عيلان خرج مغاضبا لابيه واخوته فقالوا برّ برّ أى أخذ البرية ، فقال لهم عمر رضى الله عنه : ما علامتكم فى بلادكم ؟ قالوا : نكرم الخيل ونهين النساء ، فقال لهم عمر : ألكم مدائن ؟ قالوا : لا ، قال ألكم أعلام تهتدون بها ؟ قالوا : لا ، قال عمر : والله لقد كنت مع رسول صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه فنظرت إلى قلة الجيش وبكيت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمر لا تحزن فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها فى الطرق ، ثم قال عمر : فالحمد لله الذى منّ علي برؤيتهم ، ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه ، وكتب إلى عمرو بن العاص أن يجعلهم على مقدمة المسلمين ، وكانوا من أفخاذ شتى اه والله أعلم .

ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح وفتحه افريقية

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى - أخاه من الرضاعة - وأمره بغزو أفريقية سنة خمس وعشرين من الهجرة وقال له : إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم ، ثم عقد عثمان لعبد الله بن نافع بن عبد قيس على جند وعبد الله بن نافع بن الحرث على آخر وسرحهما فخرجوا إلى افريقية فى عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ، ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها . ثم ان عبد الله بن

أبى سرح استأذن عثمان فى ذلك واستمده ، فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر من المدينة - وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير - وقيل لحقهم مددا - وساروا مع عبد الله بن سعد سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة ، ثم ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها ثم تجاوزوها إلى افريقية وبثوا السرايا فى كل ناحية وكان ملكهم جرجير الفرنجى يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل اليه الخراج ، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيطلة - دار ملكهم - وأقاموا يقتتلون ، ودعوه الى الاسلام أو الجزية فاستكبر . ولحقهم عبد الله بن الزبير مددا بعثه عثمان رضى الله عنه لما أبطأت عليه أخبارهم ، وسمع جرجير بوصول المدد ففت ذلك فى عضده ، وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبى سرح فسأل عنه فقيل له : انه سمع منادى جرجير يقول : « من قتل ابن أبى سرح فله مائة ألف دينار وازوجه ابنتى » فخاف وتأخر عن شهود القتال ، فقال له ابن الزبير : تنادى أنت : « بأن من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ! » فخاف جرجير أشد منه ، ثم أشار ابن الزبير على ابن أبى سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب ويقاتل الروم بباقى العسكر إلى ان يضجروا فيركبهم بالآخرين على غرة ، قال : لعل الله ينصرنا عليهم ، ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا وركبوا من الغد إلى الزوال ، وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم فى خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم ، وقتل ابن الزبير جرجير وحيزت ابنته سبية فنفلها ابن أبى سرح ابن الزبير ، ثم حاصر ابن أبى سرح سبيطلة ففتحها وخربها . وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألفا . وبث جيوشه فى البلاد إلى قفصة فسبوا وغنموا ، وبعث عسكرا إلى حصن الاجم وقد اجتمع به اهل البلاد فحاصره وفتحه على الامان ثم صالحه أهل افريقية على ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار .

وأرسل ابن الزبير بخبر الفتح وبالخمس الى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم

بخمسمائة ألف دينار وبعض الناس يقول اعطاه اياه عثمان رضى الله عنه ولا يصح ، وانما أعطى ابن أبى سرح خمس الخمس من الغزوة الاولى . وانحاز الفرنجة ومن معهم من الروم بعد الهزيمة والفتح الى حصون افريقية . وانساح المسلمون فى البسائط بالغارات ووقع بينهم وبين أهل الضواحى من البربر زحوف وقتل وسبى حتى لقد أسروا يومئذ من ملوك البربر صولات بن وزمار الزناتى ثم المغراوى - جد بنى خزر ملوك تلمسان - فرفعوه الى عثمان رضى الله عنه فاسلم على يده فمن عليه وأطلقه وعقد له على قومه ، ويقال انما وصله وافدا فأكرم وفادته والله أعلم .

ثم رغب الفرنج والبربر فى السلم وسألوا الصلح وشرطوا لابن أبى سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على ان يرحل عنهم بالعرب ويخرج من بلادهم ففعل ، ورجع المسلمون الى المشرق بعد مقامهم بافريقية سنة وثلاثة أشهر . ولما بلغ هرقل ملك الروم ان أهل أفريقية صالحوا المسلمين بذلك المال الذى أعطوه غضب عليهم ، وبعث بطريقا (١) يأخذ منهم مثل ذلك ، فنزل قرطاجنة وأخبرهم بما جاء له فأبوا وقالوا : قد كان ينبغى له أن يسعدنا فيما نزل بنا . فقاتلهم البطريق وهزمهم وطرد الملك (٢) الذى ولوه عليهم بعد جرجير ، فلحق بالشام - وقد اجتمع الناس على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه - فاستجاشه على افريقية فبعث معه معاوية بن حديج السكونى على ما نذكره .

ولايـة معاوية بن حديج على المغرب

هو معاوية بن حديج بالحاء المهملة مصغرا الكندى ثم السكونى ، له صحبة وممن شهد مع عمرو العاصى فتح مصر وقدم بخبر الفتح على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولما قدم علج افريقية على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه وشكا اليه ما ناله من

---

(١) اسمه فى تواريخ الروم نيسيفور هكذا : (Nicéphore)

(٢) اسمه جناها أو هباهيا : (Jenaha, Habahia)

صاحب قيصر بعث معه معاوية بن حديج هذا فى عسكر ضخم سنة خمس وأربعين ، فلما وصل الى الاسكندرية هلك العلج ومضى معاوية فقدم افريقية فى عشرة آلاف فنزل قمونية فسرح اليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل كان قيصر قد وجهها من القسطنطينية فى البحر لمدافعة العرب عن افريقية فلم تغن شيأ ، وقاتلهم معاوية فهزمهم عند حصن الاجم ثم بث السرايا ودوخ البلاد ، فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فافتتحها ، ثم بعث عبد الملك بن مروان الى جلولاء فافتتحها كذلك . وقال ابن خلدون : « ان معاوية حاصر حصن جلولاء (١) فامتنع عليه حتى سقط ذات يوم سوره فملكه المسلمون وغنموا ما فيه . »

ثم وجه جيشا فى البحر الى صقلية فى مائتى مركب فأتخنوا فيها ثم فتح بنزرت وظهر الاسلام فى البربر ثم عاد الى مصر بعد ان خلد آثارا حسنة ، وبنى بمحل القيروان آبارا ثم عزله معاوية بن أبى سفيان عن افريقية وأقره على مصر فقط ، ثم عزله عنها فى خبر ليس ذكره من غرضنا .

ولاية عقبة بن نافع الفهرى على المغرب وبناؤه مدينة القيروان

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشى الفهرى صحابى بالمولد وهو آخر من ولى المغرب من الصحابة ، وكان عمرو بن العاص وهو أمير على مصر قد استعمل عقبة هذا وهو ابن خالته على أفريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة ، فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى ، ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس من تخوم السودان ، وفى السنة بعدها افتتح ودان وكورا من كور السودان وأثخن فى تلك النواحى وكان له فيها جهاد وفتوح فظهر غناؤه وعرفت نجدته وكفايته ، فلما كانت سنة خمسين ولاه معاوية رضى الله عنه على افريقية استقلالا وبعث معه عشرة آلاف فارس فدخل عقبة افريقية بعد رجوع معاوية ابن حديج عنها ، وانضاف اليه مسلمة البربر فكثر جمعه ووضع السيف فى أهلها لانهم

---

(١) وهذه غير جلولاء العراق التى تقدم فتحها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا فاذا رجعوا عنها ارتدوا . ثم رأى عقبة رحمه الله أن يتخذ مدينة يعتصم بها جيش المسلمين من البربر وتقام بها الجمع والاعياد فاستشار من معه فقالوا : نحن أصحاب ابل ولاحاجة لنا بمجاورة البحر فتسطو علينا الفرنج فانظر لنا ينظر الله .

قال صاحب الجمان :« وكانت بقعة القيروان غيضة لايأوى اليها إلّا الوحوش والسباع فصاح بها عقبة : أن اخرجى أيتها الوحوش والهوام باذن الله عز وجل . فبقيت أرض القيروان أربعين سنة لايرى فيها شيء من الهوام المؤذية ولاالسباع العادية . ثم شرع فى بنائها وقال هذه أوسع لابلكم وآمن عليكم من روم القسطنطينية وافرنج الجزيرة» وعن الليث بن سعد أن عقبة رحمه الله غزا افريقية فأتى وادى القيرون (١) فبات عليه هو وأصحابه حتى اذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال : « يا أهل الوادى اظعنوا فانا نازلون » قال ذلك ثلاثا فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة - وهم قيام ينظرون اليها - من حين أصبحوا حتى أوهجتهم الشمس، وحتى لم يروا منها شيئا فنزلوا الوادى عند ذلك . قال الليث : فحدثنى زياد بن عجلان ان أهل افريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ولو التمست حية أو عقرب بالف دينار ما وجدت اه .

وفي الجمان : لما شرع عقبة رحمه الله فى بناء جامعها تنازعوا في القبلة فأتى عقبة آت فى النوم فوضع له علامة على سمت القبلة فلما انتبه أعلم الناس بذلك فأتوا الى الموضع فوجدوا العلامة كما قال فوقف عقبة ينظر الى القبلة فسمع تكبيرة فى الجو من ناحية القبلة فنظر فرأى الكعبة عيانا ورآها كل من كان حوله . وقال ابن خلدون : اختط عقبة رضى الله عنه القيروان وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم

---

(١) وفى تاريخ الفلاسفة فى ترجمة « إرستيب » منهم انه كان من مدينة القيروان من مدن برقة ، وكان هذا الفيلسوف معاصرا لافلاطون الحكيم قبل الاسكندر ، فدل هذا على أن القيروان كانت مدينة قديمة بنواحى برقة فدثرت والله أعلم . وقد ذكرت أيضا فى سفرات « بولس » واضع دين النصرانية اه . (مؤلف)

وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكملت فى خمس سنين . وكان يغزو ويبعث السرايا للاغارة والنهب ، ودخل أكثر البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين اهـ .

وقال صاحب الخلاصة النقية : اختط عقبة ابن نافع القيروان سنة خمسين وجعل دور سورها اثنى عشر ميلا وبنى بها الجامع الاعظم وقاتل البربر وشردهم ثم عزله معاوية عنها والله أعلم .

ولاية أبى المهاجر دينار وفتحه المغرب الاوسط

كان معاوية رضى الله عنه قد ولى على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد (بوزن محمد) الانصارى فاستعمل مسلمة على افريقية مولاه أبا المهاجر المذكور ويقال مولى بنى مخزوم فقدمها سنة خمس وخمسين وأساء عزل عقبة واستخف به لشىء كان بينهما وكره نزول القيروان فبنى مدينة قربها وأخلى قيروان عقبة فدعا عقبة الله تعالى أن يمكنه منه - وكان رجلا صالحا مجاب الدعوة - فاستجيب له فيه على ماذكره . ثم ان أبا المهاجر بعث حنش بن عبد الله الصنعانى - صنعاء الشام - الى جزيرة شريك وهى المعروفة الآن بالجزيرة القبلية واليها يسلك من باب الجزيرة أحد أبواب تونس فافتتحها .

وكان كسيلة (١) بن اغز البرنسى ثم الاوربى من أهل المغرب الاقصى من عظماء البربر وكان نصرانيا قد جمع الجموع من البربر والفرنج وزحف الى المسلمين ، فزحف اليهم أبو المهاجر فهزمهم حول تلمسان وتمكن من البلاد وظفر بكسيلة فأظهر الاسلام

---

(١) وسماه ابن الاثير كسيلة بن لمرم بفتح اللام والراء المهملة وبينهما ميم ساكنة وآخره ميم ، هكذا فى أسد الغابة فى ترجمة عقبة ابن نافع صفحة ٤٢١ ج ٣ . وذكر غير واحد من المؤرخين انه لمزم بالزاى المعجمة . وأما اغز فلم نر من ذكره فى التواريخ التى وقفنا عليها ولعله تصحيف .

فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه . قال ابن خلدون : لم أقف لتلمسان على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق من ان أبا المهاجر لما قدم افريقية توغل فى ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت العيون القريبة منها عيون أبى المهاجر اه . فهو أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاوسط .

ثم أن عقبة بن نافع لما قفل الى المشرق شكا الى معاوية رضى الله عنه ما ناله من أبى المهاجر فاعتذر اليه ووعده برده الى عمله ثم ولاه ابنه يزيد على المغرب سنة اثنتين وستين .

وذكر الواقدى : ان عقبة ولى المغرب سنة ست وأربعين فاختط القيروان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بابى المهاجر فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه ، فكتب اليه يزيد يأمره ببعثه فبعثه اليه ثم أعاده واليا على افريقية والله أعلم .

☆ ☆ ☆ ☆

ولاية عقبة بن نافع الثانية وفتحه المغرب الاقصى ومقتله

لما توفى معاوية بن أبى سفيان رضى عنه ولى بعده ابنه يزيد بعث عقبة بن نافع واليا على المغرب فقدمه فى التاريخ المتقدم ، واعتقل ابا المهاجر وخرب مدينته وعمر القيروان وعزم على الجهاد ، فاستخلف زهير بن قيس البلوى على القيروان - ويقال ولاه على مقدمة جيشه - وخرج فى جيش كثيف ففتح حصن لمس ومدينة باغانة المطل عليها جبل أوراس . وفتح بلاد الجريد فتحا ثانيا ، وصالح أهل فزان ، وسار إلى الزاب وتاهرت فشتت جموع البربر ومن انضم إليهم من الفرنج ؛ ثم تقدم إلى المغرب الاقصى فأثخن فى أهله إلى أن وصل إلى البحر المحيط ، فكان عقبة رحمه الله أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاقصى .

وقال ابن خلدون : قدم عقبة بن نافع المغرب فى ولايته الثانية سنة اثنتين وستين ، فاضطغن على كسيلة صحبته لابى المهاجر ونكبه . وتقدم أبو المهاجر إلى عقبة فى اصطناعه فلم يقبل ، ثم زحف إلى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوى ، فدوخه

ولقى ملوك البربر ومن انضم إليهم من الفرنجة بالزاب وتاهرت فهزمهم واستباحهم. وأذعن له يليان أمير غمارة ولاطفه وهاداه، ودله على عورات البربر وراءه بمدينة وليلى وبلاد المصامدة والسوس.

وقال صاحب الجمان: افتتح عقبة المغرب ونزل على طنجة فحاصرها، واستنزل ملكها يليان الغمارى - وكان نصرانيا - فنزل على حكمه بعد أن أعطاه أموالا جليلة. ثم أراد عقبة اللحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الاندلس، فقال له يليان: أتترك كفار البربر خلفك وترمى بنفسك فى بحبوحة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد؟ فقال عقبة: وأين كفار البربر؟ قال: ببلاد السوس وهم أهل نجدة وبأس، قال عقبة: وما دينهم؟ قال: ليس لهم دين ولا يعرفون ان الله حق، وانما هم كالبهائم. - وكانوا على دين المجوسية يومئذ - فتوجه عقبة نحوهم فنزل على مدينة وليلى بإزاء جبل زرهون وهى يومئذ من أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين: سبو وورغة. - وهذه المدينة هى المسماة اليوم فى لسان العامة بقصر فرعون - فافتتحها عقبة وغنم وسبى؛ ثم توجه إلى بلاد درعة والسوس فلقيته جموع البربر فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة، وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا وتبعوا آثارهم إلى صحراء لمتونة لا يلقاهم أحد إلّا هزموه.

ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط الغربى، فانتهى إلى بلاد آسفى؛ وأدخل قوائم فرسه فى البحر ووقف ساعة ثم قال لاصحابه: ارفعوا ايديكم، ففعلوا، وقال: «اللهم انى لم أخرج بطرا ولا أشرا وانك لتعلم انما نطلب السبب الذى طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بك شىء، اللهم انا معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الاسلام، فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاكرام.» ثم انصرف راجعا

وقال ابن خلدون أيضا: وصل عقبة إلى جبال درن وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب، وحاصروه بجبل درن فنهضت إليهم جموع زناتة - وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغراوة - فأفرجت المصامدة عن عقبة، وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام، ودوخ بلادهم، ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة

ـ أهل اللثام ـ وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية ، فأثخن فيهم وانتهى إلى تارودنت وهزم جموع البربر ، وقاتل مسوفة من وراء السوس ودوخهم وقفل راجعا.

وكان كسيلة الأوربى فى جيش عقبة قد استصحبه فى غزواته هـذه ، وكان يستهين به ويمتهنه ؛ فأمره يوما بسلخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة إلى غلمانه ، فأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه وانتهره ، فقام إليها كسيلة مغضبا وجعل كلما دس يده فى الشاة مسح بلحيته ؛ والعرب يقولون : ما هذا يابربرى ؟ فيقول : هو أجير ! فيقول لهم شيخ منهم : ان البربرى يتوعدكم . وبلغ ذلك أبا المهاجر ـ وهو معتقل عند عقبة ـ فبعث إليه ينهاه ويقول : « كان رسول صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب . وأنت تعمد إلى رجل جبار فى قومه وبدار عزه حديث عهد بالشرك فتستفسده » وأشار عليه بأن يتوثق منه وخوفه غائلته . فتهاون عقبة بقوله ، فلما قفل من غزاته هـذه وانتهى إلى طبنة من أرض الزاب ـ وكسيلة أثناء هذا كله فى صحبته ـ صرف العساكر إلى القيروان أفواجا ، ثقة بما دوخ من البلاد وأذل من البربر حتى بقى فى قليل من الجند ، فلما وصل إلى تهودة وأراد ان ينزل بها الحامية نظر إليه الفرنجة وطمعوا فيه ، فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها وراسل بنى عمه ومن تبعهم من البربر فاتبعوا أثر عقبة وأصحابه حتى إذا غشوهم بتهودة ترجل القوم وكسروا أجفان سيوفهم ونزل الصبر ، واستلحم عقبة وأصحابه فلم يفلت منهم أحد ، وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا فى مصرع واحد ، وفيهم أبو المهاجر كان عقبة قد استصحبه فى اعتقاله ـ كما قلنا ـ فأبلى رضى الله عنه فى ذلك اليوم البلاء الحسن .

قال ابن خلدون : وأجداث الصحابة رضى الله عنهم أولئك الشهداء ـ أعنى عقبة وأصحابه ـ بمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد ، وقد جعل على قبورهم أسنمة ثم جصصت ، واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة وهو فى عداد المزارات ومظان البركات بل هو أشرف مزور من الاجداث فى بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لايبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه .

وأسر من الصحابه يومئذ : محمد بن أوس الانصارى ويزيد بن خلف العبسى ونفر معهما ، ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وبعث بهم إلى القيروان .

ثم زحف كسيلة بعد الوقعة إلى جهة القيروان ، إذ هى دار الامارة بالمغرب يومئذ وبها جمهور العرب ووجوه الاسلام ، فبلغهم الخبر وعظم عليهم الامر فقام زهير بن قيس البلوى فيهم خطيبا وقال : « يا معشر المسلمين إن أصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم أو يفتح الله عليكم . » فخالفه حنش بن عبد الله الصنعانى لما علم انه لا طاقة للمسلمين بما دهمهم من أمر البربر ورأى ان النجاة بمن معه من المسلمين أولى ؛ ونادى فى الناس بالرحيل إلى مشرقهم فاتبعوه إلّا قليلا منهم ، وبقى زهير فى أهل بيته فاضطر إلى الخروج وسار إلى برقة فأقام بها مطلا على المغرب ومنتظرا للمدد من الخلفاء .

واجتمع إلى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجة وعظم أمره ؛ وتقدم إلى القيروان فاستولى عليها فى المحرم سنة أربع وستين وفر منها بقية العرب فلحقوا بزهير ولم يقم بها إلّا أصحاب الذرارى والاثقال فأمنهم كسيلة ؛ وثبتت قدمه بالقيروان واستمر أميرا على البربر ومن بقى بها من العرب خمس سنين .

وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية ، وفتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط من أرض الشام وحروب آل الزبير ؛ فاضطرب أمر الخلافة بالمشرق ، واضطرم المغرب نارا ، وفشت الردة فى زناتة والبرانس إلى أن استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة وأذهب آثار الفتنة من المشرق فالتفت إلى المغرب وتلافى أمره على ماذكره .

* * *

ذكر من دخل المغرب من الصحابة

ـ مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم ـ

فمنهم بلال بن حارث بن عاصم المزنى أبو عبد الرحمن من أهل المدينة أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم العقيق . وكان صاحب لواء مزينة يوم الفتح ، ذكره صاحب الخلاصة النقية فيمن دخل المغرب .

ومنهم جرهد بن خويلد الاسدى أو الاسلمى ، ذكر صاحب الاشراق أنه من جملة من دخل افريقية من أرض المغرب .

ومنهم جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الانصارى أخو أبى مسعود البدرى قال فى التجريد : شهد أحدا وشهد فتح مصر وصفين مع علي ، وغزا افريقية مع معاوية بن حديج سنة خمسين . وكان فاضلا من فقهاء الصحابة . روى ابن منده ومحمد بن الربيع من طريق مالك بن أبى عمران عن سليمان بن يسار أنه سئل عن النفل فى الغزو فقال : لم أر أحدا يعطيه غير ان ابن حديج نفلنا فى افريقية الثلث بعد الخمس ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الاولين ناس كثير ، فأبى جبلة بن عمرو الانصارى أن يأخذ منه شيئا .

ومنهم الحسنان رضى الله عنهما على ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا الرسول صلى الله عليه وسلم ، أشهر من أن يعرف بهما .

ومنهم الحرث بن حبيب بن خزيمة القرشى العامرى ذكره خليفة بن خياط فيمن نزل مصر من الصحابة قال : وقتل بافريقية مع معبد بن العباس بن عبد المطلب .

ومنهم حمزة بن عمرو الاسلمى ذكره فى الاشراق .

ومنهم حبان - بالكسر وموحدة - ابن أبى جبلة قال فى الاصابة : له ادراك ، قال ابن يونس : بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل مصر يفقههم ؛ وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين وقال غيره مات بافريقية .

ومنهم خالد بن ثابت العجلانى الفهمى ، قال ابن يونس : شهد فتح مصر وولى بحر مصر سنة إحدى وخمسين ، وأغزاه مسلمة بن مخلد افريقية سنة أربع وخمسين . قال فى الاصابة : « ذكرته اعتمادا على انهم كانوا لايؤمرون فى الفتوح إلّا الصحابة .»

ومنهم ربيعة بن عباد الديلى ؛ ذكره الواقدى فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب ، قال مالك : وأبوه بكسر المهملة وتخفيف الموحدة على الصواب ويقال بالفتح والتشديد ؛ ذكر خليفة وابن سعد أنه مات فى خلافة الوليد .

ومنهم رويفع بن ثابت بن السكن الانصارى ثم النجارى ولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين فغزا افريقية ؛ قال ابن يونس : توفى ببرقة - وهو أمير عليها - من قبل مسلمة ابن مخلد سنة ست وخمسين .

ومنهم زهير بن قيس البلوى أبو شداد الآتى ذكره بعد ، قال ابن يونس : يقال له صحبة .

ومنهم سفيان بن وهب الخولانى أبو أيمن له صحبة ورواية . شهد حجة الوداع وفتح مصر وافريقية وسكن المغرب . مات سنة إحدى وتسعين .

ومنهم سلكان بن مالك ، قال محمد بن الربيع ذكره الواقدى فيمن دخل مصر لغزو المغرب .

ومنهم سلمة بن الاكوع الاسلمى الصحابى المشهور ، ذكره الواقدى فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب ، مات بالمدينة سنة سبع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة وكان شجاعا راميا سابقا ، يسبق الفرس شدا على قدميه .

ومنهم العبادلة الاربعة رضى الله عنهم :

فمنهم عبد الله بن عباس ترجمان القرآن - أشهر من أن يعرف به - وهو الذى قسم غنائم افريقية يوم الفتح .

ومنهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما من أعلام الصحابة وعبادهم وزهادهم والمتمسكين بالسنة منهم رضى الله عنه .

ومنهم عبد الله بن الزبير بن العوام الشجاع المشهور والبطل المذكور ، وهو أول مولود ولد فى الاسلام بعد الهجرة ، وهو قاتل جرجير يوم الفتح كما مر .

ومنهم عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أحد أجواد الدنيا وأبطالها ذكر ابن خلدون انه ممن دخل افريقية غازيا ؛ فهؤلاء العبادلة الاربعة .

ومنهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح الامير المعروف ، وقد تقدم ذكره .

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابى المشهور ، أسلم قبل أبيه وهو أكثر الناس حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصواب أن يجعل أحد العبادلة بدل ابن جعفر والله أعلم . قال ابو هريرة رضى الله عنه : « ما كان أحد اكثر منى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » عده ابن ناجى فيمن دخل المغرب مع ابن ابى سرح .

ومنهم عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقتل بافريقية .

ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ذكره فى الخلاصة النقية ، وكان صحابيا

بالمولـد قتل يوم صفين مع معاوية .

ومنهم اخوه عاصم بن عمر وصحبته بالمولد . ذكره صاحب الخلاصة أيضا .

ومنهم عبد الله بن نافـع بن الحصين (١) وجهه عثمان رضى الله عنه مع ابن أبى سرح لشدة بطشه واصابة رأيه .

ومنهم عقبة بن نافع الفهرى الامير المشهور فاتح المغرب الاقصى وهو صاحب الترجمة .

ومنهم عثمان بن عوف المزنى على خلاف فيـه .

وأما عمرو بن العاص رضى الله عنه فقد تقدم أنه انتهى إلى طرابلس ولم يصل إلى افريقية .

ومنهم مروان بن الحكم بن أبى العاص الاموى ، ولـد بعد الهجرة بسنتين ولم تحصل له رواية لانه خرج مع أبيه إلى الطائف فأقام بـه ، ذكره صاحب الخلاصة فيمن دخل المغرب .

ومنهم مسعود بن الاسود البلوى وقيل العدوى ، قال الذهبى:«بايع تحت الشجرة» يعد فى المصريين ، وغزا افريقية .

ومنهم المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى لـه ولابيه صحبة ، قال محمد بن الربيع : دخل مصر لغزو المغرب ، مات سنة أربع وستين .

ومنهم المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى - والد سعيد بن المسيب - له ولابيه صحبة ورواية ؛ ذكره الواقدى فيمن دخل مصر لغزو المغرب .

ومنهم المطلب بن أبى وداعة القرشى السهمى ، له ولابيه صحبة وهما من مسلمة الفتح . قال محمد بن الربيع : دخل مصر لغزو المغرب فيما ذكره الواقدى .

ومنهم معاوية بن حديج السكونى أحد الامراء وقد تقدم ذكره .

ومنهم معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الذهبى: ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم واستشهد بافريقية شابا فى زمن عثمان رضى الله عنـه . وحكى المؤرخون : ان معاوية بن أبى سفيان أغزى سعيد بن عثمان بن عفان

---

(١) هذا هو الاصح لا كما تقدم فى ولاية سعد ابن أبى سرح من أنه ابن الحارث كما عند صاحب الاكتفا والطبرى .

خراسان ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب فعبر سعيد النهر الى سمرقند فاستشهد قثم بها . وكان أخوه الفضل بن عباس قد مات باجنادين من أرض الشام ، وعبد الله الترجمان مات بالطائف ، وعبيد الله الاصغر مات باليمن ، ومعبد بافريقية ؛ فقال الناس لم ير مثل بنى أم واحدة أبعد قبورا من بنى العباس .

ومنهم المقداد بن الاسود الكندى ، وليس الاسود أباه ، وانما تبناه الاسود بن عبد يغوث وهو صغير فعرف بـه ، وانما اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندى ، كان المقداد أحد السابقين شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ولم يثبت ان أحدا شهد بدرا فارساسواه ، غزا افريقيه مع ابن أبى سرح فلما رجعوا الى مصر قال له ابن ابى سرح فى دار بناها : كيف ترى ؟ فقال له المقداد : ان كان من مال الله فقد أفسدت ، وان كان من مالك فقد أسرفت ، فقال ابن أبى سرح : لولا ان يقال افسدت مرتين لهدمتها .

ومنهم المنيذر الاسلمى ، قال ابن يونس له صحبة وكان بافريقية ، وقال عبد الملك ابن حبيب لم يدخل الاندلس من الصحابة إلّا المنيذر الافريقى .

وأما المشتهرون بكنيتهم : فمنهم أبو ذؤيب الهذلى الشاعر المشهور واسمه خويلد ابن خالد أسلم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وقدم المدينة يوم وفاته فشهد السقيفة وبيعة أبى بكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ودفنه . قال ابن كثير: توفى غازيا بافريقية فى خلافة عثمان رضى الله عنه (قلت) : وهلك له خمسة أولاد بمصر بالطاعون فقال قصيدته العينية يرثيهم وهى مشهورة .

ومنهم أبو رمثة البلوى قيل اسمه رفاعة بن يثربى ، وقيل بالعكس له صحبة ورواية قال الذهبى سكن بمصر ومات بافريقية .

ومنهم أبو زمعة البلوى ، قال الذهبى اسمه عبد - وقيل عبيد بن أرقم - بايع تحت الشجرة ونزل مصر وغزا افريقية مع ابن حديج ، روى حديث الذى قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل هل من توبة ؟ مات بافريقية ودفنت معه شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما هو مشهور ، وهو صاحب المقام خارج القيروان ،

ومنهم أبو ضبيس البلوى ، قال الذهبى له صحبة ، وقال محمد بن الربيع الجيزى دخل مصر لغزو المغرب .

ومنهم أبو المبتذل خلف له صحبة ونزل افريقية : وقيل أبو المنيذ ركذا فى التجريد وغير هؤلاء ممن لم يحضرنا ذكرهم . (أخرج ابن عبد الحكم) عن سليمان بن يسار قال : غزونا افريقية مع ابن حديج ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار . اه رضى الله عنهم ونفعنابهم وحشرنا فى زمرتهم آمين



ذكر اختـــلاف العلماء فى أرض المغرب

هل فتحت[1] عنوة أو صلحا أو غير ذلك ؟

قـال الشيخ أبو الحسن القابسى رحمه الله فى شرح الموطأ فى كتاب الجهاد منه : اختلف الناس فى ارض المغرب هـل فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة : أى البعض عنوة والبعض صلحا على ثلاثة أقوال : (الاول) وهو الذى يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك انها فتحت بالسيف عنوة لانه جعل النظر فى معادنها للامام ، ولو صح ذلك لم يجز لاحد بيع شىء منها كأرض مصر لانها فتحت بالسيف . (الثانى) : انها فتحت صلحا : صالح أهلها عليها ، فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض . (الثالث) : انها مختلطة هرب بعضهم عن بعض وتركوها ، فمن بقى بيده شىء كان له وهو الصحيح والله أعلم . (ويحكى) ان أحـد عمال المنصور بن أبى عامر صاحب الاندلس حين تغلب على أرض فاس قال لهم : اخبرونى عن أرضكم أصلح هى أم عنوة ؟ فقالوا له : لاجواب لنا حتى يأتى الفقيه - يعنون الشيخ أباجيدة - فجاء الشيخ المذكور فسأله العامل فقال : ليست بصلح ولا عنوة ، إنما أسلم أهلها عليها ! فقال : خلصكم الرجل ! وأبو جيدة هذا هو دفين باب بنى مسافر أحد أبواب فاس المحروسة رحمه الله .

---

(١) انظر بسط الكلام على هذه المسألة صدر كتاب المغارسة لعبد الرحمن بن عبد القادر المجاجى فقد أجاد فيها .

ولاية زهير بن قيس البلوى على المغرب ومقتل كسيلة وما يتبع ذلك

لما استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة كان زهير مقيما ببرقة منذ مهلك عقبة بن نافع كما مر ، فبعث اليه عبد الملك بالمدد وولاه حرب البربر وأمره باستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها ، وحضه على الطلب بدم عقبة ، فراجعه زهير يعلمه بكثرة الفرنج والبربر فأمده بالمال ووجوه العرب وفرسانها . فزحف زهير الى المغرب سنة تسع وستين فى آلاف من المقاتلة . وجمع له كسيلة البرانس وسائر البربر ولقيه بممس (١) من نواحى القيروان ، واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة ، وقتل كسيلة ووجوه من معه من البربر ومن لا يحصى من عامتهم ، واتبعهم العرب الى مرماجنة ، ثم الى وادى ملوية . وفى هذه الوقعة ذل البر وفنيت فرسانهم ورجالهم ، وخضدت شوكتهم ، واضمحل أمر الفرنجة فلم يعد . وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا فلجئوا إلى القلاع والحصون ، وكسرت شوكة أو ربة من بينهم ، واستقر جمهورهم بديار المغرب الاقصى . وملكوا مدينة وليلى وكانت فيما بين موضع فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون . ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر إلى ان قدم عليهم ادريس بن عبد الله رضى الله عنه فقاموا بدعوته على ما نذكره إن شاء الله .

وأما زهير فانه لما رأى ما منحه الله من الظفر والنصر ، وساق اليه من العز والملك خشى على نفسه الفتنة - وكان من العباد المخبتين - فترك القيروان آمن ما كانت وارتحل إلى المشرق ، وقال : إنما جئت للجهاد فى سبيل الله ! وأخاف على نفسى أن تميل إلى الدنيا ! فلما وصل إلى برقة وجد اسطول الروم على قتالها فى جموع عظيمة من قبل قيصر وبأيديهم أسرى من المسلمين ، فاستغاثوا به وهو فى خف من اصحابه ، فصمد اليهم فيمن معه ، وقاتل الروم حتى قتل وقتل معه جماعة من أشراف أصحابه ، ونجا الباقون إلى دمشق فأخبروا الخليفه عبد الملك بما وقع فآسفه ذلك .

---

(١) وضبطها ياقوت مَمسى (بفتح الميم الاولى وسكون الثانية وفتح السين) ونقله التاج .

ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه قرطاجنة



لما رحل زهير بن قيس الى المشرق واستشهد ببرقة كما قدمنا اضطربت بلاد المغرب بعده واضطرمت بها نار الفتن ، وافترق أمر البربر وتعدد سلطانهم فى رؤسائهم . وكان من أعظمهم شوكة يومئذ الكاهنة داهيا الزناتية ثم الجراوية صاحبة جبل أوراس وكبيرة قومها جراوة والبتر . فبعث عبد الملك بن مروان الى عامله على مصر حسان بن النعمان الغسانى - وكان يقال له الشيخ الامين - يأمره أن يخرج الى جهاد البربر ، وبعث اليه بالمدد فزحف اليهم سنة تسع وستين فى أربعين ألف مقاتل ، ولما دخل القيروان سأل الافارقة عن أعظم ملوكهم فقالوا : صاحب قرطاجنة وهى المدينة العظمى قريعة رومة وضرتها واحدى عجائب الدنيا ، وكان بها يومئذ من جموع الفرنج أمم لاتحصى ، فصمد اليها حسان وافتتحها وقتل أكثر من بها ونجا فلهم فى المراكب الى صقلية والاندلس . ولما انصرف حسان عنها دخلها أقوام من أهل الضواحى والبادية وتحصنوا بها فرجع إليهم وقاتلهم أشد قتال ، فافتتحها عنوة وأمر بتخريبها واعفاء رسمها وكسر قنواتها فذهبت كأمس الدابر ، ولم يبق بها الآن إلّا آثار خفية تدل على ما كان بها من عجيب الصنعة واحكام العمل . وبأنقاضها عمرت مدينة تونس كما فى القاموس .

ثم بلغ حسان أن البربر والفرنج قد عسكروا فى جموع عظيمة ببلاد صطفورة وبنزرت ، فصمد إليهم وهزمهم وشرد بهم من خلفهم وانحاز فلهم إلى باجة وبونة . ورجع حسان إلى القيروان فأراح بها أياما ثم سأل عن بقية الملوك المخالفة ، فدلوه على الكاهنة داهيا وقومها جراوة وهم ولد جراو بن الديديت بن زانا ، وزانا هو أبو زناتة وكان لهذه الكاهنة بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم واعتزت على قومها بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت إليها رياستهم ووقفوا عند اشارتها . قال هانئ بن بكور الضريسى : ملكت عليهم خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة وكان قتل عقبة بن نافع وأصحابه فى البسيط قبلة جبل أوراس باغرائها برابرة الزاب

عليه ، وكان المسلمون يعرفون ذلك منها ، فلما قتل كسيلة وانفضت جموع البربر رجعوا إلى هذه الكاهنة بمعتصمها من جبل أوراس ، وقد انضم إليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البتر ؛ فسار إليها حسان حتى نزل وادى مليانة وزحفت هى إليه ، فاقتتلوا بالبسيط أمام جبلها قتالا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسر خالد بن يزيد القيسى فى ثمانين رجلا من وجوه العرب . ولم تزل الكاهنة والبربر فى اتباع حسان والعرب حتى اخرجوهم من عمل قابس ، ولحق حسان بعمل طرابلس فلقيه هنالك كتاب عبد الملك يأمره بالمقام حيث يصله كتابه ، فأقام ببرقة وبنى قصوره المعروفة لهذا العهد بقصور حسان . ثم رجعت الكاهنة إلى مكانها من الجبل وأطلقت أسرى المسلمين سوى خالد فانها اتخذت عنده عهدا بارضاعه مع ولديها وصيرتة أخا لهما ، وأقامت فى سلطان افريقية والبربر خمس سنين بعد هزيمة حسان . ونفت العرب عن بلاد المغرب ، وقالت لقومها : « انما تطلب العرب من المغرب مدنه وما فيها من الذهب والفضة ، ونحن انما نريد المزارع والمراعى فالرأى ان نخرب هذه المدن والحصون ونقطع اطماع العرب عنها .

قال ابن خلدون : وكانت المدن والضياع من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا فى قرى متصلة فخربت الكاهنة ديار المغرب ، وعضدت أشجاره ومحت جماله ، وجاست بالفساد خلاله . فشق ذلك على البربر واستأمنوا الى حسان ، وكان عبد الملك قد بعث اليه بالمدد فأدنهم ووجد السبيل الى تفريق أمرها ، ثم دس إلى خالد بن يزيد يستعلمه أمرها فاطلعه على كنه خبرها واستحثه ، فزحف الى المغرب سنة أربع وسبعين ، وبرزت اليه فاوقع بها وبجموعها وقتلها واحتز رأسها عند البئر المعروفة بها لهذا العهد من جبل أو راس ، ثم اقتحم الجبل عنوة واستلحم فيه زهاء مائة ألف من البربر ، واستأمن اليه باقيهم على الاسلام والطاعة ، وشرط عليهم حسان أن يكون معه منهم اثنا عشر ألفا لا يفارقونه فى مواطن جهاده ، فأجابوا وأسلموا وحسن اسلامهم ، وعقد للاكبر من ولدى الكاهنة على قومه من جراوة وعلى جبل أوراس ، فقالوا قد لزمتنا له الطاعة وسبقنا اليها وبايعناه عليها ، وكان ذلك باشارة من الكاهنة لاثارة من علم كانت لديها بذلك من شياطينها .

وانصرف حسان الى القيروان مؤيدا منصورا وثبت ملكه واستقام امره ، فدون

الدواوين وكتب الخراج على عجم أفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر . ثم أوعز إليه الخليفة عبد الملك باتخاذ دار الصناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الاول من بنى الاغلب على يد أسد بن الفرات - شيخ الفتيا وصاحب الامام ابن القاسم - بعد ان كان معاوية ابن حديج أغزى صقلية أيام ولايته على المغرب فلم يفتح الله عليه ، وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده ابن الفرات كما قلنا . واستمر حسان واليا على المغرب الى ان عزله عبد العزيز بن مروان صاحب مصر وكان أمر المغرب اذ ذاك اليه ، فاستخلف حسان على المغرب رجلا من جنده اسمه صالح ، وارتحل الى المشرق بما جمعه من ذريع المال ورائع السبى ونفيس الذخيرة . فلما انتهى الى مصر أهدى الى عبد الله مائتى جارية من بنات ملوك الفرنج والبربر فلم يقنعه ذلك وانتزع كثيرا مما بيده . ولما قدم على الخليفة بدمشق وهو يومئذ الوليد بن عبد الملك شكا اليه ما صنع به عمه عبد العزيز فغاظه ذلك وانكره ، ثم أهدى اليه حسان من غريب النفائس التى أخفاها عن عبد الله ما استعظمه الوليد وشكره عليه ووعده برد الى عمله ، فحلف حسان أن لا يلى لبنى أمية عملا أبدا .

وذكر البكرى ان حسان بن النعمان هذا هو فاتح تونس . وقال غيره بل فاتحها زهير بن قيس البلوى . ولم تتوفر الدواعى على تحقيق ذلك لانها لم تكن يومئذ قاعدة ملك وانما عظم أمرها فى دولة الحفصيين فمن بعدهم والله تعالى أعلم .

*** ** ***

ولاية موسى بن نصير على المغرب وفتحه الاندلس

لما ارتحل حسان بن النعمان الى المشرق اختلفت أيدى البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب ، فكثرت الفتن وخلت أكثر البلاد حتى قدم موسى بن نصير فتلافى أمرها ولم شعثها .

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى جذوة المقتبس : ولى موسى بن نصير افريقية

والمغرب سنة سبع وسبعين. وقال غيره سنة سبع وثمانين (١) .

وقال ابن خلكان : كان موسى بن نصير من التابعين . وروى عن تميم الدارى رضى الله عنه : وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا متقيا لله تعالى لم يهزم له جيش قط . ولما قدم المغرب وجد أكثر مدنه خالية لاختلاف أيدى البربر عليها وكانت البلاد فى قحط شديد فامر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين ، وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات ففرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج ، وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب النـاس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيـل له ألاتدعو لامير المؤمنين ؟ فقال هذا مقام لا يدعى فيه غير الله عز وجل ، فسقوا حتى رووا . (وقال ابن خلدون) : كتب الخليفة الوليد بن عبد الملك الى عمه (٢) عبـد الله ابن مروان وهو على مصر - ويقال عبد العزيز - ان يبعث بموسى بن نصير الى أفريقية وكان أبوه نصير من حرس معاوية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعزله ورأى أن البربر قد طمعت فى البلاد فوجه البعوث فى النواحى ، وبعث ابنه عبد الله فى البحر الى جزيرة ميورقة فغنم وسبى وعاد . ثم بعثه الى ناحية أخرى وبعث ابنه مروان كذلك وتوجه هو الى ناحية فغنموا وسبوا وعادوا وبلغ الخمس من المغنم سبعين ألف رأس من السبى .

قال أبو شبيب الصدفى : لم يسمع فى الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ، ونقـل الكاتب أبو اسحق ابراهيم بن القاسم القروى المعروف بابن الرقيق : ان موسى بن نصير لما فتح سقوما كتب الى الوليد بن عبد الملك : انه صار لك من سبى سقوما مائة ألف رأس !

---

(١) وفى بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الـواد : سنة ٨٣ ص ٧٧ طبـع الجزائر سنة ١٣٢١ ـ ١٩٠٣ .

(٢) صوابه أخيه عبد الله بن عبد الملك لانه هو الذى كان واليا على مصر زمن خلافة الوليد . وأما عبد العزيز بن مروان عم الوليد فقد كان واليا على مصر قبل عبد الله بن عبد الملك ، وتوفى فى اواخر خلافة أخيه عبد الملك كما يعلم ذلك من مراجعة اصول التاريخ خصوصا تواريخ مصر ، وكتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة والله أعلم .

فكتب اليه الوليد : ويحك انى أظنها من بعض كذباتك ، فان كنت صادقا فهذا محشر الامة .

ثم خرج موسى غازيا أيضا ، وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وتوغل فى جهات المغرب حتى انتهى الى السوس الادنى ، ثم تقدم الى سبتة فصانعه صاحبها يليان الغمارى بالهدايا وأذعن للجزية - وكان نصرانيا - فاقره عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا لموسى وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم . (وقال ابن خلدون أيضا) : غزا موسى بن نصير طنجة وافتتح درعة وصحراء تافيلالت وأرسل ابنه الى السوس فاذعن البربر لسلطانه وأخذ رهائن المصامدة فانزلهم بطنجة وذلك سنة ثمان وثمانين وولى عليها طارق بن زياد الليثى . قال: وأنزل معه سبعة وعشرين ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه . قال : ثم أسلم بقية البربر على يد اسمعيل بن عبيد الله ابن أبى المهاجر سنة احدى ومائة أيام عبد العزيز رضى الله عنه اه .

ولما استقرت القواعد لموسى بالمغرب كتب الى طارق - وهو بطنجة - يأمره بغزو الاندلس فغزاها فى اثنى عشر ألفا من البربر وخلق يسير من العرب ، وعبر البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء (١) وصعد الجبل المنسوب اليه - المعروف اليوم بجبل طارق - يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة . وذكر عن طارق انه كان نائما وقت العبور فى المركب فرأى النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالفتح ، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد . ذكر ذلك ابن بشكوال .

وقال ابن خلدون فى اخبار الاندلس : ان أمة القوط ملكوا جزيرة الاندلس نحو أربعمائة سنة الى ان جاء الله بالاسلام والفتح ، وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق

---

(١) قال صاحب المعجب : فأول موضع نزله فيما يقال منها المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء اليوم نزلها قبيل الفجر وصلى بها الصبح بموضع منها وعقد الرايات لاصحابه فبنى بعد ذلك هناك مسجد وعرف بمسجد الرايات .

- وهوسمة ملوكهم كجرجير سمة ملوك صقلية - وكانت لهم خطوة وراء البحر فى هذه العدوة الجنوبية خطوها من زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم . وكان ملك البربر بذلك القطر الذى هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان وكان يدين بطاعتهم وبملتهم ، وموسى بن نصير - أمير العرب اذ ذاك - عامل بافريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان ، وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ أقطاره وأوغل فى جبال طنجة حتى وصل الى خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام ، وخلف مولاه طارق بن زياد واليا بطنجة وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط بالاندلس فعلة فعلها - زعموا - بابنته الناشئة فى داره على عادتهم فى بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق فاخذ ابنته منه .

قلت : يعنى انه كان من عادة أكابر العجم بالاندلس ان يبعثوا أولادهم الذين يريدون التنويه بهم الى دار الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا فى خدمته ويتأدبوا بآدابه وينالوا من كرامته ، حتى اذا بلغوا أنكح بعضهم بعضا وتحمل صدقاتهم ، وتولى تجهيز اناثهم استئلافا لآبائهم . فاتفق ان فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة - وكان أهلها نصارى - فبعث بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه الى دار لذريق ، فوقعت عينه عليها فاعجبته وأحبها ، ولم يتمالك ان استكرهها فافتضها ، فاحتالت حتى أعلمت أباها سرا فأحفظه ذلك وحمى أنفه وقال : « ودين المسيح لأزيلن ملكه ، ولا حفرن ماتحت قدميه » فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب فى فتح الاندلس مع سابق القدر . ثم ان يليان عبر البحر من سبتة فى صنبر قلب الشتاء وأصعب الاوقات ، فقدم طليطلة واجتمع بالملك فأنكر مجيئه فى ذلك الوقت وسأله عن السبب ، فذكر خيرا واعتل بان زوجته قد اشتد شوقها الى رؤية ابنتها ، وانه أحب اسعافها بطلبتها ، وسأل الملك تمكينه منها وتعجيل سراحه الى عمله ، ففعل وأحسن جائزة الجارية ، وتوثق منها بالكتمان ، وأفضل على أبيها وانقلب راجعا . وذكروا انه لما ودعه قال له لذريق : اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات التى لم تزل تطرفنا بها فانها آثر جوارحنا لدينا - يعنى بذلك طيورا فارهة كانت تتخذ للاصطياد - فقال له . « أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذانقات مادخل عليك مثلها قط » يعرض له بما أضمره من ادخال العرب

عليه . ثم لحق يليان بطارق بن زياد وهو بطنجة فكشف له عورة القوط ، فانتهز طارق الفرصة لوقته وأجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير فى نحو ثلاثمائة من العرب ، واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف ، وصيرهم عسكرين : أحد هما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به . والآخر على طريف بن مالك النخعى ونزل بمكان مدينة طريف فسميت به ، وأداروا الاسوار على أنفسهم للتحصن . وبلغ الخبر لذريق فنهض اليهم يجر أمم الاعاجم وأهل ملة النصرانية فى زهاء أربعين ألفا ، فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونفلهم أموال أهل الكفر ورقابهم . وكتب طارق الى موسى بالفتح والغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير اذنه ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج معه حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى . ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين فى عسكر ضخم من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر ، فوافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس ، وتلقاه طارق فانقاد واتبع . ويقال ان موسى لما سار الى الاندلس عبر البحر اليها من ناحية الجبل المنسوب اليه - المعروف اليوم بجبل موسى - وتنكب النزول على جبل طارق وتمم الفتح وتوغل فى الاندلس الى برشلونة فى جهة الشرق وأربونة فى الجوف وصنم قادس فى الغرب ، ودوخ أقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروب الاندلس ودروبه ويخوض اليه ما بينهما من بلاد الاعاجم وأمم النصرانية ، مجاهدا فيهم ومستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة من دمشق . ونمى الخبر الى الخليفة الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما همّ به موسى تغرير بالمسلمين ، فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ، وأسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع هو ، وكتب له بذلك عهده ، ففت ذلك فى عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد ان أنزل الرابطة والحامية بثغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لسدها وجهاد عدوها وأنزله بقرطبة فاتخذها دار امارة . واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين ، وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر ، يقال ان من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبى .

وولى على افريقية ابنه عبد الله واندرجت ولاية الاندلس يومئذ فى ولاية المغرب ، فكان صاحب القيروان ناظرا فى الجميع . وقدم موسى على سليمان بن عبد الملك ـ وقد ولى الخلافة بعد الوليد ـ فسخطه ونكبه . وثارت عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز فقتلوه لسنتين من ولايته باغراء الخليفة سليمان . وكان خيرا فاضلا . وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة . وكان الذى تولى قتله حبيب بن أبى عبيدة الفهرى . وكان سبب غضب سليمان على موسى : انه لما توجه الى المشرق وانتهى الى مصر وصل أشرافها وفقهاءها وبلغه الخبر بمرض الوليد ووافاه كتابه يستحثه على القدوم ، ووافاه كتاب آخر من أخيه سليمان يثبطه فاسرع موسى اللحاق بالوليد فقدم عليه قبل وفاته بثلاثة أيام ، ودفع اليه مامعه من الذخائر والاموال ، فغاظ ذلك سليمان وأساء مكافأته حين أفضى الامر اليه فنكبه ونكب آل بيته أجمع . وكانت وفاة موسى رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ثمان وتسعين وقيل غير ذلك .

قال الشيخ أبو محمد بن أبى زيد القيروانى : ارتدت البربر اثنتى عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة ، ولم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر إلى الاندلس وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد ، فاستقروا هنا لك فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ، وتناسوا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية بعد على ما نذكره .

ولاية محمد بن يزيد على المغرب

لما ارتحل موسى بن نصير الى المشرق ونكبه الخليفة سليمان كما قلنا عزل ابنه عبد الله عن المغرب وولى مكانه محمد بن يزيد مولى قريش ويقال مولى الانصار . فقدم القيروان سنة سبع وتسعين ، وكان سليمان قد أمره باستئصال آل موسى بن نصير واصطلام نعمتهم فاتى على ذلك . ثم لما قتل أهل الاندلس أميرهم عبد العزيز بن موسى ولوا عليهم أيوب

ابن حبيب اللخمى - وهو ابن أخت موسى - فوجه محمد بن يزيد الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفى واليا من قبله على الاندلس فقدمها واستقر أميرا بها سنتين وثمانية أشهر. قالوا وكان محمد بن يزيد هـذا عادلا حسن السيرة ، قاتل المخالفين بثغور المغرب وغنم وسبى ولم يزل واليا عليه حتى مات سليمان . فكانت ولايته سنتين وأشهرا والله أعلم.

ولايـة اسمعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر على المغرب

لما توفى سليمان بن عبد الملك رحمه الله وولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه استعمل على المغرب اسمعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم ، فقدم القيروان سنة مائة وكان خير أمير وخير وال ، لم يزل حريصا على دعاء البربر إلى الاسلام حتى تم اسلامهم على يده وبث فيهم من فقههم فى دينهم .

وذكر أبو العرب (١) محمد بن أحمد بن تميم فى تاريـخ افريقية ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب فى الدين منهم : حبان بن أبى جبلة (٢) .

ولما توفى عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة وبويـع يزيد بن عبد الملك ، وجه يزيد بن أبى مسلم الثقفى واليا على المغرب على ما نذكره .

---

(١) هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمى ، ولد بالقيروان أواسط القرن الثالث . ومات سنة ٣٣٣ . له كـتاب « طبقات علماء افريقية » . وقد ذيل هذا التأليف محمد بن الحارث بن اسد ، ولابى العرب أيضا كتاب التاريخ فى سبعة عشر جزءا . اهـ . انظر ترجمته فى معالم الايمان جزء ثالث صفحة ٤٢ وما بعدها . وفى المدارك لعياض أيضا .

(٢) القرشى مولاهم المصرى ، توفى بافريقية سنة ١٢٢ للهجرة .

ولايـة يزيد بن أبى مسلم على المغرب

هو يزيد بن أبى مسلم دينار – مولى الحجـاج بن يوسف الثقفى الظالم المشهور – وكان يزيد هذا كاتبه وصاحب شرطته . قال ابن خلكان : « كانت فيه كفاية ونهضة قدمه الحجاج بسببهما »

وكان من خبره ان الحجاج لما حضرته الوفاة استخلف يزيد هذا على خراج العراق ، فأقره الوليد بن عبد الملك واغتبط به ، وقال :« ما مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم بعده إلّا كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا »

ولمـا مات الوليد وولى بعده أخوه سليمان عزل ابن أبى مسلم وأمر به فأحضر بين يديه فى جامعة - وكان رجلا قصيرا دميما قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين - فلما نظر اليه سليمان قال : « أنت يزيد بن أبى مسلم ؟ » قال : « نعم أصلح الله أمير المؤمنين » قال : « لعن الله من أشر كك فى أمانته ! وحكمك فى دينه ! » قـال : « لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتنى والامر عنى مدبر ! ولو رأيتنى والامر على مقبل لا ستعظمت ما استصغرت ! ولاستجللت ما احتقرت !» . فقال . سليمان : « قاتله الله فما أربط جأشه ! وأعضب لسانه !» ودارت بينه وبين سليمان محاورات غير هذه ، ثم كشف عنه فلم يجد عليه خيانة فهم باستكـتابه فقال عمر بن عبـد العزيز : « أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تحيى ذكر الحجاج باستكتاب كاتبه » فقال : « انى كشفت عنه فلم اجد عليه خيانة يا أبا حفص! » فقال عمر : « أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه » فقال سليمان : « من هو ؟ » قال : « ابليس ما مس دينارا ولا درهما قط وقد أهلك هذا الخلق! » فتركه سليمان

وحدث جويرية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة بلغه أن يزيد بن أبى مسلم خرج فى جيش من جيوش المسلمين ، فكتب الى عامل الجيش برده وقال : « انى لاكره ان أستنصر بجيش هو فيهم » فلما توفى عمر رضى عنه وأفضت الخلافة الى يزيد ابن عبد الملك عزل اسماعيـل بن عبيـد الله عن المغرب وولى مكانه يزيد بن أبى مسلم فأساء السيرة ، قالوا : ووجه عنبسة بن سحيم الكلبى واليا من قبله على الاندلس فاستقام

على يده أمرها . ثم ثار أهل المغرب بابن أبى مسلم فقتلوه سنة ثنتين ومائة لشهر من ولايته

قال الطبرى: وكان سبب ذلك انه كان قد عزم ان يسير فى أهل المغرب بسيرة الحجاج فى أهل العراق ، فان الحجاج كان وضع الجزية على رقاب الذين أسلموا من أهل السواد وأمر بردهم الى قراهم ورساتيقهم على الحالة التى كانوا عليها قبل الاسلام ، فلما عزم يزيد على ذلك تآمر البربر فيه وأجمعوا على قتله فقتلوه وولوا عليهم محمد بن يزيد الذى كان قبله فيما ذكره الطبرى - وكان غازيا بصقلية - فلما قدم بمغانمه ولوه أمرهم . (وقال ابن عساكر) : « ولوا بعده اسماعيل بن عبيد الله » والله أعلم .

ثم كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد : « انا لم نخلع يدا من طاعة ، ولكن يزيد ابن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى به الله ورسوله . فقتلناه وأعدنا عاملك. » فكتب اليهم يزيد : « انى لم أرض ما صنع ابن أبى مسلم » وأقر محمد بن يزيد على المغرب وذلك فى سنة اثنتين ومائة كما قلنا .

وحدث الوضاح بن أبى خيثمة - وكان حاجب عمر بن عبد العزيز - قال : « أمرنى عمر بن عبد العزيز - يعنى فى مرض موته - باخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبى مسلم فأخرجتهم وتركته فحقد علي . فلما مات عمر هربت الى أفريقية خوفا منه . » قال : « فبينا أنا بافريقية اذ قيل قدم بن أبى مسلم واليا . فاختفيت فأعلم بمكانى وأمر بى فحملت اليه ، فلما رآنى قال : « طالما سألت الله تعالى ان يمكننى منك » فقلت : « وأنا والله لطالما سألت الله ان يعيذنى منك » فقال : « ما أعاذك الله ، والله لاقتلنك ولو سابقنى فيك ملك الموت لسبقته » ثم دعا بالسيف والنطع فاتى بهما وأمر بالوضاح فاقيم عليه مكتوفا وقام السياف وراءه ، ثم أقيمت الصلاة فتقدم يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف ، ودخل على الوضاح من قطع كتافه وأطلقه فسبحان اللطيف الخبير .



ولايـة بشر بن صفوان على المغرب



لما كتب أهل المغرب إلى الخليفة يزيـد بن عبد الملك بما كان منهم إلى ابن أبى مسلم وما اعتذروا به فى شأنه ، أقر عليهم محمد بن يزيد أو إسمعيل بن عبيـد الله على الخلاف المتقدم ما شاء الله . ثم ولى عليهم بشر بن صفوان الكلبى - وكان واليا على مصر - فقدم القيروان سنة ثلاث ومائة فمهد المغرب وسكن أرجاءه واستصفى بقايا آل موسى بن نصير . ثم وفد على يزيد بن عبد الملك فوجده قد مات ، وبويع هشام ابن عبد الملك فرده هشام إلى عملـه من المغرب فاستقر بالقيروان واستدعى منه أهل الاندلس واليا يقوم بأمرهم - وذلك بعد مقتل عنبسة بن سحيم الكلبى شهيدا فى بعض غزوات الفرنج - فولى عليهم يحيى بن سلمة الكلبى فقدم الاندلس آخر سنة سبع ومائة فأصلح شأنها . ثم غزا بشر بن صفوان صقليـة بنفسه سنة تسع ومائة فأصاب سبيا كثيرا ورجع إلى القيروان منصورا فكانت منيته عقب ذلك .



ولايـة عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب



لمـا توفى بشر بن صفوان وانتهى الخبر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ولى على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمى وهو ابن اخى ابى الاعور السلمى وقيل ابن ابنه فقدم القيروان سنة عشر ومائة ، ونظر فى أمر المغرب والاندلس معا ، وولى من قبله على الاندلس ولاة أربعة واحدا بعد واحد وهم : عثمان بن أبى نسعة الخثعمى وحذيفـة ابن الاحوص القيسى والهيثم بن عبيد الكلابى ومحمد بن عبد الله الاشجعى . وكان عبيدة ابن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبله وعذبهم ، فكتب بعضهم بذلك إلى الخليفة هشام فعزله لاربع سنين وستة أشهر من ولايته .

ولاية عبيد الله بن الحبحاب على المغرب



عبيد الله هذا هو مولى بنى سلول ، وكان رئيسا نبيلا وأميرا جليلا وخطيبا مصقعا ، ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن عنه ، وأمره أن يمضى اليه (١) من مصر ، فاستخلف عبيد الله على مصر ابنه أبا القاسم وسار الى المغرب ، فقدم القيروان فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة (٢) ومائة ، واستعمل عمر بن عبيد الله المرادى على طنجة والمغرب الاقصى ، واستعمل ابنه اسمعيل بن عبيد الله معه على السوس وما وراءه ، واستعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فكانت له فى الفرنجة وقائع ، وأصيب جيشه فى رمضان من السنة المذكورة فى موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة (٣)

ثم ولى عبيد الله على الاندلس عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بعده عقبة بن الحجاج السلولى فكان محمود السيرة وتمكن سلطان عبيد الله بالمغرب وبنى جامع الزيتونة بتونس ، لكن صحح صاحب المؤنس ان أول مختط للجامع المذكور حسان بن النعمان وتممه عبيد الله هذا . واتخذبها دار صناعة لانشاء المراكب البحرية . ثم بعث حبيب بن أبى عبيدة

---

(١) اصل ما ذكره المؤلف هنا من كون ابن الحبحاب كان واليا على مصر لابن خلدون فى الجزء الرابع صحيفة ٨٩١ من المطبعة المصرية وكذلك لابن الاثير فى سنة ١٣١ والعجب ان مورخى مصر لم يعدوه فى ولاة مصر .

(٢) الذى عند ابن الاثير صاحب الخلاصة النقية سنة ست عشرة ومائة .

(٣) هذه الغزوة هى المعروفة عند الافرنج بمعركة (بواتيى Poitiers) سنة ٧٣٢ ميلادية الموافقة للتاريخ الهجرى المذكور عند المؤلف وذلك ان العرب لما فتحوا اسبانيا تجاوزوا جبال البيرينى ودخلوا فرنسا واحتلوا بوردو وتوغلوا فيها حتى وصلوا الى ضفاف نهر لوار وامتلكوا عدة مدن مهمة كليون وديجون وبلفور ، ولم يقدر أود دوق أوكيتانيا على مقاومتهم اذ ذاك فاستعان عليهم بشال مارتيل احد ملوك العائلة الكرولانجية فحاربهم بالمحل المذكور اعلاه وقتل امير جيشهم عبد الرحمن الغافقى المذكور كما عند المؤلف ـ

ابن عقبة بن نافع الفهرى غازيا أرض المغرب فانتهى الى السوس الاقصى وقاتل مسوفة ثم تخطاهم الى تخوم السودان وأصاب من مغانم الذهب والفضة والسبى شيئا كثيرا ، ودوخ بلاد البربر وقبائلها ورجع . ثم أغزاه ثانية جزيرة صقلية فركب البحر اليهم سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب فنازل سرقوسة أعظم مدن صقلية وضرب على أهلها الجزية وأثخن فى سائر الجزيرة .

وكان عمر بن عبيد الله فى هذه المدة بطنجة قد أساء السيرة فى برابرة المغرب الاقصى وأراد أن يخمس من أسلم منهم وزعم انه الفىء ، فنفرت قلوب البربر عنه وأحسوا بانهم طعمة للعرب ، وثقلت عليهم وطأة عمال ابن الحبحاب جملة بما كانوا يطالبونهم به من الوظائف البربرية مثل الادم العسلية الالوان وأنواع طرف المغرب ، فكانوا يتغالون فى جمع ذلك وانتخابه حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك ذبحا لا تخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلّا الواحد وما قرب منه ، فكثر عيثهم بذلك فى أموال البربر فاجمعوا الانتقاض ، وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن أبى عبيدة الى صقلية فجرأهم ذلك على مرادهم ، وثار ميسرة المضغرى باحواز طنجة على ماذكره .

وكانت بدعة الخارجية يومئذ قد سرت فى البربر وتلقنها رؤوسهم عن عرب العراق الساقطين الى المغرب نزعوا بها الى الاطراف داعين أغمار الامم اليها عسى أن تكون لهم دولة ، فاستحكمت صبغتها فى طغام البربر ووشجت فيهم عروقها فكان ذلك من أقوى البواعث والاسباب فى خرق حجاب الهيبة على الخلفاء وانتقاض البربر على العرب ومزاحمتهم لهم فى سلطانهم .

ـ وبعد المعركة انسحب العرب تحت جناح الظلام راجعين الى الاندلس وتركوا محلتهم واخبيتهم بيد الافرنج فارغة ، فلما اصبحوا استولوا عليها وكانت هذه الوقعة آخر عهد العرب بفرنسا وصرفوا وجهتهم عن زيادة التوغل فى فتح اوروبا من هذه الناحية . وتفاصيل هذه المعركة مبسوطة فى تواريخ الاروباويين ـ وخصوصا الفرنسويين منهم ـ لانها كانت فى بلادهم فليرجع اليها من اراد زيادة استيعاب الكلام عليها .

ولنذكر هنا أصل الخوارج وفرقهم على الجملة ثم نعود الى موضوعنا الذى كنا فيه فنقول : قد تقدم لنا فى خلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه ما كان من أمر التحكيم وما نشأ عنه من خروج طائفة من القراء عليه وقالوا : « حكمت الرجال فى دين الله ! ولا حكم إلّا لله ! » وأن عليا رضى الله عنه استأصلهم بالنهروان فقال له بعد اصحابه : « قد قطع الله دابرهم آخر الدهر » فقال علي رضى الله عنه : « والذى نفسى بيده انهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء ! لاتخرج خارجة إلّا خرجت بعدها مثلها ! » فصدق الله قول علي ونبعت منهم طوائف بالعراق وغيره وتكرر خروجهم على الخلفاء وشرى داؤهم وأعيى دواؤهم وتعددت فرقهم ومذاهبهم .

قال ابن خلدون : افترقت الخوارج على أربع فرق :

الاولى : الازارقة أصحاب نافع بن الازرق الحنفى ، وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض ، يعنى : القتل من غير سؤال عن حال أحد ، وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفارا .

الثانية النجدية : ويقال لهم : النجدات أصحاب نجدة بن عامر الحنفى وهم بخلاف الازارقة فى ذلك كله .

الثالثة الاباضية : أصحاب عبد الله بن اباض التميمى ثم الصريمى ، وهم يرون ان المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين فلا ينتهون الى الرأى الاول ، ولا يقفون عند الثانى ، ولا يحرمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ، وهم عندهم كالمنافقين ، ومن هؤلاء : البيهسية : أصحاب أبى بيهس هيصم بن جابر الضبعى .

الرابعة الصفرية : وهم موافقون للاباضية إلّا فى القعدة ، يعنى : الذين يقعدون عن القتال معهم فان الاباضية أشد على القعدة منهم ، وربما تشعبت هذه الآراء بعد ذلك .

واختلف فى تسمية الصفرية فقيل نسبوا الى عبد الله بن صفار الصريمى ، وقيل اصفروا بما نهكتهم العبادة . وفى القاموس الصفرية بالضم ويكسر قوم من الحرورية نسبوا الى عبد الله بن صفار ككتان ، أو الى زياد بن الاصفر أو الى صفرة ألوانهم أو لخلوهم من الدين . اهـ .

وقد كانت الخوارج من قبل هذا الافتراق على رأى واحد لايختلفون إلّا فى الشاذ

من الفروع . وفى أصل افتراقهم مكاتبات بين نافع بن الازرق وأبى بيهس وعبد الله بن إباض ذكرها المبرد فى الكامل فلتنظر هنالك .

وكانت خوارج المغرب إباضية وصفرية ، فلما كانت ولاية عبيد الله بن الحبحاب ونال عماله من البربر ما نالوا من الجور والعسف انتقضوا عليه وثار ميسرة المضغرى - المعروف بالخفير - باحواز طنجة ، ومضغرة بطن من بنى فاتن بن تامصيت بن ضرى ابن زجيك بن مادغيس الابتر . وكانوا على رأى الصفرية ، وكان شيخهم ميسرة المذكور مقدما فى ذلك المذهب ، فحمل البربر على الخروج عن الطاعة وزحف الى عمر بن عبيد الله بطنجة فقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة وولى عليها من قبله عبد الاعلى بن جريج الافريقى - رومى الاصل ومولى للعرب - كان امام الصفرية فى انتحال مذهبهم ، فقام بأمرهم مدة ثم تقدم الى السوس فقتله عاملها اسمعيل بن عبيد الله (١) ، وكان ميسرة لما استولى على طنجة والمغرب الاقصى قد بايعه البربر بالخلافة وخاطبوه بامير المؤمنين ، إذ الخوارج لا يشترطون فى الامام الاعظم القريشية محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » - وهو مؤول - واضطرم المغرب نارا وفشت نحلة الخارجية فى جميع قبائله وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد .

ثم ان ابن الحبحاب بعث الى ميسرة خالد بن حبيب الفهرى فيمن كان قد بقى عنده من الجيش ، واستقدم أباه حبيب بن أبى عبيدة من صقلية فقدم فيمن معه من عساكر المسلمين وبعثه فى اثر خالد ونهض اليهم ميسرة فى جموع البربر ، فلقيهم بأحواز طنجة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم تحاجزوا ، ورجع ميسرة الى طنجة فساءت سيرته فى البربر ونقموا عليه ما جاء به فقتلوه ، وولوا عليهم مكانه خالد بن حميد الزناتى .

قال ابن عبد الحكم : هو من هتورة احدى بطون زناتة فقام بأمرهم واجتمع اليه البربر ، فزحف الى العرب وسرّح اليه ابن الحبحاب عساكر الخليفة هشام بن عبد الملك وعلى مقدمتها خالد بن حبيب الفهرى ، فكان اللقاء على وادى شلف فانهزم المسلمون وقتل

(١) الذى فى ابن خلدون : فقتل عامله عليها اسماعيل [جزء أول طبع الجزائر صفحة ١٥١]

خالد بن حبيب ووجوه من معه من العرب ، فسميت الوقعة : وقعة الاشراف ؛ وانتقض المغرب على ابن الحبحاب من سائر جهاته وبلغ الخبر الى أهل الاندلس فعزلوا عامله عقبة ابن الحجاج السلولى ، وولوا عليهم عبد الملك بن قطن الفهرى ومرج أمر الناس ، وانتهى الخبر بذلك كله الى الخليفة هشام بدمشق فعزل ابن الحبحاب عن المغرب .

وقال صاحب الخلاصة : لما اختلت الامور على ابن الحبحاب اجتمع الناس وعزلوه فبلغ ذلك هشاما فغضب وكتب الى ابن الحبحاب بالقدوم فخرج فى جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائة . والله أعلم .

ولاية كلثوم بن عياض على المغرب ومقتله

لما انتهى الى الخليفة هشام ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب والاندلس وخلعهم للطاعة ، شق ذلك عليه واستضعف ابن الحبحاب فكتب اليه يستقدمه . وولى على المغرب كلثوم بن عياض القشيرى ، ووجه معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه ـ مع ما انضاف اليه من جموع البلاد التى مر بها ـ سبعون ألفا على ما قيل .

ولما انتهى كلثوم الى القيروان أساء السيرة فى أهلها ، فكتبوا الى حبيب بن أبى عبيدة وهو يومئذ بتلمسان مواقف للبربر يشكون منه اليه ، وكان لآل عقبة بالمغرب وجاهة لم تكن لغيرهم . فكتب اليه حبيب ينهاه ويتوعده فاعتذر كلثوم وأغضى له عليها ، ثم استخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة وسار يؤم المغرب فى جموعه ، وعلى مقدمته ابن أخيه (١) بلج بن بشر القشيرى فمر على طريق سبيبة ، وانتهى الى تلمسان فلقى حبيب

---

(١) نقل ضوزى المؤرخ فى تاريخه المسمى : « تاريخ المسلمين باسبانيا » أن بلجا هذا كان ابن عم كلثوم لا ابن أخيه كما هنا . [نوطة عدد ٢ من الصحيفة ٢٤٤ من الجزء الاول].

ابن أبى عبيدة فاقتتلا ثم اصطلحا ، وزحفا جميعا الى المغرب الاقصى فنهضت اليهم البربر وكان اللقاء على وادى سبو من أعمال طنجة .

وقال ابن خلدون فى أخبار البربر : « ان الخليفة هشام ولى كلثوم بن عياض على المغرب سنة ثلاث وعشرين ومائة وسرحه فى اثنى عشر ألفا من أهل الشام ، وكتب الى ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يمدوه فزحف الى افريقية ثم الى المغرب حتى بلغ وادى سبو فبرز اليه خالد بن حميد الزناتى فيمن معه من البربر — وكانوا خلقا لا يحصون — فلقوا كلثوم بن عياض بعد ان هزموا مقدمته فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم وحبيب بن أبى عبيدة وكثير من الجند وافترقت العساكر فمضى اهل الشام الى الاندلس مع بلج بن بشر ومضى أهل مصر وافريقية الى القيروان . »

وما ذكره من ان خالد بن حميد هو الذى هزم جيوش كلثوم فى هذه الوقعة هو مقتضى ماسبق من ان ميسرة قتل فى ولاية عبيد الله بن الحبحاب ، وجزم ابن حيان بأن الذى هزم جيوش كلثوم هو ميسرة الخفير واقتصر عليه ابن خلدون فى أخبار بنى فاتن قال : « انتهت مقدمة كلثوم بن عياض الى سبو من أعمال طنجة فلقيه البربر هنالك مع ميسرة وقد فحصوا عن أوساط رؤسهم وتنادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه وقتلوه وكان كيدهم فى لقائهم اياه ان ملأوا الشنان بالحجارة وربطوها فى أذناب الخيل ثم ارسلوها فى جيش العرب فكانت الحجارة تقعقع فى شنانها وخيل العرب تنفر حتى اختل مصافهم وتمت الهزيمة عليهم ، فافترقوا وذهب بلج مع الطلائع من اهل الشام الى سبتة ورجع أهل مصر وافريقية الى القيروان وظهرت الخوارج فى كل جهة واقتطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى أن هلك ميسرة وقام برياسة مضغرة من بعده يحيى ابن حارث منهم » اهـ كلام ابن خلدون . فاضطرب النقل في هذه الواقعة كما ترى والله أعلم بالصواب .

قال ابن حيان : ان كلثوم بن عياض لما انهزمت جيوشه نجا جريحا الى سبتة فى أهل الشام ومعه ابن أخيه بلج بن بشر بن عياض ، وحاصرهم البربر بها ، ولما اشتد حصارهم بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات وبلغوا من الجهد الغاية ، استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس ، فتثاقل عنهم صاحبها عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم ،

فلما شاع خبر ضررهم عند رجالات العرب أشفقوا عليهم ، فأغاثهم زياد بن عمرو اللخمى بمركبين مشحونين ميرة أمسكت من أرماقهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتضريب الجند عليه ، فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا . واتفق فى هذا الوقت ان برابرة الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابرة العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم بالمغرب ، وتفطنوا لما كانوا غافلين عنه قبل ذلك من الخلاف على العرب ومزاحمتهم فى سلطانهم ، وأصل ذلك كله النزغة الخارجية ، فاستفحل أمرهم بالاندلس وكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن ، فخاف ان يلقى منهم مالقيه العرب بالمغرب من اخوانهم ، وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى له من الاستعداد بصعاليك عرب الشام : أصحاب بلج الموتورين بسبتة ، فكتب الى بلج وقد مات عمه كلثوم ، فاسرعوا الى اجابته وكانت تلك أمنيتهم ، فأحسن اليهم وأسبغ النعمة عليهم ، وشرط عليهم أن يقيموا عنده سنة واحدة ، حتى اذا فرغوا له من البربر انصرفوا الى مغربهم ، وخرجوا له عن أندلسه ، فرضوا بذلك وعاهدوه وأخذ منهم الرهائن عليه ، ثم قدم عليهم ابنيه قطنا وأمية — والبربر فى جموع لا يحصيها غير رازقها — فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام الى ان كانت الدبرة على البربر فقتلهم العرب باقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور ، وخفوا عن العيون فكر الشاميون — وقد امتلات أيديهم من الغنائم ، فاشتدت شوكتهم وثابت همتهم ، وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس فتعللوا عليه ، وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم بسبتة . وقتله الرجل الذى أغاثهم بالميرة ، فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر ، وتبعه جند بن قطن وأغروه بقتله فأبى ، فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد شهد وقعة الحرة بالمدينة (١) ، فجعلوا يسبونه ويقولون له أفلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لاكل الكلاب والجلود ، وحبستنا بسبتة محبس الضنك ؛ حتى أمتنا جوعا

---

(١) وقد كانت زمن يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين هـ .

فقتلوه وصلبوه فى ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا . واستولى بلج على الاندلس . وكانت خطوب يطول ذكرها والله ولي العون والتوفيق .

*** ** ***

ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب

لما سمع الخليفة هشام بما جرى على كلثوم وأصحابه قامت قيامته ، فوجه حنظلة بن صفوان الكلبى - وهو أخو بشر بن صفوان المتقدم - واليا على المغرب ، فقدم القيروان سنة أربع وعشرين ومائة فوجد هوارة - وهم ولد هوار بن أوريغ بن برنس - خوارج على الدولة ورئيساهم عكاشة بن أيوب الفزارى وعبد الواحد بن يزيد الهوارى وكانا على مذهب الصفرية .

فلما استقر حنظلة بالقيروان لم يلبث الا يسيرا حتى زحف اليه عكاشة وعبد الواحد فى هوارة ومن تبعهم من البربر فخرج اليهم حنظلة والتقوا على القرن من ظاهر القيروان فهزمهم بعد قتال صعب واستلحمهم وقتل عبد الواحد وأخذ عكاشة أسيرا ولما جىء اليه بعكاشة فى رمته وبرأس عبد الواحد سجد شكرا لله تعالى على ما منحه من الفتح وأمر بعكاشة فقتل وأحصيت القتلى في ذلك اليوم فكانوا مائة وثمانين ألفا وكتب حنظلة بذلك إلى الخليفة هشام ، وسمعها الليث بن سعد فقال : « ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والاصنام » . (١)

ثم وجه حنظلة أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبى واليا من قبله على الاندلس ،

---

(١) إقليم الاصنام بالاندلس من اعمال شدونة وفيه حصن يعرف بطبيل ، قاله ياقوت . اه . وذكر الادريسى فى كتاب نزهة المشتاق فى الجزء الثالث من الاقليم الثالث أن الاصنام موضع ببرقة قرب قصور حسان . اه . والاصنام موضع بعمالة وهران على ضفاف نهر شلف ؛ وانظر هل هو المراد هنا أم السابق الكائن ببرقة فليحرر اه

فركب إليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين ومائة ، فدان لـه أهل الاندلس ، واستقام أمره بها حينا من الدهر ، ثم ثار عليه الصميل بن حاتم الكلبى وخلعه في خبر طويل.

ولم يزل حنظلة على المغرب في أحسن حال إلى أن طرق الخلل الخلافة بالمشرق وخفت صوتها لما حدث فى بنى أمية من فتنة الوليد الفاسق ، وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان الحمار آخر خلفائهم ، وأفضى الامر إلى الادالة منهم ببنى العباس فأجاز عبد الرحمن بن حبيب الفهرى من الاندلس إلى المغرب ، وغلب حنظلة عليه سنة ست وعشرين ومائة على ما نذكره .

ذكر صالح بن طريف البرغواطى المتنبىء ومخرقته

وفى هذا التاريخ كان ظهور صالح بن طريف البرغواطى الذى ادعى النبوة بتامسنا من بلاد المغرب الاقصى على ساحل البحر المحيط فيما بين سلا وآسفى ، وبرغواطة بطن من المصامدة على ماحققه ابن خلدون . وكان أبوه طريف يكنى أبا صبيح وكان من قواد ميسرة الخفير القائم بدعوة الصفرية ، ولما انقرض أمر ميسرة بقى طريف قائما بأمر برغواطة بتامسنا ويقال انه تنبأ أيضا وشرع لهم الشرائع ثم هلك وولى مكانه ابنه صالح هذا ، وقد كان شهد مع أبيه حروب ميسرة .

قال ابن خلدون : « وكان من أهل العلم والخير ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التى كانوا عليها من بعده وهى معروفة فى كتب المؤرخين»

قال فى القرطاس : كان الضلال الذى شرع لهل انهم يقرون بنبوته ، وانهم يصومون شهر رجب ويأكلون شهر رمضان ، وفرض عليهم عشر صلوات خمسا بالليل وخمسا بالنهار ، وان الاضحية واجبة على كل شخص فى الحادى والعشرين من المحرم ، وشرع لهم فى الوضوء غسل السرة والخاصرتين ، وأمرهم أن لايغتسلوا من جنابة إلّا من حرام ، وصلاتهم ايماء لاسجود فيها ، لكنهم يسجدون فى آخر ركعة خمس سجدات ، ويقولون عند تناول الطعام والشراب : باسمك ياكسای ، وزعم أن تفسيره بسم الله ، وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار ، وأباح لهم أن يتزوج الرجل من

النساء ما شاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشيء من ذلك ، وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم انه لا يطهره من ذنبه إلّا السيف وان الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان والدجاجة مكروه أكلها وقدوتهم في الاوقات الديكة وحرم عليهم ذبحها واكلها ومن ذبح ديكا أو أكله أعتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم على سبيل التبرك فكان يبصق في أكفهم فيلحسونه ويحملونه الى مرضاهم يستشفون به ووضع لهم قرآنا يقرأونه في صلواتهم ويتلونه في مساجدهم ، وزعم انه نزل عليه وانه وحى من الله تعالى اليه ومن شك في ذلك فهو كافر . والقرآن الذى شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم باسماء النبيين وغيرهم منها : سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هرون وسورة بنى اسرائيل وسورة الاسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت وسورة ابليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع وفصل وتسمى فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذى ذكره الله في كتابه الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم كما حكاه البكرى عن زمور (١) بن صالح الوافد منهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم يومئذ أبى منصور عيسى بن أبى الانصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة . وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المسطاسى قال : وكان ظهور صالح هذا فى خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة .

وقد قيل ان ظهوره كان لاول الهجرة وانه انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه من شأن النبى صلى الله عليه وسلم والاول أصح . ثم زعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج في آخر الزمان وأن عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه وان اسمه فى اللسان العربى صالح وفى السريانى مالك وفى العجمى عالم وفى العبرانى روبيل وفى البربرى واربا — ومعناه الذى ليس بعده نبى — .

---

(١) الذى فى النسخة المطبوعة أبو صالح زمور بن موسى بن هشام .

ثم خرج إلى المشرق بعد أن ملكهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم أنه يرجع إليهم في دولة السابع منهم وأوصى بنيه بالتمسك بدينه فتوارثوا ضلالته من بعده إلى أواسط المائة الخامسة ، وكان للدول فيهم ملاحم إلى أن جاءت دولة المرابطين فمحوا أثر بدعتهم وسنعيد القول فيهم بأبسط من هذا عند الوصول إليها إن شاء الله .

* * * * *

الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم

كان عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه واليا على المغرب كما مر وهو الذى افتتح الاقصى منه ، ولما استشهد بالزاب بقى بنوه به فكانت لهم وجاهة معروفة بين أهله لمكان أبيهم عقبة من جهاد العدو وما فتح الله على يده من الاقطار واختطاطه مدينة القيروان التى هى كرسى الامارة فكان مامنح الله أهل المغرب من الاسلام والدين كله في صحيفته ، فنالوا بذلك شرفا خاصا زيادة على شرف القرشية وعز الفهرية ؛ فكان يكون لهم الشفوف فى بعض الاحيان حتى على الولاة فضلا عن غيرهم .

وقد تقدم لنا فى اخبار موسى بن نصير انه استعمل ابنه عبد العزيز على الاندلس فثار عليه حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع وقتله بإغراء سليمان بن عبد الملك وتقدم أيضا ما كان منه إلى كلثوم بن عياض عند قدومه القيروان من التوعد حتى أدى ذلك إلى مقاتلتهما .

ولما قتل حبيب هذا في وقعة كلثوم المتقدمة كان ابنه عبد الرحمن بن حبيب صاحب الترجمة في جملة أصحاب بلج الناجين إلى سبتة ولما قتل أصحاب بلج عبد الملك بن قطن الفهرى وصلبوه كما مر فارقهم عبد الرحمن هذا لما صنعوا بابن عمه وعزم على الطلب بدمه فاجتمع إليه نحو مائة ألف من عرب الاندلس وبربرها وعمد إلى بلج فقتله في خبر طويل .

ثم حاول عبد الرحمن التغلب على الاندلس فلما قدم أبو الخطار واليا عليها من قبل حنظلة بن صفوان أيس منها وركب البحر إلى المغرب ، فاحتل بتونس في جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة - وقد توفى هشام وولى الخلافة بعده الوليد بن يزيد الفاسق - فدعا عبد الرحمن أهل تونس الى نفسه فأجابوه . وبلغ ذلك حنظلة صاحب القيروان فكره قتال المسلمين وسفك دمائهم ، فبعث اليه جماعة من وجوه الجند يدعونه الى الطاعة فلما وصلوا اليه انتهز الفرصة وأوثقهم فى الحديد وأقبل بهم الى القيروان فيمن اجتمع اليه ، وأرسل الى أوليائهم يحذرهم قتاله ويقول : « ان رميتم ولو بحجرة قتلت من فى يدى » فأخجموا عنه ضنا بأشرافهم عن القتل وعلم بذلك حنظلة فارتحل الى المشرق سنة سبع وعشرين ومائة . ودخل عبد الرحمن القيروان فتمكن منها واستولى على المغرب وهو أول متغلب عليه . قالوا : ولما ولى مروان بن محمد المعروف بالحمار الخلافة بعث اليه بعهده . وكان أمر البربر يومئذ قد تفاقم وداء الخارجية قد أعضل ورءوسها قد نبغت فى كل جهة فانتقضوا من أطراف البقاع وتواثبوا على الامر بكل مكان داعين الى بدعتهم . وتولى كبر ذلك منهم صنهاجة فانهم التفوا على كبيرهم ثابت الصنهاجى وتغلبوا على باجة . وثارت هوارة بطرابلس ملتفين على رئيسيهم عبد الجبار والحارث وغير هؤلاء - وكانوا على مذهب الاباضية - فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسى لما خرج يدعوهم الى السلم وعظم الخطب فزحف اليهم عبد الرحمن بن حبيب سنة احدى وثلاثين ومائة فظفر بالصنهاجى والهوارى وقتلهما وفل جموعهما ثم زحف الى عروة ابن الوليد الصفرى - وكان قد ثار بتونس - فقتله واستأصل الثوار وانقطع أمر الخوارج من افريقية . ثم زحف سنة خمس وثلاثين ومائة الى جموع من البربر - وكانوا قد تجمعوا بنواحى تلمسان - فظفر بهم وفل جمعهم ورجع ، ثم أغزى جيشا فى البحر الى صقلية وآخر الى سردانية فاثخنوا فى أمم الفرنج حتى أذعنوا للجزية ودوخ عبد الرحمن أرض المغرب وأذل المعاندين الى ان كان ما نذكره .

وأما أهل الاندلس : فانهم كانوا قد خلعوا أبا الخطار وولوا عليهم ثوابة بن سلامة الجذامي . قال ابن بشكوال : لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب

فكتب اليه بعهده ، وذلك سلخ رجب سنة سبع وعشرين ومائة ، فضبط البلاد واستمر واليا سنتين أو نحوها ثم هلك ، وولى أهل الاندلس عليهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو ابن صاحب الترجمة ؛ ذكر الرازى (١) : أن مولده كان بالقيروان وانه لما استولى أبوه على المغرب خرج يوسف هذا مغاضبا له لامر اقتضى ذلك ، فقدم الاندلس واستوطنها وساد بها ، فأقامه أهلها واليا عليهم بعد أميرهم ثوابة ، وقد مكثوا فوضى أربعة أشهر ، وكان اجتماعهم عليه باشارة الصميل بن حاتم الكلابى ، فاستبد يوسف بالاندلس وضبطها الى ان دخل عليه عبد الرحمن بن معاوية الاموى المعروف بالداخل ، فانتزعها منه وأورثها بنيه كما سيأتى .

*** ** ***

دخول عبد الرحمن الاموى إلى افريقية وجوازه إلى الاندلس

وتأسيسه للدولة الاموية بها

ولما استقر قدم الدولة العباسية بالمشرق وانقرض أمر بنى أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذهبوا فى كل وجه ، أفلت عبد الرحمن بن معاوية هذا وقصد المغرب فاجتاز بالقيروان - وبها عبد الرحمن بن حبيب صاحب الترجمة - فارتاب به وعزم على قتله فنجا الاموى الى الاندلس ، وكان من أمره ما كان .

ذكر ابن حيان : أن عبد الرحمن بن معاوية الاموى سار حتى أتى افريقية فنزلها - وقد سبقه اليها جماعة من فل بنى أمية - وكان عند صاحبها عبد الرحمن بن حبيب يهودى حدثانى قد صحب مسلمة بن عبد الملك فكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشى وملكه الاندلس ويرثها عقبه من بعده ، وان اسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين ومن

---

(١) الرازى هذا هو أحمد بن محمد بن موسى بن بشير الرازى الكنانى من أهل قرطبة يكنى أبا بكر وكان كثير الرواية حافظا للاخبار وله مؤلفات كثيرة فى اخبار الاندلس ، انظر ترجمته فى معجم البلدان (لياقوت صحيفة ٤٥) .

بيت الملك ، فاتخذ الفهرى ضفيرتين أرسلهما رجاء أن تناله الرواية . فلما جىء اليه بعبد الرحمن الاموى ورأى ضفيرتيه ، قال لليهودى : « هو هذا وأنا قاتله » فقال له اليهودى : « ان قتلته فما هو به وان غلبت عليه فانه لهو »

وثقل فل بنى أمية على ابن حبيب فطرد كثيرا منهم خوفا على ملكه ، ثم تجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما ، وأخذ مالا كان مع اسمعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان ، وغلبه على أخته فتزوجها غصبا ، وطلب عبد الرحمن الداخل فاختفى » كذا لابن حيان .

وعند ابن خلدون : ان الاخت المذكورة زوجها عبد الرحمن من أخيه الياس بن حبيب ولما قتل ابنى عمها امتعضت لذلك وأغرت زوجها واستفسدته على أخيه حتى قتله كما نذكر ، وذلك انه لما انتظم أمر الدولة العباسية بالمشرق وبويع السفاح ثم المنصور بعده كتب الى عبد الرحمن بن حبيب يدعوه الى الطاعة والبيعة فاجابه ودعا له ، وبعث اليه بهدية فيها بزاة وكلاب وذهب قليل ، وذكر ان افريقية اليوم اسلامية وقد انقطع السبى ، فغضب المنصور وكتب اليه يتوعده . وبعث اليه مع ذلك بخلعة الامارة . فنزع عبد الرحمن يده من الطاعة ومزق الخلعة على المنبر . فوجد أخوه الياس بذلك السبيل الى ما كان يحاوله عليه . وداخل وجوه الجند فى الفتك به واعادة الدعوة للخليفة المنصور . ومالأه على ذلك أخوه عبد الوارث بن حبيب . وأحس عبد الرحمن منهما بالشر فأمر الياس بالمسير الى تونس . فأظهر الامتثال ثم جاء ليودعه ـ ومعه عبد الوارث . وكان عبد الرحمن مريضا ـ فدخلا عليه وقتلاه على فراشه آخر سنة سبع وثلاثين ومائة لعشر سنين وسبعة أشهر من تغلبه على المغرب .

استيلاء إلياس بن حبيب على المغرب

لما فتك إلياس باخيه عبد الرحمن معتدا عليه بخلعه طاعة الخليفة فر ابنه حبيب ابن عبد الرحمن الى تونس بعد ان طلبوه وضبطوا أبواب القصر ليأخذوه فلم يظفروا به وكان عمه عمران بن حبيب واليا بتونس من قبل أبيه فلحق به وتم الامر لالياس واستولى على القيروان . ثم زحف اليه عمران وحبيب فيمن اجتمع اليهما . وخرج الياس للقائهم . فالتقوا واقتتلوا مليا . ثم اصطلحوا على أن يكون لحبيب قفصة وقسطيلية وسائر بلاد الجريد ، ولعمران تونس وسطفورة والجزيرة ، ولالياس القيروان وسائر افريقية والمغرب . وتم هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة . وسار حبيب الى عماله من بلاد الجريد . وارتحل الياس مع أخيه عمران الى تونس . ولما وصلا اليها غدر الياس بعمران فقتله وقتل جماعة من الاشراف معه . وقيل غربه الى الاندلس وعاد هو الى القيروان . فبعث بطاعته الى أبى جعفر المنصور مع قاضى افريقية عبد الرحمن بن زياد ابن انعم (١) وصفاله أمر المغرب . وثقل عليه مكان حبيب فاحتال عليه حتى أركبه البحر الى الاندلس . وأركب معه أخاه عبد الوارث فردهم قاصف من الريح الى طبرقة وكتبوا بخبرهم إلى الياس فلج في طردهم .

وتسامعت موالى عبد الرحمن وشيعته بابن مولاهم فتسارعوا اليه وأنزلوه من السفين والتفوا عليه وزحفوا به الى تونس فملكوها وخرج الياس لقتالهم فخالفوه الى القيروان وملكوها عليه وفتقوا السجون فرجع إلياس لقتالهم وقد فر أكثر من معه الى حبيب ولما تراءى الجمعان حول القيروان برز حبيب فنادى : يا عم لم نقتل أولياءنا وصنائعنا وهم جنتنا ؟ فهلم للبراز فأينا غلب ملك ! فصاح الجيشان بتصويب رأيه ، فبرزا وتضاربا

---

(١) هو أول مولود ولد فى الاسلام بافريقية سنة اربع اوخمس وتسعين حين دخول الجند اليها وكان حافظا راويا للحديث جليل القدر توفى فى شهر رمضان سنة احدى وستين ومائة ودفن بباب نافع من مدينة القيروان رحمه الله . انظر ترجمته فى معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان وغيره من كتب أسماء رجال الحديث .

حتى عجب الناس من صبرهما ثم قتل حبيب الياس ودخل القيروان فملكها آخر سنة ثمان وثلاثين ومائة فكانت ولاية الياس نحو سنة ونصف .

وفى هذه السنة استولى عبد الرحمن بن معاوية الاموى على جزيرة الاندلس : انتزعها من يد أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وهو أخو حبيب المذكور آنفا .

قال ابن حيان : « كان تغلب عبد الرحمن بن معاوية المروانى على سرير الملك بقرطبة يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة واستقام أمره بالاندلس وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه . ووفد عليه جماعة من أهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور العباسى ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثل بها الملك العظيم لبنى مروان وخرجت الاندلس من يومئذ عن نظر صاحب القيروان بل وعن نظر الخليفة بالمشرق والله غالب على أمره .

* * * * *

استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وفتنة عاصم بن جميل المتنبىء ومقتله

لما قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه الياس وتمكن من القيروان طلب عمه عبد الوارث لمشاركته فى دم أبيه كما مر ففر عبد الوارث الى ورفجومة : احدى بطون نفزاو بن لوى من البرابرة البتر فنزل على كبيرهم عاصم بن جميل — وكان كاهنا يدعى النبوة — فأجاره . ثم نهض اليهم حبيب فاوقعوا به وهزموه الى قابس .

واستفحل أمر عاصم وشايعه على شأنه من رجالات نفزاوة عبد الملك بن أبى الجعد الورفجومى ويزيد بن سكوم الولهاصى — وكانا على رأى الاباضية — وانضمت اليهم سائر نفزاوة واشتدت شوكتهم وكان قيامهم أولا بدعوة الخليفة المنصور .

ولما بقى أهل القيروان فوضى بسبب فرار أميرهم الى قابس كتب من بها من العرب الى عاصم هذا يدعونه للقدوم عليهم والقيام بامرهم بشرط الدعاء للمنصور فأتى

وقاتلهم فهزمهم ودخل القيروان عنوة واستباح أهلها وخرب مساجدها وأهانها ثم سار الى حبيب بقابس - بعد ان استخلف على القيروان ومن بقى بها من نفزاوة عبد الملك ابن أبى الجعد - فقاتل حبيبا وهزمه فلحق حبيب بجبل أوراين (١) وأجاره أهله ثم زحف اليهم عاصم فهزموه وقتلوه واستلحموا جماعة من أصحابه . وقام بأمر ورفجومة والقيروان من بعده عبد الملك بن أبى الجعد ، وأهل القيروان أثناء هذا كله فى غاية المذلة والهوان مع البربر . ثم زحف حبيب الى القيروان فبرز اليه عبد الملك وهزم حبيبا وقتله فى المحرم سنة أربعين ومائة فكانت ولايته نحو ثلاث سنين وانقرض بمقتله أمر آل عقبة من المغرب والبقاء لله وحده .

* * * * * * *

استيلاء عبد الملك بن أبى الجعد على المغرب

لما قتل عبد الملك بن أبى الجعد الوفجومى حبيب بن عبد الرحمن الفهرى رجع فى جموع البربر الى القيروان فملكها . وأمر أمر ورفجومة واستطالوا على أهل القيروان وقتلوا من بها من قريش وسائر العرب حيث وجدوا وعاملوهم معاملة المكناسيين لآل ادريس واستحلوا من الحرمات ما لم يستحله عاصم بن جميل قبلهم حتى لقد ربطوا دوابهم بالمسجد الجامع . واشتد البلاء على أهل القيروان وافترقوا فى النواحى فرارا بانفسهم وشاع خبرهم فى الآفاق . فحينئذ قام أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى من رجالات العرب - وكان على رأى الاباضية - باحواز طرابلس منكرا لفعل ورفجومة ومغيرا عليهم حسبما نذكر .

---

(١) أوراس كما فى النسخ الصحيحة لابن خلدون .

استيلاء عبد الاعلى بن السمح على المغرب

وظهور الصفرية من آل مدرار المكناسيين وبناؤهم مدينة سجلماسة

كان أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى من وجوه العرب وكان على رأى الاباضية كما قلنا ولما بلغه ما ارتكبته ورفجومة من أهل القيروان امتعض لذلك وقام محتسبا عليهم وشايعه على ذلك برابرة طرابلس .

وتولى كبر ذلك هوارة منهم — وهوارة احدى بطون أوريغة من البرانس — فاجتمعوا اليه وتقدم بهم الى طرابلس فملكها ثم زحف الى القيروان سنة احدى وأربعين ومائة فخرج اليه عبد الملك بن أبى الجعد فى جموعه فانخزل عنه أهل القيروان لما نالهم من عسفه وعسف قومه فانهزم وقتل .

واستولى أبو الخطاب على القيروان وأثخن فى جموع عبد الملك من ورفجومة وسائر نفزاوة . ثم ولى على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسى — وهو من أبناء رستم أمير الفرس يوم القادسية — كان عبد الرحمن هذا من موالى العرب ومن رءوس هذه البدعة فاستخلفه أبو الخطاب على القيروان ورجع هو الى طرابلس للقاء العساكر القادمة من جهة الخليفة المنصور على ما نذكره .

ولما حصل هذا الاضطراب بالمغرب اجتمعت الصفرية من مكناسة بناحية المغرب الاقصى فنقضوا طاعة العرب . وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود من موالى العرب ورؤس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة سنة أربعين ومائة من الهجرة ودخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية فى دينهم واقتطعوا سجلماسة وأعمالها عن نظر الولاة بالقيروان

ومن هذا الاجتماع تنشأت دولة بنى مدرار ملوك سجلماسة ، فإن صفرية مكناسة لما بايعوا عيسى بن يزيد (١) أقام أميرا عليهم نحو خمس عشرة سنة ثم سخطوا إمرته ، ونقموا عليه بعض أحواله فعمدوا اليه وأوثقوه كتافا ، ووضعوه على قتة حبل إلى أن

---

(١) سماه البكرى عيسى بن مزيد الاسود

هلك سنة خمس وخمسين ومائة واجتمعوا بعده على كبيرهم أبى القاسم بن سمكو بن واسول المكناسى الصفرى ، كان أبوه سمكو من حملة العلم ارتحل إلى المدينة فادرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس (قاله عريب بن حميد القرطبى (١) فى تاريخه) وكان عكرمة (٢) بربرى الاصل كما عند ابن خلكان ، قال : (وقد تكلم الناس فيه لانه كان يرى رأى الخوارج) وكان أبو القاسم المذكور صاحب ماشية ، وهو الذى بايع لعيسى بن يزيد وحمل قومه على طاعته ، فلما خلعوا عيسى بايعوا أبا القاسم من من بعده ، وقام بامرهم إلى أن هلك (٣) سنة سبع وستين ومائة .

وكان يخطب فى عمله للمنصور ثم للمهدى من بنى العباس ، ولما هلك ولوا عليهم ابنه الياس بن أبى القاسم — وكان يدعى بالوزير — ثم انتقضوا عليه سنة أربع وسبعين ومائة فخلعوه وولوا مكانه أخاه اليسع بن ابى القاسم وكنيته أبو منصور — وكان صفريا — وعلى عهده استفحل ملكهم بسجلماسة ، وهو الذى أدار سورها وأتم بناءها ، واختط بها المصانع والقصور ، وانتقل إليها آخر المائة الثانية ، وهلك سنة ثمان ومائتين وولى بعده ابنه مدرار — ولقبه المنتصر — وطالت مدته ، وكان له ولدان كل منهما اسمه ميمون ، أحدهما لاروى بنت عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت ، والآخر لبغى — وكان يعرف بالامير — فتنازعا وتداولا الامر بينهما استبدادا على أبيهما ، ودامت الحرب بينهما ثلاث سنين ، وهلك أبوهما مدرار سنة ثلاث وخمسين ومائتين فى نوبة ميمون الامير ، واستمر ميمون هذا فى استبداده إلى أن هلك سنة ثلاث وستين ومائتين

---

(١) فى معجم الادباء لياقوت ترجمة عريب بن محمد بن مصرف بن عريب القرطبى ، انظرها فى صحيفة ٥٥ من الجزء الخامس . فلعل عريبا هذا هو الذى ينقل عنه المؤلف ، وإنما تصحف اسم أبيه حميد بمحمد أو العكس والله أعلم .

(٢) ذكر ابن حجر فى تهذيب التهذيب بأنه كان من أعظم الداعين للبدعة الخارجية بافريقية ، وتوفى سنة ١٠٥ وقيل غير ذلك ، راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب ، وابن خلكان وغيره .

(٣) قال البكرى سنة ثمان وستين فجأة فى آخر ركعة من صلاة العشاء .

وولى ابنه محمد بن ميمون – وكان إباضيا – وتوفى سنة سبعين ومائتين ، فولى اليسع ابن المنتصر .

وفى أيامه قدم عبيد الله المهدى أول خلفاء العبيديين من الشيعة وابنه أبو القاسم من المشرق ، فدخلا سجلماسة متنكرين ، وكان الخليفة المعتضد بالله العباسى قد أوعز إلى اليسع هذا بالقبض عليهما فنقب عنهما وقبض عليهما وأودعهما السجن إلى ان افتكهما مقيم دولتهما أبو عبد الله الشيعى المعروف بالمحتسب ، فانه اقتحم سجلماسة فى خبر معروف وأخرج عبيد الله وابنه من السجن وقتل اليسع سنة ست وتسعين ومائتين .

ثم بايع أهل سجلماسة من بعده الفتح بن ميمون الامير – وكان اباضيا – وهلك على رأس المائة الرابعة فولى أخوه أحمد بن ميمون الامير واستقام أمره إلى ان زحف مصالة بن حبوس الكتامى – قائد الشيعة العبيديين – فى جموع كتامة الى المغرب الاقصى سنة تسع وثلاثمائة ، فدوخه وأخذ أهله بدعوة صاحبه عبيد الله المهدى ، وافتتح سجلماسة وتقبض على صاحبها أحمد بن ميمون الامير ، ثم ولى عليها من قبله محمد بن بسادر بن مدرار فلم يلبث ان استبد على الشيعة ، وتلقب بالمعتز وهلك سنة احدى وعشرين وثلاثمائة . وولى ابنه أبو المنتصر محمد بن المعتز فمكث عشرا وهلك . وولى ابنه المنتصر سمكو شهرين ، وكانت جدته تدبر أمره لصغره .

ثم ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون الامير ورفض الخارجية . ونادى بالدعوة العباسية ، وأخذ بمذهب أهل السنة ، وتلقب بالشاكر لله ، واتخذ السكة باسمه ، فكانت تسمى بالدراهم الشاكرية .

قال ابن حزم : وكان في غاية العدل وكانت سكته في غاية الطيب ، واستمر إلى أن زحف جوهر الكاتب قائد المعز العبيدى – فى جموع صنهاجة وكتامة – إلى المغرب الاقصى سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فغلب على سجلماسة ، وفر عنها محمد بن الفتح إلى حصن تسكرات (١) على أميال منها ؛ ثم دخل سجلماسة متنكرا فعرفه رجل من مضغرة وأعلم به

---

(١) وسماها البكرى بتاسجدالت قال : وهى حصن منيع على اثنى عشر ميلا من سجلماسة

جوهرا ، فتقبض عليه وساقه أسيرا ـ مع أحمد بن أبى بكر الزناتى صاحب فاس ـ إلى المهدية كما نذكره .

ثم لما انتقض المغرب على الشيعة وأخذت زناتة بطاعة الحكم المستنصر صاحب الاندلس ثار بسجلماسة قائم من ولد الشاكر لله وتلقب بالمنتصر بالله . ثم وثب عليه أخوه أبو محمد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة فقتله وقام بالامر مكانه وتلقب بالمعتز بالله ، وأقام على ذلك مدة وأمر مكناسة يومئذ قد تداعى إلى الانحلال ، وأمر زناتة قد استفحل بالمغرب ، الى ان زحف خزرون بن فلفول الزناتى ثم المغراوى إلى سجلماسة سنة ست وستين وثلاثمائة فبرز اليه أبو محمد المعتز فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيرته وبعث برأسه الى قرطبة ، وكان ذلك لاول حجابة المنصور ابن أبى عامر المستبد على بنى أمية بالاندلس ؛ وانقرض أمر بنى مدرار والبقاء لله .

وقد لخصنا هذه الدولة المدرارية من كتاب العبر وسردناها هنا استطرادا . ثم نعود إلى موضوعنا الذى كنا فيه . وبالله التوفيق .

ولاية محمد بن الاشعث على المغرب

لما ارتكبت ورفجومة من أهل القيروان ما ارتكبته وفد جماعة من رجالات العرب بها على الخليفة المنصور واستصرخوه على الخوارج ، وشكوا إليه تسلقهم على كرسى الامارة بالقيروان ، فوجه المنصور محمد بن الاشعث الخزاعى واليا على مصر وأمره باستنقاذ افريقية من البربر ، فوجه محمد بن الاشعث أبا الاحوص عمرو بن الاحوص العجلي سنة اثنتين وأربعين ومائة ، فخرج إليه أبو الخطاب المعافرى وهزمه بسرت (١) قريبا من طرابلس واستولى على عسكره .

---

(١) سرت مدينة على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس الغرب ضبطها ياقوت بضم السين وسكون الراء ، وتعرف عند الافرنج قديما بسرت بكسر السين .

ورجـع أبو الاحوص مفلولا إلى مصر ، فكتب المنصور إلى ابن الاشعث يأمره بالمسير إلى المغرب بنفسه ، فسار إليه فى أربعين ألفا ـ ومعه الاغلب بن سالم التميمى ـ فلقيهم أبو الخطاب بسرت أيضا فأوقع بـه ابن الاشعث وقتلـه واستلحم جموعه .

وطار الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن رستم بمكانه من القيروان فاحتمل أهله وولده ولحق بإباضية المغرب الاوسط . ونزل على لماية : بطن من بنى فاتن بن تامصيت بن ضرى من البتر ، لحلف كان بينه وبينهم ، فالتفوا عليه وبايعوا له بالخلافـة وتفاوضوا فى بناء مدينة تكون كرسيا لامارتهم ـ شأن الصفرية من بنى مدرار ـ فشرعوا فى بناء مدينة تاهرت (١) سنة أربع وأربعين ومائة ، فعمرت واتسعت خطتها وتوارثها بنـو رستم واقتطعوها عن نظر ولاة المغرب .

وكان يسلم عليهم بالخـلافة ـ على ما هو المعروف من مذهب الخوارج ـ إلى ان انقرضت دولتهم على يد العبيديين أو اخر المائة الثالثة .

وأما ابن الاشعث فانه استقر بالقيروان غرة جمادى الاولى سنة أربع وأربعين ومائة وشرع فى بناء سورها فى ذى القعدة من السنة وتم فى رجب سنة ست وأربعين ومائة ، وضبط المغرب أحسن ضبط وافتتح طرابلس واستعمل عليها المخارق بن غفار الطائى ، وعلى طبنة والزاب الاغلب بن سالم ، وخافه البربر .

ثم ثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان الخراسانى أحد الجند فى جماعة من قواد مضر ونفوه عن القيروان فقفل إلى المشرق فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائة فكانت ولايته نحو أربع سنين .

---

(١) راجع ما ذكره ياقوت فى معجم البلدان فى حق هذه المدينة ، فقد بسط الكلام عليها وأفاد ، وكذلك ابن خلدون فى صحيفة ١٥٤ وما يليها من الجزء الاول من تاريخ البربر طبـع الجزائر .

ولاية الاغلب بن سالم التميمى على المغرب



لما قفل ابن الاشعث الى المشرق ولى جند مضر عليهم عيسى بن موسى الخراسانى واتصل بالمنصور ما فعله قواد مضر من ذلك ، فبعث إلى الاغلب بن سالم التميمى ثم السعدى بعهده على المغرب — والاغلب هذا هو جد الاغالبة ملوك افريقية من بعد . وكان من ذوى الشجاعة والرأى ومن أصحاب أبى مسلم بخراسان — فدخل المغرب مع ابن الاشعث واستعمله على طبنة كما مر . فلما وافاه عهد الخليفة أواخر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائة انتقل الى القيروان وأمنها واستقام أمره .

ثم خرج عليه أبو قرة بن دوناس اليفرنى ويقال المغيلى من الصفرية والتفت عليه زناتة بجهة تلمسان ، وبايعوا له بالخلافة ، واستفحل أمره فزحف إليه الاغلب ، فلما دنا منه فر أبو قرة إلى المغرب الاقصى فلم يقف إلّا بطنجة وانتهى الاغلب إلى السزاب ثم عاد إلى القيروان فعاد أبو قرة إلى وطنه من تلمسان .

وفي سنة خمسين ومائة خرج الاغلب لقتال الصفرية فتثاقل عنه طائفة من الجند ، ولما أوغل فى طلب الصفرية ثار عليه الحسن بن حرب الكندى - وكان بتونس - ولحق به المتثاقلون من الجند ، وكان تثاقلهم عن الاغلب بمكاتبة الحسن اياهم فى ذلك ، فأقبل بهم إلى القيروان واستولى عليها . ولحق الاغلب بقابس وكاتب الحسن يرغبه في الطاعة فلم يقبل ، ثم وافى كتاب المنصور يدعو الحسن إلى الطاعة فأبى ، فصمد إليه الاغلب واقتتلا فانهزم الحسن وفر إلى تونس وجمع الجموع ورجع ، فخرج إليه الاغلب فأصابه سهم فقتله ، فقدم أصحابه عليهم المخارق بن غفار الطائى الذى كان على طرابلس ، وحملوا على الحسن فانهزم أمامهم إلى تونس ، ثم لحق بكتامة وخيل المخارق في اتباعه ، ثم رجع الى تونس بعد شهرين فقتله الجند .

وقيل إن أصحاب الاغلب قتلوه في الموقف الذى قتل فيه الاغلب وكان مقتل الاغلب فى شعبان سنة خمسين ومائة .

وقام بامر افريقية المخارق بن غفار إلى ان كان ما نذكره .

ولايـة عمر بن حفص هزارمرد على المغرب

لما بلغ الخليفة المنصور مقتل الاغلب بن سالم وجه مكانه عمر بن حفص ـ من ولد قبيصة بن أبى صفرة أخى المهلب بن أبى صفرة ـ فقدم القيروان فى خمسمائة فارس سنة احدى وخمسين ومائة ، فاستقامت أموره ثلاث سنين ، ثم خرج إلى طبنـة لادارة السور عليها ، واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبى ، فثار البربر بافريقية ـ لما علموا من بعد الحامية عنهـا ـ وغلبوا على من كان بهـا ، وزحفوا إلى القيروان فخرج اليهم حبيب فهزموه وقتلوه ، وثار البربر الاباضية بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقـوب ابن لبيب المغيلى مولى كندة .

وتسامعت به خوارج المغرب فانتقضوا من كل ناحية ونبغت رءوس الفتنة من كل وجه وعادت هيف الى أديانها ، وكانت هذه الفتنة هى زبدة الفتن التى مخضتهـا الخوارج بالمغرب من لدن ميسرة الخفير إلى الآن ، فانهم زحفوا إلى عمر بن حفص وهو بطبنـة من أرض الزاب فى اثنى عشر عسكرا فكان منهم أبو قرة اليفرنى فى أربعين ألفـا من الصفرية ، وعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت فى خمسة عشر ألفـا من الاباضية ، والمسور بن هانئ الزناتى فى عشرة آلاف من الاباضية أيضا ، وعبد الملك بن سكردید الصنهاجى فى ألفين من صنهاجة الصفرية ، وجرير بن مسعود المديونى فيمن تبعه من مديونة وانضم اليهم غير هؤلاء من خوارج هوارة وزناتة ممـن لا يحصى كثرة .

ولما اشتد الحصار على عمر بن حفص أعمل الحيلة فى ايقاع الخلاف بينهم ودافعهم بالاموال وأرسل الى أبى قرة على يد ابنه أبى نور أن يعطيه أربعين ألفا ولابنه أربعة آلاف على ان يرتحل عنه فقبل وارتحل بقومه وانفض البربر عن طبنة .

ثم سار أبو حاتم يعقوب بن لبيب إلى القيروان وحاصرها ثمانية أشهر حتى أكل أهلها الميتة . ولما اشتد الحصار على أهل القيروان خرج عمر بن حفص من طبنة يريـد أبا حاتم والاباضية الذين معه ، وبلغ أبا حاتم واصحابه وهم محاصرون للقيروان مسير

عمر بن حفص إليهم فساروا للقائه . فمال هو من الاربس (١) إلى تونس . ثم جاء إلى القيروان فدخلها واستعد للحصار وشحنها بالاقوات والرجال . واتبعه أبو حاتم والبربر وأبو قرة معهم فى قومه — وكانوا فى ثلاثمائة وخمسين ألفا : الخيل منهم خمسة وثمانون ألفا ، والباقى رجالة وأحاطوا بالقيروان — وعمر بن حفص داخلها — وطال الحصار ثم بلغه الخبر أن المنصور وجه لاستنقاذه ابن عمه يزيد بن حاتم المهلبى فأنف من ذلك وقال : لا خير فى الحياة بعد أن يقال : يزيد أخرجه من الحصار ! إنما هى رقدة ثم أبعث إلى الحساب ! وخرج عمر فقاتل حتى قتل أواسط حجة سنة أربع وخمسين ومائة .

وكان عمر هذا بطلا سمحا ، يلقب هزارمرد ، وهو لفظ فارسى معناه ألف رجل .

ثم ولى الناس عليهم أخاه لامه حميد بن صخر ، وانقضى الحصار وأحرق أبو حاتم ابواب القيروان وثلم سورها . وخرج أكثر الجند إلى طبنة ، ودخل أبو حاتم القيروان فاستولى عليها . ويقال ان ابن صخر وادعه على ما أحب والله تعالى أعلم .

* * * * *

ولاية يزيد بن حاتم على المغرب

لما بلغ المنصور انتقاض افريقية على عمر بن حفص وحصاره بطبنة أولا ثم بالقيروان ثانيا بعث إليه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة فى ستين ألفا ، وبلغ خبره عمر بن حفص فحمله ذلك على الاستماتة كما تقدم .

وبلغ أبا حاتم وهو بالقيروان مسير يزيد بن حاتم إليه فخرج للقائه ، فلقيه يزيد ابن حاتم بنواحى طرابلس ؛ واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم البربر وقتل أبو حاتم فى ثلاثين ألفا من أصحابه ، وتتبعهم يزيد بالقتل طالبا بدم عمر بن حفص .

---

(١) الاربس ضبطه ياقوت فى المعجم بالضم ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وسين مهملة ، وقال هى مدينة وكورة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام نحو المغرب فراجعه فقد بسط الكلام عليها .

ثم ارتحل إلى القيروان فدخلها يوم الاثنين لعشر مضت من جمادى الاولى سنه خمس وخمسين ومائة فمهدها ورتب أسواقها وأفرد لكل صناعة مكانا وجدد بناء جامعها وضبط الامور أحسن ضبط .

وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهرى مع أبى حاتم، فلحق بكتامة . فبعث يزيد فى طلبه المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم غلب عليه فقتل جماعة ممن معه وهرب الباقون فى كل ناحية ، ونجا هو الى الاندلس .

وبعث يزيد المخارق أيضا على الزاب فنزل طبنة وأثخن فى البربر وأوقع بهم وقائع عظيمة .

وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ انتقضوا على عمر بن حفص الى انقضائهـا ثلاثمائة وخمسا وسبعين حربا قاله ابن خلدون .

ثم انتقضت ورفجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجـلا اسمه أبو زرجونة ، فسرح اليهم يزيد بن حاتم من عشيرته يزيد بن مجزأة المهلبى فهزموه واستأذنه ابنه المهلب ـ وكان على الزاب وطبنه ـ فى الزحف الى ورفجومة فأذن له وأمده بالعـلاء بن سعيد بن مروان المهلبى من عشيرتهم أيضا فأوقع بهم وقتلهم أبرح قتل .

وانتقضت نفزاوة من بعد ذلك فى سلطنة ابنه داود بن يزيد فاستأصلهم قتـلا أيضا فركدت ريح الخوارج من البربر حينئذ وتداعت بدعتهم إلى الاضمحلال .

قال ابن خلدون : لم يزال أمر الخوارج بالمغرب - يعنى أيام يزيد هذا - فى تناقص إلى ان اضمحلت ديانتهم وافترقت جماعتهم وبقيت آثار نحلتهم فى اعقاب البربر الذين دانوا بها فى صدر الاسلام : ففى بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باق لهذا العهد ، وكذلك فى جبال طرابلس أثر باق من تلك النحلة ، والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء . واستمر يزيد بن حاتم ضابطا لامر افريقية والمغرب الى ان توفى بها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة فى خلافة هرون الرشيد العباسى فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وولى الناس عليهم ابنه داود إلى ان كان ما نذكره

وكان يزيد رحمه الله من السمحاء الامجاد والفضلاء الانجاد وكل بنى المهلب كذلك ؛ وبهم ضرب المثل أبو محمد الحريرى فى المقامات اذ قال : (وصار الادب أعلق بى من الهوى

بنى عذرة ، والشجاعة بآل أبى صفرة) . وقال الشاعر الحماسى :

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان فى الزمن المحل
فما زال بى معروفهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلى

فأما يزيد هذا من بينهم فحاله فى الشجاعة وجودة الرأى كما رأيت ؛ وأما الجود والسخاء فهو فيهما المثل السائر . كان ربيعة بن ثابت الرقى الشاعر مدح يزيد بن أسيد بالتصغير السلمى - وهو وال على ارمينية - فقصر فى حقه ؛ ثم مدح يزيد بن حاتم فبالغ فى الاحسان إليه فقال ربيعة من قصيدة :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد للاموال غير مسالم
فهمُّ الفتى الازدىّ اتلاف ماله * وهمُّ الفتى القيسىّ جمع الدراهم

ولاية روح بن حاتم على المغرب

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم - وكان أخوه روح واليا على فلسطين وكان أسن من يزيد - استقدمه وعزاه فى أخيه وولاه على المغرب ، فقدم القيروان منتصف سنة احدى وسبعين ومائة ، وكان يزيد قبله قد أذل الخوارج ومهد البلاد كما قلنا ، فكانت أرض المغرب ساكنة أيام روح ، ورغب فى موادعته عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم صاحب تاهرت فوادعه .

قال ابن خلدون : « وفى أيام روح انخضدت شوكة البربر واستكانوا للغلب وطاعوا للدين ، فضرب الاسلام بجرانه وألقت الدولة المضرية على البربر بكلكلها » اه . كلام ابن خلدون .

وفى أيام روح أيضا اجتاز الامام ادريس بن عبد الله ببلاد مصر وافريقية ناجيا من وقعة فخ التى كانت بمكة لآل العباس على آل علي بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ودخل مدينة وليلى من المغرب الاقصى سنة اثنتين وسبعين ومائة كما سيأتي ان شاء الله .

قال ابن خلكان : « كان روح بن حاتم من الكرماء الاخواد ولى لخمسة من الخلفاء السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد . ويقال انه لم يتفق مثل هذا إلّا لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه فانه ولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الاربعة رضى الله عنهم » قال : « وكان روح واليا على السند ولاه عليها المهدى بن المنصور فلما مات أخوه يزيد بالقيروان ودفن بباب سلم قال أهل افريقية : ما أبعد ما يكون بين قبرى هذين الاخوين ! فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند (١) وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل افريقية أول رجب سنة احدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا بها الى أن توفى بها لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ودفن مع أخيه يزيد فى قبر واحد فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد رحمهما الله ».

ثم ولى المغرب من قبل الرشيد حبيب بن نصر المهلبى ثم عزله سنة سبع وسبعين ومائة.

وولى على المغرب الفضل بن روح بن حاتم وقتله عبد الله بن الجارود منتصف سنة ثمان وسبعين ومائة وانقرضت بانقراضه دولة آل المهلب من المغرب .

ثم ولى الرشيد على المغرب هرثمة بن أعين فبنى القصر الكبير بالمنستير (٢) وبنى السور على طرابلس من جهة البحر ، ولما رأى هرثمة ما بالمغرب من كثرة الثوار والخلاف استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه لسنتين ونصف من ولايته .

---

(١) هذا مخالف لما تقدم عند المؤلف اول الترجمة من انه كان واليا على فلسطين واستقدمه الرشيد منها وأسند له أمر افريقية فى التاريخ المذكور. والرواية الاولى لابن خلدون وابن الاثير ، والثانية لابن خلكان، ولعل الرواية الاولى هى الصحيحة. والمقالة التى قيلت فى بعد قبريهما فقد قيلت يوم ولايتهما لافريقية والسند زمن المنصور .

(٢) المنستير بضم اوله وفتح ثانيه وسكون السين المهملة وكسر التاء بين المهدية وسوسة بافريقية وهو موضع فيه خمسة قصور يحيط بها سور واحد ويسكن هذه القصور قوم من أهل العبادة والعلم قاله ياقوت .

ثم ولى الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل العكى - وكان رضيعا له - فاضطربت عليه افريقية ، وبلغ الرشيد ذلك

وطلب أهل افريقية من ابراهيم بن الاغلب - وكان من عمال محمد بن مقاتل - أن يكتب إلى الرشيد فى الولاية عليهم ، فكتب إلى الرشيد فى ذلك على أن يترك المائة ألف دينار التى كانت تحمل من مصر إلى افريقية إعانة للولاة بها ، وعلى أن يحمل هو من افريقية إلى الخليفة أربعين ألفا ؛ وبلغ الرشيد غناؤه وكفايته فاستشار فيه أصحابه ، فأشار هرثمة بن أعين بولايته ، فكتب له بالعهد على افريقية منتصف أربع وثمانين ومائة ، فقام ابراهيم بالامر وضبط البلاد فسكنت واستراحت من الفتن وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان ، وانتقل إليها بجملته وأورث بافريقية ملكا لبنيه من بعده .

وفى هذه المدة انقسم المغرب إلى ثلاث ممالك فكان بنو الاغلب بافريقية والقيروان ، وبنو خزر المغراويون بالمغرب الاوسط وتلمسان ، وبنو إدريس بالمغرب الاقصى .

وقبل أن نفرد الكلام عليه نذكر فصلا نشير فيه إلى مذاهب أهل المغرب ونحلهم على الجملة والله الموفق .

القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا وما يتبع ذلك

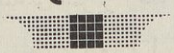

قد تقدم لنا ما قاله الشيخ ابن أبى زيد رحمه الله من ان البربر ارتدوا اثنتى عشرة مرة ، وانه لم تستقر كلمة الاسلام فيهم إلّا لعهد موسى بن نصير وبعد فتحه الاندلس ، ثم كمل اسلامهم على يد اسمعيل بن عبيد الله ابن أبى المهاجر ؛ وتقدم ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب فى دينهم ؛ فكان المغاربة فى صدر الاسلام لذلك على مذهب جمهور السلف من الامة واعتقادهم — وهو المذهب الحق — إلى ان حدثت فيهم بدعة الخارجية لأول المائة الثانية من الهجرة : نزع اليهم بها بعض أهل النفاق من خوارج العراق وبثوها فيهم فتلقوها منهم بالقبول وحسن موقعها لديهم بسبب ما كانوا يعانونه من ثقل وطأة الخلافة القريشية وجور بعض عمالها حسبما تقدمت الاشارة اليه فلقنهم أهل البدع ان الخلافة لا تشترط فيها القريشية بل ولا العربية وان كل من كان أتقى لله كان أحق بها ولو عبدا حبشيا على ظاهر الحديث . ودسوا اليهم مع ذلك بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم وأروهم ماهم عليه من التصلب فى دينهم فظهر للبربر ببادئ الرأى ان تعمقهم ذلك انما هو أثر من آثار الخشية لله والخوف منه وان ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا . وغاب عنهم أن الدين يسر كما قال صلى الله عليه وسلم وان ملة الاسلام عرفت من بين الملل بالحنيفية السمحة لذلك والله تعالى يقول : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » ومن أمعن نظره فى نصوص الشريعة من الكتاب والسنة علم يقينا ان طريق النجاة انما هي سلوك الوسط وان كلا من التعمق والانحلال ضلال وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الآية وقد قرر جمع من الائمة المقتدى بهم — كالغزالى فى الاحياء وغيره — ان المحمود فى أمور الديانات كلها انما هو سلوك الوسط بين الافراط والتفريط وبه يتم مراد الله من

خلقه وكلا طرفى قصد الامور ذميم وهذا مبحث طويل نفيس وقد رمزنا اليه بهذه النبذة اليسيرة والتوفيق بيد الله .

وقد رسخت هذه البدعة الخارجية فى البربر زمانا طويلا الى ان اضمحلت فى أواخر المائة الثانية وما بعدها ومع ذلك فقد بقيت منها آثار فى أعقابهم من أصحاب الاطراف كما ذكره ابن خلدون والناقد بصير .

ولما طهر الخلفاء من بنى العباس المغرب من هذه النزغة الشيطانية أخذ أهله بعدها بمذاهب أهل العراق فى الاصول والفروع لان ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم امامهم .

قال عياض فى المدارك : ظهر مذهب أبى حنيفة بافريقية ظهورا كثيرا الى قرب أربعمائة سنة فانقطع منها ، ودخل منه شىء إلى ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس وبالاندلس وكذا ظهر بالاندلس أيضا مذهب عبد الرحمن الاوزاعى من أهل الشام .

واختلف الناس فى السبب الذى انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبى حنيفة وغيره إلى مذهب الامام مالك بن أنس ـ الذى هو مذهب السلف من أهل الحجاز ـ فقال ابن خلكان فى ترجمة المعز بن باديس الصنهاجى المتوفى فى أواسط المائة الخامسة ما نصه : « كان مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه بافريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك رضى الله عنه وحسم مادة الخلاف فى المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الآن » اه .

قلت : كان المعز هذا واسلافه من صنهاجة بافريقية على مذاهب الرافضة من الشيعة أخذوه عن خلفائهم العبيديين أيام استيلائهم على المغرب فى صدر المائة الرابعة وحملوا الناس عليه وامتحنوهم وطارت بدعتهم فى أقطار المغرب كله ، فلما أفضى الامر الى المعز بن باديس المذكور قطع دعوة الشيعة من افريقية ، ودعا لبنى العباس وحمل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وامام دار الهجرة .

هذا والمعروف ان مذهب مالك ظهر أولا بالاندلس ثم انتقل منها الى المغرب الاقصى أيام الادارسة ، وكذا ظهر بافريقية ظهورا بينا قبل وجود المعز بكثير بل قبل استيلاء صنهاجة والعبيديين على المغرب وذلك على يد أسد بن الفرات وعبد السلام

ابن سعيد التنوخى المعروف بسحنون وغيرهمامن أئمة المغاربة . نعم لما ظهرت دولة الشيعة بافريقية حاولوا محوه فلم يتيسر لهم ذلك . وكان فقهاء المالكية فى ذلك العصر معهم فى محنة عظيمة منهم ابن أبى زيد والقابسى وأبو عمران الفاسى وطبقتهم ، ولم يزل الامر على ذلك الى ان نصره المعز المذكور جزاه الله خيرا . قالوا وكان ظهوره بالاندلس على يد الفقيه زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون فهو أول من أدخله الاندلس، وكانوا قبل ذلك يتفقهون على مذهب الاوزاعى - امام أهل الشام - لمكان الدولة الاموية منهم ، فلما ظهر مالك رضى الله عنه بالمدينة وعظم صيته وانتشرت فتاويه باقطار الارض رحل اليه جماعة من أهل الاندلس والمغرب كان من أمثلهم واسبقهم شبطون المذكور وقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبى هند وغيرهم أيام هشام ابن عبد الرحمن الداخل . فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به ذكره بالاندلس فانتشر يومئذ علمه ورأيه بها .

وكان رائد الجماعة فى ذلك هو شبطون كما قلنا وهو أول من أدخل كتاب الموطأ المغرب ، أتى به مكملا متقنا فأخذه عنه يحي بن يحي الليثى ، ثم رحل بعد ذلك الى مالك فقرأه عليه وعاد الى الاندلس فتمم ما كان قد بقى من شهرة المذهب المالكى .

قال ابن حزم : «مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان : مذهب أبى حنيفة فانه لما ولى الرشيد أبا يوسف خطة القضاء كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحي بن يحي كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلى قاض فى أقطار الاندلس إلّا بمشورته واختياره ولا يشير إلّا باصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم ، على ان يحي لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا فى جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم » اه .

ورأيت فى بعض التآليف (١) فى سبب ظهور مذهب مالك بالاندلس والمغرب ان حاج المغرب والاندلس قدموا على مالك رضى الله عنه بالمدينة فسألهم عن سيرة عبد الرحمن

---

(١) المقصود بها الديباج المذهب لابن فرحون وشرح ابن نباتة لرسالة ابن زيدون .

ابن معاوية المعروف بالداخل فقيل له انه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد فى سبيل الله فقال مالك : ليت الله زين حرمنا بمثله ، فنقم عليه بنو العباس هذه المقالة وكان ذلك سبب توصلهم الى ضربه فى مسألة الاكراه كما هو مشهور ، وبلغت مقالته صاحب الاندلس فسربها وجمع الناس على مذهبه فانتشر فى أقطار المغرب من يومئذ والله أعلم .

ومما يناسب هنا ما نقله المؤرخون ان أبا عبد الله محمد بن خيرون - الاندلسى الاصل القيروانى الدار رحل إلى المشرق فى صدر المائة الرابعة فأخذ عن علمائه وقرائه وعاد الى افريقية بقراءة نافع بن أبى نعيم - وكان الغالب عليهم القراءة بحرف حمزة - فشاع حرف نافع من يومئذ فى أقطار المغرب بعد ان كان لا يقرأبه إلّا الخواص واستمر الحال على ذلك إلى اليوم . فهذا حال أهل المغرب فى الفروع .

وأما حالهم فى الاصول والاعتقادات فبعد ان طهرهم الله تعالى من نزغة الخارجية أولا والرافضية ثانيا أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضى الله عنهم فى الايمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر - وهو والله أحسن المذاهب (١) وأسلمها - والله در القائل .

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولاذاته شيء ، عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات باسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا ، فعل اللبيب المراقب
ونركب للتسليم سفنا ، فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

واستمر الحال على ذلك مدة الى أن ظهر محمد بن تومرت مهدى الموحدين فى صدر المائة السادسة . فرحل الى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبى الحسن الاشعرى ومتأخرى أصحابه من الجزم بعقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة وتخريجه على ما عرف فى كلام العرب من فنون مجازاتها وضروب بلاغاتها مما يوافق عليه النقل والشرع ، ويسلمه العقل والطبع . ثم عاد محمد بن تومرت الى المغرب ودعا

---

(١) قد انتصر المؤلف رحمه الله لهذا المذهب فى تاليفه المسمى « تعظيم المنة بنصرة السنة » بما لا مزيد عليه .

الناس إلى سلوك هذه الطريقة، وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره ، وسمى أتباعه الموحدين ، ـ تعريضا بان من خالف طريقته ليس بموحد ـ وجعل ذلك ذريعة الى الانتزاء على ملك المغرب حسبما تقف عليه مفصلا بعد ان شاء الله ، لكنه ما أتى بطريقة الاشعرى خالصة بل مزجها بشيء من الخارجية والشيعية حسبما يعلم ذلك بامعان النظر فى أقواله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده ، ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على تعاطى مذهب الاشعرى وتقريره وتحريره درسا وتأليفا الى الآن ، وان كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورا ما . والله أعلم .

وقد كان : عبد المؤمن بن على وبنوه من بعده قد منعوا الناس من التقليد فى الفروع وحملوا الائمة على أخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة على طريقة الاجتهاد المطلق ، وحرقوا شيئا كثيرا من كتب الفروع الحديثة التصنيف، ووقع ذلك من بعض علماء عصرهم موقع الاستحسان منهم الامام الحافظ أبو بكر بن العربى فقد ذكر في كتاب القواصم والعواصم له ما يشعر بذلك ، قال بعد ذكره ما وقع بالمغرب من الفتن ما نصه : «عطفنا عنان القول الى مصائب نزلت بالعلماء فى طريق الفتوى لما كثرت البدع وذهب العلماء ، وتعاطت المبتدعة منصب الفقهاء وتعلقت أطماع الجهال به فنالوه بفساد الزمان ، ونفوذ وعد الصادق صلى الله عليه وسلم فى قوله « اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » وبقيت الحال هكذا فماتت العلوم إلّا عند آحاد الناس ، واستمرت القرون على موت العلم وظهور الجهل وذلك بقدرة الله تعالى ، وجعل الخلف منهم يتبع السلف حتى آلت الحال الى أن لاينظر فى قول مالك وكبراء أصحابه . ويقال قد قال فى هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة وأهل طليطلة . وصار الصبى اذا عقل وسلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى ثم نقلوه الى الادب ثم الى الموطأ ثم الى المدونة ثم الى وثائق ابن العطار ، ثم يختمون له باحكام ابن سهل ، ثم يقال قال فلان الطليطلى وفلان المجريطى وابن مغيث لاأغاث (١) الله ثراه

---

(١) علق المؤلف رحمه الله فى بعض أصوله التاريخية على هذه العبارة فى حق ابن مغيث مانصه : « انظر فى الكلام على السماع من جامع المعيار ما اثنى به عياض على ابن مغيث رحمهم الله الجميع »

فيرجع القهقهرى ، ولا يزال يمشى الى ورا ، ولولا ان الله تعالى من بطائفة تفرقت فى ديار العلم وجاءت بلباب منه كالقاضى أبى الوليد الباجى وأبى محمد الاصيلى فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة وغطروا أنفاس الامة الذفرة ، لكان الدين قد ذهب ولكن تدارك البارى تعالى بقدرته ضرر هؤلاء بنفع هؤلاء وربما سكنت الحال قليلا والحمد لله » اه والله تعالى ولى التوفيق .



تتمة مهمة (*)

قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة ـ لاسيما فى المائة العاشرة وما وبعدها ـ بدعة قبيحة وهى اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم ممن يشار إليه بالولاية والخصوصية ، ويخصونه بمزيد المحبة والتعظيم ، ويتمسكون بخدمته والتقرب إليه قدرا زائدا على غيره من الشيوخ بحيث يرتسم فى خيال جلهم ان كل المشايخ أو جلهم دونه فى المنزلة عند الله تعالى ويقولون نحن أتباع سيدى فلان وخدام الدار الفلانية ، لا يحولون عن ذلك ولا يزولون خلفا عن سلف ، وينادون باسمه ويستغيثون به ويفزعون فى مهماتهم اليه ، معتقدين أن التقرب اليه نافع والانحراف عنه قيد شبر ضار ، مع ان النافع والضار هو الله وحده ، واذا ذكر لهم شيخ آخر أودعوا اليه حاصوا حيصة حمر الوحش من غير تبصر فى أحواله هل يستحق ذلك التعظيم أم لا ، فصار الامر عصبيا وصارت الامة بذلك طرائق قددا ، ففى كل بلد أو قرية عدة طوائف وهذا لم يكن معروفا فى سلف الامة الذين هم القدوة

(*) قد تصدى المؤلف رحمه الله لهذه البدعة وغيرها من البدع المحدثات فى الدين ، وشرحها وبين مخالفتها لما جاء عن الله ورسوله بالحجج القاطعة والادلة الواضحة الساطعة فى تأليف كبير له خصصه لهذا القصد وسماه : « تعظيم المنة بنصرة السنة » ما زال لم يطبع ، رتبه على أبواب الفقه من توحيد وطهارة وصلاة وزكاة وحج وتصوف وغير ذلك واستفرغ جهده فى تفنيد سائر البدع والذب عن حوزة الشرع والدين بما لامزيد عليه ، وانتقد سائر ماظهر من المنكرات والبدع فى الاقطار الاسلامية على الجملة وفى المغرب بالخصوص فى سائر الاعصار والامصار ، فجاء تأليفا عجيبا فى بابه ودستورا جامعا فى فنه ، جزاه الله عن نصرة الاسلام والدين خيرا ، واما ما كتبه فى هذه التتمة فإنما هو قل من جل ونقطة من بحر لاسيما فيما يرجع لحدوث الطوائف وأرباب الزوايا بالمغرب ، فقد تكفل باستقصاء ذلك وتفصيله .

لمن بعدهم ، وغرض الشارع إنما هو فى الاجتماع وتمام الالفة واتحاد الوجهة . وقد قال تعالى لاهل الكتاب « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » الآية وقد ذم قوما فرّقوا دينهم وكانوا شيعا ، وإنما الشأن فى أهل الخصوصية والدين أن يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كأسنان المشط بحيث يحبهم لله وفى الله ويستشفع بهم إلى الله ، ويسأله تعالى أن يكرمه بما أكرمهم به من الخير والهدى والدين ، وليحبهم حب التشرع لاحب التشيع ، وليتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب ، فإن ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم عند الله ، وذلك محجوب عنا ، وإذا نزلت به حاجة فليفزع فى قضائها إلى مولاه الذى خلقه ورزقه ، مستشفعا إليه بنبيه الذى هداه للايمان على يده ، ثم بخواص الامة الذين هم آباؤنا في الدين ، فإن المطلوب من العبد أن يصرف وجهته وقصده فى جميع أموره ، ويتعلق فيها بالله بحيث لا يطلبها إلّا منه ، ولا يتكل فيها إلّا عليه قاطعا للنظر عن كل ما سواه اللهم إلّا على سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا . هذا هو التوحيد الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ، وإليه دعا ، وعليه قاتل ، وسواه شرك ومنابذ لما جاء به « إن هذا لهو القصص الحق ، وما من إله إلّا الله » الآية .

ثم استرسل هؤلاء الطغام في ضلالهم حتى صارت كل طائفة تجتمع فى أوقات معلومة فى مكان مخصوص — أو غيره — على بدعتهم التى يسمونها الحضرة ! فما شئت من طست وطار ! وطبل ومزمار! وغناء ورقص! وخبط بالرجل وفحص ! وربما أضافوا إلى ذلك نارا أو غيرها يستعملونه على سبيل الكرامة بزعمهم ! ويستغرقون فى ذلك الزمن الطويل حتى يمضى الوقت والوقتان من أوقات الصلوات ! وداعى الفلاح ينادى على رؤوسهم — وهم فى حيرتهم يعمهون — لا يرفعون به رأسا ! ولا يرون بما هم فيه من الضلال بأسا ! بل يعتقدون ان ما هم فيه من أفضل القرب إلى الله ! تعالى الله عن جهالاتهم علوا كبيرا .

ولا تجد فى هذه المجامع الشيطانية غالبا إلّا من بلغ الغاية فى الجفاء والجهل ، ممن لا يحسن الفاتحة فضلا عن غيرها ، مع ترك الصلاة طول عمره ، أو من فى معناه من معتوه ناقص العقل والدين ، فما أحوج هؤلاء الفسقة إلى محتسب يغير عليهم ما هم فيه

من المنكر العظيم واللبس المقيم ، وأعظم من هذا كله انهم يفعلون تلك الحضرة غالبا فى المساجد ، فإنهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجدا للصلاة بالمحراب والمنار وغير ذلك ، ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة ، فكم رأينا من عودورباب ومزمار على افحش الهيآت فى محاريب الصلوات !

ومن بدعهم الشنيعة محاكاتهم أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام من جعل الكسوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم آمنا وسوق الذبائح إليها على هيئة الهدى ! واتخاذ الموسم كل عام ! وهذا وامثاله لم يشرع إلّا فى حق الكعبة ، ثم يقع فى ذلك الموسم - ولاسيما مواسم البادية - من المناكر والمفاسد العظام واختلاط الرجال بالنساء باديات متبرجات - شأن أهل الاباحة وشأن قوم نوح فى جاهليتهم - ما تصم عنه الآذان ولا منكر ولا مغير ولا ممتعض للدين ! لا ! بل للحسب ! فأما الدين عند هؤلاء فلا دين ! فإنا لله وإنا إليه راجعون على ضيعة الدين وغفلة أهله عنه ؛ ويا لله ويا للمسلمين لهؤلاء الهمج الرعاع ! الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين والانسانية جملة ! فليسوا فى فطنة الشياطين ! ولا فى سلامة صدور البهائم ! ولا فى نخوة السباع ! فيغضبوا لدينهم ومروءتهم !

ومن جهالاتهم الفظيعة جمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي فى مقامات التعظيم - كالقسم والاستعطاف وغيرهما - فإذا أقسموا قالوا : « وحق الله وحق سيدى فلان » ! وإذا عزموا على أحد قالوا : « دخلت عليك بالله وسيدى فلان » ! وإذا سألوا قالوا : « من يعطينا على الله وعلى سيدى فلان » ! فيعطفون اسم العبد على اسم مولاه بالواو المقتضية للتشريك والتسوية التامة ! في مقام قد حظر الشارع أن يتجاوز فيه اسم الله إلى غيره ! وهذا هو صريح الشرك .

ومن مناكرهم الجديرة بالتغيير : اجتماعهم كل سنة للوقوف يوم عرفة بضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ! ويسمون ذلك حج المسكين ! فانظر إلى هذه الطامة التى اخترعها هؤلاء العامة .

ومن اختراعاتهم : تسميتهم لبدعتهم بالحضرة - كما قلنا - أخذا من اسم حضرة الله تعالى فى اصطلاح الائمة العارفين من الصوفية ! كأهل رسالة القشيرى ومن فى معناهم

فأوهم هؤلاء الشياطين بهذه التسمية انهم يكونون فى حال اشتغالهم بتلك البدعة فى حضرة الله تعالى ؛ ثم يذهبون فيسمون جنونهم وتخبطهم على تلك الطبول والمزامير بالحال ! أخذا من الحال التى تعترى السالك إلى الله تعالى فى حال ترقيه في درجات المعرفة والوصول ، وهذا لعمر الله من أقبح الضلالات وأشنع الجهالات ! إلى غير هذا مما أغنى فيه العيان عن الخبر ، وعرفه الخاص والعام في حالتى الورد والصدر .

ولسنا ننكر على اولياء الله وأهل الخصوصية منهم أو على من يسلك سبيلهم على الوجه المقرر فى كتب الائمة المقتدى بهم منهم ، وإنما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الامر من بابه ، ولا أخذوه عن ارباب ، وإنما حالهم ما رأيت وعلمت ، وهذه نفثة مصدور ، صاحبها عند المنصف معذور ، فنسأل الله العظيم ، المولى الكريم : أن يحرك همة من له القدرة والتصرف إلى حسم هذه الضلالات وقطعها ، عسى أن يرحمنا ربنا ويجبر كسرنا ويكبت عدونا إذا نحن راجعنا ديننا وسنة نبينا (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ، ومالهم من دونه من وال) .

وقد آن أن نفرد الكلام على المغرب الاقصى عند ما استولى عليه المولى إدريس بن عبد الله وبنوه من بعده ، واقتطعوه عن نظر الخلفاء بالمشرق ، وصيروه مملكة مستقلة ، إذ كان ذلك من شرط كتابنا هذا ، حسبما تقدمت الاشارة إليه ، مقدمين لذلك ما يجب تقديمه من الاشارة إلى أمر الخلافة وتنازع أهل الصدر الاول فى استحقاقها ومن هو أولى بها ، ثم نتخلص منه إلى المقصود بالذات والله الموفق .

الدولة الادريسية

الخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى

وذكر السبب فى أوّليتهما

اعلم أنه قد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا الامر فى قريش لايعاديهم أحد إلّا كبه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين » وفيه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال هـذا الامر فى قريش مـا بقى منهم اثنان » وغير ذلك .

قال الحافظ ابن حجر : « لو فقد قرشى فكنانى ثم رجل من بنى اسمعيل ثم عجمى على ما فى التهذيب أو جرهمى على مـا فى التتمة ثم رجل من بنى اسحق . وأن يكون شجاعا ليغزو بنفسه ويعالج الجيوش ويقوى على فتح البلاد ويحمى البيضة وأن يكون أهلا للقضاء بأن يكون مسلما مكلفا حرا عـدلا ذكرا مجتهدا ذا رأى وسمع وبصر ونطق .

وتنعقد الامامة ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس المتيسر اجتماعهم ، وباستخلاف الامام من يعينه فى حياته ويشترط القبول فى حياته ليكون خليفة بعد موته ، وباستيلاء متغلب على الامامة ولو غير أهـل لها كصبى وامرأة ان قهر الناس بشوكـته وجنده وذلك لينتظم أمر المسلمين) اهـ .

ثم نقول قد تقدم لنا أمر الخلفـاء الاربعة رضى الله عنهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم وان السلف أطبقوا على ان ترتيبهم فى الفضل على حسب ترتيبهم فى الخـلافة

وتقدم لنا أيضا ما كان من علي ومعاوية رضى الله عنهما وان ما صدر منهما كان اجتهادا محضا وطلبا للحق ، وان الصواب كان مع علي رضى الله عنه والكل مأجور .

ثم لما قتل علي رضى الله عنه بايع أهل العراق ابنه الحسن رضى الله عنه وزحف اليه معاوية فى أهل الشام ، ورأى الحسن ما فى حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم من الثواب عند الله والكرامة لديه ، فاختار الاخرى على الدنيا وقدم الآجل على العاجل ، وسلم الامر الى معاوية على شروط معروفة ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما قال جده صلى الله عليه وسلم .

وحاز معاوية الخلافة وصفت له وتوارثها بنو أمية من بعده بعد مقاتلات ومنازعات كانت من بنى هاشم وغيرهم لهم يطول جلبها .

وكان السواد الاعظم من المسلمين يرون ان بنى هاشم أحق بالامر من بنى أمية لان بنى هاشم هم آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وعشيرته الاقربون ، وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فهم أحق بمنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم . وهذا الرأى صواب ، غير ان ذلك ليس بطريق الوجوب عند أهل السنة بل بطريق الاحقية والاولوية اذا توفرت الشروط فيهم وفى غيرهم من سائر بطون قريش ، والا فمن انفردت به الشروط وجب المصير اليه .

وكان شيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه يوجبون الخلافة لبنيه دون من عداهم ويزعمون ان ذلك كان بوصية من النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ، وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة من طريق صحيح ، ومذاهب هؤلاء الشيعة فى كيفية سوق الخلافة فى عقب على رضى الله عنه متعددة لاحاجة لنا بذكرها .

وكان بنو علي رضى الله عنه فى الصدر الاول كثيرا ما يثورون فى النواحى شرقا وغربا طالبين حقهم فى الخلافة ، منازعين فيها لبنى أمية أولا ثم لبنى العباس من بعدهم ثانيا وخبرهم فى ذلك معروف ، وجلبه يطول الى ان كان منهم عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم — وكان من سادة أهل البيت يومئذ — وكان له عدة أولاد ، منهم محمد المعروف بالنفس الزكية وابراهيم ويحى

وسليمان وادريس وغيرهم .

ولما صار أمر بنى أمية الى الاختلال أيام مروان الحمار آخر خلفائهم اجتمع أهل البيت بالمدينة وتشاوروا فيمن يقدمونه للخلافة ، فوقع اختيارهم على محمد بن عبد الله النفس الزكية ، فبايعوا له بالخلافة وسلموا له الامر باجمعهم ، وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور ، وذلك قبل ان تنتقل الخلافة الى بنى العباس ، فبايع للنفس الزكية فيمن بايع له من أهل البيت وأجمعوا على ذلك لتقدمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم .

قال ابن خلدون : « ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله يحتجان له حين خرج بالحجاز ، ويريان أن امامته أصح من إمامة أبى جعفر المنصور لانعقاد هذه البيعة اولا ، وكان أبو حنيفة يقول بفضله ويحتج لحقه ، فتأدت الى الامامين المحنة بسبب ذلك أيام أبى جعفر المنصور ، حتى ضرب مالك رضى الله عنه على الفتيا في طلاق المكره ، وحبس أبو حنيفة رضى الله عنه على القضاء » .

ولما انقرضت دولة بنى أمية وجاءت دولة بنى العباس وصار الامر الى أبى جعفر المنصور منهم سعى عنده بآل البيت ، وان محمد بن عبد الله يروم الخروج عليه ، وان دعاته قد ظهروا بخراسان فأمر المنصور عامله على المدينة رباح بن عثمان المرى بحبس عبد الله بن حسن ومن اليه من آل الحسن بن علي بن أبى طالب ، فحبسه فى جماعة من بنيه واخوته وبنى عمه ، قال ابن خلدون : فى خمسة وأربعين من أكابرهم ، وقدم المنصور المدينة فى حجة حجها فساقهم معه الى العراق ، وحبسهم بقصر ابن هبيرة من ظاهر الكوفة حتى هلكوا فى حبسهم ، وجد المنصور فى طلب محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه ابراهيم لكونهما تغيبا فلم يحبسا فى جملة من حبس من عشيرتهم .

ثم لما كانت سنة خمس وأربعين ومائة وأرهق محمد بن عبد الله الطلب ، وأعيت عليه المذاهب ظهر بالمدينة المنورة ، ودعا الناس الى بيعته فبايعوه .

واستفتى أهل المدينة الامام مالكا رضى الله عنه فى الخروج مع محمد بن عبد الله وقالوا فى أعناقنا بيعة للمنصور ، فقال انما بايعتم مكرهين ، فتسارع الناس الى محمد وأجابوا دعوته ، ولزم الامام مالك بيته وخطب محمد بن عبد الله على منبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وذكر المنصور بما نقمه عليه ، ووعد الناس واستنصر بهم ، وتسمى بالمهدي ، ولم يتخلف عن بيعته من وجوه الناس إلّا القليل .

وبلغ المنصور خبر محمد بن عبد الله وما كان منه بالمدينة ، فأشفق من ذلك غاية الاشفاق ، وكتب الى محمد كتاب أمان ويعده الجميل ان هو راجع الطاعة ، فأجابه محمد بعدم قبول ذلك منه ، ودارت بينهما مكاتبات ومحاوراب فى الافضلية واستحقاق الخلافة ، وقد ذكر مكاتبتهما المبرد في كامله ، وابن خلدون فى تاريخه .

وآخر الامر أن المنصور بعث لحرب محمد المهدى ابن عمه عيسى بن موسى العباسى . فاستعد المهدى للقتال وأدار على المدينة الخندق الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب ، وقدمت جيوش العباسيين ونزلوا على المدينة .

وخرج اليهم محمد بن عبد الله فيمن بايعه واقتتل الناس قتالا شديدا ، وأبلى محمد المهدى فى ذلك اليوم بلاء عظيما . وقتل بيده سبعين رجلا .

ولما اشتد القتال وعاين مخايل الاختلال انصرف فاغتسل وتحنط وجمع بين الظهر والعصر ومضى فأحرق الديوان الذى كان فيه أسماء من بايعه وجاء الى السجن فقتل رباح بن عثمان عامل المنصور على المدينة ، وقتل معه جماعة كانوا مسجونين عنده ثم عاد الى المعركة وقد تفرق عنه جل أصحابه ولم يبق معه إلّا نحو ثلاثمائة فقال له بعضهم : نحن اليوم فى عدة أهل بدر ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل : ضرب فسقط لركبتيه وطعنه حميد بن قحطبة فى صدره ثم احتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به الى المنصور .

وكان مقتل محمد المهدى رحمه الله فى منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه ولحق ابنه علي بن محمد بالسند الى ان هلك هناك ، واختفى ابنه الآخر عبد الله الاشتر الى ان هلك أيضا فى خبر طويل .

ثم خرج ابراهيم بن عبد الله أخو المهدى المذكور بالبصرة عقب ذلك فبعث اليه المنصور عيسى بن موسى المذكور آنفا فقاتله آخر ذى القعدة من السنة فانهزم ابراهيم وقتل رحمه الله بعد أن بايعه أكثر من مائة ألف

ثم لما كانت سنة تسع وستين ومائة فى أيام موسى الهادى بن محمد المهدى بن أبى

جعفر المنصور ، خرج بالمدينة الحسين بالتصغير بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان معه جماعة من أهل بيته منهم ادريس ويحي وسليمان بنو عبد الله بن الحسن المثنى - وهم إخوة محمد النفس الزكية - فاشتد أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه وبين عامل الهادى على المدينة - وهو عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - قتال ، فانهزم عمر المذكور ، وبايع الناس الحسين المذكور على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد - وكانوا يكنون بذلك عن الامام المستور الى ان يقدر على اظهار أمره - وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون أياما ثم خرجوا الى مكة يوم السبت لست بقين من ذى القعدة فانتهى الحسين الى مكة ، وانضم اليه جماعة من عبيدها .

وكان قد حج تلك السنة جماعة من وجوه بنى العباس وشيعتهم ، فمنهم سليمان بن أبى جعفر المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وانضم اليهم من حج من قوادهم ومواليهم واقتتلوا مع الحسين المذكور يوم التروية - الثامن من ذى الحجة - فانهزم الحسين وأصحابه وقتل فاحتزوا رأسه وأحضروه أمام بنى العباس وهو مضروب على قفاه وجبهته ، ثم جمعت رؤوس أصحابه فكانت مائة ونيفا وكان فيها رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى فى قول واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا فى كل وجه .

وكان مقتلهم بموضع يقال له فخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة كما قلنا . وفى ذلك يقول بعض شعراء ذلك العصر :

فلأبكين على الحسين بعولة ، وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى * واروه ليس له كفن
تركوا بفخ غدوة * فى غير منزلة الوطن

فى أبيات . والحسن الذى ذكره فى هذه الابيات هو الحسن بن محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبى طالب ، وكان اسر فى ذلك اليوم فضربت عنقه صبرا ، وابن عاتكة الذى ذكره هو عبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبى طالب . ثم حمل رأس الحسين ومعه باقى الرءوس إلى الهادى فأنكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم .

دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى

قد تقدم لنا ان يحيى وادريس ابنى عبد الله حضرا وقعة فخ مع الحسين بن علي المذكور آنفا . فأما يحيى فإنه فر من الوقعة المذكورة إلى بلاد الديلم فى جهة الشرق ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته . ثم ان الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيى البرمكى فى جيش كثيف فكاتبه الفضل وبذل له الامان وما يختاره ، فأجابه يحيى ابن عبد الله الى ذلك وطلب يمين الرشيد وأن يكون بخطه ويشهد فيه الاكابر . ففعل ذلك ، وحضر يحيى بن عبد الله الى بغداد فأكرمه الرشيد وأعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات فى السجن .

وأما إدريس فإنه فرّ من الوقعة المذكورة ولحق بمصر ، وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور — ويعرف بالمسكين — وكان واضح يتشيع لآل البيت ، فعلم شأن إدريس وأتاه إلى الموضع الذى كان مستخفيا به ، ولم ير شيئا أخلص له من أن يحمله على البريد إلى المغرب ففعل ، ولحق إدريس بالمغرب الاقصى هو ومولاه راشد . فنزل بمدينة وليلي سنة ثنتين وسبعين ومائة ، وبها يومئذ اسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير اوربة من البربر البرانس فأجاره وأكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته . وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع فى ذلك وانتهى الخبر إلى الرشيد بما فعله واضح فى شأن ادريس فقتله وصلبه .

وقال ابن أبى زرع فى كتاب القرطاس : إن إدريس بن عبد الله لما قتلت عشيرته بفخ فر بنفسه متسترا فى البلاد يريد المغرب فسار من مكة حتى وصل الى مصر ومعه مولى له اسمه راشد ، فدخلها والعامل عليها يومئذ لبنى العباس هو علي بن سليمان الهاشمى فبينما ادريس وراشد يمشيان فى شوارع مصر إذ مرا بدار حسنة البناء فوقفا يتأملانها ، واذا بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما وقال : « ما الذى تنظرانه من هذه الدار » فقال راشد : « أعجبنا حسن بنائها » قال : « وأظنكما غريبين ليسا من هذه البلاد » فقال راشد : « جعلت فداك ان الامر كما ذكرت » قال : « فمن أى الاقاليم أنتما » قالا : « من الحجاز » قال : « فمن أى بلاده » قالا : « من مكة » قال : « وإخالكما من شيعة الحسنيين

الفارين من وقعة فخ » فهما بالانكار ثم توسما فيه الخير فقال راشد : « ياسيدى أرى لك صورة حسنة وقد توسمت فيك الخير أرايت ان أخبرناك من نحن أكنت تستر علينا ؟) قال : « نعم ورب الكعبة وأبذل الجهد فى صلاح حالكما » فقال راشد : « هذا ادريس بن عبد الله بن حسن وأنا مولاه راشد ، فررت به خوفا عليه من القتل ونحن قاصدون بلاد المغرب » فقال الرجل : « لتطمئن نفوسكما فانى من شيعة آل البيت وأول من كتم سرهم فأنتما من الآمنين » ثم أدخلهما منزله وبالغ فى الاحسان اليهما فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان صاحب مصر ، فبعث إلى الرجل الذى هما عنده ، فقال له : « إنه قد رفع إلي خبر الرجلين اللذين عندك ، وان أمير المؤمنين قد كتب إلي فى طلب الحسنيين والبحث عنهم ، وقد بث عيونه على الطرقات وجعل الرصاد على اطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه وحاله ، وانى اكره أن أتعرض لدماء آل البيت فلك ولهم الامان فاذهب إليهما وأعلمهما بمقالي ، وامرهما بالخروج من عملي ، وقد اجلتهما ثلاثا » فسار الرجل فاشترى راحلتين لادريس ومولاه واشترى لنفسه أخرى وصنع زادا يبلغهما إلى افريقية وقال لراشد : « اخرج أنت مع الرفقة على الجادة واخرج أنا وإدريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق ، وموعدنا مدينة برقة » فخرج راشد مع الرفقة فى زى التجار ، وخرج إدريس مع المصرى فسلكا البرية حتى وصلا إلى برقة وأقاما بها حتى لحق بهما راشد ، ثم جدد المصرى لهما زادا وودعهما وانصرف .

وسار إدريس وراشد يجدان السير حتى وصلا إلى القيروان فأقاما بها مدة ، ثم خرجا إلى المغرب الاقصى .

وكان راشد من أهل النجدة والحزم والدين والنصيحة لآل البيت ، فعمد إلى إدريس حين خرجا من القيروان فألبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة كذلك ، وصيره كالخادم له يأمره وينهاه ، كل ذلك خوفا عليه وحياطة له ، ثم وصلا إلى مدينة تلمسان فأراحا بها أياما ثم ارتحلا نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادى ملوية ودخلا بلاد السوس الادنى وتقدما إلى مدينة طنجة ـ وهى يومئذ قاعدة بلاد المغرب الاقصى وأم مدنه ـ فأقاما بها

أياما ، فلما لم يجد إدريس بها مراده خرج مع مولاه راشد حتى انتهيا إلى مدينة وليلي قاعدة جبل زرهون .

وكانت مدينة متوسطة حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون ، وكان لها سور عظيم من بنيان الاوائل يقال انها المسماة اليوم بقصر فرعون ، فنزل بها إدريس على صاحبها ابن عبد الحميد الاوربى فاقبل عليه ابن عبد الحميد وبالغ فى اكرامه وبره ، فعرفه إدريس بنفسه وأفضى إليه بسره فوافقه على مراده وأنزله معه فى داره وتولى خدمته والقيام بشئونه .

وكان دخول إدريس المغرب ونزوله على ابن عبد الحميد بمدينة وليلي غرة ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين ومائة .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

بيعة الامام ادريس بن عبد الله رضى الله عنه

لما استقر إدريس بن عبد الله بمدينة وليلي عند كبيرها اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربى أقام عنده ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب إدريس وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه ، فقالوا الحمد لله الذى اكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد ، فما تريد منا ؟ قال : « تبايعونه » قالوا : « مامنا من يتوقف عن بيعته » فبايعوه بمدينة وليلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة .

وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره ، والاقتداء به فى صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم .

وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الاقصى وأكثرها عددا ، وتلتها فى نصرة إدريس والقيام بأمره مغيلة وصدينة ، وهما معا من ولد تامزيت بن ضرى

ولما بويع إدريس رحمه الله خطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم « أيها الناس لاتمدن الاعناق إلى غيرنا ، فإن الذى تجدونه من الحق عندنا لاتجدونه عند غيرنا »

ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر مثل زواغة وزواوة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة البربر بالمغرب الاقصى . فبايعوه أيضا ، ودخلوا فى طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته .

ولحق به من اخوته سليمان بن عبد الله ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها ، كذا عند ابن خلدون فى اخبار الادارسة ، والذى عنده فى أخبار بنى العباس وكذا عند أبى الفداء أن سليمان بن عبد الله بن حسن قتل بوقعة فخ وجمع رأسه مع رءوس القتلى فالله أعلم .

* * * * *

غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى وفتحه اياها

ثم ان ادريس بن عبد الله رضى الله عنه اتخذ جيشا كثيفا من وجوه زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم ، وخرج غازيا بلاد تامسنا ، ثم زحف إلى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها ، وكان أكثر أهل هذه البلاد لازالوا على دين اليهودية والنصرانية وإنما الاسلام بها قليل ، فأسلم جميعهم على يده .

وقفل إلى مدينة وليلي مؤيدا منصورا فدخلها أواخر ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائة ، فأقام بها شهر محرم فاتح سنة ثلاث وسبعين ريثما استراح الناس ، ثم خرج برسم غزو من كان بقى من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية وكان قد بقى منهم بقية متحصنون فى المعاقل والجبال والحصون المنيعة ، فلم يزل ادريس رحمه الله يجاهدهم في حصونهم ويستنزلهم من معاقلهم حتى دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها ومن أبى الاسلام منهم اباده قتلا وسبيا .

وكانت البلاد التى غزاها فى هـذه المرة حصون فندلاوة وحصون مديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازز ثم عاد الى مدينة وليلى فدخلها فى النصف من جمادى الآخرة من السنة المـذكورة .



غزو ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط
وفتح مدينة تلمسان



لما قفل ادريس رضى الله عنه من غزو بلاد المغرب الاقصى سنة ثلاث وسبعين ومائة أقام بوليلى بقية جمادى الآخرة ونصف رجب التالى لها ريثما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور برسم غزو مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبنى يفرن فانتهى اليها ونزل خارجها فخرج اليه صاحبها محمد بن خزر من ولد صولات المغراوى مستأمنا ومبايعا له فأمنه ادريس وقبل بيعته .

ودخل مدينة تلمسان فأمن أهلها ثم أمن سائر زناتة وبنى مسجـد تلمسـان وأتقنه وأمر بعمل منبر نصبه فيه وكتب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم وذلك فى شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة » ، قال ابن خلدون : (واسم ادريس مخطوط فى صفحة المنبر لهذا العهد) اه ثم رجع ادريس رحمه الله الى مدينة وليلى فدخلها مؤيدا منصورا .



وفاة ادريس بن عبد الله والسبب فى ذلك

لما حصل لادريس رحمه الله ما حصل من التمكن والظهور اتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هرون الرشيد العباسى ، وبلغه ان ادريس قـد استقام له أمر المغرب وانه قـد استفحل أمره وكثرت جنوده وقـد فتح مدينة تلمسان وبنى مسجدها وانه عازم

على غزو افريقية فخاف الرشيد عاقبة ذلك وانه ان لم يتدارك أمره الآن ربما عجز عنه فى المستقبل مع ما يعلم من فضل ادريس خصوصا ومحبة الناس فى آل البيت عموما . فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكى وقال : « ان الرجل قد فتح تلمسان وهى باب افريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد هممت ان أبعث اليه جيشا ثم فكرت فى بعد الشقة وعظم المشقة فرجعت عن ذلك » فقال يحيى : « الرأى يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه برجل داهية يحتال عليه ويغتاله وتستريح منه » فاعجب الرشيد ذلك ؛ فوقع اختيارهما على رجل من موالى المهدى والد الرشيد - واسم الرجل سليمان بن جرير ويعرف بالشماخ - فأحضره يحيى وأعلمه بما يريد منه ، ووعده على قتل ادريس الرفعة والمنزلة العالية عند الرشيد ، وزوده مالا وطرفا يستعين بها على أمره وأصحبه الرشيد كتابا منه الى واليه على افريقية ابراهيم بن الاغلب . كذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وفيه ان ابن الاغلب لم يكن واليا على افريقية فى هذا التاريخ وانما وليها سنة أربع وثمانين ومائة حسبما سبق فوصل الشماخ الى والى افريقية بكتاب الرشيد فاجازه الى المغرب .

وقدم الشماخ على ادريس بن عبد الله مظهرا النزوع اليه فيمن نزع اليه من وحدان العرب متبرئا من الدعوة العباسية منتحلا للدعوة الطالبية فاختصه ادريس رحمه الله وحلا بعينه وعظمت منزلته لديه .

وكان الشماخ ممتلئا من الادب والظرف والبلاغة عارفا بصناعة الجدل فكان اذا جلس الامام ادريس الى رؤساء البربر ووجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل أهل البيت وعظيم برتهم على الامة ويقرر ذلك ويحتج لامامة ادريس وانه الامام الحق دون غيره فكان ذلك يعجب ادريس ويقع منه الموقع فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل إلّا معه .

وكان راشد كالئا لادريس ملازما له أيضا ، قلما ينفرد عنه لانه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لكثرة أعداء آل البيت يومئذ وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويترقب الفرصة فى ادريس الى ان غاب راشد ذات يوم فى بعض حاجاته فدخل الشماخ على ادريس فجلس بين يديه على العادة وتحدثا مليا .

ولما لم ير الشماخ راشدا بالحضرة انتهز الفرصة فى ادريس فقيل انه كانت مع الشماخ قارورة من طيب مسموم فاخرجها وقال لادريس : « هذا طيب كنت استصحبته معى وهو من جيد الطيب فرأيت ان الامام أولى به منى وذلك من بعض مايجب له علي » ثم وضع القارورة بين يديه . فشكره ادريس وتناول القارورة ففتحها واشتم مافيها ، فصعد السم الى خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشى عليه ، وقام الشماخ للحين كأنه يريد حاجة الانسان . فخرج وأتى منزله فركب فرسا له عتيقا كان قد أعده لذلك ، وذهب لوجهه يريد المشرق وافتقد الناس الامام ادريس فاذا هو مغشى عليه لايتكلم ولا يعلم أحد ما به وقيل ان الشماخ سمه فى سنون — والسنون بوزن صبور ما يستاك به — وكان ادريس يشتكى وجع الاسنان واللثة وقيل سمه فى الحوت الشابل وقيل فى عنب أهداه اليه فى غير ابانه والله أعلم :

ولما اتصل خبر ادريس بمولاه راشد أقبل مسرعا فدخل عليه وهو يحرك شفتيه لايبين كلاما قد أشرف على الموت فجلس عند رأسه متحيرا لايدرى مادهاه واستمر ادريس على حالته تلك الى عشى النهار فتوفى فى مهل ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة وتفقد راشد الشماخ فلم يره فعلم انه الذى اغتال ادريس .

ثم جاء الخبر بان الشماخ قد لقى على أميال من البلد فركب راشد فى جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل فى النواحى وطلبوه ليلتهم الى الصباح فلحقه راشد بوادى ملوية عابرا فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع فى بعضها يمناه وشجه فى رأسه شجاجا ونجا الشماخ بجريعاء الذقن وأعيى فرس راشد عن اللحاق به فرجع عنه ويقال ان الشماخ رىء بعد ذلك ببغداد وهو مقطوع اليد .

ولما رجع راشد الى منزله أخذ فى تجهيز الامام رضى الله عنه وصلى عليه ودفنه بصحن رابطة عند باب وليلى ليتبرك الناس بتربته رحمه الله ورضى عنه .

أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رحمه الله



قالوا ان الامام ادريس لما توفى لم يترك ولدا الاحملا من أمة له بربرية اسمها كنزة ، فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم : ان ادريس لم يترك ولدا الاحملا من أمته كنزة وهى الآن فى الشهر السابع من حملها ، فان رأيتم ان تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فان كان ذكرا أحسنا تربيته حتى اذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكا بدعوة آل البيت وتبركا بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كان جارية نظرتم لانفسكم فقالوا له : أيها الشيخ المبارك مالنا رأى إلّا مارأيت ، فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بامورنا كما كان ادريس يقوم بها وتصلى بنا وتقضى بيننا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به ، على انها ان وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الامر لفضلك ودينك وعلمك فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد بأمر البربر تلك المدة .

ولما تمت للجارية أشهر حملها وضعت غلاما أشبه الناس بابيه ادريس فاخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا : هذا ادريس بعينه كأنه لم يمت فسماه راشد ادريس ونشأ الصبى نشأة حسنة الى ان كان من أمره ما نذكره .



الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رحمه الله

كانت ولادة إدريس بن إدريس بن عبد الله يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكفله راشد مولى أبيه ، وقام بأمره أحسن قيام فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة والفقه فى الدين والعربية ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها ، وأطلعه على سير الملوك وعرفه أيام الناس ، ودربه على ركوب الخيل والرمى بالسهام وغير ذلك من مكايد الحرب ، فلم يمض له من العمر مقدار إحدى عشرة سنة إلّا وقد اضطلع بما حمل وترشح للامر ، واستحق لان يبايع ، فبايعه البربر وآتوه صفقتهم عن طاعة منهم وإخلاص .

قال ابن خلدون : بايع البربر إدريس الاصغر حملا ثم رضيعا ثم فصيلا إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينة وليلى سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشرة سنة .

وكان ابراهيم ابن الاغلب صاحب افريقية قد دس إلى بعض البربر الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشدا مولاه سنة ست وثمانين ومائة ، وحملوا إليه رأسه وقام بكفالة إدريس من بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ، ولم يزل على ذلك إلى أن بايعوا لادريس فقاموا بأمره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته ، وفى القرطاس أن مقتل راشد كان فى السنة التى بويع فيها إدريس بن إدريس ، قال : « وكانت بيعة إدريس يوم الجمعة غرة ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة بعد مقتل راشد بعشرين يوما وإدريس يومئذ ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر ، قاله عبد الملك الوراق فى تاريخه ، وفيه بعض مخالفة لتاريخ الولادة المتقدم .

وفى قتل راشد يقول ابراهيم بن الاغلب فى بعض ما كتب به إلى الرشيد يعرفه بنصحه وكمال خدمته :

ألم ترنى بالكيد أرديت راشدا * وانى بأخرى لابن إدريس راصد
تناوله عزمى — على بعد داره — * بمحتومة ، يحظى بها من يكايد
ففاه أخو عك بمقتل راشد * وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

يريد باخى عك محمد بن مقاتل العكى والى افريقية فانه لما حاول ابن الاغلب قتل راشد وتم له ذلك كتب العكى الى الرشيد يعلمه انه هو الذى فعل ذلك فكتب صاحب البريد الى الرشيد بحقيقة الامر ، وان ابن الاغلب هو الفاعل لذلك والمتولى له فثبت عند الرشيد كذب العكى وصدق ابن الاغلب فعزل الرشيد العكى عن افريقية وولى ابن الاغلب عليها وانما كان قبل ذلك عاملا للعكى على بعض كورها هكذا حكى صاحب القرطاس هذا الخبر وفيه ان عزل العكى عن افريقية وتولية ابن الاغلب عليها كان فى سنة أربع وثمانين قبل وفاة راشد بسنتين أو باربع سنين على الخلاف المتقدم .

وقال البكرى والبرنسى : ان راشدا لم يمت حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب وان ادريس لما تم له من العمر احدى عشرة سنة ظهر من وفور عقله ونباهته وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة فاخذ له راشد البيعة على البربر يوم الجمعة سابع ربيع الاول من السنة المذكورة فصعد ادريس المنبر وخطب الناس فقال : « الحمد لله أحمده وأستغفره وأستعين به وأتو كل عليه وأعوذ به من شر نفسى ومن شر كل ذى شر ، وأشهد أن لا اله إلّا الله وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . أيها الناس اناقد ولينا هذا الامر الذى يضاعف فيه للمحسن الاجر ، وعلى المسىء الوزر ، ونحن والحمد لله على قصد ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان الذى تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا » ثم دعا الناس الى بيعته ، وحضهم على التمسك بطاعته ، فعجب الناس من فصاحته وقوة جاشه على صغر سنه ، ثم نزل فتسارع الناس الى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له البيعة وبعد بيعته بقليل توفى مولاه راشد والله أعلم .

وفود العرب على إدريس بن إدريس رحمه الله

لما استقام أمر المغرب لادريس بن ادريس وتوطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه ، وفدت عليه الوفود من البلدان ، وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان ، فاستمر بقية سنة ثمان وثمانين يصل الوفود ويبذل الاموال ، ويستميل الرؤساء والاقيال .

ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه وفود العرب من افريقية والاندلس نازعين إليه وملتفين عليه ، فاجتمع لديه منهم نحو خمسمائة فارس من قيس والازد ومذحج ويحصب والصدف وغيرهم ، فسرّ إدريس بوفادتهم وأجزل صلتهم وأدنى منزلتهم وجعلهم بطانة دون البربر ، فاعتز بهم وأنس بقربهم ، فإنه كان غريبا بين البربر فاستوزر منهم (١) عمير بن مصعب الازدى المعروف بالملجوم ، من ضربة ضربها فى بعض حربهم وسمته على الخرطوم .

وكان عمير من فرسان العرب وسادتها ولابيه مصعب مآثر بإفريقية والاندلس ، ومواقف فى غزو الفرنج . واستقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى ، وكان من أهل الورع والفقه والدين ، سمع من مالك بن أنس وسفيان الثورى وروى عنهما كثيرا وكان قد خرج إلى الاندلس برسم الجهاد ، ثم أجاز إلى العدوة فوفد بها على إدريس فيمن وفد عليه من العرب فاستقضاه ، واستكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى .

ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثر الناس لديه ، وضاقت بهم مدينة وليلي .

وانتهى إلى ابن الاغلب ما عليه امر إدريس من الاستفحال ، فأرهف عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على إدريس ، فكان منهم بهلول بن عبد الواحد المضغرى من خاصة إدريس ومن أركان دولته ، فكاتبه ابن الاغلب واستهواه بالمال حتى بايع الرشيد

---

(١) هو أول تنظيم عرف للمخزن (الحكومة المغربية) والمخزنية فى التاريخ بالمغرب الاقصى

وانحرف عن إدريس ، واعتزله في قومه فصالحه إدريس ، وكتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه ، وكان فيما كتب به إدريس إلى بهلول المذكور قوله :

أبهلول قد حملت نفسك خطة * تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم مع بعد داره * فاصبحت منقادا ، بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب * وقدما رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا * ومناك ابراهيم ، شوك قتاد

ثم أحس إدريس من اسحق بن محمد الاوربى بانحراف عنه ، وموالاة لابن الاغلب فقتله سنة ثنتين وتسعين ومائة وصفا له المغرب ، وتمكن سلطانه به . والله غالب على أمره .

*** ** ***

بناء مدينة فاس

لما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على ادريس رحمه الله وضاقت بهم مدينة وليلى أراد أن يبنى لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته فركب يوما فى جماعة من حاشيته وخرج يتخير البقاع فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وتربته ، فاختط بسنده مدينة مما يلى الجوف وشرع فى بنائها فبنى بعضا من الدور ونحو الثلث من السور ، فأتى السيل من أعلى الجبل فى بعض الليالى فهدم السور والدور ، وحمل ما حول ذلك من الخيام والزروع وألقاها فى نهر سبو فكف ادريس عن البناء ، واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ، ثم خرج ثانية يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبنى فيه ما قد عزم عليه ، فانتهى الى نهر سبو حيث هى اليوم حمة خولان فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولاجل الحمة التى هناك (والحمة كما فى القاموس كل عين فيها ما حار ينبع منها ويستشفى به) فعزم ادريس على ان يبنى هناك مدينة وشرع فى ذ

الاساس وعمل الجيار وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ثم فكر فى نهر سبو وما يأتى به من المدود والسيول زمان الشتاء وما يحصل بذلك من الضرر العظيم للناس فكف عن البناء ورجع الى وليلى .

ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الازدى يرتاد له موضعا يبنى فيه المدينة التى عزم عليها ، فسار عمير فى جماعة يقص الجهات ويتخير البقاع والترب والمياه ؛ حتى انتهى إلى فحص سايس ، فاعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد فى مرج أخضر ، فتوضأ وصلى الظهر هو وجماعة القوم الذين معه ، ثم دعا الله تعالى أن ييسر عليه مطلبه ؛ ثم ركب وحده وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود إليهم ، فنسبت العين إليه من يومئذ ودعيت عين عمير إلى الآن - وعمير هذا هو جد بنى الملجوم من بيوتات فاس وكبرائهم - فأوغل عمير فى فحص سايس حتى انتهى إلى العيون التى ينبع منها وادى فاس ، فرأى بها من عناصر الماء ماينيف على الستين عنصرا ، ورأى مياهها تطرد فى فسيح من الارض وحول العيون شعراء من شجر الطرفاء والطخش والعرعار والكلخ وغير ذلك ، فشرب من الماء فاستطابه ، ونظر إلى ما حوله من المزارع التى ليست على نهر سبو فأعجبته ؛ فانحدر مع مسيل الوادى حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم ، فنظر فإذا ما بين الجبلين غيضة ملتفة الاشجار ، مطردة العيون والانهار ، وفى جانب منها خيام من شعر يسكنها قوم من زواغة يعرفون ببنى الخير ، وقوم من زناتة يعرفون ببنى يرغش وكان بنو يرغش على دين المجوسية ، وكان بيت نارهم بالموضع المعروف بشيبوبة ، وكان البعض منهم على دين اليهودية ، والبعض على دين النصرانية .

وكان بنو الخير ينزلون بعدوة القرويين وبنو يرغش ينزلون بعدوة الاندلس ، وكانوا قلما يفترون عن القتال لاختلاف أهوائهم وتباين أديانهم .

فرجع عمير إلى ادريس وأعلمه بما رأى من الغيضة وساكنيها وما وقع عليه اختياره فيها فجاء ادريس لينظر الى البقعة فألفى بنى الخير وبنى يرغش يقتتلون ؛ فأصلح بينهم وأسلموا على يده .

واشترى منهم الغيضة بستة آلاف درهم فرضوا بذلك ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك على يد كاتبه أبى الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى .

ثم ضرب أبنيته بكزواوة وشرع فى بناء المدينة فاختط عدوة الاندلس غرة ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائة .

وفى سنة ثلاث بعدها اختط عدوة القرويين وبنى مساكنه بها وانتقل اليها . وقد كان أولا أدار السور على عدوة الاندلس وبنى بها الجامع المعروف بجامع الاشياخ وأقام فيه الخطبة ثم انتقل ثانيا الى عدوة القرويين كما قلنا ونزل بالموضع المعروف بالمقرمدة وضرب فيه قيطونه وأخذ فى بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضا ثم شرع فى بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده ، ثم بنى القيسارية الى جانب المسجد الجامع ، وأدار الاسواق حوله وأمر الناس بالبناء ، وقال لهم « من بنى موضعا أو اغترسه قبل تمام السور فهو له » . فبنى الناس من ذلك شيئا كثيرا واغترسوا . ووفد عليه جماعة من الفرس من أرض العراق فانزلهم بغيضة هناك كانت على العين المعروفة اليوم بعين علون .

وكان علون عبدا أسود يأوى الى تلك الغيضة ويقطع الطريق بها على المارة فتحامى الناس غيضته وتناذروها فأعلم ادريس رحمه الله بشأنه فبعث فى طلبه خيلا قبضوا عليه . وجاءوا به اليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة كانت على العين فأضيفت اليه العين من يومئذ وقيل عين علون .

ثم أدار ادريس السور على عدوة القرويين وكانت من لدن باب السلسلة الى غدير الجوزاء .

قال عبد الملك الوراق : كانت مدينة فاس فى القديم بلدين ، لكل بلد منهما سور يحيط به ، وأبواب تختص به ، والنهر فاصل بينهما ؛ وسميت إحدى العدوتين عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها ، وكانوا ثلاثمائة أهل بيت وسميت الاخرى عدوة الاندلس لنزول العرب الوافدين من الاندلس بها وكانوا جما غفيرا يقال أربعة آلاف أهل بيت .

وكان الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس صدرت منه لاول إمارته هنات أوجبت قيام جماعة من أهل الورع عليه وكان فيهم يحيى بن يحيى الليثى صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فخلعوا الحكم وبايعوا بعض قرابته

وكانوا بالربض الغربى من قرطبة فقاتلهم الحكم وكشروه وكادوا يأتون عليه ، ثم أظفره الله بهم ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام وهدم دورهم ومساجدهم وفرّ الباقون منهم فلحقوا بفاس المغرب الاقصى وبالاسكندرية من أرض مصر ، فأما اللاحقون بفاس فأنزلهم إدريس رحمه الله بعدوة الاندلس فأضيفت إليهم ، وأما اللاحقون بالاسكندرية فثاروا بها بعد حين فزحف إليهم عبد الله بن طاهر الخزاعى صاحب مصر من قبل المأمون بن الرشيد فقاتلهم ونفاهم إلى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الفرنج (١) من ايديهم بعد مدة .

وذكر ابن غالب فى تاريخه ان الامام إدريس لما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الاولى صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه فى آخر الخطبة فقال : « اللهم انك تعلم انى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة ، وإنما أردت أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا . اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤنة أعدائهم وأدرر عليهم الارزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شىء قدير » .

فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات .

ومن محاسن فاس ان نهرها يشقها بنصفين وتتشعب جداوله فى دورها وحماماتها وشوارعها وأسواقها وتطحن به أرحاؤها ثم يخرج منها ، وقد حمل أقذارها وأزبالها ، إلى غير ذلك من عيون الماء التى تنبع بداخلها وتتفجر من بيوتها تجاوز الحصر كثرة وقد مدحها الفقيه الزاهد أبو الفضل ابن النحوى بقوله :

---

(١) المقصود بالفرنج هنا فرنج القسطنطينية وهم البزنطيون وكان امتلاكهم لها من يد المسلمين سنة ٣٥٠ هـ موافق ٩٦١ مسيحية على يد « نيسيفور فوكاص » امبراطور القسطنطينية (انظر ابن خلدون صفحة ٢١١ من الجزء الرابع) .

يافاس منك جميع الحسن مسترق * وساكنوك ليهنهم بما رزقوا
هذا نسميك ، أم روح لراحتنا * وماؤك السلسل الصافى ، أم الورق؟
أرض تخللها الانهـار داخلها * حتى المجالس والاسواق والطرق

وقال الفقيه الكاتب أبو عبد الله المغيلى يتشوق إلى فاس (وكان يلى خطة القضاء بمدينة آزمـور) :

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى * وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الـدنيا التى أربت على * حمص بمنظرها البهى الاجمـل
غرف على غرف ويجرى تحتها * ماء ألـذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت * بجداول كالايـم أو كالقصل (١)
وبجامـع القروين شرف ذكره * أنس بذكراه يهيج تململ
وبصحنه زمن المصيف محاسن * فمع العشى الغرب منه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنا به * واكرع بها عنى - فديتك - وانهل

غزو ادريس بن ادريس المغربين واستيلاؤه عليهما

لما فرغ ادريس من بناء مدينة فاس وانتقل إليها بمحلته واستوطنها بحاشيته وأرباب دولته واتخذها دار ملكه ، أقام بها إلى سنة سبع وتسعين ومائة ، فخرج غازيا بلاد المصامدة فانتهى إليها واستولى عليها ، ودخل مدينة نفيس (٢) ومدينة اغمات (٣) وفتح

---

(١) المقصل السيف الصقيل .

(٢) قال البكرى : نفيس مدينة حـ ينة أولية افتتحها عقبة ابن نافع وذكر أنها كانت عامرة فى زمانه ، أما اليوم فلا يعرف لها أثر .

(٣) أغمات وصفها البكرى بأنها كانت مدينة كبيرة ، أما اليوم فهى قرية صغيرة خاملة بها بقية عمارة .

سائر بلاد المصامدة . وعاد إلى فاس فأقام بها إلى سنة تسع وتسعين ومائة ، فخرج فى المحرم برسم غزو قبائل نفزة من أهل المغرب الاوسط ومن بقى هناك على دين الخارجية من البربر ، فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان . فنظر فى أحوالها وأصلح سورها وجامعها وصنع فيها منبرا . قال أبو مروان عبد الملك الوراق : « دخلت مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة فرأيت فى رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هنالك مكتوبا فيه : « هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم ، فى شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومائة » اه . وقد تقدم لنا ما يخالف هذا والله أعلم .

وأقام ادريس بمدينة تلمسان وأحوازها يدبر أمرها ويصلح أحوالها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس .

قال داود (١) بن القاسم الاوربى : شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته مع الخوارج الصفرية من البربر ، فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال ، قال : فقاتلناهم قتالا شديدا ، فكان ادريس يضرب فى هذا الجانب مرة ! ويكر فى هذا الجانب الآخر مرة ! ولم يزل كذلك حتى ارتفع النهار ، ثم رجع إلى رايته فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه ، فطفقت أتأمله وأديم النظر اليه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم . فأعجبنى ما رأيت من ثباته وقوة جأشه ! فالتفت نحوى وقال : « ياداود ما لى أراك تديم النظر الى ؟ » قلت : أيها الامام انه قد أعجبنى منك خصال لم أرها اليوم فى غيرك . قال : « وما هى ؟ » قلت : أولاها ما أراه من ثبات قلبك وطلاقة وجهك عند لقاء العدو ! قال : « ذاك ببركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه

---

(١) هو داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الجعفرى يكنى أباهاشم المتوفى سنة احدى وستين ومائتين انظر ترجمته فى صحيفة ٦٥ من كتاب طلعة المشترى فى النسب الجعفرى للمؤلف فقد بسطها هناك ، وأما قوله الاوربى هنا فصوابه الجعفرى وإنما تصحفت على صاحب تاريخ القرطاس الذى ساق المؤلف نقله هنا

لنـا وصلاته علينا ، ووراثة من أبينا علي بن أبى طالب » قلت : وأراك تبصق بصاقـا مجتمعا ! وأنا أطلب قليل الريق فى فمى فلا أجـده قـال : « ياداود ذاك لقـوة جأشى واجتماع لبى عند الحرب ، وعدم ريقك لطيش عقلك وافتراق لبك » قلت : وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك ! وقلة قرارك عليه ! قال : « ذاك منى زمـع إلى القتال وصرامة فيه ، فلا تظنه رعبا » . وأنشأ يقول : (١)

أليس أبونـا هاشم شد أزره * وأوصى بنيه بالطعان ، وبالضرب
فلسنا نمـل الحرب حتى تملنا * ولا نشتكى مما يؤول من النصب

وفاة إدريس بن ادريس رحمه الله

قـال ابن خلدون : انتظمت لادريس بن ادريس كلمة البربر وزناتة ، ومحى دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادى شلف ، ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه بعد ماضايقه بالمكايد واستفساد الاولياء حتى قتلوا راشدا مولاه . وارتاب ادريس بالبربر فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه وضرب السكة باسمه

وعجز الاغالبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة ودافعوا خلفاء بنى العباس بالمعاذير الباطلة . وصفاملك المغرب لادريس واستمر بدار ملكه من فاس ساكنا وادعا مقتعدا أريكته ، مجتبيا ثمرتـه الى ان توفـاه الله ثانى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وعمره نحو ست وثلاثين سنـة ، ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقى منه . وقال البرنسى انه توفى بمدينة وليلى (٢) ودفن الى جنب أبيه .

---

(١) يعنى متمثلا وأصـل البيتين لابى طالب (انظر كتاب الاكتفا للكلاعى فى خبر نقض صحيفـة قريش)

(٢) كذا عند البكرى فى مسالكه من أنه توفى بوليلي واقتصر على هذا القول ، وكذا عنـد الرشاطى والتنيسى ونقل هـذا الخلاف عن البرنسى صاحب الانيس والجذوة . والله أعلم بالحقيقة .

وكان سبب وفاته انه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات لحينه ، وخلف من الولد اثنى عشر ذكرا أولهم محمد ، وعبد الله ، وعيسى ، وادريس ، وأحمد ، وجعفر ، ويحيى ، والقاسم ، وعمر ، وعلى ، وداود ، وحمزة كذا فى القرطاس . وزاد ابن حزم ، الحسن ، والحسين ، وولى الامر منهم بعده محمد وهو أكبرهم .

الخبر عن دولة محمد بن ادريس رحمه الله

لما توفى ادريس بن ادريس رحمه الله . قام بالامر بعده ابنه محمد بعهد منه اليه ، ولما ولى قسم بلاد المغرب بين اخوته - وذلك باشارة جدته كنزة - أم ادريس فاختص القاسم منها بطنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان وما انضم إلى ذلك من القبائل والبلاد . واختص عمر منها بتيكساس وترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة . واختص داود ببلاد هوارة وتسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغياثة . واختص يحيى بآصيلا والعرايش والبصرة (١) وبلاد ورغة وما والى ذلك . واختص عيسى بسلا وشالة وآزمور وتامسنا وما انضم إلى ذلك من القبائل . واختص حمزة بمدينة وليلى وأعمالها . واختص أحمد بمدينة مكناسة ومدينة تادلا وما بينهما من بلاد فازاز . واختص عبد الله بأغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الاقصى . وأبقى الآخرين فى كفالته وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم .

---

(١) البصرة كانت مدينة كبيرة بالمغرب تأسست مع أصيلا أوائل القرن الثالث الهجرى وعمرت وكان لها شأن ثم خربت قبل أواخر القرن الرابع . وموقعها بقبيلة الغرب بنواحى حد كورت فى حدود المنطقة الاسبانية ولم يبق لها أثر اليوم . وحد كورت كانت أيضا مدينة عظيمة فى ذلك التاريخ ثم خربت واندثرت . وقد ذكر هذه المدن كلها ياقوت في معجمه ، والبكرى فى مسالكه ، وابن حوقل وابن عذارى وغيرهم .

وبقيت تلمسان لولد عمه سليمان بن عبد الله ، فإن ادريس بن ادريس لما غزا تلمسان وأقام بها ثلاث سنين كما سبق ودوخ بلاد زناتة واستوسقت له طاعتهم ، عقد عليها لبنى عمه سليمان بن عبد الله . فلما توفى ادريس واقتسم بنوه أعمال المغرب كانت تلمسان فى سهم عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله ، واستمرت بأيديهم إلى أن تلاشى أمرهم بدخول العبيديين عليهم قاله ابن خلدون .

وأقام محمد بن ادريس بدار ملكه من فاس مقتعدا أريكته ، واخوته ولاة على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وأمنوا سبلها وحسنت سيرتهم فى ذلك إلى أن كان ما نذكره .

حدوث الفتنة بين بنى ادريس

ثم خرج على محمد بن ادريس أخوه عيسى بن ادريس بمدينة آزمور ونبذ طاعته وطلب الامر لنفسه ، فكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك ، فكتب محمد إلى أخيه عمر صاحب تيكيساس بمثل ما كتب به إلى القاسم فامتثل أمره وزحف إلى عيسى فى قبائل البربر وأمده محمد بألف فارس من زناتة فأوقع عمر بعيسى وهزمه وطرده عن عمله ، وكتب إلى الامير محمد بالفتح ، فشكره على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل عيسى وأمره مع ذلك بالمسير إلى قتال القاسم الذى عصى أمره أولا ، فزحف عمر إلى القاسم ونزل عليه بظاهر طنجة فخرج إليه القاسم ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واستولى عمر على ما بيده من البلاد ، فصار الريف البحرى كله فى عمل عمر من تيكيساس وبلاد غمارة إلى سبتة ثم إلى طنجة وهذا ساحل البحر الرومى ، ثم ينعطف إلى أصيلا والعرايش ثم إلى سلا ثم آزمور وبلاد تامسنا وهذا ساحل البحر المحيط . وتزهد القاسم بعد هذه الحرب فبنى مسجدا بساحل البحر قرب آصيلا بموضع يعرف بتاهدارت على ضفة النهر هناك ، وأعرض عن الدنيا وأقام يعبد الله إلى ان مات رحمه الله .

واتسعت ولاية عمر بن ادريس وخلصت طويته لاخيه محمد الامير ، إلى أن توفى عمر بموضع يعرف بفج الفرس من بلاد صنهاجة فى دولة أخيه محمد سنة عشرين ومائتين ، فحمل إلى فاس وصلى عليه الامير محمد ودفن مع أبيه (وعمر هذا هو جد الاشراف الحموديين المالكين للاندلس بعد بنى أمية .)

وعقد الامير محمد على عمله لولده علي بن عمر إلى أن كان من أمره ما نذكره . وأما عيسى فيقال انه توفى بآيت عتاب وله بها ذرية والله أعلم

وفاة محمد بن ادريس رحمه الله

وأقام الامير محمد بن ادريس بعد وفاة أخيه عمر سبعة أشهر وتوفى بمدينة فاس فى ربيع الثانى سنة احدى وعشرين ومائتين ودفن بشرقى جامعها مع أبيه وأخيه بعد أن عهد بالامر لابنه علي بن محمد المعروف بحيدرة على ما سيأتى .

الخبر عن دولة على بن محمد بن ادريس

لما توفى محمد بن ادريس بايع الناس لابنه علي بن محمد بعهد منه إليه ، ويلقب علي هذا بحيدرة على لقب علي بن أبى طالب رضى الله عنه وهو جد الاشراف العلميين - أهل جبل العلم - ومنهم المشيشيون أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، والوزانيون أولاد مولانا عبد الله الشريف ، وينتهى نسب هؤلاء إلى المولى يملح بن مشش أخى المولى عبد السلام بن مشيش .

وكان سن علي حيدرة يوم بويع تسع سنين وأربعة أشهر فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب والبربر ، وأحسنوا كفالته وطاعته ، وكانت أيامه خير أيام .

وقال ابن أبى زرع : ظهر لعلي هذا من الذكاء والفضل مايقتضيه شرفه ، وساربسيرة أبيه وجده فى العدل ، فكان الناس فى أيامه فى أمن ودعة ، إلى أن توفى في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وعهد بالامر لاخيه يحيى بن محمد على ما سياتى .

الخبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس

قال ابن خلدون : « قام يحيى بن محمد بن ادريس بالامر وامتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستبحر عمران فاس وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت خارجها الارباض ، ورحل اليها الناس من الثغور القاصية » . وقال ابن أبي زرع : « قصد اليها الناس من الاندلس وافريقية وجميع بلاد المغرب » .

بناء مسجد القرويين بفاس

قال ابن أبي زرع : كان موضع مسجد القرويين أرضا بيضاء لرجل من هوارة كان والده قد حازها أيام بناء فاس ، ولما قدم وفد القيروان على ادريس الاصغر - حسبما تقدم - كان فيهم امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري - وتكنى أم البنين - فنزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد المذكور ، ثم مات زوجها واخوتها فورثت منهم مالا جسيما وكان من حلال ، فأرادت أن تنفقه في وجوه الخير وكانت لها نية صالحة فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه عند الله . فاشترت البقعة من ربها وشرعت في حفر أساس المسجد وبناء جدرانه ، وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطابية والكدان .

وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه انها التزمت ان تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها ، فحفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها التراب الجيد والحجر الكدان وتبنى به ، وأنبطت بها بئرا يستقى منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك وكان ذلك كله تحريا منها أن لا تدخل في بناء المسجد شبهة فعادت بركة نيتها وورعها على المسجد المذكور حتى كان منه ماترى .

قالوا ولم تزل فاطمة المذكورة صائمة من يوم شرع فى بنائه الى ان تم وصلت فيه شكرا لله تعالى .

وكانت مساحة المسجد يوم بنى أربع بلاطات وصحنا صغيرا ، وجعلت محرابه فى موضع الثريا الكبرى ، وجعلت طوله من الغرب الى الشرق مائة وخمسين (١) شبرا ، وبنت به صومعة غير مرتفعة بموضع القبة التى على رأس العنزة اليوم .

واستمر الحال على ذلك الى ان انقرضت دولة الادارسة ، وجاءت دولة زناتة من بعدها وأداروا السور على العدوتين معا : القرويين والاندلس ، وزادوا فى مسجديهما زيادة كثيرة ، فنقلوا الخطبة من مسجد الشرفاء الى مسجد القرويين ، ومن مسجد الاشياخ الى مسجد الاندلس ، وذلك صدر المائة الرابعة .

ثم لما استولى عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس على فاس وبلاد العدوة استعمل على فاس عاملا له اسمه أحمد بن أبى بكر الزناتى ثم اليفرنى ، فاستأذن الناصر فى اصلاح مسجد القرويين والزيادة فيه فاذن له ، وبعث اليه بمال من خمس الغنائم ، فزاد فيه زيادة بينة ، وأزال الصومعة القديمة عن موضعها وبنى الصومعة الموجودة الآن ، وكتب على بابها في مربعة بالجص واللازورد : (هذا ما أمر به أحمد بن أبى بكر الزناتى هداه الله ووفقه ، ابتغاء ثواب الله وجزيل احسانه)

وابتدأ العمل فى هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وفرغ من بنائها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

وركب فى أعلى المنارة سيف الامام ادريس بن ادريس تبركا به ، وذلك ان بعض حفدة ادريس رحمه الله تنازعوا فى السيف المذكور ، وأراد كل أن يحوزه لنفسه ، فقال لهم الامير أحمد بن أبى بكر : « هل لكم فى ان تبيعونى هذا السيف ؟ » قالوا : « وما تصنع به ؟ » قال : « أجعله فى أعلى المنارة » فقالوا : « اما اذا أردت هذا فنحن نهبه لك مجانا » فوهبوه له فركبه فى أعلى المنارة .

وكانت مبنية من الحجر المنجور وفيها ثقب يعشش فيها الطير من الحمام والزرزور

---

(١) وذلك نحو خمسة وثلاثين مترا .

وغيرهما ، ويتأذى المسجد والناس بها ، واستمر الحال على ذلك الى أن كانت سنة ثمان وثمانين وستمائة ، أيام السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ، فاستأذن القاضى أبو عبد الله ابن أبى الصبر السلطان يوسف المذكور فى تلبيس المنارة وتبييضها فأذن له فلبسها وبيضها ودلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة .

وقال ابن خلدون : « ثم أوسع فى خطة المسجد المذكور المنصور بن أبى عامر صاحب الاندلس ، وأعدله السقاية والسلسلة بباب الحفاة ، ثم أوسع فى خطته علي بن يوسف اللمتونى ، ثم ملوك الموحدين وبنى مرين ، واستمرت العمارة به وانصرفت هممهم الى تشييده والمنافسة في الاهتبال به ، فبلغ الاحتفال فيه ما شاء حسبما هو مذكور فى تواريخ المغرب » اه .

وفى أيام يحيى بن محمد صاحب الترجمة وذلك فى سنة سبع وثلاثين ومائتين ، قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوة ، وتأول القرآن على غير وجهه ، فاتبعه خلق كثير من الغوغاء .

وكان من بعض شرائعه انه ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظفار ونتف الابطين والاستحداد وأخذ الزينة ، ويقول : « لاتغيير لخلق الله » فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسى هنين (١) الى الاندلس فشاع بها أيضا خبره وتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة فبعث اليه ملك الاندلس فاستتابه فلم يتب فقتله وصلبه ، وهو يقول : « أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله » .

---

(١) هنين بضم أوله وفتح ثانيه حصن على مرسى جيد من مراسى البحر المتوسط وقربه بليدة يقال لها تاجورة منها كان عبد المومن بن علي ذكره ياقوت والبكرى .

الخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس

لما توفى يحيى بن محمد الذى بنى مسجد القرويين فى أيامه ولى الامر من بعده ابنه يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس ، فأساء السيرة وكثر عيثه فى الحرم ودخل على جارية من بنات اليهود فى الحمام - وكانت بارعة الجمال - فراودها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس اليه بالانكار وثابت العامة عليه ، وتولى كبر ذلك عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى وكانت زوجة يحيى المذكور - وهى عاتكة بنت على بن عمر بن ادريس صاحب الريف والسواحل - أشارت عليه بالاختفاء بعدوة الاندلس ريثما تسكن الفتنة ، فتوارى بها فمات من ليلته أسفا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار .

واستولى عبد الرحمن بن أبى سهل على فاس وقام بامرها ، فكتبت عاتكة بنت على الى أبيها تعلمه بالخبر ، واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالى فجمع حشمه وجيشه وجاء إلى فاس فاستولى عليها .

وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعد هذا تارة يكون فى عقب عمر ابن ادريس صاحب الريف ، وتارة يكون فى عقب القاسم بن ادريس الزاهد على ما نذكره .

الخبر عن دولة على بن عمر بن ادريس

لما دخل على بن عمر مدينة فاس واستقر بها بايعه الناس ودخلت الكافة فى طاعته وخطب له على جميع منابر المغرب ، واستقام له الامر إلى أن ثار عليه عبد الرزاق الفهرى - وكان من الخوارج الصفرية وأصله من وشقة بلد بالاندلس - فقام بجبال مديونة من أعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها ، فتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغياثة وغيرهم ، فبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده . قال ابن أبى زرع : « وهى باقية بتلك الناحية حتى الآن » .

ثم زحف إلى قرية صفرون (١) فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ، ثم زحف بهم إلى فاس فخرج اليه علي بن عمر بن ادريس فى عسكر ضخم ، فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر فى آخرها لعبد الرزاق ، فانهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده وفر بنفسه إلى بلاد أوربة . فدخل عبد الرزاق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها ، وامتنع منه أهل عدوة القرويين وبعثوا إلى يحيى بن القاسم الزاهد وكان ما نذكره .

* * * * * * *

الخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس

لما فر علي بن عمر عن فاس واستولى عبد الرزاق الصفرى على عدوة الاندلس بعث أهل فاس إلى يحيى بن القاسم بن ادريس — ويعرف يحيى هذا بالعدام — فوصل إليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم . ويحيى العدام هذا هو جد الاشراف الجوطيين بفاس فإنهم أولاد يحيى الجوطى ابن محمد بن يحيى العدام ، وانما قيل له الجوطى نسبة إلى جوطة بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على نهر سبو بالعدوة الجنوبية منه ، نزلها يحيى ابن محمد فنسب اليها وقبره معروف بها إلى الآن .

ولما استقل يحيى بن القاسم بالامر قاتل عبد الرزاق حتى أخرجه من عدوة الاندلس فدخلها وبايعه أهلها وجميع من نزل بها من أهل الاندلس الربضيين ربض قرطبة . واستعمل يحيى بن القاسم عليهم ثعلبة بن محارب بن عبد الله الازدى من ولد المهلب بن أبى صفرة وهو ربضى أيضا ، فلم يزل واليا على عدوة الاندلس إلى أن توفى ، فاستعمل يحيى مكانه ولده عبد الله بن ثعلبة المعروف بعبود إلى ان توفى أيضا ، فاستعمل الامير يحيى مكانه ولده محارب بن عبود بن ثعلبة .

وخرج الامير يحيى بن القاسم إلى قتال الصفرية فكانت له معهم حروب ووقائع

---

(١) هى مدينة صفرو الموجودة اليوم ، وبينها وبين فاس ثلاثون كيلو مترا .

كثيرة ، ولم يزل أميرا على فـاس وأعمالها إلى اغتالـه الربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وكانت فى أيام هؤلاء الامراء أحداث نذكرها :

ففى سنة ثلاث وخمسين ومائتين كان ببلاد العدوة والاندلس قحط شديـد نضبت منه المياه واستمر الى سنة ستين .

وفى سنة أربـع وخمسين كـسف القمر كـله من أول الليل حتى أصبح ولم ينجل

وفى سنة ستين ومائتين عم القحط والغلاء جميع بلاد الاندلس والمغرب وافريقيـة ومصر والحجاز حتى رحل الناس عن مكة الى الشام ولم يبق بها الانفر يسير مع سدنة الكعبة ، ثم كان بالمغرب والاندلس وباء عظم مع غلاء فى الاسعار وعدمت الاقوات فهلك خلق كثير .

وفى سنة ست وستين ومائتين كانت بالسماء حمرة شديدة من أول الليـل الى آخـره لم يعهد قبلها مثلها ، وذلك ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة .

وفى سنة سبـع وستين ومائتين فى يوم الخميس الثانى والعشـرين من شوال منهـا كانت زلزلة عظيمـة لم يسمع بمثلها تهدمت منها القصـور وانحطت منهـا الصخور من الجبال ، وفر الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الارض ، وتساقطت السقوف والحيطان ، وفرت الطيور عن أوكارهـا وماجت فى السماء زمانا حتى سكنت الزلزلة ، وعمت هذه الرجفة جميع بلاد الاندلس سـهلها وجبالها وجميع بلاد العدوة من تلمسان الى طنجة ، ومن البحر الرومى الى أقصى المغرب ، الاانها لم يمت فيها أحد لطفا من الله تعالى بخلقه .

وفى سنة ست وسبعين ومائتين طبقت الفتنة جميع آفاق الاندلس والمغرب وافريقية

وفى سنة خمس وثمانين ومائتين كانت المجاعـة الشديدة التى عمت جميـع بـلاد الاندلس وبلاد العدوة حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه من الخلق مالا يحصى ، فكان يدفن فى القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم ، وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة والامر لله وحده .

الخبر عن دولة يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس

لما قتل يحيى العدام فى التاريخ المتقدم ولى الامر من بعده يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس ، فبايعه أهل عدوتى فاس وخطب له بهما ، وامتد ملكه على جميع أعمال المغرب ، وخطب له على سائر منابره .

وكان يحيى هذا واسطة عقد البيت الادريسى : أعلاهم قدرا وأبعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزرهم فضلا وأوسعهم ملكا ، وكان فقيها حافظا للحديث ذافصاحة وبيان ، بطلا شجاعا حازما ذا صلاح ودين وورع .

قال ابن خلدون : «لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه فى الدولة والسلطان الى أن طما على ملكه عباب العبيديين القائمين بافريقية فأغرقه » .

*** ** ***

استيلاء العبيديين من الشيعة على المغرب الاقصى وقدوم قائدهم مصالة بن حبوس إلى فاس

قد قدمنا عند ذكر ولاة المغرب ان ابراهيم بن الاغلب كان آخرهم ، وأنه أورث بافريقية ملكا لبنيه فاستمرت دولتهم بها الى أواخر المائة الثالثة ، وانقرضت على يد أبى عبدالله المحتسب داعية العبيديين من الشيعة ، فان المحتسب حج فى بعض السنين واجتمع بمكة بحجاج كتامة من أهل المغرب فتعرف اليهم ، ووعدهم بظهور المهدى من آل البيت على يدهم ، ويكون لهم به الملك والسلطان ، فتبعوه على رأيه وصحبهم الى بلادهم ورأس فيهم رياسة دينية وقرر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا به ثم بايعوا مولاه عبيد الله المهدى أول خلفاء العبيديين فاستولى على افريقية فى خبر طويل .

ثم سمت همته الى تملك المغرب الاقصى فأغزاه قائده مصالة بن حبوس المكناسى صاحب تاهرت والمغرب الاوسط . فزحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة خمس

وثلاثمائة وانتهى الى فاس فبرز اليه يحيى بن ادريس لمدافعته فى جموع العرب والبربر والموالى ، والتقوا بقرب مكناسة فانهزم يحيى وعاد مفلولا الى فاس ، ثم تقدم مصالة الى فاس وحاصرها الى ان صالحه يحيى على مال يؤديه اليه ، وعلى البيعة لعبيد الله المهدى فقبل يحيى الشرط وخرج عن الامر وأنفذ بيعته الى المهدى وأبقى عليه مصالة فى سكنى فاس وعقد له على عملها خاصة ، وعقد لابن عمه موسى بن أبى العافية المكناسى على ما سوى ذلك من بلاد المغرب .

وكان موسى هذا صاحب تسول وبلاد تازا وكان كبير مكناسة بالمغرب الاقصى على الاطلاق ، وكان قد خدم مصالة حين قدم المغرب وتعرف اليه وهاداه وقاتل معه فى جميع حروبه بالمغرب ، فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاسا وأعمالها فانه تركها للامير يحيى كما قلنا .

وصار المغرب الاقصى فى ملكة العبيديين واندرجت دولة الادارسة فى دولتهم . فكان موسى بن أبى العافية بعد ذهاب مصالة كلما أراد الظهور بالمغرب والاستبداد به غمره يحيى بن ادريس بحسبه ونسبه وفضله ودينه ، فقطع به كلما كان يريده فكان على قلب موسى منه حمل ثقيل . فلما قدم مصالة المغرب فى كرته الثانية ـ وذلك سنة تسع وثلاثمائة ـ سعى موسى بن أبى العافية عنده بيحيى بن ادريس حتى أوغر صدره عليه ! فلما قرب مصالة من فاس خرج اليه يحيى للقائه والسلام عليه فى جماعة من وجوه دولته ، فقبض مصالة عليهم وقيد يحيى بالحديد وتقدم إلى فاس فدخلها ويحيى بين يديه موثقا على جمل ، ثم عذبه بأنواع العذاب حتى استصفى أمواله وذخائره ، ثم نفاه إلى نواحى آصيلا وقد ساءت حاله وانفض جمعه . فأقام عند بنى عمه ببلاد الريف مدة فأعطوه مالا ووصلوه بما يقيم به أوده ويستعين به على أمره ، فلم يرض ذلك وارتحل عنهم يريد افريقية فعرض له موسى بن أبى العافية فى طريقه فقبض عليه وسجنه بمدينة آلكاى (١) قريبا من عشرين سنة ثم أطلقه بعد ذلك . قالوا : وكان أبوه ادريس بن عمر قد دعا عليه أن يميته الله جائعا غريبا ، فاستجيب له فيه . فخرج يحيى من

---

(١) الذى فى البكرى لكاى بدون همزة ، فليحرر .

سجن ابن أبى العافية إلى افريقية وهو فى فقر وذلة قد بلغ سوء الحال منه كل مبلغ ، فوصل إلى المهدية على تلك الحال فوافق بها فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى وحصاره اياها فمات بها جائعا غريبا سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة رحمه الله .

عود المغرب الاقصى الى الادارسة

وظهور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس

لما قبض مصالة على يحيى بن إدريس واستصفى أمواله ـ كما قلنا ـ استعمل على فاس ريحان الكتامى وعاد إلى القيروان ، فأقام ريحان عاملا على فاس وأحوازها نحو ثلاثة أشهر ، وثار عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام ، وعرف بذلك لانه كان بينه وبين عمه أحمد بن القاسم بن ادريس حرب فحمل الحسن على فارس من أصحاب عمه فطعنه فى موضع المحاجم ، ثم فعل ذلك بثان وثالث لا يطعنهم إلّا فى موضع المحاجم ! فقال عمه أحمد : ان ابن أخى لحجام ، فلزمه ذلك اللقب . وفى ذلك يقول بعضهم :

وسميت حجاما ولست بحاجم * ولكن لطعن فى مكان المحاجم

وكانت ثورة الحجام على ريحان سنة عشر وثلاثمائة أتى إلى فاس فى جمع من شيعته وأنصاره وكان مقداما شجاعا ، فدخلها على حين غفلة من أهلها فاستولى عليها وقتل ريحان وقيل نفاه عنها . واجتمع الناس على بيعته ودخل فى طاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب ، وملك عدة مدن مثل مدينة لواتة وصفرون ومدين ومدائن مكناسة والبصرة . واستقام له الامر بالمغرب إلى ان كان منه مع موسى بن ابى العافية ما نذكره .

خروج الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبى العافية

قال فى القرطاس : وفى سنة احدى عشرة وثلاثمائة خرج الامير الحسن الحجام إلى قتال موسى بن أبى العافية ، فالتقى معه بفحص الزاد على مقربة من وادى المطاحن ما بين فاس وتازا ، فأوقع الحجام بابن أبى العافية وقعة عظيمة لم يقع فى دولة الادارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن أبى العافية نحو ألفين وثلاثمائة من جملتهم ابنه منهال ابن موسى بن أبى العافية ، وقتل من عسكر الحجام نحو السبعمائة . ثم كانت العاقبة لموسى على الحجام فانفض عسكر الحجام وعاد مفلولا إلى فاس ، فعجل الحجام ودخل فاسا وحده وترك عسكره خارج المدينة فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان الهمدانى ، ويقال الاوربى من قرى افريقية : دخل عليه ليلا فى داره فقيده وأخذه اليه وأغلق المدينة فى وجه الجند ، وطير الى موسى بن أبى العافية يستدعيه إلى فاس وكان ما نذكره .

الخبر عن دولة آل أبى العافية المكناسيين الناسخة لدولة آل إدريس بفاس واعمالها

كان موسى بن أبى العافية متمسكا فى هذه المدة بدعوة العبيديين من الشيعة ، فلما قبض حامد بن حمدان على الحسن الحجام واستدعى ابن أبى العافية بادر نحوه فدخل عدوة القرويين واستولى عليها ، ثم قاتل أهل عدوة الاندلس حتى ملكها ، فلما ملك المدينتين معا طالب حامد بن حمدان باحضار الحسن الحجام وقال أقتله بولدى منهال .

وكان حامد قدندم على فعلته تلك ، فدافع موسى وسوفه وكره المجاهرة بسفك دماء آل البيت ، ولما جن الليل خالف حامد الى الحسن ففك عنه قيده وأرسله فتدلى الحسن من السور فسقط وانكسرت ساقه فتحامل حتى انتهى الى عدوة الاندلس فاختفى بها الى ان مات لمضى ثلاث من سقطته رحمه الله وذلك سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وأراد ابن أبى العافية قتل حامد بن حمدان لعدم تمكينه اياه من الحجام ففر إلى المهدية وكانت

دولة الحسن الحجام بفاس نحو سنتين .

وانقرضت دولة آل ادريس من فاس وأعمالها وتداول المغرب الاقصى العبيديون أصحاب افريقية والمروانيون أصحاب الاندلس ، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ، وتجددت للادارسة دولة أخرى ببلاد الريف نذكرها عن قريب ان شاء الله .

وصفت فاس وأعمالها لابن أبى العافية وملك معها كثيرا من أعمال المغرب وبايعته القبائل والاشياخ ، وهو فى ذلك كله متمسك بدعوة الشيعة كما قلنا فكان كالنائب عنهم بالمغرب . والله غالب على أمره .

طرد موسى بن أبى العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره اياهم بحجر النسر

لما استولى موسى بن أبى العافية على فاس والمغرب شمر لطرد الادارسة عنه فأخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم من شالة وآصيلا وغيرهما من البلاد التى كانت فى أيديهم . ولجئوا باجمعهم الى قلعة حجر النسر مغلوبين على ملكهم مطرودين عن دار عزهم التى اسسها سلفهم .

وكانت قلعة حجر النسر حصنا منيعا بناه (١) محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس ، شامخا فى عنان السحاب ، فنزل عليهم موسى بن أبى العافية وشدد عليهم الحصار وأراد استئصالهم وقطع دابرهم ، فعذله على ذلك أكابر دولته ، وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتخليه منهم ؟ هذا شىء لانوافقك عليه ! ولانتركك له ! فاستحيا عند ذلك وارتحل عنهم الى فاس ، وخلف على حصارهم قائده أبا الفتح التسولى فى ألف فارس ، يمنعهم من التصرف وكان ذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

---

(١) كان بناء هذا الحصن سنة سبع عشرة وثلاثمائة . (البكرى)

استيلاء موسى بن أبى العافية على تلمسان وأعمالها

لما ارتحل موسى بن أبى العافية عن حجر النسر سار الى فاس فاقام بها أياما ، وقتل عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود الازدى ، وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ثم عزله ، وولى مكانه طوال بن أبى يزيد فلم يزل عاملا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن أبى العافية .

واستعمل موسى على المغرب الاقصى ولده مدين بن موسى بن أبى العافية ، وأنزله بعدوة القرويين ، ثم نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فملكها وأعمالها ، وكانت بيد الحسن بن أبى العيش من أعقاب سليمان بن عبد الله أخى ادريس الاكبر وفر الحسن الى مدينة مليلة من جزائر ملوية وبنى هناك حصنا وتحصن به . ثم زحف ابن أبى العافية إلى مدينة نكور (١) فملكها أيضا ، وحاصر الحسن فى حصنه مدة ثم عقد له سلما على حصنه . وكان ذلك فى شعبان سنة عشرين وثلاثمائة ثم عاد إلى فاس وقد دوخ البلاد والاقطار وانتظم المغربان الاقصى والاوسط فى ملكه .

---

(١) نكور هذه كانت مدينة مهمة أسسها سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور الحميرى كما عند البكرى ، وقال ابن خلدون : إن والده ادريس كان اختطها فى عدوة الوادى ولم يكملها ثم كملها ابنه سعيد المذكور من بعده ، وذلك فى حدود سنة ثلاث وأربعين ومائة . وكانت تعرف فى عهد ابن خلدون بالمزمة .

انحراف موسى بن ابى العافية عن الشيعة الى بنى مروان وما نشأ عن ذلك

كان عبد الرحمن الناصر الاموى صاحب الاندلس قد سما له أمل فى التملك على المغرب الاقصى ، لما بلغه من تراجع أمر بنى ادريس به واشراف دولتهم على الهرم ، فملك سبتة من يد بنى عصام القائمين بها بالدعوة الادريسية .

ولما استولى موسى بن أبى العافية على المغرب خاطبه الناصر فى القيام بدعوته ووعده الجميل على ذلك ، وأتاه من بين يديه ومن خلفه حتى أجابه إلى مراده ، ونقض طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله ، فاتصل الخبر بعبيد الله المهدى صاحب افريقية ، فسرح إليه قائده حميد بن يصليتن المكناسى صاحب تاهرت فى عشرة آلاف فارس — وهو ابن أخى مصالة بن حبوس المتقدم الذكر — فالتقى حميد وموسى بفحص مسون فكانت بينهم حرب سجال ، ثم ان حميدا بيت موسى ليلة فضرب فى عسكره فانهزم موسى واصحابه ومضى إلى عين اسحاق (١) من بلاد تسول فتحصن بها .

وتقدم حميد إلى فاس فلما شارفها فر عنها مدين بن موسى ولحق بأبيه ؛ فدخلها حميد واستعمل عليها حامد بن حمدان الهمدانى . وكان فى جملته ثم عاد إلى افريقية وقد قضى أربه من المغرب وكان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

ولما اتصل ببنى ادريس المحصورين بحجر النسر خبر هزيمة موسى بن أبى العافية وفرار ابنه عن فاس وولاية حامد بن حمدان عليها قويت نفوسهم ، وتظاهروا على أبى الفتح التسولى ، فنزلوا اليه وقاتلوه وهزموه ونهبوا معسكره وخرجوا الى الفضاء بعد انحصارهم بالقلعة المذكورة أربع سنين .

---

(١) عين اسحاق هى مدينة تسول قاعدة موسى بن أبى العافية وكانت كبيرة مهمة انظر ما قاله فى حقها البكرى .

ثورة أحمد بن بكر الجذامى بدعوة المروانيين بفاس وما نشأ عن ذلك

وأقام حامد بن حمدان واليا على فاس من قبل الشيعة الى ان ثار عليه أحمد بن بكر ابن عبد الرحمن بن سهل الجذامى ، وذلك عقب وفاة عبيد الله المهدى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فقتل حامد بن حمدان ، وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبى العافية ، فبعث به موسى الى عبد الرحمن الناصر بقرطبة ، واستولى على المغرب وعادت الدعوة به الى بنى مروان .

ولما اتصل الخبر بصاحب افريقية أبى القاسم بن عبيد الله المهدى - المتولى بعد أبيه - سرح قائده ميسورا الخصى الى المغرب ، فقدمه ميسور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وخام ابن أبى العافية عن لقائه واعتصم بحصن آلكاى .

وتقدم ميسور الى فاس فحاصرها اياما الى ان خرج اليه أحمد بن بكر مبايعا . وقدم بين يديه هدية نفيسة ومالا جليلا ، فقبض ميسور الهدية والمال ، ثم تقبض على أحمد ابن بكر وقيده وبعث به الى المهدية .

ولما نذر أهل فاس بغدره امتنعوا عليه وأغلقوا أبوابهم دونه ، وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتى ، فحاصرهم ميسور سبعة أشهر ولما طال عليهم الحصار رغبوا فى السلم فصالحهم على ان اعطوه ستة آلاف دينار وأنطاعا ولبودا وقربا للماء وأثاثا ، وكتبوا ببيعتهم إلى أبى القاسم الشيعى وكتبوا اسمه فى سكتهم وخطبوا له على منابرهم ، فقبل ميسور ذلك منهم ، وأقر عليهم حسن بن قاسم اللواتى ، وارتحل عنهم واستمر حسن عاملا على فاس إلى أن قدم أحمد بن بكر من المهدية مطلقا مكرما ، فتخلى له عن ما كان بيده وذلك فى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فكانت ولاية حسن بن القاسم على فاس ثمان عشرة سنة قاله فى القرطاس . وقال ابن خلدون : « ان أحمد بن بكر الجذامى قدم من افريقية سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فسار إلى فاس وأقام بها متنكرا إلى أن وثب بعاملها حسن بن قاسم اللواتى فتخلى له عن العمل » والله أعلم .

حرب ميسور مع موسى بن أبى العافية



لما صالح ميسور أهل فاس نهض الى حرب ابن أبى العافية فدارت بينهم حروب كان الظهور فى آخرها لميسور ، وأسر البورى بن موسى بن أبى العافية وغربه إلى المهدية ، وطرد موسى عن أعمال المغرب إلى نواحى ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء ثم قفل إلى القيروان .

وقال ابن أبى زرع فى كتاب القرطاس : « ان بنى ادريس تولوا معظم الحروب التى دارت بين ميسور وابن أبى العافية ، وانهم قاتلوا ابن أبى العافية حتى فر أمامهم الى الصحراء » قال : « وتملك الادارسة أكثر ما كان بيد ابن أبى العافية قائمين بدعوة الشيعة ، فلم يزل ابن أبى العافية شريدا فى الصحراء وأطراف البلاد التى بقيت بيده ، وذلك من مدينة آكر سيف الى مدينة نكور الى ان قتل ببعض بلاد ملوية ، وذلك سنة احدى وأربعين وثلاثمائة ، وقيل : انه قتل سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قاله البرنسى » اه كلام ابن أبى زرع .

وقال ابن خلدون : « ان موسى ابن أبى العافية رجع من الصحراء الى أعماله بالمغرب فملكها ، وولى على عدوة الاندلس أبا يوسف بن محارب الازدى » قال : « وهو الذى مدن عدوة الاندلس ، وكانت حصونا ثم زحف الى تلمسان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فاستولى عليها » قال : « واستفحل أمر ابن أبى العافية بالمغرب الاقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الاوسط ، وبثوا دعوة الاموية فى أعمالها » والله أعلم .



بقية أخبار آل أبى العافية بالمغرب

قال ابن أبى زرع :« لما هلك موسى بن أبى العافية ولى بعده ابنه ابراهيم الى ان توفى سنة خمسين وثلاثمائة فولى بعده ابنه عبدالله ويقال عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى ابن أبى العافية الى ان توفى سنة ستين وثلاثمائة فولى عمله من بعده ابنه محمد وعليه انقرضت دولة آل أبى العافية سنة ثلاث وستين وثلاثمائة » . وذكر بعض المؤرخين لايامهم « انه لما توفى محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ولى بعده ابنه القاسم بن محمد المحارب للمتونة ، فكانت بينه وبينهم حروب الى ان غلب عله يوسف بن تاشفين فقتله واستأصل شافة ذرية موسى بن أبى العافية بالمغرب وكانت دولتهم مائة وأربعين سنة من سنة خمس وثلاثمائة الى ستة خمس وأربعين وأربعمائة » اه ولكن دولتهم بفاس انتهت الى قدوم ميسور الخصى كما مر وبقيت رياستهم بالاطراف الى دولة اللمتونيين والله أعلم . وكان فى هذه المدة من الاحداث ما نذكره :

ففى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال سنة تسع وتسعين ومائتين كسفت الشمس كسوفا كليا ، وكان ذلك بعد صلاة العصر فغاب القرص كله وظهرت النجوم وأذن أكثر الناس بالمساجد للمغرب ثم تجلت مضيئة بعد ذلك ومكثت مقدار ثلث ساعة ثم غربت .

وفى سنة ثلاث وثلاثمائة كان بافريقية والمغرب والاندلس فتن كثيرة ومجاعة عظيمة أشبهت مجاعة سنة ستين ومائتين ثم وقع الموت فى الناس حتى عجزوا عن دفن موتاهم .

وفى سنة خمس وثلاثمائة أحرقت النار أسواق مدينة فاس ، وأسواق تاهرت قاعدة زناتة وأحرقت أسواق قرطبة وأرباض مكناسة من بلاد جوف الاندلس ، وكان ذلك كله فى شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار .

وفى سنة سبع وثلاثمائة كان بافريقية والمغرب والاندلس رخاء مفرط وطاعون ووباء كثير ، وفيها كانت الريح السوداء الشديدة الهبوب التى قلعت الاشجار . وهدمت الدور بفاس فتاب الناس ولزموا المساجد وارتدعوا عن كثير من الفواحش .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ظهر حاميم المتنبىء بجبال غمارة . قال ابن خلدون : كانت غمارة غريقة في الجهالة والبعد عن الشرائع بسبب البداوة والانتباذ عن مواطن الخير ، وتنبأ فيهم من قبيلة يقال لها محكسة حاميم بن من الله يكنى أبا محمد ، ويكنى أبوه من الله ابا يخلف ، وكان ظهوره بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تطوان ، واجتمع اليه كثير من غمارة وأقروا بنبوته وشرع لهم شرائع وعبادات وصنع لهم قرآنا كان يتلوه عليهم بلسانه . فمما شرع لهم صلاتان فى كل يوم ، واحدة عند طلوع الشمس والاخرى عند غروبها : ثلاث ركعات فى كل صلاة ، ويسجدون ويطون أيديهم تحت وجوههم . ومن قرآنهم الذى كانوا يقرأونه بعد تهليل يهللون به بلسانهم : خلنى من الذنوب يامن خلى النظر ينظر فى الدنيا ، اخرجنى من الذنوب يامن أخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر ، ثم يقول فى ركوعه آمنت بحاميم وبأبيه أبى يخلف من الله ، وآمن رأسى وعقلى وما يكنه صدرى وما أحاط بهدمى ولحمى ، وآمنت بتالية عمة حاميم أخت أبى يخلف من الله ثم يسجد ـ وكانت تالية هذه امرأة كاهنة ساحرة ـ وكان حاميم يلقب المفترى ، وكانت أخته دبو كاهنة ساحرة أيضا وكانوا يستغيثون بها فى الحروب والقحوط ، وفرض عليهم صوم الاثنين وصوم الخميس إلى الظهر وصوم الجمعة وصوم عشرة أيام من رمضان ويومين من شوال ، ومن أفطر فى يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة أثوار ، ومن أفطر فى يوم الاثنين فكفارته أن يتصدق بثورين ، وفرض عليهم فى الزكاة العشر من كل شىء ، وأسقط عنهم الحج والوضوء والغسل من الجنابة ، وأحل لهم أكل الاشى من الخنزير ، وقال : إنما حرم قرآن محمد الخنزير الذكر ، وأمر أن لا يؤكل الحوت إلّا بذكاة ، وحرم عليهم أكل البيض وأكل الرأس من كل حيوان ، فبعث إليه عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس عسكرا فالتقوا بقصر مصمودة من احواز طنجة فقتلوه ، وقتلوا أتباعه وصلبوا شاوه بالقصر المذكور ، وبعثوا برأسه إلى الناصر بقرطبة ، ورجع من بقى من اتباعه إلى الاسلام وذلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة . قال ابن خلدون : « وكان لابنه عيسى بن حاميم من بعده قدر جليل فى غمارة » .

وفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ظهر ببلاد المغرب غمام كثيف دام خمسة أيام لم ير الناس فيها شمسا وكان الشخص لايرى من الارض فيه إلّا موضع قدميه فتاب النـاس وأخرجوا الصدقات فكشف الله عنهم ما بهم وسميت سنة الغمام .

وفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة نزل برد عظيم الواحدة منه تزن رطلا واكثر ، قتل الطير والوحش والبهائم وكثيرا من الناس وكسر الاشجار وأفسد الثمار وكان ذلك بإثر قحط شديد وغلاء عام .

وفى سنـة اثنتين وأربعين وثلاثمائة نزل أيضا برد كثير لم يعهد مثله كثرة قتـل المواشى وأفسد الثمار ، وجاءت السيول العظيمة بجميع بـلاد المغرب وكان بها رعود قاصفة وبروق خاطفة ، ودام ذلك أياما واستسقى الناس واستصحوا فى هـذه السنة ، وفيها أيضا كانت ريح شديدة هدمت المبانى .

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس هلك فيـه أكثر الخلق

وفى هـذه المدة كان الشيخ أبو سعيد المصرى المعروف بأبى سلهامة موجودا وهو من كبار صلحاء المغرب ، وقبره شهير قرب مشرع الحضر على ساحل البحر وعليه قبة عجيبة الصنعة محكمة العمل بالنقش والاصباغ والزليج الملون . قال أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى مرآة المحاسن : « كان على رأس قبر الشيخ أبى ساهامـة لوح مذهب مكتوب عليه : « هذه القبور الثلاثة التى اخفى الله تعالى فيها قبر الشيخ أبى سعيـد المكنى بأبى سلهامة وكانت وفاته سنة نيف وأربعين وثلاثمائة » قال أبو عبد الله المذكور: « ثم ان النصارى نزلوا مرة هناك فاقتلعوا اللوح وذهبوا به » قال : « وكان النيف الزائد على الاربعين مسمى فى اللوح ولكنى أنسيته ومع ذلك فهو لايزيد على السبع » والله تعالى أعلم .

الخبر عن الدولة الثانية للادارسة ببلاد الريف

هـذه الدولة التى كانت للادارسة ببلاد الريف لم تكن لهم على سبيل الاستقلال والاستبداد كما كانت لهم أولا بفـاس والمغرب ، انما كانوا فيها تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب اما من الشيعة أصحاب افريقية ، واما من المراونيين أصحاب الاندلس كما ستقف عليه .

واعلم انا قد قدمنا ان بنى ادريس كانوا قد اقتسموا أعمال المغرب بعد وفاة ابيهم ادريس رحمه الله وذلك باشارة جدتهم كنزة ، وان بلاد الريف منها كانت فى سهم عمر بن ادريس ، وانه قاتل أخويه عيسى والقاسم ، وأضاف أعمالهما الى عمله ، فبقيت بلاد الريف بيد بنى عمر بن ادريس يتوارثونها خلفا عن سلف ، فلما انقرضت دولة آل ادريس بفاس على يد موسى بن أبى العافية انحازوا الى بنى عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقلعة حجر النسر كما سبق .

ولما قدم ميسور الخصى من افريقية وأجلى موسى بن أبى العافية الى الصحراء ، أقام بنو ادريس بريفهم يتداولون رياسته تحت نظر الشيعة تارة ، وتحت نظر المروانيـين أخرى ، الى أن انقرضت دولتهم وذهبت رياستهم من المغرب بالكلية . والله غالب على أمره .

* * * * * *

الخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس

لـما فر موسى بن أبى العافية أمام القائـد ميسور الى الصحراء صارت الرياسة فى المغرب بعده لابنى محمد بن القاسم بن ادريس . وهما : القاسم الملقب بكنون ، وشقيقه ابراهيم ، وهما معا أخوان للحسن الحجام الذى تقدم ذكره ، فاجتمع بنو ادريس وبايعوا القاسم المـذكور ، فملك أكثر بـلاد المغرب إلّا فاسا فانه لم يملكها ، وكان سكناه

بقلعة حجر النسر ، واستمر على امارته مقيما لدعوة الشيعة الى ان توفى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فولى بعده ابنه أبو العيش .

الخبر عن دولة أبى العيش أحمد بن القاسم كنون

كان أبو العيش هذا فقيها ورعا حافظا للسير عارفا بأخبار الملوك وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر شجاعا جوادا ، وكان يعرف فى بنى ادريس بأحمد الفاضل وكان مائلا إلى بنى مروان .

ولما ولى بعد أبيه قطع دعوة العبيديين فى جميع عمله ، وبايع لعبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وخطب له على جميع منابر عمله ، وبايع أبا العيش كافة أهل المغرب الى سجلماسة . وكان السواد الاعظم من أهل المغرب الاقصى لهم محبة فى جانب آل ادريس وايثار لهم لا يبغون بهم بدلا مهما وجدوا الى ذلك سبيلا .

تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب
ومضايقته لابى العيش بها

لما بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر وخطب له اقترح عليه أن ينزل له عن طنجة ليضيفها الى سبتة التى كان استولى عليها من قبل ، فامتنع أبو العيش من ذلك فبعث اليه الناصر بالاسطول والمقاتلة ، فحاصره وضيق عليه ، ولما رأى أبو العيش أنه لا طاقة له بحربه أجابه الى ما سأل ونزل له عن طنجة

وبقى أبو العيش مع اخوته وبنى عمه من الادارسة بمدينة البصرة وآصيلا تحت بيعة الناصر وفى كنفه متمسكين بدعوته ، وكانت قواد الناصر وجيوشه تجيز من الاندلس الى العدوة ، يقاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم ، والناصر

ممد لمن عجز منهم برجاله ، مقو لمن ضعف بمانه ، حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر ، وخطب له على منابره من تاهرت الى طنجة - ما عدا سجلماسة - فانه قام بها فى ذلك الوقت منادر البربرى

وبايع الناصر أهـل فاس فيمن بايعه من بلاد العدوة فولى عليهم محمد بن الخير المغراوى ، وكان من أبسط ملوك زناتة يدا وأعظمهم شأنا وأحسنهم الى ملوك بنى أمية انحياشا وأخلصهم طوية

وكان لبنى يفرن ومغراوة من زناتـة ولاية للامويين وتشيع لهم ، وذلك بولاية عثمان بن عفان رضى الله عنه لجدهم صولات بن وزمار المغراوى الذى وفد عليه وأسلم على يده كما سبق فى أخبار الفتح والله أعلم . فسرت تلك الولاية فى عقب زناتة للامويين عموما كما كان لصنهاجة من البربر ولاية آل على بن أبى طالب (١) رضى الله عنه ، فأقام محمد بن الخير واليا على مدينتى فاس نحو سنة وارتحل عنها الى الاندلس برسم الجهاد ، واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتى وهو الذى بنى صومعة مسجد القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمائة كما سبق .

وفى سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ولى الناصر على مدينة طنجة وأحوازها يعلى بن محمد اليفرنى فنزلها فى قبائل يفرن وأمضى أمره ونهيه فيها .

هجرة ابى العيش إلى الاندلس بقصد الجهاد

لما رأى أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدوة هانت عليـه رياستها ، فكتب اليه بقرطبة يستأذنه فى الجهاد فأذن له ، وأمر أن يبنى له فى كل منزل ينزله قصر - وذلك من ألجزيرة الخضراء الى الثغر - وأن يجرى له فيها ألف دينار فى كل يوم ضيافة له ، ومن الفرش والاثاث والطعام والشراب مـا يقوم بالقصر ، فلم يزل على ذلك حتى وصل الى الثغر فكانت منازله من الجزيرة الى الثغر ثلاثين منزلا ومات أبو العيش رحمه الله شهيدا فى جهاد الفرنج سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

---

(١) قال ابن خلدون : لاتعرف سبب هذه الولاية ولا اصلها (جزء ١ صفحة ١٩٥ طبع الجزائر)

الخبر عن دولة الحسن بن كنون

لما خرج أبو العيش من الاندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون ، وهو القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس ، وهو آخر ملوك الادارسة بالمغرب ولم يزل مواليا للمروانيين متمسكا بدعوتهم إلى أن كان ما نذكره .



قدوم القائد جوهر الشيعى من افريقية الى المغرب واستيلاؤه عليه

لما اتصل بخليفة الشيعة - وهو المعز لدين الله معد بن اسمعيل العبيدى ، غلبة الناصر على بلاد العدوة وأن جميع من بها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا فى دعوة بنى أمية ، عظم الامر عليه ، وبعث قائده جوهر بن عبد الله الرومى - المعروف بالكاتب - فى جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم، وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذللها ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم .

فخرج جوهر من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة يؤم بلاد المغرب فاتصل خبره بيعلى بن محمد اليفرنى صاحب طنجة وخليفة الناصر على بلاد العدوة ، فحشد قبائل زناتة ونهض الى القائد جوهر فكان اللقاء على تاهرت ، فالتحمت الحرب بين الفريقين فأخرج القائد جوهر الاموال وبذلها فى قواد كتامة فضمنوا له قتل أمير زناتة يعلى بن محمد ، فلما اشتد القتال صممت عصابة من قواد كتامة وأنجادها وقصدوا الى يعلى بن محمد فقتلوه واحتزوا رأسه وأتوا به الى جوهر فبذل لهم مالا جليلا بشارة عليه وبعث بالرأس الى مولاه المعز فطيف به بالقيروان .

وذكر ابن خلدون أن يعلى بن محمد بادر الى لقاء جوهر عند قدومه وأذعن له وبايعه فأظهر جوهر القبول ثم دس اليه من اغتاله وتفرق بنو يفرن وزناتة بعد مقتل أميرهم ، وبعد مدة التأم ملكهم على ولده يدو بن يعلى بن محمد اليفرنى .

ثم تقدم جوهر الى سجلماسة ، وكان قد قام بها محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر لله ، وقد تقدم لنا انه ادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه وكتب عليها« تقدست عزة الله » ، وكانت سكته تعرف بالشاكرية وكانت في غاية الطيب ، وكان سنيا مالكي المذهب قد خالف سلفه في مذهب الصفرية ، فنزل عليه جوهر وحاصره بسجلماسة ثم اقتحمها عنوة بالسيف ، وأفلت الشاكر ثم عاد بعد يومين أو ثلاثة فدخل سجلماسة متنكرا فعرف وقبض عليه وأتى به إلى جوهر فأوثقه فى الحديد وساقه أسيرا بين يديه حتى نزل على فاس بعد أن افنى حماة الصفرية ورجالها بالسيف .

وكان نزوله على فاس سنة تسع وأربعين وثلاثمائة فحاصرها وأدار بها القتال من كل جهة قريبا من نصف شهر ، ثم اقتحمها عنوة بالسيف على يد زيرى بن مناد الصنهاجى ، فإنه تسنم اسوارها ليلا ودخلها فقتل بها خلقا كثيرا ، وقبض على أميرها أحمد بن أبى بكر الزناتى (١) الذى ولاه الناصر عليها ، ونهب المدينة وقتل حماتها وشيوخها وسبى أهلها ، وهدم اسوارها وكان الحادث بها عظيما ، وكان دخول جوهر اياها ضحوة يوم الخميس الموفى عشرين من رمضان سنة تسع واربعين وثلاثمائة .

ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل أولياء المروانيين ويسبى ويفتح البلاد والمعاقل ، وخافته البربر وفرت أمامه قبائلها ، فأنفذ الامر فى المغرب الاقصى ثلاثين شهرا وانتهى الى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله فى قلال الماء وأرسله الى مولاه المعز ، ثم انصرف راجعا بعد ان دوخ البلاد وأثخن فيها وقتل حماتها وقطع دعوة المروانيين منها ، وردها الى العبيديين فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، وانتهى

---

(١) وقيل احمد بن بكر الجذامى وهو أصح اه (مؤلف)

القائد جوهر الى المهدية - دار المعز لدين الله ، وقد حمل معه أحمد بن أبى بكر اليفرنى أمير فاس ، وخمسة عشر رجلا من أشياخها ، وحمل أيضا محمد بن أبى الفتح أمير سجلماسة ، ودخل بهم أسارى بين يديه فى أقفاص من خشب على ظهور الجمال وجعل على رؤسهم قلانس من لبد مستطيلة منبتة بالقرون ، فطيف بهم فى بلاد افريقية وأسواق القيروان ، ثم ردوا الى المهدية وحبسوا بها حتى ماتوا فى سجنها .

قدوم بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى الشيعى من افريقية الى المغرب

كان الامير الحسن بن كنون قد بايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب ، فلما انصرف جوهر الى افريقية أو اخر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة نكث الحسن بن كنون بيعة العبيديين وعاد الى المروانيين فتمسك بدعوة الناصر ثم بدعوة ابنه الحكم المستنصر خوفا منهم ، لامحبة فيهم ، لقرب بلاده من بلادهم . وأقام على ذلك الى ان قدم الامير بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى من افريقية الى المغرب لاخذ ثار (١) أبيه فقتل زناتة واستأصلهم وملك المغرب باسره وقطع أيضا منه دعوة الامويين وقتل أولياءهم ، وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للمعز معد بن اسمعيل كما فعل جوهر قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته ونصرته وقتال أولياء المروانيين معه الحسن بن كنون صاحب مدينة البصرة ، وكشف وجهه فى ذلك وأعمل فيه جهده فاتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه لذلك .

فلما انصرف بلكين بن زيرى الى افريقية بعث الحكم المستنصر صاحب الاندلس قائده محمد بن القاسم بن طملس فى جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنون ، فأجاز

---

(١) لان زيرى بن مناد والد بلكين هذا كانت زناتة قد قتلته سنة ٣٦١ وحمل رأسه إلى الخليفة الاموى بقرطبة وهو الحكم المستنصر بن الناصر .

اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى عدد كثير وعدة كاملة ، وذلك فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فزحف الحسن الى قتاله فى قبائل البربر ، فكان اللقاء باحواز طنجة بموضع يعرف بفحص بنى مصرخ ، فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها محمد بن القاسم قائد الحكم المستنصر وقتل معه خلق كثير من أصحابه ، وفر الباقون فدخلوا سبتة وتحصنوا بها وكتبوا الى الحكم يستغيثون به فبعث اليهم صاحب حروبه غالبا مولاه - البعيد الصيت المعروف بالشهامة والنجدة والدهاء - وأعطاه الحكم أموالا جليلة وجيوشا كثيرة ، وعددا وافرة وأمره بقتال آل ادريس واستنزالهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : ياغالب سر مسير من لا اذن له فى الرجوع الا حيا منصورا أو ميتا معذورا ، ولا تشح بالمال وابسط يدك به يتبعك الناس .

* * * * * * *

قدوم غالب الاموى الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الاندلس

ثم خرج غالب من قرطبة فى آخر شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، فاتصل خبر قدومه بالحسن بن كنون فخاف منه وأخلى مدينة البصرة وحمل منها حرمه واموالة وذخائره إلى قلعة حجر النسر القريبة من سبتة واتخذها معقلا يتحصن بها ، وأجاز غالب البحر من الجزيرة الخضراء إلى قصر مصمودة ، فلقيه الحسن بن كنون هناك فى جموع البربر ، وقاتله أياما وسرب غالب الاموال إلى رؤساء البربر الذين مع الحسن بن كنون ووعدهم ومناهم ، فانفضوا عن الحسن حتى لم يبق معه إلّا خاصته ورجاله ، فلما رأى ذلك سار إلى حجر النسر فتحصن به ، واتبعه غالب فحاصره به ونزل عليه بجميع جيوشه وقطع عنه المواد ، وأمده الحكم بعرب الدولة الذين بالاندلس ورجال الثغور ، فوصل المدد إلى غالب غرة المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فاشتد الحصار على الحسن بن كنون ، فطلب من غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله وينزل اليه فيسير معه الى قرطبة فيكون بها ، فأجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه ، فنزل الحسن باهله وماله ورجاله وأسلم الحصن الى غالب فملكه ، واستنزل غالب جميع العلويين الذين

بارض العدوة من معاقلهم وأخرجهم عن أوطانهم ولم يترك بالعدوة رئيسا منهم .

وسار الى مدينة فاس فملكها واستعمل عليها محمد بن أبى على بن قشوش بعدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة بعدوة الاندلس ، فلم تزل فاس بيد بنى أمية إلى أن غلب عليها زيرى بن عطية المغراوى .

وانصرف غالب الى الاندلس وساق معه الحسن بن كنون وجميع ملوك الادارسة ، وقد وطأ جميع بلاد المغرب وفرق العمال فى نواحيه وقطع دعوة بنى عبيد من جميع آفاقه ورد الدعوة الى الاموية ، فخرج بهم غالب من فاس آخر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ووصل الى سبتة فركب البحر منها واستقر بالخضراء .

وكتب الى مولاه الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه وبمن قدم معه من العلويين فلما وصل كتابه الى الحكم أمر الناس بالخروج الى لقائهم وركب هو فى جمع عظيم من وجوه دولته ، فتلقاهم فكان يوم دخولهم قرطبة يوما مشهودا وذلك أول يوم من المحرم سنة أربع وستين وثلاثمائة وسلم الحسن بن كنون على الحكم فاقبل عليه وعفا عنه ووفى له بعهده وأوسع له ولرجاله فى العطاء وأجرى عليهم الجرايات الكثيرة وخلع عليهم الخلع الرفيعة ، وأثبت جميع أهله ورجاله فى ديوان العطاء وكانوا سبعمائة رجل أنجاد يعدون بسبعة آلاف وأسكنه قرطبة . وأقام الحسن وعشيرته فى كنف الحكم فى أمن وغبطة إلى أن كان ما نذكره .

حدوث النفرة بين الحكم والحسن والسبب في ذلك

لما استقر الحسن بن كنون وعشيرته بقرطبة تحت كنف الحكم المستنصر بالله الاموى على ما وصفناه استمر الحال على ذلك إلى سنة خمس وستين وثلاثمائة .

وكان للحسن قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الجرم ظفر بها فى بعض سواحله من بلاد العدوة أيام ملكه بها فسواها منشورة يتوسدها ويرتفق بها فبلغ أمير المؤمنين الحكم خبرها فسأله حملها إليه وضمها إلى ذخائره ، على ان له حكمه مسمطا ، فامتنع

الحسن من ذلك وأبى أن يسلمها إليه ، فنكبه عليها وسلبه جميع أمواله وسلبه القطعة أيضا ، فبقيت فى خزانة الامويين إلى أن غلب ابن حمود الادريسى على ملك الاندلس ، ودخل قرطبة واستقر بالقصر منها فألفى تلك العنبرة لازالت قائمة العين قد عقبتها الايام حتى صارت إلى أيدى العلوية أربابها .

ولما نكب الحكم الحسن أمر باخراجه وإخراج عشيرته من قرطبة واجلائهم الى المشرق ، فركبوا البحر من المرية الى تونس سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وكان قصد الحكم بتغريبهم التخفف منهم والراحة من نفقاتهم مع ما كان قومه يعذلونه عليهم فسار الحسن بن كنون وعشيرته الى مصر فنزلوا بها على خليفة الشيعة وهو العزيز بالله نزار بن المعز العبيدى ـ وكان العبيديون قد ملكوا مصر يومئذ ونقلوا كرسى خلافتهم اليها ـ فاقبل العزيز نزار على الادارسة وبالغ فى اكرامهم ووعد الحسن النصرة والاخذ بثاره ممن غلبه على ملك سلفه .



عود الحسن بن كنون إلى المغرب
وما كان من امره إلى مقتله وانقراض دولته



لما استقر الحسن بن كنون بمصر عند العزيز نزار أقام عنده مدة طويلة الى ان دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فى أيام هشام المؤيد بالله الاموى فكتب نزار للحسن بعهده على المغرب وأمر عامله على افريقية بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى أن يقويه بالجيوش فسار الحسن الى بلكين فاعطاه عسكرا يشتمل على ثلاثة آلاف فارس ، فاقتحم بهم بلاد المغرب فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة فشرع فى اظهار دعوته .

واتصل خبره بالمنصور بن أبى عامر ـ حاجب هشام المؤيد والقائم بملكه ـ فبعث

اليه ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبى عامر ـ المعروف بعسكلاجة ـ فى جيش كثيف وقلده أمر المغرب وسائر أعماله وأمره بقتال الحسن بن كنون فنفذ لوجهه وركب البحر الى سبتة وخرج الى حرب الحسن فاحاط به وحاصره أياما ، ثم أجاز (١) المنصور بن أبى عامر ولده عبد الملك فى أثر الوزير أبى الحكم فى جيش كثيف ممدا له .

فلما رأى ذلك الحسن بن كنون سقط فى يده ، ولم يجد حيلة فطلب الامان على نفسه على أن يسير إلى الاندلس كمثل حالته الاولى ، فأعطاه الوزير أبو الحكم من ذلك ما وثق به ، وكتب إلى ابن عمه المنصور يخبره بذلك فأمر بتعجيله إلى قرطبة موكلا به فبعث به إليه .

ولما انتهى الخبر الى المنصور بقدوم الحسن لم يمض أمان ابن عمه ، وأنفذ اليه من قتله فى طريقه وأتاه برأسه ، ودفن شلوه بمكان مقتله ، وذلك فى جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . وركدت ريح العلوية بالمغرب ، وتفرق جمعهم ، وانقرضت دولتهم ، وتفرقت الادارسة فى قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء الى ان خلعوا شارة ذلك النسب الشريف واستحالت صبغتهم منه الى البداوة .

واستمر الحال الى ان أشرقت دولة بنى أمية بالاندلس على الانقراض وكان بالاندلس رجلان من آل ادريس دخلوها فى جملة البربر الذين كانوا هناك ، وهم على والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فطار لهما ذكر فى الشجاعة والاقدام ، ثم ترقت بهم الاحوال الى ان ورثوا خلافة الاندلس من يد الامويين بها فى خبر طويل .

ولما قتل الحسن بن كنون هبت ريح عاصف احتملت رداءه فلم يوجد بعد . قالوا :

---

(١) قد فند المؤرخ ضوزى هذا القول فى تاريخ مسلمى اصبانيا (جزء ثالث صفحة ٢٠٠) وقال : ان عبد الملك لم يكن له من العمر إذ ذاك إلّا اثنتا عشرة سنة ولم يجز المنصور ابنه المذكور إلى المغرب إلّا بعد أن حصل النفور بينه وبين زيرى بن عطية سنة ٣٨٧ ـ أى بعد هذا الحادث بنحو ١٤ سنة ـ اه

وكان الحسن هذا فظا غليظا قاسى القلب ، كان اذا ظفر بعدو أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعته المسماة بحجر النسر ، فيهوى منها الى الارض مد البصر : يدفع الرجل بخشبة تمد اليه فلا يصل الى الارض إلّا وقد تقطع .

قال ابن ابى زرع : كانت مدة ملك الادرسة بالمغرب - من يوم بويع ادريس بن عبد الله وذلك يوم الخميس السابع من ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين ومائة الى ان قتل الحسن بن كنون وذلك فى جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة - مائتى سنة وثلاث سنين سوى شهرين تقريبا . وكان عملهم بالمغرب من السوس الاقصى الى مدينة وهران . وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة . وكانوا يكابدون دولتين عظيمتين : دولة العبيديين بافريقية ودولة بنى أمية بالاندلس . وكانوا يزاحمون الخلفاء الى ذروة الخلافة ويقعد بهم عنها ضعف سلطانهم وقلة مالهم ، فكان سلطانهم اذا امتد وقوى ينتهى الى مدينة تلمسان ، واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لا يجاوز سلطانهم البصرة وآصيلا وحجر النسر الى ان انقضت أيامهم وانقرضت مدتهم والبقاء لله وحده .

وكان فى هذه المدة من الاحداث أنه فى سنة خمسة وخمسين وثلاثمائة كانت ريح شديدة قلعت الاشجار وهدمت الديار وقتلت الرجال .

وفى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من رجب منها ظهر فى البحر شهاب ثاقب ماثل كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره ، وأشبهت تلك الليلة ليلة القدر وقارب ضوءها ضوء النهار

وفى هذا الشهر أيضا كسف النيران فخسف القمر ليلة أربع عشرة منه وطلعت الشمس كاسفة فى اليوم الثامن والعشرين منه .

وفى سنة احدى وستين وثلاثمائة كان الجراد بالمغرب .

وفى سنة اثنتين وستين بعدها دخل مغراوة المغرب وملكوه وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوى . وفيها توفى الشيخ الفقيه الصالح الفاضل أبو ميمونة دراس بن اسمعيل وهو أول من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس وذكر الرشاطى ان وفاته كانت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ولعله أصح .

وفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة عم الجراد بلاد المغرب كلها .

وفى سنة ثمان وسبعين بعدها كان الفيض الذى فاضت منه جميع أودية المغرب .

وفى سنة تسع وسبعين بعدها كانت الريح الشرقية بالمغرب ودامت ستة أشهر فأعقبت وباء عظيما وأمراضا كثيرة .

وفي سنة ثمانين وثلاثمائة تدارك الله عباده وكان الرخاء المفرط بالمغرب فكان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرته وكان الفلاحون وأصحاب الحرث يتركونه قائما فى محاقلهم لا يحصدونه لرخصه .



الخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبنى يفرن بفاس والمغرب

ينبغى أن نقدم هنا كلاما يكون كالتوطئة لاخبار هذه الدولة المغراوية فنقول : ان هذه الدولة لم يكن لها استقلال بالمغرب وفاس ، وانما كانت رياستها تحت نظر الامويين بالاندلس ، ثم ان مغراوة وبنى يفرن قبيلتان من أعيان قبائل زناتة ، وكان مغراو ويفرن أخوين شقيقين ، وهما ابنا يصليتن بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن الدبديت ابن زانا وهو أبو زناتة .

وقد تقدم لنا في أخبار الفتح ان الصحابة رضى الله عنهم أسروا صولات بن وزمار كبير مغراوة لذلك العهد ، وبعثوا به الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فاسلم على يده وولاه على قومه ، وقيل ان صولات هاجر الى عثمان رضى الله عنه طائعا من غير أسر فأكرمه وولاه فكان بيت صولات بسبب هذه المزية نبيها فى قومه مغراوة وسائر زناتة

ولما مات صولات ورث رياسته من بعده ابنه حفص بن صولات ثم من بعده خزر ابن حفص بن صولات ثم ابنه محمد بن خزر وهو الذى غزاه ادريس بن عبد الله بمدينة تلمسان وانقاد له وأجاب دعوته ودخل ادريس معه تلمسان وأصلح شأنها وبنى مسجدها حسبما تقدم الخبر عن ذلك مستوفى ثم لم تزل ذرية محمد بن خزر هذا تتوارث رياسة سلفهم من بعدهم إلى ان كان منهم فى صدر المائة الرابعة أربعة أخوة وهم : محمد ابن خزر وعبد الله بن خزر ومعبد بن خزر وفلفل بن خزر ، وكلهم رئيس شريف في قومه ولهم أخبار مع خلفاء الشيعة بافريقية والمروانيين بالاندلس يطول ذكرها مع انها ليست من موضوعنا .

ولما كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة زحف بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى صاحب افريقية بعد العبيديين الى المغرب الاقصى ، وأناخ على مدينتى فاس وقتل عامليها محمد بن أبى على بن قشوش صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة

الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكناسى ، وأجفلت ملوك زناتة من بنى خزر المغراويين وبنى محمد بن صالح اليفرنيين أمامه وانحازوا جميعا الى سبتة .

وعبر محمد بن الخير من آل خزر البحر الى المنصور بن أبى عامر صريخا فخرج المنصور فى عساكره الى الجزيرة الخضراء ممدا لهم بنفسه ، وعقد لجعفر بن على بن حمدون على حرب بلكين الصنهاجى وأجازه البحر وأمده بمائة حمل من المال فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بساحة سبتة وجاء بلكين الصنهاجى حتى صعد جبال تطوان (١) وتسنم هضابها وأطل على عساكر زناتة وأهل الاندلس بساحة سبتة فرأى ما لا قبل له به ويقال انه لما عاين ذلك قال : « هذه أفعى فغرت الينا » فاها وكر راجعا على عقبه فاجتاز على مدينة البصرة وكان بها حامية أهل الاندلس وبها يومئذ عمارة عظيمة فهدمها ثم صمد الى برغواطة ببلاد تامسنا فجاهدهم وقتل ملكهم عيسى بن أبى الانصار (٢) ، واستولى على المغرب أجمع ومحى دعوة بنى أمية من نواحيه .

ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وقدم الحسن بن كنون الادريسى من مصر الى المغرب يطلب ملك سلفه انضم اليه يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى فى قومه وشايعه على مراده وسرح المنصور بن أبى عامر صاحب الاندلس اليه ابن عمه أبا الحكم الملقب بعسكلاجة وانضم اليه آل خزر المغراويون وهم : محمد بن الخير الاصغر وخزرون بن فلفل بن خزر ومقاتل وزيرى ابنا عطية بن عبد الله بن خزر ، وانضم اليهم سائر مغراوة وظاهروا أبا الحكم عسكلاجة على شأنه فى حصار الحسن ابن كنون حتى طلب الامان لنفسه حسبما استوفينا خبره آنفا . ثم تقدم عسكلاجة الى فاس فدخلها واستولى على عدوة الاندلس سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وخطب بها لبنى أمية وبقى محمد بن عامر المكناسى عامل الشيعة بعدوة القرويين الى سنة ست وسبعين

---

(١) تطوان يعنى القديمة .

(٢) راجع ما قاله ابن خلدون عند الكلام على غزو بلكين للمغرب فقد بسط القول اكثر مما هو عند المؤلف صفحة ٢٠٠ من الجزء الاول من قسم تاريخ المغرب المطبوع بالجزائر .

وثلاثمائة فاتى أبو بياش فدخل عدوة القرويين بالسيف وقبض على محمد بن عامر المكناسى فقتله وخطب بها لبنى أمية أيضا . هكذا فى القرطاس .

وقال ابن خلدون : ان المنصور بن أبى عامر عقد على المغرب بعد انصراف عسكلاجة عنه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى وأطلق يده فى الاموال والرجال ، وأرسله اليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأوصاه بالاحسان الى مغراوة ولا سيما مقاتل وزيرى ابنا عطية لحسن انحياشهم الى المروانيين وصدق طاعتهم لهم . واغراه بيدو بن يعلى اليفرنى لتمريضه فى الطاعة وقيامه مع الحسن بن كنون ، فنفذ الوزير حسن بن أحمد ابن عبد الودود لعمله ونزل بفاس وضبط المغرب أحسن ضبط واجتمعت عليه مغراوة

ثم هلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين وورث رياسته على بادية قومه أخوه زيرى بن عطية وحسنت صحبته للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود ومعاملته له .

ثم ان المنصور بن أبى عامر استدعى زيرى بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوفد عليه وأحسن المنصور اليه ورفع منزلته ثم عاد الى المغرب وأمره بقتال يدو بن يعلى اليفرنى فاجتمع عليه هو والوزير ابن عبد الودود فقاتلوه فانتصر عليهم يدو بن يعلى وقتل الوزير ابن عبد الودود .

ثم عقد المنصور بن أبى عامر لزيرى بن عطية من بعده على المغرب وفاس ، وكان ذلك سنة احدى وثمانين وثلاثمائة . هذا ملخص ما عند ابن خلدون فى هذا الخبر ، ثم حكى بعده ما يخالفه مما نذكره مبسوطا عن قريب وتوقف فى أيهما الصواب والله أعلم

الخبر عن دولة زيرى بن عطية المغراوى بفاس والمغرب

هو زيرى بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوى وعبد الله المذكور هو أحد الاخوة الاربعة من بنى خزر . قال فى القرطاس : ملك على زناتة سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، فقام فى المغرب بدعوة هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور بن أبى عامر ، وذلك بعد انقراض دولة الادارسة منه وبنى أبى العافية المكناسيين فغلب زيرى أولا على جميع بوادى المغرب ثم ملك مدينتى فاس بعد عسكلاجة وأبى بياش : دخلها سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فاستوطنها وصيرها دار ملكه واستقام له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه وهو فى ذلك متمسك بدعوة بنى مروان أصحاب الاندلس . والله غالب على أمره .

*** ** ***

حديث أبى البهار الصنهاجى مع المنصور بن أبى عامر وما نشأ عن ذلك

كان أبو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى قد خالف على ابن أخيه منصور بن بلكين ابن زيرى بن مناد الصنهاجى أمير افريقية وظهير الدولة العبيدية وخلع دعوة الشيعة ومال الى دعوة المروانيين وغلب على المهدية وتونس وشلشال (١) وتلمسان ووهران وشلف وكثير من بلاد الزاب . وخطب للمؤيد وحاجبه المنصور بن أبى عامر وبعث ببيعته اليهم وذلك في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلما وصلت بيعته الى المنصور بن أبى عامر بعث اليه بعهده على مابيده من البلاد وبهدية وخلع وباربعين ألف دينار ، فلما قبض أبو البهار المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ثم خلعهم وعاد الى العبيديين ، فبلغ ذلك المنصور فغاظه وكتب الى زيرى بن عطية بعهده على بلاد أبى البهار وأمره

---

(١) الذي في البكري أنها شرشال بالراء عوضا عن اللام .

بقتاله عليها ، فسار اليه زيرى بن عطية من فاس فى جيوش لاتحصى من قبائل زناتة وغيرهم ففر أبو البهار أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك له البلاد فملك زيرى بن عطية تلمسان وسائر أعمال أبى البهار فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الاقصى الى الزاب ، وكتب بالفتح الى المنصور بن أبى عامر وبعث له بهدية عظيمة فيها مائتا فرس من عتاق الخيل ، وخمسون جملا مهريا سابقة وألف درقة من جلود اللمط وأحمال كثيرة من قسى الزان ، وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره وألف حمل من التمر الجيد فى جنسه ، وأحمال كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة فسر بها المنصور وكافأه عليها ، وكتب له بتجديد عهده على المغرب وذلك سنة احدى وثمانين وثلاثمائة . وأقام زيرى بن عطية بفاس وأسكن قبيله بأنحائها وبالقرب منها فى قياطينهم ودفع بنى يفرن عن فاس وأحوازها الى نواحى سلا فاستولوا عليها كما سيأتى .

وفادة زيرى بن عطية على المنصور بن أبى عامر بالاندلس

لما كانت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة استدعى المنصور بن أبى عامر زيرى بن عطية أن يقدم عليه بقرطبة فاستخلف على المغرب ولده المعز بن زيرى وأمره بسكنى تلمسان ، واستخلف على عدوة الاندلس من فاس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة ، وعلى عدوة القرويين منها علي بن محمد بن أبى على بن قشوش ، وولى قضاء المدينتين الفقيه الفاضل أبا محمد قاسم بن عامر الازدى . وسار الى الاندلس وقدم بين يديه هدية عظيمة ، من جملتها طائر فصيح يتكلم بالعربية والبربرية ، ودابة من دواب المسك ، ومهاة وحشية تشبه الفرس ، وحيوانات غريبة ، وأسدان عظيمان فى قفصين من حديد ، وشىء كثير من التمر فى غاية الكبر الواحدة منه تشبه الخيارة عظما ، وحمل معه من قومه وعبيده ثلاثمائة فارس وثلاثمائة راجل ، فاحتفل المنصور لقدومه احتفالا عظيما ، وبرز الخاصة

والعامة للقائه ، وأنزله بقصر جعفر الحاجب وتوسع له فى الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وأفاض عليه أموالا جسيمة وخلعا نفيسة ، وعجل بسراحه الى عمله بعد ان جدد له عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه . فعبر البحر واحتل بمدينة طنجة ، فلما استقربها وضع يده على رأسه وقال : « الآن علمت انك لى » فاستقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذى سماه به . ولقد خاطبه به بعض رجاله فنهاه عن ذلك ، وقال : « وزير من يالكع ! لا والله الا أمير بن أمير ! واعجبا لابن أبى عامر ومخرقته ! لان تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ! والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله ، وان له منا ليوما » وبلغت مقالته المنصور فصر عليها أذنه ، وزاد فى اصطناعه الى ان كان ما نذكره .

استيلاء يدو بن يعلى اليفرنى على فاس ومقتله

تقدم لنا ان بنى يفرن من أعيان قبائل زناتة ، وكان يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى قد قام بامر بنى يفرن بعد مقتل أبيه يعلى بن محمد حين قتله جوهر الكاتب قائد الشيعة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فملك يدو كثيرا من بوادى المغرب واتصلت رياسته الى هذا التاريخ .

وتقدم لنا ان مغراوة دفعوا بنى يفرن الى سلا وأحوازها فاستولوا عليها ، وكان الامير يدو بن يعلى مضاهيا لزيرى بن عطية فى الحسب والفضل والمال .

ولما استدعى المنصور بن أبى عامر زيرى بن عطية للوفادة المتقدمة أراد أن يفعل بيدو بن يعلى مثل ذلك ، وكان قصده أن يمكر به لانه كان لا يطمئن اليه اطمئنان زيرى ابن عطية ، فأساء يدو بن يعلى اجابة المنصور ، وقال : « متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة ! » فاقصر عنه المنصور .

وكانت بين زيرى ويدو بن يعلى منافسات ومنازعات على الرياسة بالمغرب ، فكان يدو ابن يعلى اذا غلب على زيرى دخل مدينة فاس واستولى عليها . واذا غلب عليه زيرى

أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهما سجالا . وسئمت الرعية بفاس كثرة تعاقبهم عليها .

ثم لما سافر زيرى بن عطية الى الاندلس انتهز يدو بن يعلى الفرصة فى غيبته فزحف الى فاس ودخل منها عدوة الاندلس بالسيف فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وقتل بها خلقا كثيرا من مغراوة ، فلما نزل زيرى بن عطية بطنجة اتصل به خبر يدو بن يعلى واستيلاؤه على فاس ، فاسرع السير نحوه حتى نزل قريبا من فاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين : مغراوة وبنى يفرن الى أن هزمه زيرى واقتحم عليه فاسا عنوة فقتله ومثل به وبعث برأسه الى المنصور بن أبى عامر بقرطبة وذلك سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

بناء مدينة وجدة

لما قتل زيرى بن عطية يدو بن يعلى صفا له أمر المغرب ولم يبق له به منازع ، وهابته الملوك وبقى الامر مستقيما بينه وبين المنصور فى الظاهر فسمت همته إلى بناء مدينة تكون خاصة به وبقومه وأرباب دولته ، فبنى مدينة وجدة (١) وشيد أسوارها وأحكم قصبتها وركب أبوابها وسكنها بأهله وحشمه ، ونقل إليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لكونها واسطة البلاد وثغرا للعمالتين : المغرب الاقصى والاوسط. وكان اختطاطه اياها فى شهر رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . ولم يزل زيرى بن عطية فى علو سلطان وارتفاع شأن إلى سنة ست وثمانين وثلاثمائة ثم حدث ماندكره .

---

(١) فى البكرى أن وجدة مدينتان مسورتان احدث احداهما يعلى بن بلكين الورتغنينى بعد اربعين واربعمائة (انظر بقية كلامه فى صفحة ٨٧ طبع الجزائر) .

حدوث النفرة بين زيرى بن عطية والمنصور بن أبى عامر وما نشأ عن ذلك

ثم فسد ما بين المنصور وبين زيرى بن عطية ، واتصل بالمنصور أن زيرى يتنقصه ويعرّض فى شأنه وحجره على المؤيد ، ويتكلم فيه بالقبيح ، فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذى كان يجريه عليه فى كل سنة ، ومحى اسمه من ديوانه ، ونادى بالبراءة منه فعزم زيرى على خلافه ، فقطع ذكره من الخطبة ، واقتصر على ذكر هشام المؤيد ، وطرد عماله من المغرب وألجأهم الى سبتة فأنفد اليه المنصور بن أبى عامر مولاه واضحا الفتى فى جيش عظيم وأمده بالحماة من سائر الطبقات وأزاح عللهم وأفاض عليهم الاموال للنفقات وأنواع السلاح والكسى ، فعبر واضح البحر واستقر بمدينة طنجة فانضم اليه بعض قبائل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرهم ، وبايعوه على قتال زيرى بن عطية ومن معه من قبائل زناتة فافاض عليهم الخلع والاموال .

ثم أمده المنصور بمن كان معه بالاندلس من ملوك البربر النازعين عن زيرى بن عطية اليه فتكاملت جيوشه وخرج بهم واضح من طنجة يؤم فاسا ، فاتصل خبره بزيرى بن عطية فخرج اليه من فاس فى عساكر زناتة فالتقى الجمعان بوادى زادات (١) فكانت بينهما حروب بعد العهد بمثلها مدة من ثلاثة أشهر الى ان انهزم واضح وقتل أكثر جيشه وفر واضح الى طنجة فدخلها منهزما وكتب الى المنصور يطلب منه المدد .

وقال ابن خلدون : ان واضحا حين برز من طنجة وزحف اليه زيرى بن عطية تواقفا ثلاثة أشهر ثم تناول واضح آصيلا ونكور فضبطهما ، واتصلت الوقائع بينه وبين زيرى ثم بيت واضح معسكر زيرى بنواحى آصيلا وهم غارون فأوقع بهم . وخرج المنصور من قرطبة فوصل الى الجزيرة الخضراء ثم أجاز ابنه عبد الملك المظفر بجميع عسكر الاندلس وقوادها حتى بقى المنصور وحده وأمره بحرب زيرى بن عطية فركب المظفر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة .

---

(١) فى النسخة الصحيحة من ابن خلدون وادى ردات وكذلك فى مسالك البكرى .

واتصل خبر المظفر بزيرى بن عطية فخافه وأخذ فى الاستعداد للملاقاته ، وكتب الى جميع قبائل زناتة يستصرخهم فأتته الوفود من بلاد ملوية وتلمسان والزاب وسائر بوادى زناتة ، فنهض بهم الى قتال عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر وبرز عبد الملك من طنجة ومعه واضح الفتى فى جيوش لاتحصى ، والتقى الجمعان بوادى منى من أحواز طنجة فكانت بينهم حرب أعظم من الاولى ودام القتال بينهم يوما الى الليل .

وكان في عسكر زيرى بن عطية غلام أسود اسمه سلام ، كان زيرى قد قتل أخاه فوجد الفرصة اليه فانتهزها وضربه بسكين فى نحره ثلاث ضربات فأشواه — أى لم يصب مقتله — ومر الاسود يشتد نحو المظفر وبشره بقتل زيرى فاستكذبه ، ثم سقط اليه الخبر الصحيح بان زيرى قد أثبت ، فشد عليهم عبد الملك — وهم فى حال دهشة من جرح أميرهم — فهزمهم واستمرت الهزيمة على زيرى وأصحابه وأثخن فيهم عبد الملك بالقتل وملك محلة زيرى باسرها واحتوى على جميع ما فيها من المال والسلاح والكراع والابل والعدة فاستولى من ذلك على مالا يأخذه الحصر .

ومضى زيرى على وجهه حتى انتهى الى موضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مكناسة فعسكر به ، واجتمع اليه الفل من قومه وعزم على الرجوع لمناجزة المظفر فاتصل الخبر بالمظفر فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس وقدم عليهم واضحا الفتى ونهضوا الى زيرى بن عطية فضربوا فى محلته ليلا بمضيق الحية وهم آمنون ، فاوقعوا بهم وقعة عظيمة أسر فيها من أشراف مغراوة نحو ألفى رجل ، وذلك فى منتصف رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فامتن عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم معه فكانوا من جنده ، وفر زيرى بن عطية فى شرذمة من أصحابه وبنى عمه فانتهى الى فاس فأغلق أهلها الابواب دونه فسألهم أن يخرجوا اليه عياله وأولاده فاخرجوهم اليه . وأعطوه مع ذلك الزاد والدواب فأخذهم وانصرف الى الصحراء فنزل بلاد صنهاجة . وكان ما ذكره ان شاء الله تعالى .

قدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر مدينة فاس وما كان من شأنه بها

لما انهزم زيرى بن عطية من مضيق الحية الى الصحراء نهض عبد الملك المظفر من معسكره يؤم فاسا ، فدخلها يوم السبت منسلخ شوال سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فاستقبله أهلها مستبشرين به فأحسن لقاءهم وكتب الى أبيه المنصور بالفتح فقرئي الكتاب على منبر جامع الزهراء من قرطبة وعلى منابر مساجد الاندلس كلها شرقا وغربا وأعتق المنصور ألفا وخمسمائة مملوك وثلاثمائة مملوكة شكرا لله تعالى وفرق أموالا كثيرة على الفقراء وذوى الحاجات ، وكتب الى ولده المظفر بعهده على المغرب وأوصاه بحسن السيرة والعدل ، فقرىء كتابه على منبر مسجد القرويين وذلك يوم الجمعة آخر ذى القعدة من السنة المذكورة .

وانصرف واضح الى الاندلس واستوطن عبدالملك مدينة فاس وعدل فيها عدلا لم يعهدوه من أحد قبله وأقام بها ستة أشهر ثم صرفه والده عنها الى الاندلس وبعث اليها عوضا منه عيسى بن سعيد صاحب الشرطة ، فأقام واليا عليها الى صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة فعزله المنصور عنها وعما كان ولاه من بلاد العدوة ، وولى عليها واضحا الفتى وانصرف عيسى بن سعيد الى الاندلس من السنة المذكورة .

بقيــة اخبار زيرى بن عطية

لما نزل زيرى بن عطية ببلاد صنهاجة وجدهم قد اختلفوا على ملكهم باديس بن منصور بن بلكين بن زيرى بن مناد صاحب افريقية فارسل زيرى بن عطية فى قبائل زناتة حاشرين ، فأتى منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم فاغتنم زيرى تلك الفرصة من صنهاجة فزحف اليهم وأوغل فى بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت

وجملة من بلاد الزاب وملك مع ذلك تلمسان وشلف والمسيلة وأقام بها الدعوة للمؤيد ، وحاصر مدينة آشير قاعدة بلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن أبى عامر بذلك يسترضيه ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى ولايته . وبينما هو محاصر لآشير يباكرها ويراوحها بالقتال انتقضت عليه جراحاته التى كان جرحه الاسود فمات منها سنة احدى وتسعين وثلاثمائة .

الخبر عن دولة المعز بن زيرى بن عطية المغراوى

لما هلك زيرى بن عطية اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيرى فبايعوه وضبط أمرهم وأقصر عن محاربة صنهاجة ، وصالح المنصور بن أبى عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته ، ولم يزل على ذلك الى ان توفى المنصور وولى ابنه بعده عبد الملك المظفر فبايعه المعز أيضا ودعا له على منابره ، فعزل المظفر واضحا الفتى عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيرى بعهده على فاس وسائر أعمال المغرب حواضره وبواديه وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وشرط له المعز أن يؤدى اليه فى كل سنة مالا معلوما وخيلا ودرقا يوصل ذلك الى قرطبة وأعطاه مع ذلك ولده معنصر بن المعز رهنا ، وكانت نسخة كتاب العهد :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

من الحاجب المظفر سيف الدولة ، دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر إلى كافة أهل مدينتى فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله . (أما بعد) : أصلح الله شأنكم * وسلم أنفسكم وأديانكم * فالحمد لله علام الغيوب * وغفار الذنوب * ومقلب القلوب * ذى البطش الشديد * المبدئ المعيد * الفعال لما يريد * لا راد لامره * ولا معقب لحكمه * بل له الملك والامر * وبيده الخير والشر * اياه نعبد واياه نستعين * واذا قضى أمرا فانما يقول له كن * فيكون * وصلى الله على سيدنا محمد شيد المرسلين * وعلى آله الطيبين * وجميع

الأنبياء والمرسلين * والسلام عليكم أجمعين * وان المعز بن زيرى بن عطية أكرمه الله تابع رسله لدينا وكتبه . متصلا من هنات دفعته إليها ضرورات * ومستغفرا من سيئات حطتها من توبته حسنات * والتوبة ممحاة الذنب * والاستغفار منقذ من العتب * وإذا اذن الله بشيء يسره * وعسى ان تكرهوا شيئا ولكم فيه خيره * وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة * ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة * وحسن المعونة وخفة المؤنة * فوليناه ماقبلكم * وعهدنا إليه ان يعمل بالعدل فيكم * وان يرفع اعمال الجور عنكم * وأن يعمر سبلكم * وأن يقبل من محسنكم * ويتجاوز عن مسيئكم * إلّا فى حدود الله تبارك وتعالى * وأشهدنا الله عليه بذلك * وكفى بالله شهيدا * وقد وجهنا الوزير أبا علي (١) بن حذيم أكرمه الله وهو من ثقاتنا * ووجوه رجالنا * ليأخذ بشأنه * ويؤكد العهد فيه عليه بذلك وأمرناه باشراككم فيه * ونحن بأمركم معتنون * ولاحوالكم مطلعون * وأن يقضى على الاعلى للادنى * ولا يرضى فيكم بشيء من الادنى (٢) * فثقوا بذلك واسكنوا إليه * وليمض القاضى أبو عبد الله أحكامه مشدودا ظهره بنا * معقودا ساطانه بسلطاننا * ولا تأخذه في الله لومة لائم * فذلك ظننا به إذ وليناه * وأملنا فيه إذ قلدناه * والله المستعان * وعليه التكلان * لا إله إلّا هو * ولتبلغوا منا سلاما طيبا جزيلا * ورحمة الله وبركاته . »(٣)

ولما وصل الى المغز بن زيرى العهد بولايته على المغرب، ما عدا كورة سجلماسة فانها كانت لبنى خزرون بن فلفل ضم نشره وثاب اليه نشاطه وبث عماله فى جميع كور المغرب وجبا خراجها ، ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افترق أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضطرب أمر المغرب على المعز ، وأقام على ذلك الى ان هلك سنة سبع عشرة واربعمائة كذا عند ابن خلدون .

وفى القرطاس : « لم تزل بلاد المغرب أيام المعز فى غاية الهدنة والعافية والرخاء

---

(١) الذى فى ابن خلدون انه أبو محمد علي بن جذلم .

(٢) في ابن خلدون « الاذمى »

(٣) زاد ابن خلدون : « كتب في ذى القعدة من سنة ست وتسعين وثلاثمائة »

والامن الى ان توفى فى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين واربعمائة » والله أعلم .

وأما ابنه معنصر فانه أقام بقرطبة الى ان قامت الفتنة بالاندلس وانقرضت الدولة العامرية فانصرف معنصر الى أبيه وعشيرته بفاس .

وحكى فى القرطاس : انه لما كانت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وتوفى عبد الملك المظفر وولى بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور ابن أبى عامر بعث اليه المعز بن زيرى بهدية نفيسة فيها خمسون فرسا ، وكان ولده معنصر مرتهنا عنده بقرطبة كما قلنا ، فأحضر الحاجب عبد الرحمن معنصر بن المعز حين وصلت اليه هدية أبيه فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعث به الى أبيه مكرما ، فجمع المعز كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة ، وكان مبلغ عدد الخيل تسعمائة فرس ولم تصل من المغرب الى الاندلس هدية أعظم منها .

الخبر عن دولة حمامة بن المعز بن عطية المغراوي

لما توفى المعز بن زيرى بن عطية ولى بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية ، وليس بابن له كما زعم بعض المؤرخين وانما هو ابن عمه ، وقع الاتفاق فى بعض الاسماء فنشأ الغلط ، واستولى حمامة على عمل فاس والمغرب واستفحل ملكه وقصده الامراء والعلماء وأتته الوفود ومدحه الشعراء .

وكانت الدولة بالاندلس قد تداعت إلى الاختلال ، فكان ذلك من اسباب استفحال الدولة المغراوية بفاس والمغرب واستقلالها بالامر ، فكان لحمامة من الظهور ماذكرناه إلى أن اصابته عين الكمال بمنازعة أبى الكمال على ما نذكره .

الخبر عن ثورة ابي الكمال تميم بن زيرى اليفرني واستيلائه على فاس واعمالها

قد تقدم لنا ان بنى يفرن كانوا قد تحيزوا الى نواحى سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد .

ثم لما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة كان الامير على بنى يفرن أبا الكمال تميم بن زيرى بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى ، فزحف من سلا إلى فاس فى قبائل بنى يفرن ومن انضاف إليهم من زناتة ، وبرز إليه حمامة فى جموع مغراوة ومن إليهم ، فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن هزيمة حمامة ، ومات من مغراوة أمم . واستولى تميم على فاس وأعمال المغرب ، ودخلها فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، واستباح يهود فاس فقتل منهم أكثر من ستة آلاف يهودى ، وسبى حرمهم واصطلم نعمتهم بالمرة . ولحق حمامة بوجدة فاستمد من كان هنالك من قبائل مغراوة وزناتة وانجاد قبائل ملوية وانتهى إلى تنس (١) فاستنفر من هنالك من زناتة ، وبعث الحاشدين فى قياطينهم إلى جميع بلاد المغرب الاوسط ، وكاتب من بعد عنه من رجالاتهم فاجتمع له من ذلك جم غفير ، ثم زحف إلى فاس سنة تسع وعشرين واربعمائة فأفرج عنها أبو الكمال ، ولحق ببلده ومقر ملكه من شالة ، وأقام بها إلى أن هلك سنة ست واربعين واربعمائة ، وكانت مدة استيلائه على فاس واعمالها خمس سنين وقيل سبع سنين .

وكان أبو الكمال اليفرنى يغلب عليه الجفاء والجهل ومع ذلك فقد كان صلبا فى دينه مستقيما فيه مولعا بجهاد برغواطة ، كان يغزوهم مرتين فى السنة الى ان توفى . ولما كانت سنة اثنتين وستين واربعمائة وقتل ابنه فى حرب لمتونة جاءوا به ليدفنوه الى جانب قبر أبيه أبى الكمال فسمعوا من قبره تكبيرا وتشهدا كثيرا ، فنبشوا قبره فالفوه لم

---

(١) تنس اسسها البحريون من أهل الاندلس سنة ٢٦٢ وخربها الماء سنة نيف وعشرين وستمائة (ذكرها البكرى وياقوت)

يتغير منه شيء ، ثم رآه بعض قرابته فى النوم ، فقال له :« ما هذا التكبير والتشهد الذى سمعناه من قبرك ؟» قال :« تلك الملائكة وكلهم الله بقبرى يكبرون ويهللون ويسبحون ويكون ثواب ذلك لى الى يوم القيامة » قال :« وبم نلت ذلك ؟ » قال :« بجهادى برغواطة » حكى هـذا الخبر فى القرطاس . والله على كل شيء قدير . وأقام حمامة فى سلطان فاس والمغرب الى ان توفى سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقيل غير ذلك .

الخبر عن دولة دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوى

لما توفى حمامة بن المعز ولى بعده ابنه دوناس بن حمامة ويكنى أبا العطاف ، واستولى على فاس وسائر ما كان لابيه من مدن المغرب وأعماله ، وخرج عليه لاول دولته ابن عمه حماد بن معنصر بن المعز بن عطية ، فجرت له معه حروب وخطوب وكثرت جموع حماد وغلب على ضواحى فاس وحاصرها حصارا شديدا ، وقطع عن عدوة القرويين جرية الوادى ، واحتفر السياج (١) المعروف بسياج حماد ، ويقال ان دوناس خندق به على نفسه واستمر حماد محاصرا لفاس الى ان هلك سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فاستقامت دولة دوناس وانفسحت أيامه . وصار الناس فى هدنة ودعة ورخاء كثير .

وفى أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحى ، فأدار دوناس السور على أرباضها ، وبنى بها المساجد والحمامات والفنادق واستبحر عمرانها ، فصارت حاضرة المغرب من يومئذ ، ولم يشتغل دوناس من يوم ولى الى ان توفى الا بالبناء والتشييد ، وكانت وفاته فى شوال سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

(١) هذا المحل هو المعروف اليوم بحومة السياج بفاس .

الخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوى

لما توفى دوناس بن حمامة ولى بعده ابنه الفتوح بن دوناس ونزل بعدوة الاندلس ، ونازعه الامر أخوه الاصغر - واسمه عجيسة - وكان شهما محربا ، فاستولى على عدوة القرويين واستبد على أخيه ، وافترق أمر فاس وأعمالها بافتراقهما ، وقامت الحرب بينهما على ساق ، وبنى الفتوح بعدوة الاندلس قصبة منيعة بالموضع المعروف بالكدان وبنى عجيسة أيضا قصبة مثلها برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين ، وكثرت العداوة بينهما واستحكمت فكانا لا يفتران عن القتال ليلا ونهارا ، وعظم الخوف بالمغرب وكثر الهرج وغلت الاسعار واشتدت المجاعة ، وظهرت لمتونة على أطراف البلاد فملكوها والامر لا زال والحال ما حال وليس لاهل فاس شغل الا القتال ، واستمر الامر على ذلك ثلاث سنين الى ان بيت الفتوح عجيسة فاقتحم عليه عدوة القرويين ليلا فقتله ، واستولى على العدوتين معا .

والفتوح بن دوناس هذا هو الذى بنى باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلى وبه عرف الى الآن . وأخوه عجيسة هو الذى بنى باب عجيسة برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين من ناحية الجوف وبه عرف أيضا الى الآن ، فلما ظفر الفتوح بعجيسة وقتله أمر بتغيير اسم الباب المنسوب اليه فأسقط الناس العين من عجيسة وعوضوا عنها الالف واللام فقالوا باب الجيسة قاله فى القرطاس . وقال ابن خلدون : «خففوه لكثرة الاستعمال»

ولم يزل الفتوح مستوليا على فاس الى ان دهم المغرب ما دهمه من أمر المرابطين من لمتونة ، وخشى الفتوح مغبة ذلك فافرج عن فاس وتخلى عنها وزحف صاحب القلعة يلكين بن محمد بن حماد الصنهاجى الى المغرب سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودخل فاسا واحتمل من أكابرها وأشرافها عددا رهنا على الطاعة وقفل الى قلعته .

الخبر عن دولة معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز ابن عطية المغراوي



لما تخلى الفتوح بن دوناس عن ملك فاس وأعمالها قام بالامر بعده قريبه معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن عطية فبايعته قبائل مغراوة الذين بفاس وأحوازها ، وذلك فى رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وكان معنصر ذا حزم ورأى وشجاعة واقدام ، وشغل بحرب لمتونة وكانت له عليهم الوقعة المشهورة .

ثم غلب يوسف بن تاشفين على فاس وخلف عليها عامله وارتحل الى غمارة وفتح الكثير من بلادها حتى أشرف على طنجة ، ثم رجع الى حصار قلعة فازاز . فخالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب ، واتصل الخبر بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة فازاز فاستدعى مهدى بن يوسف الكزنائى صاحب مكناسة ليستجيش به على فاس ، فاستعرضه معنصر فى طريقه قبل أن تتصل أيديهما . وناجزه الحرب ففض جموعه وقتله ، وبعث برأسه الى وليه الحاجب سكوت البرغواطى صاحب سبتة .

واستصرخ أهل مكناسة بيوسف بن تاشفين فسرح عساكر لمتونة الى حصار فاس فأخذوا بمخنقها ، وقطعوا المرافق عنها وألحوا بالقتال عليها حتى اشتد باهلها الحصار ، ومسهم الجهد ، وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه ، وفقد فى الملحمة ذلك اليوم سنة ستين وأربعمائة ، فلم يدر ما فعل الله به سبحانه وتعالى .



الخبر عن دولة تميم بن معنصر المغراوى

لما فقد معنصر بن حماد فى الملحمة التى كانت بينه وبين اللمتونيين بايع أهل فاس من بعده لابنه تميم بن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد وغلاء .

وشغل يوسف بن تاشفين عنهم بفتح بلاد غمارة حتى اذا كانت سنة ثنتين وستين وفرغ من فتح غمارة صمد الى فاس فحاصرها أياما ، ثم اقتحمها عنوة ، وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وغيرهم ، وهلك تميم بن معنصر فى جملتهم حتى عجز الناس عن مواراتهم فرادى ، فاتخذوا لهم الاخاديد وقبروا جماعات . وخلص من نجا من القتل منهم الى تلمسان . قاله ابن خلدون .

وقال فى القرطاس : دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس الدخلة الثانية الكبرى فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن فى أزقتها وجوامعها ما يزيد على العشرين ألف رجل ، وذلك سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، وانقرضت دولة مغراوة من المغرب والبقاء لله وحده .

وكانت مدة دولتهم نحو مائة سنة . وفى دولتهم عظم شأن فاس وبنيت الاسوار على أربا ضها وحصنت أبوابها ، وزيد فى مسجديها القرويين والاندلس زيادة كثيرة ، واتسع الناس فى أيام مغراوة فى البناء ، فعظمت فاس واستبحر عمرانها ، وكثرت خيراتها ، واتصل الأمن والرخاء جل أيامهم الى ان ضعفت أحوالهم وجاروا على رعيتهم بأخذ أموالهم وسفك دمائهم والتعرض لحرمهم ، فانقطعت عنهم المواد وكثر الخوف فى البلاد ، وغلت الاسعار ، وبلى الله عباده بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وذلك فى دولة الفتوح بن دوناس ومن بعده ، فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يلجون على الناس دورهم فيأخذون ما يجدون بها من الطعام ، ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم ، ويأخذون أموال التجار فلا يقدر أحد أن يصدهم عن ذلك .

وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على قنة جبل العرض ، فينظرون الى الدور التى بالمدينة فاذا رأوا دارا بها دخان قصدوها وأخذوا ما وجدوا بها من طعام أو غيره ، ومن تعرض لهم فى ذلك قتلوه ، فلما ارتكبوا هذه العظائم سلبهم الله ملكه وغير ما بهم

من نعمه ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، فسلط الله عليهم المرابطين فمحوا آثارهم من المغرب ونفوهم عنه بالكلية وطهروه من جورهم .

وفى أيامهم اتخذ أهل فاس المطامير فى بيوتهم للطحن والطبخ لئلا يسمع دوى الرحى فتقصدهم سفهاء مغراوة ، وفيها أيضا اتخذوا غرفا لا مراقى لها حتى اذا كان عشى النهار صعد الرجل باهله وعياله اليها بسلم ، ثم يرفع السلم معه لئلا يدخل عليه فجأة . وكان من هذا شىء كثير .

وكان من الاحداث في هذه المدة أنه فى ليلة الخميس الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ظهر نجم فى السماء ، كان فى رأى العين مثل الصومعة العظيمة ، طلع من جهة المشرق وتهافت جريا فيما بين المغرب والجوف ، وتطاير منه شرر عظيم فزع الناس منه واستغاثوا ربهم فى صرف مكروهه عنهم .

وفي سنة اثنتين وثمانين بعدها كان الكسوف الكلى الذى أذهب جميع القرص .

وفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة كانت الريح الهائلة التى نظر الناس فيها الى البهائم تمر بين السماء والارض نعوذ بالله من سخطه .

وفى سنة أربع وتسعين وثلاثمائة طلع الكوكب الوقاد وهو نجم عظيم ضخم الجرم كثير الضياء .

وفى سنة ست وتسعين وثلاثمائة طلع نجم عظيم من ذوات الاذناب شديد الارتعاد .

وفى سنة سبع وأربعمائة انقرضت دولة بنى أمية بالاندلس ، وقامت بها دولة بنى حمود فكانت مدتها نحو سبع سنين وانقرضت أيضا ، وافترق أمر الجماعة بالاندلس ، وصار الملك بها طوائف الى ان نسخ ذلك يوسف بن تاشفين .

وفى سنة احدى عشرة وأربعمائة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تاهرت الى سجلماسة وكثر الفناء فى الناس نسأل الله العافية .

وفى سنة خمس عشرة وأربعمائة كانت الزلزلة العظيمة بالاندلس اضطربت لها الارض وانهدت الجبال .

وفى سبع عشرة وأربعمائة توفى الفقيه ابن العجوز بفاس .

وفى سنة ثلاثين وأربعمائة توفى الشيخ الفقيه أبو عمران الفاسى . قال فى التشوف : « أبو عمران موسى بن عيسى بن أبى حاج الفاسى ، أصله من مدينة فاس ، ونزل بالقيروان فأخذ عن أبى الحسن القابسى ، ثم رحل الى بغداد فحضر مجلس القاضى أبى بكر بن الطيب ، ثم عاد الى القيروان وبها مات لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة وكان مقدما فى الفضل والامانة » اهـ .



انتهى الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني

يبتدىء :

بالخبر عن الدولة الصنهاجية اللمتونية المرابطية وأوليتها

فهرس الموضوعات

	صحيفة
مقدمة « دار الكتاب »	٣
ترجمة مؤلف الكتاب	٧
مقدمة فى فضل علم التاريخ	٣
ذكر رسول الله صلى عليه وسلم وخلفائه الاربعة رضى الله عنهم	٧
خلافة ابى بكر الصديق	١٦
خلافة عمر بن الخطاب	٢٢
خلافة عثمان	٣١
فتح افريقية	٣٣
جمع القرآن فى المصاحف	٣٥
خلافة على	٣٩
وقعة الجمل	٤١
حرب صفين	٤٣
القول فى نسب البربر وبيان اصلهم	٥٣
القول فى تقسيم شعوب البربر على الجملة	٥٧
الخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض امصار المغرب القديمة	٥٩
القول فى تحديد المغرب ، وذكر حال البربر بعد الاسلام	٦٣
ولاية عمرو بن العاص وفتحه برقة وطرابلس	٦٥
ولاية عبد الله بن سعد بن ابى سرح وفتحه افريقية	٦٦
ولاية معاوية بن حديج على المغرب	٦٨
ولاية عقبة بن نافع الفهرى على المغرب وبناؤه مدينة القيروان	٦٩
ولاية ابى المهاجر دينار وفتحه المغرب الاوسط	٧١

ولاية عقبة بن نافع الثانية وفتحه المغرب الاقصى ومقتله	٧٢
ذكر من دخل المغرب من الصحابة	٧٥
ذكر اختلاف العلماء فى ارض المغرب	٨٠
ولاية زهير بن قيس البلوى ومقتل كسيلة	٨١
ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه قرطاجنة	٨٢
ولاية موسى بن نصير على المغرب وفتحه الاندلس	٨٤
ولاية محمد بن يزيد على المغرب	٨٩
ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر على المغرب	٩٠
ولاية يزيد بن ابى مسلم على المغرب	٩١
ولاية بشر بن صفوان على المغرب	٩٣
ولاية عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب	٩٣
ولاية عبيد الله بن الحبحاب على المغرب	٩٤
ولاية كلثوم بن عياض على المغرب ومقتله	٩٨
ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب المتنبئ	١٠١
ذكر صالح بن طريف البرغواطى المتنبئ	١٠٢
الخبر عن تغلب آل عقبة على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم	١٠٤
دخول عبد الرحمن الاموى الى افريقية وجوازه الى الاندلس وتاسيسه للدولة الاموية بها	١٠٦
استيلاء الياس بن حبيب على المغرب	١٠٨
استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وفتنة عاصم بن جميل المتنبى ومقتله	١٠٩
استيلاء عبد الملك بن أبى الجعد على المغرب	١١٠
استيلاء عبد الاعلى بن السمح وظهور الصفرية من آل مدرار المكناسيين وبناؤهم مدينة سجلماسة	١١١
ولاية محمد بن الاشعث على المغرب	١١٤
تاسيس مدينة تاهرت	١١٥

ولاية الاغلب بن سالم التميمى على المغرب	١١٦
ولاية عمر بن حفص هزارمرد على المغرب	١١٧
ولاية يزيد بن حاتم على المغرب	١١٨
ولاية روح بن حاتم على المغرب	١٢٠
القول فى مذاهب المغرب اصولا وفروعا	١٢٣
تتمة مهمة	١٢٩
الخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى وذكر السبب فى اوليتها	١٣٣
دخول ادريس بن عبد الله ارض المغرب الاقصى	١٣٨
وصف مدينة وليلى	١٤٠
بيعة الامام ادريس بن عبد الله	١٤٠
غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى وفتحه اياها	١٤١
غزو ادريس بن عبد الله ارض المغرب الاوسط وفتح مدينة تلمسان	١٤٢
وفاة ادريس بن عبد الله والسبب فى ذلك	١٤٢
امر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله	١٤٥
الخبر عن دولة ادريس بن ادريس	١٤٦
وفود العرب على ادريس بن ادريس	١٤٨
بناء مدينة فاس	١٤٩
وقعة الربض بقرطبة	١٥٢
غزو ادريس بن ادريس المغربين واستيلاؤه عليهما	١٥٣
وفاة ادريس بن ادريس	١٥٥
الخبر عن دولة محمد بن ادريس	١٥٦
حدوث الفتنة بين بنى ادريس	١٥٧
وفاة محمد بن ادريس	١٥٨
الخبر عن دولة على بن محمد بن ادريس	١٥٨
الخبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس	١٥٩

بناء مسجد القرويين بفاس	١٥٩
ظهور متنبى كذاب بتلمسان	١٦١
الخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس	١٦٢
الخبر عن دولة على بن عمر بن ادريس	١٦٢
الخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس	١٦٣
الاحداث على عهد الامراء الادريسيين	١٦٤
الخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس	١٦٥
استيلاء العبيديين من الشيعة على المغرب الاقصى وقدوم قائدهم مصالة ابن حبوس الى فاس	١٦٥
عود المغرب الاقصى الى الادارسة وظهور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس	١٦٧
خروج الحسن الحجام الى قتال موسى بن ابى العافية	١٦٨
الخبر عن دولة آل ابى العافية المكناسيين	١٦٨
طرد موسى بن ابى العافية آل ادريس من اعمال المغرب وحصره اياهم بحجر النسر	١٦٩
استيلاء موسى بن ابى العافية على تلمسان واعمالها	١٧٠
انحراف موسى بن ابى العافية عن الشيعة الى بنى مروان وما نشأ عن ذلك	١٧١
ثورة احمد بن بكر الجذامى بدعوة المروانيين بفاس وما نشأ عن ذلك	١٧٢
حرب ميسور مع موسى بن ابى العافية	١٧٣
بقية اخبار آل ابى العافية بالمغرب	١٧٤
الاحداث أيام دولة آل أبى العافية	١٧٤
ظهور متنبئ كذاب	١٧٥
الخبر عن الدولة الثانية للادارسة ببلاد الريف	١٧٧
الخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس	١٧٧
الخبر عن دولة ابى العيش أحمد بن القاسم كنون	١٧٨

تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابى العيش بها	١٧٨
هجرة ابى العيش الى الاندلس بقصد الجهاد	١٧٩
الخبر عن دولة الحسن بن كنون	١٨٠
قدوم القائد جوهر الشيعى من افريقية الى المغرب واستيلاؤه عليه	١٨٠
قدوم بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى الشيعى من افريقية الى المغرب	١٨٢
قدوم غالب الاموى الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الاندلس	١٨٣
حدوث النفرة بين الحكم والحسن والسبب فى ذلك	١٨٤
عود الحسن بن كنون الى المغرب وما كان من امره الى مقتله وانقراض دولته	١٨٥
الاحداث	١٨٧
وفاة الشيخ دراس بن اسماعيل	١٨٧
الخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبنى يفرن بفاس والمغرب	١٨٩
تهديم بلكين لمدينة البصرة	١٩٠
الخبر عن دولة زيرى بن عطية المغراوى بفاس والمغرب	١٩٢
حديث ابى البهار الصنهاجى مع المنصور بن ابى عامر وما نشأ عن ذلك	١٩٢
وفادة زيرى بن عطية على المنصور بن ابى عامر بالاندلس	١٩٣
استيلاء يدو بن يعلى اليفرنى على فاس ومقتله	١٩٤
بناء مدينة وجدة	١٩٥
حدوث النفرة بين زيرى بن عطية والمنصور بن ابى عامر ومانشأ عن ذلك	١٩٦
قدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن ابى عامر مدينة فاس وما كان من شأنه بها	١٩٨
بقية اخبار زيرى بن عطية	١٩٨
الخبر عن دولة المعز بن زيرى بن عطية المغراوى	١٩٩
الخبر عن دولة حمامة بن المعز بن عطية المغراوى	٢٠١
الخبر عن ثورة ابى الكمال تميم بن زيرى اليفرنى واستيلائه على فاس وأعمالها	٢٠٢

الخبر عن دولة دوناس بن حمامة المغراوى	٢٠٣
الخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوى	٢٠٤
الخبر عن دولة معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوى	٢٠٥
الخبر عن دولة تميم بن معنصر المغراوى	٢٠٦
الاحداث	٢٠٧
انقراض الدولة الاموية بالاندلس	٢٠٧
وفاة الفقيهين : ابن العجوز ، وابى عمران الفاسى	٢٠٧

فهرس الاعلام والقبائل

حرف « أ »

آدم عليه السلام ٥٦
آل الحسن بن علي ١٣٥
آل خرز المغراويون ١٩٠ ١٩٩
آل إدريس ١١٠ ١٣٣ ١٦٩ ١٧٧ ١٧٨ ١٨٣ ١٨٦
آل ابى العافية ١٦٨ ١٧٤
آل ابى صفرة ١٢٠
آل العباس ١٢٠
آل عقبة بن نافع ٩٨ ١٠٤ ١١٠
آل علي ١٢٠ ١٧٩
آل مدرار ١١١
آل محمد ١٣٧
آل المهلب ١٢١
الاباضية ٩٦ ٩٧ ١٠٥ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٥ ١١٧
ابراهيم بن الاغلب ١٢٢ ١٤٣ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٥ ١٦٥
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦
ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس ١٧٧
ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ١٧٤
ابن ابى معيط ٤٤
ابن الاثير ٥٠
ابن ابى زرع ٥٤ ١٣٨ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٢ ١٧٣ ١٧٤
ابن ابى العافية ١٦٩ ١٨٢
ابن بدرون ٣٨
ابن بشكوال ٨٦ ١٠٥
ابن تومرت ١٢٧
ابن حبان ٧٦
ابن حزم ٣ ٥٣ ٥٧ ٥٩ ١١٣ ١٢٥ ١٥٦
ابن حجر ٥ ١٣٣
ابن حمود الادريسى ١٨٥
ابن حيان ٩٩ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٩
ابن الخطيب ٥ ١٥ ٣٨ ١٤٣
ابن خلدون (عبد الرحمن) ٧ ١٧ ٢٠ ٢٢ ٢٤ ٣٨ ٣٩ ٥٤ ٥٧ ٥٩ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٧٠ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٦ ٨٣ ٨٥ ٨٦ ٩٦ ٩٩ ١٠٢ ١٠٧ ١١٩ ١٢٠ ١٢٤ ١٣٥ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٦ ١٥٥ ١٥٧ ١٥٩ ١٦١ ١٦٥ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٥ ١٨١ ١٩١ ١٩٦ ٢٠٠ ٢٠٤ ٢٠٦

ابن خلكان ٨٥ ٩١ ١٠٢ ١٢١ ١٢٤
ابن الرقيق ٧٢
ابن سعد ٢٨ ٧٦
ابن سعيد ٦٠
ابن شهاب ٣٦
ابن عاتكة ـ عبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن ١٣٧
ابن عباس (عبد الله) ١٠ ١٥ ٢٩ ٣٣ ٣٩ ٤٠ ٤٢ ٦٧ ٧٧ ٧٩
ابن عبدون ٥٠
ابن عبد البر ٥٠ ٥٤
ابن عبد الحكم ٨٠ ٩٧
ابن العجوز ـ الفقيه ـ ٢٠٧
ابن عساكر ٩٢
ابن غالب ـ المؤرخ ١٥٢
ابن العطار ١٢٧
ابن القاسم ٨٠ ٨٤
ابن كثير ٨٩
ابن الكلبى ٥٤ ٥٩
ابن مغيث ١٢٧
ابن مسعود ٢٧
ابن المسيب ٢٤
ابن مصاد ٧٤
ابن منده ٧٦
ابن ناجى ٧٧
ابن يونس ٧٦ ٧٩
ابو اسحق ابراهيم بن القاسم القروى ابن الرقيق ٨٥
ابو أمامة اسعد بن زرارة ١١ ١٢
ابو ايوب الانصارى ٤٧
ابو بكر البغدادى احمد بن علي بن ثابت ٤
ابو بكر الصديق ١٠ ١٤ ١٦ ١٧ ١٨ ٢١ ٢٢ ٢٧ ٤٠ ٤٦ ٥٢ ٧٩
ابو بكرة ٥١
ابو بكر الباقلانى ٥١
ابو بكر العربى المعافرى ١٢٧
ابو بكر بن عياش ١٧
ابو بكر بن الطيب القاضى ٢٠٨
ابو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى ١٩٣
ابو بياش ١٩١ ١٩٢
ابو بيهس الخارجى ٩٧
ابو جيدة ٨٠
ابو الحسن الاشعرى الامام المتكلم ١٢٦ ١٢٧
ابو الحسن القابسى ٨٠ ٢٠٨
ابو حذيفة بن عبيد بن ربيعة ٢٠
ابو حصين عثمان بن عاصم الكوفى ١٧
ابو الحكم عمرو بن عبد الله عسكلاجة ١٨٦ ١٩٠
ابو حنيفة الامام ١٢٤ ١٢٥ ١٣٥

ابو خزيمة الانصارى ٢١
ابو الخطاب المعافرى ١١٠ ١١١ ١١٤ ١١٥
ابو الخطار - أحد ولاة الاندلس - ١٠٥
ابو الدرداء ٣٥
ابو ذؤيب الهذلى - خويلد بن خالد - ٧٩
ابو ذر ٣٥
ابو رمثة البلوى ٧٩
ابو زمعة البلوى ٧٩
ابو زرجونة الخارجى ١١٩
ابو سعيد المصرى - ابو سلهامة ١٧٦
ابو شبيب الصدفى ٨٥
ابو شيبة ٢٧
ابو ضبيس البلوى ٧٩
ابو طالب ٨ ٩ ١ ١١
ابو عبد الله بن ابى الصبر (قاضى فاس) ١٦١
ابو عبد الله الحميدى ٨٤
ابو عبد الله المحتسب الشيعى (داعية العبيديين) ١١٣ ١٦٥
ابو عبد الله محمد العربى الفاسى ١٧٦
ابو عبد الله المغيلى - الفقيه الكاتب - ١٥٣
ابو عبد الله اليفرنى (الصغير) ٤
ابو عبيدة بن الجراح ١٦ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٦
ابو عبيد بن مسعود الثقفى ٢٣
ابو عمر بن عبد البر ٣١ ٥٩
ابو عمران الفاسى ١٢٥ ٢٠٨
ابو العيش احمد بن كنون الادريسى ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠
ابو الفتح التسولى ١٦٩ ١٧١
ابو الفداء ٧ ٣١ ٥٠ ١٤١
ابو الفضل بن النحوى ١٥٢
ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ٧
ابو القاسم بن سمكو المكناسى ١١٢
ابو القاسم بن عبيد الله المهدى ١١٣ ١٧٢
ابو القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب ٩٤
ابو قرة بن دوناس اليفرنى ١١٦ ١١٧ ١١٨
ابو قيس بن الاسلت ١٣
ابو الكمال تميم بن زيرى اليفرنى ٢٠١ ٢٠٢
ابو لهب ٩ ١٠
ابو المبتذل ٨٠
ابو محمد - قاسم بن عامر الازدى ١٩٣
ابو محمد الاصيلى ١٢٨
ابو محمد بن أبى زيد القيروانى ٨٩ ١٢٣ ١٢٥
ابو محمد الحريرى (صاحب المقامات) ١١٩

ابو محمد المعتز بالله - امير سجلماسة ١١٤
ابو مسعود البدرى ٧٦
ابو مسلم الخراسانى ١١٦
ابو المهاجر دينار ٧١ ٧٢ ٧٤
ابو موسى الاشعرى - عبد الله بن قيس ٣٦ ٣٩ ٤٤ ١٢١
ابو ميمونة دراس بن اسماعيل ١٨٧
ابو نور بن أبى قرة اليفرنى ١١٧
ابو هريرة ١٧ ٢٤ ٢٧ ٧٧
ابو الهيثم مالك بن التيهان ١٢ ١٣
ابو الوليد الباجى - القاضى ١٢٨
ابو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى ١٦٧
ابو يوسف - صاحب أبى حنيفة ١٢٥
ابو يوسف بن محارب الازدى ١٧٣
احمد بن أبى بكر الزناتى (امير فاس) ١١٤ ١٦٠ ١٧٩ ١٨١ ١٨٢
احمد بن ادريس بن ادريس ١٥٦
احمد بن بكر الجذامى ١٧٢
احمد بن القاسم بن ادريس ١٦٧
أحمد بن ميمون - الامير - ١١٣
الاحنف بن قيس ٢٦ ٤٤
الادارسة ١٢٤ ١٤١ ١٥٥ ١٦٥ ١٦٧ ١٦٩ ١٧٣ ١٧٧ ١٧٨ ١٨٠
أداسة - قبيلة بربرية - ٥٨
ادريس بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ١٥٦
ادريس بن ادريس بن عبد الله ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٧ ١٥٩ ١٦٠ ١٧٧
ادريس بن عبد الله الحسنى ٥٨ ٦٠ ٦٤ ٨١ ١٢٠ ١٣٢ ١٣٥ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٧٠ ١٨٧
ارداجة (قبيلة بربرية) ٥٧
الازارقة ٩٦
الازد (قبيلة عربية) ١٤٨
اسامة بن زيد ١٧
اسحق عليه السلام ١٣٣
اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربى (القائم بدعوة ادريس بن عبد الله) ٥٨ ١٣٨ ١٤٠ ١٤٩
اسد بن الفرات ٨٤ ١٢٤
الاسكندر ٢٧ ٦٠
اسماعيل (ملك المغرب) ٥
اسماعيل - عليه السلام - ٧ ١٣٣
اسماعيل بن أبان بن عبد العزيز ابن مروان ١٠٧
اسماعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر ٨٦ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٧ ١٢٣
اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب ٩٤
الاسود بن عبد يغوث ٧٩
أسيد بن حضير ١٢ ١٦

الاشتر النخعى ٤٤ ٤٥
الاشراف الحموديون ١٥٨
الاشراف الجوطيون ١٦٣
الاشراف العلميون ١٥٨
الاشعث ٤٤
الاشعرى - الامام - ٥٢
الاعاجم(العجم) ٢٣ ٥٣ ٥٩ ٨٤ ٨٧ ٨٨
الاغالبة ١٥٥
الاغلب بن سالم التميمى ١١٥ ١١٦ ١١٧
الافارقة ٥٣
الافرنج (الفرنج) ٥٣ ٥٩ ٦١ ٦٢ ٦٨
٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٨١ ٨٢ ٩٣
٩٤ ١٠٥ ١٤٨ ١٥٢ ١٧٩
افريقش الحميرى ٥٣ ٥٤ ٥٨ ٥٩
الياس بن أبى القاسم بن سمكو المكناسى الصفرى ١١٢
الياس بن حبيب الفهرى ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩
الياس بن مضر ٥٤
اليسع - أبو منصور - ١١٢
امام الحرمين ٥٢
امية بن عبد الملك بن قطن ١٠٠
ام حرام بنت ملحان ٣٥
انس بن مالك ٢٦
الانصار ١٢ ١٣ ١٦ ٢٠ ٣٠ ٣٩
٤٢ ٨٠ ٨٩
أهل بدر ١٣٦
أهل السنة ١٣٤
أهل البيت ١٣٥ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٣
١٤٥ ١٦٥
أهل الشام ١٣٤
أهل العراق ١٣٤
أهل المدينة ١٣٥
أهل مكناسة ٢٠٥
أوريغة - قبيلة بربرية - ٥٧ ١١١
أوربة ٥٧ ١٣٨ ١٤١ ١٤٧
الاوس ١١ ١٢ ١٣ ١٦
ايوب بن حبيب التميمى ٨٩

حرف (ب)

باديس بن منصور بن بلكين ١٩٨
البتر ٥٤ ٥٧ ٥٨ ٨٣
البخارى ٣ ٨ ٩ ١٠ ١٥ ٢٨ ٣٦
بدر الدين القرافى ٣
البراء بن مالك ٢٠
البراء بن معرور ١٣ ١٤
البرانس - قبيلة بربرية - ٥٤ ٥٧
٧٥ ٨١
بر بن قيس بن عيلان ٥٤ ٥٥ ٥٧ ٦٦

البربر ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨
٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦
٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٨١
٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠
٩٢ ٩٥ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ٥٠١
١١٠ ١١٤ ١١٥ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠
١٢٣ ١٢٤ ١٣٨ ١٤٠ ١٤١ ١٤٣ ١٤٤
١٤٥ ١٤٧ ١٤٨ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٧ ١٥٨
١٦٢ ١٦٣ ١٦٦ ١٦٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠
١٨١ ١٨٣ ١٩٦
برغواطه ـ قبيله بربرية ـ ٥٨ ١٠٢
١٩٠ ٢٠٢
البرنسى (المؤرخ) ١٤٧ ١٥٥ ١٧٣
بشير بن سعد الانصارى ١٦
بشر بن صفوان الكلبى ٩٣ ١٠١
البكرى ٥٤ ٨٤ ١٠٣ ١٤٧
بكر بن عيسى القيسى ١٠٥
بلال بن حارث المزنى ٧٥
بلج بن بشر القشيرى ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١
١٠٤
بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى الشيعى
١٨٢ ١٨٥ ١٨٩ ١٩٠ ٢٠٤
بنو أبى العافية ٥٨ ١٩٢
بنو ادريس بن عبد الله ٥٨ ١٢٢ ١٧١
١٧٣ ١٧٧
بنو إسرائيل ٥٩
بنو اسد ١٩
بنو اميـة ٤٠ ٨٤ ١٠٢ ١٠٦ ١٠٧
١٣٤ ١٣٥ ١٥٨ ١٨٠
بنو امية بن زيد ١٣
بنو بكر بن عبد مناة (قبيلة عربية) ١٧
بنو حمود ٢٠٧
بنو حنيفة (قبيلة عربية) ١٩
بنو خرز ٥٨ ١٢٢ ١٩٠ ١٩٢
بنو زيان ٥٨
بنو زيرى بن مناد ٥٨
بنو سعد (قبيلة عربية) ٧
بنو العباس ١٠٢ ١٢٤ ١٢٦ ١٣٤ ١٣٥
١٣٧ ١٣٨ ١٤١
بنو عبد المطلب ٩ ١٠ ٥١
بنو عبيد ١٨٤
بنو عدى ١٠
بنو عذرة ١٢٠
بنو عصام (شيعة الادارسة) ١٧١
بنو عمر بن ادريس ١٧٧
بنو (فازاز) ٦٠
بنو فهر ١٠
بنو قريضة ٤
بنو لوى ٥٨
بنو مدرار ٥٨ ١١٤ ١١٥

بنو مروان ١٠٩ ١٧١ ١٧٢ ١٧٨ ١٩٢
بنو مازيغ ٦٦
بنو المطلب ١٠
بنو الملجوم ١٥٠
بنو المهلب ١١٩
بنو هاشم ١١٠ ١٣٤
بنو هلال بن عامر بن صعصعة ٦٣
بنو يفرن ٥٨ ١٤٢ ١٤٩ ١٨١ ١٨٩
١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ٢٠٢ ٢٠٦
البهاء بنت دهمان بن عيلان ٥٥
بهلولة ـ قبيلة بربرية ٦٠
بهلول بن عبد الواحد المضغرى ١٤٨ ١٤٩
البيت الادريسى ١٦٥
البورى بن موسى بن أبى العافية ١٧٣
البيهسية ـ احدى فرق الخوارج ٩٦

حرف « ت »

تامزيت بن ضرى ١٠٠ ١٤٠
تالية ـ عمة حاميم المتنبىء ١٧٥
الترك ٢٧
تماضر بنت قيس ٥٥
تمزيغ بنت يجدول ٥٥
تميم الدارى ٨٥
تميم بن معنصر المغراوى ٢٠٦
التوراة ٦١
تيم الرباب ـ قبيلة عربية ٤٨

حرف « ث »

ثابت بن قيس بن شماس ١٩
ثابت الصنهاجى ١٠٥
ثعلبة بن سعد ـ قبيلة عربية ١٧
ثعلبة بن محارب بن عبد الله الازدى ١٦٣
ثوابة بن سلامة الجذامى ١٠٥ ١٠٦

حرف « ج »

جابر بن عبد الله ١١ ١٢
جالوت ٥٣
جبريل عليه السلام ٩
جبلة بن عمرو بن ثعلبة الانصارى ٧٦
جبلة بن الايهم ٢٥ ٢٦
جبير بن مطعم ٢٤
جراو بن الديديت بن زانا ٨٢
جراوة قبيلة بربرية ٥٨ ٨٢ ٨٣
الجرجانى ٥٤
جرجير ٣٤ ٥٤ ٦٢ ٦٧ ٦٨ ٨٧
جرير بن عبد الله البجلى ٤٢
جرير بن مسعود المديونى ١١٧
جرهد بن خويلد الاسدى ٧٥

جزولة قبيلة بربرية ٥٧
جشم بن معاوية بن بكر ـ قبيلة عربية ـ ٦٣ ٦٤
جعفر بن ادريس بن ادريس ١٥٦
جعفر بن على بن حمدون ١٩٠
الجلال السيوطى ٤
جندب بن عبد الله ٤٩
جوهر بن عبد الله الرومى الشيعى قائد المعز لدين الله ١١٣ ١١٤ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٩٤
جويرية بن أسماء ٩١

حرف « ح »

الحارث ـ احد الثوار بالمغرب ـ ١٠٥
حام ٥٣ ٥٦ ٦٢
حامد بن حمدان الهمدانى ١٦٨ ١٧١ ١٧٢
حاميم المتنبئ ـ ابو محمد بن منّ الله ـ ١٧٥
الحباب بن المنذر ١٦
حبان بن ابى جبلة ٧٦ ٩٠
حبيب بن ابى عبيدة بن عقبة بن نافع ٨٨ ٨٩ ٩٤ ٩٥ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٤
حبيب بن حبيب المهلبى ١١٧
حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ١٠٨ ١٠٩ ١١٠
حبيب بن نصر المهلبى ١٢١
الحجاج التميمى الصريمى ٤٨
الحجاج بن يوسف الثقفى ٩١ ٩٢
حذيفة بن الاحوص القيسى ٩٣
حذيفة بن اليمان ٢٩ ٣٦
الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ٩٠
الحرث بن حبيب بن خزيمة القرشى ٧٦
الحرث بن هشام ٢٦
الحرث الرائش ٥٣
حرقوص بن زهير ٤١
الحرورية ـ احدى فرق الخوارج ـ ٩٦
حسام بن ضرار الكلبى ـ ابو الخطار ـ ١٠١
حسان بن ثابت ١٢ ٢٦
حسان بن النعمان ٥٨ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٩٤
الحسن بن أبى العيش الادريسى ١٧٠
الحسن بن أحمد بن الودود السلمى ١٩١
الحسن بن ادريس بن ادريس ١٥٦
الحسن البصرى ٥١
الحسن بن حرب الكندى ١١٦
الحسن بن علي بن أبى طالب ٣٣ ٤٠ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٧٦ ١٣٤
حسن بن قاسم اللواتى ١٧٢
الحسن بن كنون الادريسى ١٨٠ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٩٠ ١٩١
الحسن بن محمد بن الحسن المثنى الحسنى ١٣٧

الحسن ـ الحجام بن ـ بن محمد بن القاسم ابن ادريس ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٧
الحسن بن محمـد بن عبد الرحمن (ملك المغرب) ٢
الحسنيون ١٣٨
الحسين بن ادريس بن ادريس ١٥٦
الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنه ٣٣ ٤٠ ٦٧ ٧٦
الحسين بن علي بن الحسين ١٣٧ ١٣٨
حفص بن صولات ١٨٩
حفصة بنت عمر ٢١ ٢٥ ٣٠ ٣٦
حطاب التميمى اليربوعى ٢٩
الحكم المستنصر بالله بن هشام الاموى ١٠٣ ١١٤ ١٥١ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥
حليمة بنت ابى ذؤيب السعديه (مرضع النبى صلى الله عليه وسلم) ٧
حماد بن معنصر بن المعز بن عطية ٢٠٣
حمامة بن المعز بن عطية ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣
حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ٢٠
حمزة (المقرئ) ١٢٦
حمزة بن ادريس بن ادريس ١٥٦
حمزة الاصبهانى ٢٨
حمزة بن عمرو الاسلمى ٧٦
حميد بن قحطبة ١٣٦
حميد بن صخر ١١٨
حميد بن يصليتن المكناسى ١٧١
حمير ٤٥ ٥٨ ٥٩
حنش بن عبد الله الصنعانى ٧١ ٧٥
الحواريون ١٣
حنظلة بن صفوان الكلبى ١٠١ ١٠٢ ١٠٥

حرف « خ »

الخارجية ١٢٦ ١٢٧ ١٥٤
خارجة بن حذافة العدوى ٤٩ ٥٠
الخازن ١٥
خالد بن ثابت العجلانى ٧٦
خالد بن حبيب الفهرى ٩٧ ٩٨
خالد بن حميد الزناتى ٩٧ ٩٩
خالد بن سعيد بن العاص ١٨ ٢٢
خالد بن الوليد ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٣ ٢٤
خالد بن يزيد القيسى ٨٣
خديجة بنت خويلد الاسدى ٨ ١٠ ١١
خرز بن حفص ١٨٩
الخزرج ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٦
خزرون بن فلفول ١١٤ ١٩٠
خزيمة بن ثابت الانصارى ٣٦
خصفة بن قيس ٥٤ ٥٥
خطمة ـ قبيلة عربية ـ ١٣
خلف بن فرج السميسير ٥٦

خلفاء بنى العباس ١٥٥
خليفة بن خياط ٧٦
خليل الشيخ - الفقيه المالكى - ١
الخوارج ٤٦ ٤٨ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٢
١٠٥ ١١١ ١١٤ ١١٥ ١١٧ ١١٩ ١٢٠
١٢٣ ١٥٥ ١٦٢

حرف « د »

داود عليه السلام ٥٣
داود بن ادريس بن ادريس ١٥٦
داود بن عمر المسطاسى ١٠٣
داود بن القاسم الاوربى الجعفرى
١٥٤ ١٥٥
داود بن يزيد بن حاتم المهلبى ١١٩
داهيا الزناتية - الكاهنة - ٥٨ ٨٢ ٨٣
دبو - أخت حاميم المتنبىء الكاهنة ١٧٥
دريد بن الصمة - أخو جشم - ٤٥
دهمان بن عيلان ٥٤ ٥٥
دولة الادارسة ١٦٠ ١٦٦ ١٩٢
دولة بنى أمية ١٨٦ ١٨٧ ٢٠٧
دولة الروم ٢٧
دولة زناتة ١٦٠
دولة دوناس ٢٠٣
الدولة العامرية ٢٠١
دولة العبيديين ١٨٧
الدولة العبيدية ١٩٢
دولة الفتوح بن دوناس ٢٠٦
دولة الفرس ٢٧
دولة اللمتونيين ١٧٤
الدولة المغراوية ٢٠١
دولة مغراوة ٢٠٦
دول المغرب الاقصى ٢
دوناس بن حمامة - أبو العطاف ٢٠٣ ٢٠٤

حرف « ذ »

ذبيان - قبيلة عربية - ١٧
ذكوان بن عبد القيس ١٢
الذهبى ٧٨ ٧٩
ذو القرنين ٧

حرف (ر)

رئيس الرؤساء - على بن الحسين - ٤
الرازى احمد بن محمد الكنانى القرطبى ١٠٦
راشد مولى ادريس بن عبد الله ١٣٨ ١٤٣
١٤٤ ١٤٥ ١٤٦
الرافضة ١٢٤ ١٢٦
الرباب بنت حيدة بن عمرو ٥٤
رباح بن عثمان المرى ١٣٥ ١٣٦
ربيع بن سليمان ١٦٤
ربيعة بن ثابت الرقى - الشاعر - ١٢٠

ربيعة بن عباد الديلى ٧٦
الرجال بن عنفوة ١٩
رستم (قائد الفرس فى موقعة القادسية) ٢٣ ١١١
الرشاطى ١٨٧
روح بن حاتم المهلبى ١٢٠ ١٢١
الروم ١٩ ٢١ ٢٣ ٢٤ ٢٧ ٢٨ ٣٢
٣٣ ٣٤ ٣٥ ٦١ ٦٢ ٦٥ ٦٧ ٦٨
رويفع بن ثابت بن السكن الانصارى ٧٦
رياح (قبيلة عربية) ٦٣
ريحان الكتامى ١٦٧

حرف (ز)

زانا بن يحى ٥٨
الزبير بن العوام ٢١ ٢٦ ٣٠ ٣١ ٣٧
٢٩ ٤٠ ٤١ ٤٢
زمور بن صالح ١٠٣
زناتة ٥٥ ٥٨ ٧٣ ٧٥ ٨٣ ١١٤ ١١٧
١١٩ ١٤١ ١٤٢ ١٤٧ ١٥٥ ١٥٧ ١٧٤
١٧٩ ١٨١ ١٨٢ ١٨٩ ١٩٠ ١٩٢
١٩٦ ٢٠٢
الزهرى ٢٤
زهير بن قيس البلوى ٧٢ ٧٥ ٧٦ ٨١
٨٢ ٨٤
زواغة (قبيلة بربرية) ١٤١ ١٥٠
زواوة (قبيلة بربرية) ١٤١
زياد ٤٩
زياد بن الاصفر الخارجى ٩٦
زيادة الله بن الاغلب ٨٤
زياد بن عبد الرحمن (شبطون الفقيه) ١٢٥
زياد بن عمرو اللخمى ١٠٠
زيد بن ثابت ٢٠ ٣٦ ٣٧ ٥٠
زيد بن حارثة ١٠
زيد بن الخطاب ٢٠
زيرى بن عطية ١٨٤ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢
١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨
زيرى بن مناد الصنهاجى ١٨١

حرف (س)

سابق المطماطى ٥٧ ٥٨
سالم (مولى ابى حذيفة) ٢٠
سبتة بن كوش بن حام ٦١
سحنون ١٨٧
سدراتة (قبيلة بربرية) ١٤١
سدنة الكعبة ١٦٤
سعد بن أبى وقاص ٢١ ٢٣
٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٧
سعد بن عبادة ١٦
سعد بن قيس بن عيلان ٥٤ ٥٥
سعد بن معاد ٤ ـ ١٢
سعيد بن أبى هند ١٢٥

سعيد بن العاص ٣٦
سعيد بن عثمان بن عفان ٧٨ ـ ٧٩
السفاح ـ أبو العباس ـ ١٠٧ ١٢١
سفيان الثورى ٥٢ ١٤٨
سفيان بن عوف الازدى ٣٥
سفيان بن وهب الخولانى ٧٧
سكوت البرغواطى ـ الحاجب ـ ٢٠٥
سلام ١٩٧
سلكان بن مالك ٧٧
سلمة بن الاكوع الاسلمى ٧٧
سليمان بن أبى جعفر المنصور ١٣٧
سليمان بن ربيعة الباهلى ٣٢
سليمان بن جرير الشماخ ١٤٣ ١٤٤
سليمان بن عبد الملك ٨٩ ٩٠ ٩١ ١٠٤
سليمان بن عبد الله بن الحسن ١٣٥ ١٣٧
١٤١ ١٥٧ ١٧٠
سليمان بن يسار ٧٦ ٨٠
سمكو بن واسول المكناسى ١١٢
سنة لقمان المغراوى ١٨٧
سنة النار ١٧٤
سهل بن حنيف الانصارى ٣٩
سهيل بن عمرو ٢٦
السهيلى ٥٤
سويد بن غفلة ٤٧
سيف إدريس بن إدريس ١٦٠
السيوطى ـ جلال الدين ـ ٤

حرف (ش)

الشافعى ٣
الشاميون ١٠٠
شبيب بن شجرة الاشجعى ٤٨ ٤٩
شداد بن اوس ٣٥
شرحبيل بن حسنة ١٩
الشيعة ٥٢ ١٠٢ ١١٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٧
١٣٤ ١٦٥ ١٦٨ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٧
١٧٨ ١٨٠ ١٨٩ ١٩٠ ١٩٢ ١٩٤

حرف (ص)

صالح بن طريف البرغواطى (المتنبئ) ١٠٢
صدينة ـ قبيلة بربرية ـ ١٤٠
الصفرية ـ احدى فرق الخوارج ـ ٩٦
٩٧ ١٠٢ ١١١ ١١٥ ١١٦ ١١٧
١٦٢ ١٦٣ ١٨١
صفية ابنة حيى بن أخطب ٥
الصميل بن حاتم الكلبى ١٠٢ ١٠٦
صنهاجة (قبيلة بربرية) ٥٤ ٥٧ ٥٨
٦٣ ٧٣ ١٠٥ ١١٣ ١١٧ ١٢٤ ١٤١
١٥٦ ١٧٩ ١٨٠ ١٩٦ ١٩٨ ١٩٩
صولات بن وزمار الزناتى ٦٨ ١٧٩ ١٨٩

حرف [ض]

ضبة (قبيلة عربية) ٤٢
الضحاك بن قيس ٤٤ ٧٥
ضرار بن الأزور ١٨ ١٩
ضريسة - قبيلة بربرية - ٥٨

حرف (ط)

طارق بن زياد الليثى ٨٦ ٨٧ ٨٨
طالوت الفقيه ١٥١
الطبرى ٥٣ ٥٤ ٩٢
طريف بن مالك النخعى ٨٨
طريف أبو صبيح - أبو صالح البرغواطى المتنبىء ١٠٢
طلحة ٢١ ٢٢ ٣٠ ٣١ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢
طليحة بن خويلد الاسدى ١٨ ١٩ ٣٩
طوال بن أبى يزيد ١٧٠
طيىء (قبيلة بربرية) ١٩ ٤٦

حرف [ع]

عائشة بنت أبى بكر - زوج النبى (ص) - ٨ ١٧ ٢٥ ٣٠ ٣١ ٣٦ ٤٠ ٤١ ٤٢
عاتكة بنت على بن عمر بن إدريس ١٦٢
عاد ١٢
عاصم بن جميل الورفجومى - المتنبىء - ١٠٩ ١١٠
عاصم بن عمر ٧٨
عاصم بن عمر بن قتادة ١٣
عاصم بن كليب ٥٠
عامر بن محمد بن سعيد القيسى - قاضى ادريس بن إدريس - ١٤٨
عبادة بن الصامت ١٢ ٣٥
العباس بن عبادة ١٢ ١٤
العباس بن عبد المطلب ٩ ١٣ ٢٤ ٢٦ ٢٩
العباس بن محمد بن على (العباسى) ١٣٧
العباسيون ١٥٠
عبد الاعلى بن جريج الافريقى ٩٧
عبد الجبار ١٠٥
عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ١٧٤
عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى ١٦٢
عبد الرحمن الاوزاعى - الامام - ١٢٤ ١٢٥
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ٣٦
عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى ٩٥ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨
عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهرى ١١٩
عبدالرحمن بن رستم الفارسى ١١١ ١١٥ ١١٧

عبد الله (الأشتر) بن محمد النفس الزكية ١٣٦
عبد الله بن مروان ٨٥
عبد الله بن موسى بن نصير ٨٨ ٨٩
عبد الله بن نافع بن عبد قيس ٣٣ ٣٤ ٦٦
عبد الله بن نافع (أو الحصين) ٣٣ ٦٦ ٧٨
عبد المطلب جد النبى ص ٧ ٨
عبد الملك بن ابى الجعد الورفجومى ١٠٩
١١٠ ١١١
عبد الملك بن حبيب ٧٩
عبد الملك بن سكريد الصنهاجى ١١٧
عبد الملك بن قطن الفهرى ٩٠ ٩٩ ١٠٠ ١٠٤
عبد الملك بن مروان ٥٨ ٦٩ ٧٥ ٨١
٨٢ ٨٣ ٨٤
عبد الملك (المظفر) بن المنصور بن أبى عامر
١٨٦ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ٢٠١
عبد الملك الوراق ١٤٦ ١٥١ ١٥٤
عبد المومن بن على ١٢٧
عبد الواحد بن يزيد الهوارى ١٠١
عبد الوارث بن حبيب الفهرى ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩
عبد الوهاب بن عبد الرحمن ١٢٠
عبس (قبيلة عربية) ١٧
عبيدة بن عبد الرحمن السلمى ٩٣ ٩٤
عبيدة بن قيس العقيلى ٥٥
عبيد الله بن الحبحاب (مولى بنى سلول) ٩٤
٩٥ ٩٧ ٩٨ ٩٩
عبيد الله بن زياد ٤٠
عبيد الله (الاصغر) بن العباس بن عبد المطلب ٧٩
عبيد الله بن عمر ٢٧ ٧٧
عبيد الله المهدى العبيدى ١١٣ ١٦٥
١٦٦ ١٧١ ١٧٢
العبيديون ٥٨ ١١٥ ١٢٤ ١٥٧ ١٦٥
١٦٦ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٨ ١٨١ ١٨٢ ١٨٥
عتبة بن سهيل بن عمرو ٢٦
عتيق بن أبى قحافة ٥
عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ٩٣
عثمان بن حنيف ٢٩ ٣٩ ٤٠ ٤١
عثمان بن عفان ٢٠ ٢١ ٢٢ ٣٠ ٣١ ٣٢
٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١
٤٢ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٥٢ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٧٨
٧٩ ١٧٩ ١٨٩
عثمان بن عوف المزنى ٧٨
عجيسة (قبيلة بربرية) ٥٧
عجيسة بن دوناس المغراوى ٢٠٤
العرب ١١ ٢١ ٢٣ ٥٨ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٨
٦٩ ٧٥ ٨١ ٨٣ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٩٧ ٩٨
٩٩ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٤ ١١٩ ١٤٣
١٤٨ ١٤٩ ١٥١ ١٥٨ ١٦٢ ١٦٦ ١٧٨
عروة بن الوليد الصفرى ١٠٥
عريب بن حميد القرطبى ١١٢
العزيز بالله نزار بن المعز العبيدى ١٨٥

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - قاضى افريقية ١٠٨
عبد الرحمن بن سمرة ٥١
عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ٧٧
عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة ١٩٣
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ٩٤
عبد الرحمن بن عقبة بن نافع ٩٨
عبد الرحمن بن عوف ٥ ٢١ ٢٢ ٢٤ ٢٩ ٣٠ ٣١
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الاموى الملقب بالناصر - الداخل - ١٠٦ ١٠٧ ١٠٩ ١٢٥ ١٦٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٥ ١٧٨ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢
عبد الرحمن بن ملجم ٤٨ ٤٩
عبد الرحمن بن المنصور بن ابى عامر ٢٠١
عبد الرحمن بن هشام (ملك المغرب) ٢
عبد الرزاق الفهرى ١٦٢
عبد السلام بن سعيد التنوخى - سحنون - ١٢٤
عبد السلام بن مشيش ١٣١ ١٥٨
عبد شمس ٥١
عبد العزيز بن مروان ٨٤ ٨٥
عبد العزيز بن موسى بن نصير ٨٨ ٨٩ ١٠٤
عبد الكريم بن ثعلبة ١٨٤ ١٨٩
عبد الله ابو النبى صلى الله عليه وسلم ٧
عبد الله بن اباض التميمى الخارجى ٩٦ ٩٧
عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن ابى العافية ١٧٤
عبد الله بن ادريس بن ادريس ١٥٦
عبد الله بن ابى اوفى ٢١
عبد الله بن ثعلبة الازدى (عبود) ١٦٣ ١٧٠
عبد الله بن الجارود ١٢١
عبد الله بن جعفر بن ابى طالب ٣٣ ٤٩ ٦٧ ٧٧
عبد الله بن حسان بن النعمان ٨٥
عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على ١٣٤ ١٣٧
عبد الله بن خباب ٤٦
عبد الله بن خرز ١٨٩
عبد الله بن خلف الخزاعي ٤٢
عبد الله بن الزبير ٣٤ ٣٦ ٦٧ ٦٩ ٧٧
عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٤٤ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٧٧ ٧٨ ٧٩
عبد الله الشريف (جدآل وزان) ١٥٨
عبد الله بن صفار الصريمى الخارجى ٩٦
عبد الله بن طاهر الخزاعى ١٥٢
عبد الله بن عامر ٣٢ ٤٠ ٥١
عبد الله بن عمر ٣٠ ٣١ ٣٣ ٤٠ ٧٧
عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٣ ٦٧ ٧٧
عبد الله بن مالك الخزرجى ١٤٨ ١٥٠

عسكلاجة ١٩٢
العضباء (الناقة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ١٥
عقبة بن الحجاج السلولى ٩٤
عقبة بن عامر بن نابى ١١
عقبة بن نافع ٣٣ ٥٧ ٥٨ ٦٧ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٨ ٨١ ٨٢ ١٠٤
عقيل بن أبى طالب ٢٤
عكاشة بن ايوب الفزارى ١٠١
عكرمة بن أبى جهل ٢٢
عكرمة ـ مولى عبد الله بن عباس ١١٢
العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى ١١٩
علوان بن بر ٥٥
علون ١٥١
العلويون ١٨٣ ١٨٤
علي بن أبى طالب رض ٤ ٥ ٩ ١٠ ١٤ ٢١ ٢٤ ٣٠ ٣١ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٧٥ ٩٦ ١٣٤ ١٥٥ ١٥٨
علي بن ادريس بن ادريس ١٥٦
علي بن حمود الادريسى ١٨٦
علي بن سليمان الهاشمى ١٣٨
علي بن عمر بن ادريس ١٥٨ ١٦٢ ١٦٣
علي بن محمد المهدى النفس الزكية ١٣٦
علي بن يوسف اللمتونى ١٦١
عمار بن ياسر ٤٠ ٤٣
عمارة بن شهاب ٣٩
عمران بن حبيب الفهرى ١٠٨
عمرو بن الاحوص (ابو الاحوص) العجلى ١١٤ ١١٥
عمر بن ادريس بن ادريس ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٦٢ ١٧٧
عمرو بن ام مكتوم الاعمى ١٢
عمرو بن بكر التميمى السعدى ٤٨ ٤٩
عمر بن حفص المهلبى ١١٧ ١١٨ ١١٩
عمر بن الخطاب ١٠ ١٥ ١٦ ١٧ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٥ ٤٠ ٤٦ ٥٢ ٦٥ ٦٦ ٦٨ ٧٦
عمر بن عبد العزيز ٩٠ ٩١ ٩٢ ١٢٣
عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٣٧
عمر بن عبيد الله المرادى ٩٤ ٩٥ ٩٧
عمرو بن ثعلبة الكندى ٧٩
عمرو بن الحمق ٣٨
عمرو بن العاص ١٨ ٢٢ ٢٦ ٣٢ ٣٣ ٣٥ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٦٥ ٦٦ ٦٨ ٦٩ ٧٨
عمرو بن قيس بن عيلان ٥٤ ٥٥
عمرو بن ميمون ٢٩

عمير بن ضابئ البرجمى ٣٨
عمير بن مصعب الازدى (وزير ادريس ابن ادريس) ١٤٨ ١٥٠
عنبسة بن سحيم الكلبى ٩١ ٩٣
عوف بن الحرث بن عفراء ١١ ١٢
عويم بن ساعدة ١٢
عياض ـ القاضى ـ ١٤ ١٢٤
عيسى (عليه السلام) ٤ ١٣ ٦١ ٨٧ ١٠٣
عيسى بن أبى الانصار (أبو منصور) ١٠٣ ١٩٠
عيسى بن إدريس بن إدريس ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٧٧
عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله ١٥٧
عيسى بن حاميم ١٧٥
عيسى بن دينار ١٢٥
عيسى بن سعيد ١٩٨
عيسى بن موسى العباسى ١٣٦
عيسى بن موسى بن عجلان الخراسانى ١١٥ ١١٦
عيسى بن يزيد الاسود (مولى العرب) ١١١ ١١٢
عيلان بن مضر ٥٤

حرف « غ »

غالب الاموى مولى الحكم المستنصر ١٨٣ ١٨٤
الغزالى ١٢٣
غطفان (قبيلة عربية) ١٩
غمارة (قبيلة بربرية) ٥٨ ٧٣ ١٤١ ١٤٧ ١٥٦ ١٧٥ ١٩٦ ٢٠٥ ٢٠٦
غياثة (قبيلة بربرية) ٦٠ ١٤١ ١٦٢

حرف « ف »

فارس (الفرس) ١٩ ٢١ ٢٣ ٢٤ ٢٧ ٣٢ ٤٢ ١٥١
فاطمة (ام البنين) بنت محمد الفهرى ١٥٩ ١٦٠
فاطمة الزهراء رض ٥٠
الفتح بن ميمون المدرارى ١١٣
الفتوح بن دوناس المغراوى ٢٠٤ ٢٠٥
الفرزدق ٣٨
فرنج فرنسا ٦٣
فروة بن نوفل الاشجعى ٤٧
الفضل بن روح بن حاتم المهلبى ١٢١
الفضل بن العباس بن عبد المطلب ٧٩
الفضل بن يحيى البرمكى ١٣٨
فلفل بن خزر ١٨٩

فندلاوة (قبيلة بربرية) ٦٠
الفهرى ـ عبد الرحمن بن حبيب ١٠٧
فيروز ـ أبو لؤلؤة ٢٩

حرف « ق »

القابسى ١٢٥
القادرى ٤
القاسم ـ الزاهد ـ بن ادريس بن ادريس ١٥٦ ١٥٧ ١٦٢ ١٧٧
القاسم بن حمود الادريسى ١٨٦
القاسم (كنون) بن محمد الادريسى ١٧٧
القاسم بن محمد ١٧٤
قبائل زناتة ١٨٠ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨
قبائل كتامة ١٨٠
قبائل مغراوة ٢٠٢ ٢٠٥
قبائل ملوية ٢٠٢
قبائل نفزة ١٥٤
قبائل يفرن ١٧٩ ٢٠٢
القبط ٢٧ ٦٢
قبط بن حام ٥٤
قتم بن العباس بن عبد المطلب ٧٩
قطبة بن عامر بن حديدة ١١
القرافى (بدر الدين) ٣
القرطاجنيون ٦١
قرعوش بن العباس ١٢٥
قريش ٨ ١٠ ١١ ١٦ ٢٤ ٣٠ ٣٦ ٤٤ ٥١ ٦٦ ٨٩ ١١٠ ١٣٤
قريظة ١١
القشيرى ١٣١
قسطنطين الملك ٦٢
قطام ٤٨
قطن بن عبد الملك ١٠٠
القعقاع بن عمرو التميمى ٤١
القوط ٦١ ٦٢ ٨٦ ٨٨
القياصرة ٦٢
قيس بن عيلان ٥٤ ١٤٨
قيس بن سعد بن عبادة الانصارى ٣٩ ٥١
قيصر ٣٧ ٦٩

حرف [ك]

كتامة ٥٤ ٥٧ ٥٨ ١١٣ ١٨٠
كسرى أنو شروان ٧ ٣٧
كسيلة بن أغزر البرنسى الاوربى ٥٧ ٦٢ ٧١ ٧٢ ٧٤ ٧٥ ٨١
كعب بن لؤى ٢٢
الكلبى ٥٣
كلثوم بن عياض ٩٨ ٩٩ ١٠٤
كنانة بن بشر التجيبى ٣٨

كنزة البربرية ـ أم إدريس بن إدريس ـ ١٤٥ ١٥٦ ١٧٧
كنعان ٥٣ ٥٤ ٥٦ ٥٧

حرف [ل]

لذريق ٨٦ ٨٧ ٨٨
لماية ـ قبيلة بربرية ـ ١١٥
لمتونة ٧٣ ١٧٤ ٢٠٢ ٢٠٤
اللمتونيون ٢٠٦
لمطة ـ قبيلة بربرية ـ ٥٧
لواتة « « ٥٨ ٦٩
الليث بن سعد ٧٠ ١٠١

حرف (م)

مادغيس بن بر ٥٥ ٥٧ ٥٨
مازيغ ٥٦ ٥٧
مالك بن ابى عمران ٧٦
مالك بن أنس ـ الامام ـ ١ ٨٠ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٣٥ ١٤٨ ١٥١
مالك بن التيهان ١٢
المامون بن هرون الرشيد العباسى ١٥٢
المبرد ٩٧
المتنبى ٢١
المثنى بن حارثة الشيبانى ٢٣
مجمع التميمى ٥٠
محارب بن عبود بن ثعلبة الازدى ١٦٣
محسكة (قبيلة بربرية) ١٧٥
محمد صلى الله عليه وسلم ١ ٤ ٧ ٩ ١٣ ٢٢ ٤٣ ١٣٠ ١٣٥
محمد بن ابرهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس ١٦٩
محمد بن ابى بكر الصديق ٤٠ ٤٢
محمد بن ابى على بن قشوش ١٨٤ ١٨٩
محمد بن ابى الفتح ١٨٢
محمد ـ الامير ـ بن ادريس بن ادريس ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٦٢
محمد بن احمد بن تميم ـ ابو العرب ـ ٩٠
محمد بن اسحق ٩
محمد بن الاشعب الخزاعى ١١٤ ١١٥ ١١٦
محمد بن اوس الانصارى ٧٤
محمد بن بسارد بن مدرار ١١٣
محمد بن تومرت ٥٨ ١٢٦ ١٢٧
محمد بن ثعلبة الازدى ١٧٠
محمد بن الحنفية ٤٠
محمد بن خزر المغراوى ١٤٢ ١٧٢ ١٨٩
محمد بن الخير المغراوى ١٧٩ ١٩٠
محمد بن خيرون ـ المقرئ ١٢٦
محمد بن الربيع الجيزى ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩
محمد بن سليمان بن علي العباسى ١٣٧
محمد بن عامر المكناسى ١٩٠ ١٩١

محمد بن عبد الرحمن ـ ملك العرب ٢
محمد بن عبد الله الاشجعى ٩٣
محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ١٧٤
محمد (المهدى) بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧
محمد بن الفتح بن ميمون (الشاكر لله) ١٨١
محمد بن القاسم بن ادريس ١٧٧
محمد بن القاسم بن طملس ١٨٢ ١٨٣
محمد بن مقاتل العكى ١٢٢ ١٤٧
محمد بن ميمون الامير المكناسى ١١٣
محمد بن يزيد (مولى قريش) ٨٩ ٩٠ ٩٢ ٩٣
محيى الدين النووى ١٥
المخارق بن غفار الطائى ١١٥ ١١٦
المخدج ـ خارجى ـ ٤٧
مخرمة بن نوفل ٢٤
مدرار بن اليسع ١١٢
مدين بن موسى بن ابى العافية ١٧٠ ١٧١
مديونة (قبيلة بربرية) ٦٠ ١١٧ ١٦٢
مذحج ـ قبيلة عربية ـ ١٤٨
المرابطون ١٠٤
مرة بن كعب ١٦
مروان بن الحكم ٣٢ ٣٤ ٦٧ ٧٥ ٧٨
مروان بن محمد الاموى (آخر خلفاء بنى أمية) ١٠٢ ١٠٥ ١٣٥
مروان بن موسى بن نصير ٨٥
المروانيون ١٦٩ ١٧٢ ١٧٧ ١٨٠ ١٨١ ١٨٩ ١٩١ ١٩٢
مزاتة ـ قبيلة بربرية ـ ٦٩
مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ٥٥
مزينة ـ قبيلة عربية ـ ٧٥
المسعودى ٣٧ ٥٣ ٥٤
مسلم ٨ ١٠ ١٥
مسعود بن الاسد البلوى ٧٨
مسلمة بن عبد الملك ١٠٦
مسلمة بن مخلد الانصارى ٧١ ٧٦
المسور بن مخرمة الزهرى ٧٨
المسور بن هانى الزناتى ١١٧
مسوفة (قبيلة بربرية) ٧٤ ٩٥
المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى ٧٨
مسلمة الكذاب ١٩ ٢٠
المشيشيون ١٥٨
المصامدة (قبيلة بربرية) ٥٨ ٦٣ ٧٣ ٨٦ ١٠٢ ١٥٤
مصالة بن حبوس المكناسى ١١٣ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٧١
مصعب الازدى ١٤٨
مصعب بن عمير رض ١٢ ١٣
مصمودة (قبيلة بربرية) ٥٧

مضر (قبيلة عربية) ٢٣ ٤١ ٤٧ ٥٤ ١٠٠ ١١٥ ١١٦
مضر بن نزار ٥٤
مضغرة (قبيلة بربرية) ٦٣ ٩٧ ٩٩ ١١٣
المطلب بن ابى وداعة القرشى ٧٨
معاد بن جبل ٢٦
معاد بن الحرث ١٢
معاوية بن ابى سفيان ٤ ٥ ٣٢ ٣٥ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٨ ٤٩ ٥١ ٦٨ ٦٩ ٧١ ٧٢ ٧٨ ٨٥ ١٣٤
معاوية بن حديج السكونى ٦٨ ٦٩ ٧٦ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨٤
معبد بن خرز ١٨٩
معبد بن العباس بن عبد المطلب ٧٦ ٧٨ ٧٩
المعتزلة ٥٢
المعتضد بالله العباسى ١١٣
المعز بن باديس الصنهاجى ١٢٤
المعز بن زيرى بن عطية ١٩٣ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١
المعز لدين الله الفاطمى ١٨٠ ١٨١ ١٨٢
معنصر بن حماد بن معنصر المغراوى ٢٠٥ ٢٠٦
معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ١٩٩ ٢٠١
مغراوة (قبيلة بربرية) ٥٨ ١٤٢ ١٧٣ ١٧٩ ١٨٧ ١٨٩ ١٩١ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٨ ١٩١ ٢٠٢ ٢٠٧
مغراو بن يصليتن ١٨٩
المغيرة بن شعبة ٢٨ ٢٩ ٣٢
مغيلة (قبيلة بربرية) ١٤٠
مقاتل بن عطية ١٩٠ ١٩١
المقداد بن الاسود الكندى ٣٧ ٧١
المقوقس ٦٢
مكناسة (قبيلة بربرية) ٥٨ ١١١ ١١٤ ١٤١
المكناسيون ١١٠
ملوك الادارسة ١٨٤
ملوك زناتة ١٩٠
ملوك الموحدين وبنى مرين ١٦١
منادر البربرى ١٧٩
المنصور بن أبى عامر ٨٠ ١١٤ ١٦١ ١٨٥ ١٨٦ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦
المنصور (أبو جعفر) ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١١ ١١٢ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١٢١ ١٣٥ ١٣٦
منصور بن بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى ١٩٢ ١٩٣
من الله (أبو يخلف) ١٧٥
منهال بن موسى بن أبى العافية ١٦٨
المنيذر الاسلمى ٧٩

المنيـذر الافريقى ٧٩
المهاجرون ٢٠ ٤٢ ٧٦ ٨٠
المهدى بن ابى جعفر المنصور ١١٢ ١٢١ ١٤٣
مهدى بن يوسف الكزنائى ٢٠٥
المهلب بن ابى صفرة ١١٩ ١٦٣
المهلب بن يزيد بن حاتم المهلبى ١١٩
الموحدون ١٢٧
موسى (عليه السلام) ٤ ٩ ٥٠ ١٧٥
موسى بن ابى العافية المكناسى ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤
موسى بن حيى بن أخطب ٥
موسى (الهادى) بن محمد المهدى العباسى ١٣٦
موسى بن نصير ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩٢ ١٠٤ ١٢٣
ميسرة المضغرى (الخفر) ٩٥ ٩٧ ٩٩ ١٠٢ ١١٧
ميسور (الخصى قائد الشيعة العبيديين) ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٧
ميمون (الامير) بن مدرار المكناسى ١١٢
ميمون بن مدرار المكناسى ١١٢

حرف « ن »

نافع بن ابى نعيم (المقرئ) ١٢٦
نافع بن الازرق الحنفى الخارجى ٩٦ ٩٧
النجاشى ١٠
نجدة بن عامر الحنفى الخارجى ٩٦
النجدية (احدى فرق الخوارج) ٩٦
نصير (ابو موسى بن نصير) ٨٥
النضير ١١
نفزاوة (قبيلة بربرية) ١٠٩ ١١٠ ١١٩
نفزة (قبيلة بربرية) ١٥٤
نوح عليه السلام ٥٦ ٦١
نفوسة (قبيلة بربرية) ٥٨ ٦٠ ٦٥
النـووى ٢٧

حرف « هـ »

الهادى العباسى ١٢١ ١٣٧
هانئ بن بكـور الضريسى ٨٢
هرون عليه السلام ٥٠
هرون الرشيد العباسى ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٥ ١٣٨ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٦ ١٤٨
هتورة (قبيلة بربرية) ٩٧
هرثمة بن أعين ١٢١ ١٢٢
هرقل ٢٥ ٢٦ ٣٤ ٦٢ ٦٧ ٦٨
هرقول الحيار ٦٠
الهرمزان ٢٤ ٢٦
هسكورة (قبيلة بربرية) ٥٧
هشام(المؤيد) بن عبد الرحمن الداخل الاموى ١٢٥ ١٨٥ ١٩٢ ١٩٦ ١٩٩

هشام بن عبد الملك الاموى ٩٣ ٩٤ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠١ ١٠٣ ١٠٥
هوار بن اوريغ بن برنس ١٠١
هوارة (قبيلة بربرية) ١١٠ ١٠٥ ١١١ ١١٧ ١٤١ ١٥٦ ١٥٩
الهيثم بن عبيد الكلابى (ابو بيهس) ٩٣
هيصم بن جابر الضبعى الخارجى ٩٦

حرف « و »

وائـل (قبيلة عربية) ١٣
الواقـدى ٧٢ ٧٦ ٧٧ ٧٨
واضح الفتى مولى صالح بن المنصور ١٣٨ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩
وحشى قاتـل حمزة ٢٠
ورفجومة (قبيلة بربرية) ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٤ ١١٩
ورقة بن نوفل ٨ ٩
الوزانيوان (الاشراف) ١٥٨
الوضاح بن أبى خيثمة ٩٢
وقعة الاشراف ٩٨
وقعة الحرة بالمـدينة ١٠٠
وقعة فخ ١٣٨ ١٣٩ ١٤١
الوليد بن عبد الملك ٧٦ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩١
الوليد بن عقبة ٢٢ ٣٢
الوليد بن يزيد الاموى ١٠٢ ١٠٥

حرف « ى »

يحصب (قبيلة عربية) ١٤٨
يحيى بن ادريس بن ادريس ١٥٦
يحيـى بن ادريس بن عمر بن ادريس ١٦٥ ١٦٦
يحيى بن حارث المضغرى ٩٩
يحيى بن خالد البرمـكى ١٤٣
يحيى بن عبد الله بن الحسن ١٣٤ ١٣٧
يحيى العدام بن القاسم الزاهد الادريسى ١٦٣ ١٦٥
يحيى بن محمد الادريسى ١٥٨ ١٥٩ ١٦
يحيى (الجوطـى) بن محمد بن يحيى العدام ١٦٣
يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس الادرسى ١٦٢
يحيى بن يحيى الليثى ١٢٥ ١٥١
يدو بن يعلى بن محمد اليفرنى ١٨١ ١٩٠ ١٩١ ١٩٤ ١٩٥
يزدجرد (ملك الفرس) ٢٦
يزيد بن ابى سفيان ٢٢ ٢٦
يزيد بن ابى مسلم دينار ٩١ ٩٢ ٩٣
يزيد بن أسيد السلمى ١٢٠
يزيد بن الياس العبدى ١٤٦

يزيد بن ثعلبة البلوى ١٢
يزيد بن حاتم المهلبى ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١
يزيد بن خلف العبسى ٧٤
يزيد بن سكوم الولهاصى الاباضى ١٠٩
يزيد بن عبد الملك الاموى ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣
يزيد بن مجزاة المهلبى ١١٩
يزيد بن معاوية بن ابى سفيان ٧٢ ٧٥
اليسع بن المنتصر ١١٣
يصليتن بن مسرى ١٨٩
يعقوب المنصور الموحدى ٦٣
يعقوب بن لبيب المغيلى الاباضى (ابو حاتم) ١١٧ ١١٨ ١١٩
يعلى بن منية ٣٧ ٤٠
يعلى بن محمد اليفرنى ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٩٤
يفرن بن يصليتن ١٨٩
اليمانية ١٠٠
يملح بن مشيش ١٥٨
يليان النصرانى العمارى ملك سبتة ٥٨ ٦٢ ٧٣ ٨٦ ٨٧ ٨٨
يهود فاس ٢٠٢
يوسف بن تاشفين ١٧٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧
يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ١٠٦ ١٠٩
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ١٦١
يوشع بن نون ٥٣ ٥٤
يونس عليه السلام ١٧٥

فهرس الاماكن

حرف (أ)

آزمور ١٥٣ ١٥٦ ١٥٧
آسفى ٧٣ ١ ٢
آصيلا ١٥٦ ١٥٧ ١٦١ ١٦٦ ١٦٨
١٨٧ ١٩٦
آكرسيف ١٧٣
آلكناى ١٦٦
أجنادين ٧٩
أحد ١٣ ٢٠ ٧٦ ٧٩
اذربيجان ٢٤ ٣٦
الاربس ١١٨
اربونة ٨٨
ارم ١٢
ارمينية ٢٤ ٣٢ ٣٦ ١٢٠
الاسكندرية ٢٤ ٢٦ ٣٢ ٣٧ ٥٩ ٦٢
٦٣ ٦٥ ٦٩ ١٥٢
آشير (قاعدة بلاد صنهاجة) ١٩٩
أصبهان ٢٨ ٥٠
اغمات ١٥٣ ١٥٦
افريقية ٣٣ ٣٤ ٥٣ ٥٤ ٥٨ ٥٩
٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨
٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩
٨٠ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٧ ٨٩ ٩٠ ٩٢ ٩٩ ١٠٦
١٠٧ ١٠٨ ١١٤ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١٢٠
١٢١ ١٢٢ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٣٩ ١٤٣
١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٥٩ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦
١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧١ ١٧٢ ١٧٤ ١٧٧
١٨٠ ١٨٢ ١٨٥ ١٨٧ ١٨٩ ١٩٢ ١٩٨
اقصى المغرب ١٦٤
ألزاب ٥٣ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٨٢ ١٠٤
١١٦ ١١٧ ١١٩ ١٩٣ ١٩٧
الانبار ٢١
الاندلس ٣٤ ٥٨ ٦٠ ٦٢ ٦٤ ٧٣
٨٠ ٨٢ ٨٤ ٨٦ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١
٩٣ ٩٤ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١
١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٨ ١٠٩ ١١٤
١١٩ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٤٨
١٥١ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٣
١٦٤ ١٦٩ ١٧١ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦
١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨٧ ١٨٩

١٩٠ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٦ ١٩٨ ١٩٩
٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٧
انطاكية ٢٤ ٣٢
الاهواز ٢٦
أوربة ٦٣ ٨١
ايران ٢٨

حرف [ب]

الباب ٣٢
باب السلسلة بفاس ١٥١
باب سلم (بالقيروان) ١٢١
باب عجيسة (احدى ابواب فاسر) ٢٠٤
باب الفتوح (احدى ابواب فاس) ٢٠٤
باجة ٨٢ ١٠٥
باغانة ٧٢
بحر الانس (البحر المتوسط) ٥٤
البحر الرومى ٦٠ ٦١ ١٦٤
البحر المحيط ٥٧ ٦٠ ٦٣ ٧٢ ٧٣
١٠٠
بدر ١٣ ٢١ ١٤ ١٥ ٤٣ ٧٩ ١٠١
برشلونة ٨٨
بر العدوة ٦٠
برقة ٢٤ ١٦ ١٨ ٣٣ ٥٤ ٦٢ ٦٣ ٦٥
٦٧ ٧٥ ٧٦ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٩٩ ١٣٩
بزاخة ١٩
البصرة (بصرة العراق) ٢٤ ٢٦ ٣٢
٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٩ ١٣٦
١٨٣
البصرة بصرة المغرب ١٥٦ ١٦٧
١٨٢ ١٨٧ ١٩٠
بغداد ٤ ١٣٨ ١٤٢ ١٤٤ ٢٠٨
البقيع ٥٠
بلاد الزاب ١٩٢ ١٩٩
بلاد تازا ١٥٦ ١٦٦
بلاد تامسنا ١٥٧ ١٩٠
بلاد التسول ١٥٦ ١٧١
بلاد الجريد ٧٢ ١٠٨
بلاد الديلم ١٣٨
بلاد الريف ١٦٦ ١٦٩ ١٧٧
بلاد زناتة ١٥٧
بلاد السوس الادنى ١٣٩
بلاد صنهاجة ١٥٨ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩
بلاد الصحراء ١٧٣
بلاد العدوة ١٦٠ ١٦٤ ١٧٩ ١٨٠
١٨٤ ١٩٩
بلاد غمارة ١٥٧ ٢٠٦
بلاد غياتة ١٥٦
بلاد فازاز ١٤٢ ١٥٤
بلاد لمطة ١٥٦

بلاد المغرب ٨٢ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٩ ١٨٠
١٨١ ١٨٤ ١٩٩ ٢٠٧
بلاد المغرب الاوسط ٢٠٢
بلاد النوبة ٢٧
بلاد ملوية ١٩٧
بلاد هوارة ١٥٦
بلاد ورغة ١٥٦
بلاط الشهداء ٩٤
بلخ ٢٨
بلد نفيس ١٥٦
بلنجر ٢٨
بنزرت ٦٩ ٨٢
البويب ٢٣
بونة ٨٢
البيت (الكعبة) ٢٥
بيت المقدس ٢٦

حرف « ت »

تادلا ٥٨ ١٤١ ١٥٦ ٢٠٢
تارودنت ٧٤
تازا ١٥٦ ١٦٦ ١٦٨
تافيلالت ٨٦
تامسنا ٥٨ ١٠٢ ١٤١ ١٥٦ ١٥٧ ١٩٠
تاهدارت ١٥٧
تاهرت ٧٢ ٧٣ ١١٢ ١١٥ ١١٧ ١٢٠ ١٦٥
١٧١ ١٧٤ ١٧٩ ١٨٠ ١٩٨ ٢٠٧
تبوك ٣٩
ترغة ١٥٦
تسول ١٦٦ ١٧١
تطوان ١٥٦ ١٧٥ ١٩٠
تفليس ٣٢
تلمسان ٥٨ ٦٣ ٧١ ٧٢ ٩٨ ١١٦
١٢٢ ١٤١ ١٤٢ ١٥٤ ١٥٧ ١٦١ ١٦٤
١٧٠ ١٧٣ ١٨٧ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٧ ١٩٩
٢٠٦
تنس ٢٠٢
تهودة ٧٤
تونس ٦١ ٦٣ ٧١ ٨٢ ٨٤ ١٠٢
١٠٥ ١٠٧ ١٠٨ ١١٦ ١١٨ ١٨٥ ١٩٢
تيكساس ١٥٦ ١٥٧

حرف « ج »

جامع الاشياخ (اول مسجد بفاس) ١٥١ ١٦٠
جامع الزهراء ١٩٨
جامع الزيتونة بتونس ٩٤
جامع الشرفاء ١٥١ ١٦٠
جبال تازا ٦٣
جبال الرمل ٦٣

جبال غمارة ٨٧ ١٧٥
جبال مديونة ١٦٢
جبال المصامدة ١٥٦
(الجبل) ٢٤
جبل أوراس ٥٨ ٧٢ ٨٢ ٨٣
جبل اوراين ١١٠
جبل حاميم ١٧٥
جبل درن ٥٨ ٦٣ ٧٣
جبل زالغ ١٤٩
جبل زرهون ٧٣ ٨١ ١٤٠
جبل العلم ١٥٨
جبل طارق بن زياد ٦٠ ٨٦ ٨٨
جبل موسى بن نصير ٨٨
جزائر بنى مزغنة ٦٣
جزائر ملوية ١٧٠
الجزيرة ٢٤ ١٠٨
جزيرة اقريطش ١٥٢
الجزيرة الخضراء ٦٠ ٧٣ ٨٦ ٨٨ ١٧٩ ١٨٣ ١٩٦
جزيرة شريك ٧١
جزيرة العرب ١٤ ٦٣
جزيرة طريف ٦٠
جلولاء ٢٤ ٦١ ٦٩
الجوزجان ٣٢
جوطة (قرية على نهر سبو) ١٦٣

حرف (ح)

الحبشة ١٠
الحجاز ١٤ ٦٣ ١٢٤ ١٣٨ ١٦٤
حجر النسر ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٧ ١٨٧
الحديبية ٢٤ ٤٤
الحرمان ٤٢
حصن آلكاى ١٧٢
حصن الاجم ٣٤ ٦٧ ٦٩
حصن تاسكرت ١١٣
حصن لميس ٧٢
حصون بهلولة ١٤٢
حصون فندلاوة ١٤٢
حصون مديونة ١٤٢
حمص ٢٢ ٣٢ ٣٥
حمة خولان ١٤٩
حنين ٣٧
الحوأب ٤٠
الحيرة ٢١

حرف [خ]

خراسان ٢٤ ٢٧ ٣٢ ٣٦ ٤٢ ٧٩ ١٣٥
الخريبة ٤٠
الخضراء ١٨٤

خلاط ٣٢
خليج الزقاق ٨٧ ٨٨
الخندق ١٣
خيبر ٤ ٥٠

حرف (د)

دار القيطون بفاس ١٥١
درعة ٦٣ ٧٣ ٨٦
الدسكرة ٤٧
دمشق ٢٣ ٣٢ ٤٢ ٨١ ٨٨ ٨٤ ٩٨
دومة الجندل ٤٥

حرف (ذ)

ذو حسى ١٧
ذوقار ٤٠
ذو القصة ١٧

حرف « ر »

الربذة ١٧
الربض ١٥٢ ١٦٣
الرمادة ٢٦
رومة ٦١
الريف البحرى ١٥٧
ريف اليمامة ١٩

حرف [ز]

زابلستان ٣٢
زقاق سبتة ١٠

حرف ﴿ س ﴾

ساحل البحر الرومى ١٥٧
ساحل البحر المحيط ١٥٧
سبتة ٥٨ ٦٠ ٦١ ٨٦ ٨٧
٩٩ ١٠٠ ١٥٦ ١٥٧ ١٧١ ١٧٨ ١٨٣
١٨٤ ١٨٥ ١٩٠ ١٩٦ ٢٠٥
سبو ٧٣
سبيبة ٩٨
سبيطلة ٣٤ ٦١ ٦٧
سجستان ٢٤
السراة ٣٧
سرت ١١٤ ١١٥
سردانية ١٠٥
سرقوسة ٩٥
سطفورة ١٠٨
سقيفة بنى ساعدة ١٦ ٧٩
سقوما ٨٥
سلا ٥٨ ٦١ ١٠٢ ١٥٦ ١٥٧ ١٧٣
١٩٣ ١٩٤ ٢٠٢

سجلماسة ٥٨ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤
١٧٨ ١٧٩ ١٨١ ١٨٢ ٢٠٧
سمرقند ٢٨ ٧٩
السند ١٢١
السوس (الاقصى والادنى) ٦٣ ٧٣ ٧٤
٨٦ ٩٤ ٩٥ ٩٧ ١٥٥ ١٥٦ ١٨٧ ١٩٣
سوسة ٦٩
السودان ٥٣ ٥٤ ٥٩ ٦٣ ٦٩ ٩٥
السياج بفاس ٢٠٣
السيرجان ٣٢

حرف (ش)

شالة ٦١ ١٥٦ ١٦٩ ٢٠٢
الشام ١٤ ١٦ ١٩ ٢١ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦
٣٢ ٣٥ ٣٩ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٨
٥٣ ٥٥ ٥٦ ٥٩ ٦٢ ٧٥ ٧٩ ٨٨ ٩٩
١٠٠ ١٢٤ ١٢٥ ١٣٤ ١٦٤
شرشال ٦١
شلشال ١٩٢
شلف ١٩٢
شيبوبة ١٥٠

حرف (ص)

صبرة ٦٢ ٦٥
صحن رابطة (مدفن ادريس بن عبد الله بولبلى) ١٤٤
الصحراء ١٧٣ ١٧٧ ١٩٧ ١٩٨
صطفورة ٨٢
صفرون (مدينة صفرو وبنواحى فاس) ١٦٣ ١٦٧
صفين ٤٢ ٤٣ ٧٦ ٧٨
الصفا ١٠
صقلية ٥٩ ٦٢ ٦٩ ٨٢ ٨٤ ٨٧ ٩٢
٩٣ ٩٥ ٩٧ ١٠٥
صنعاء الشام ٧١
صنم قادس (محل غرب الاندلس) ٨٨

حرف « ط »

الطائف ٧٨ ٧٩
الطالقان ٣٢
طبرقة ١٠٨
طبنة (مدينة بارض الزاب) ٧٤ ١١٥ ١١٦
١١٧ ١١٨ ١١٩
طخارستان ٣٢
طرابلس ٢٤ ٢٧ ٢٨ ٣٣ ٣٤ ٥٩ ٦٢
٦٣ ٦٥ ٦٧ ٧٦ ٧٨ ٨٣ ٨٩ ٩٩ ١٠٥
١١٠ ١١١ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩
طرطوس ٣٢
طريف ٨٨
طلمنكة ١٢٧
طليطلة ٨٧ ١٢٧

طنجة ٣٤ ٥٨ ٦٠ ٦١ ٦٧ ٧٣ ٨٣
٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٤ ٩٥ ٩٧ ٩٩ ١١٦ ١٣٩
١٥٦ ١٥٧ ١٦٤ ١٧٥ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠
١٨٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ٢٠٥

حرف ﴿ ع ﴾

العباسية ١٢٢
العدوة ١٤٨ ١٦٤ ١٧٨ ١٨٤
العدوتان بفاس (القرويين و الاندلس)
١٦٠ ١٦٥
عدوة الاندلس ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٦٢
١٦٣ ١٦٨ ١٧٠ ١٧٣ ١٨٤ ١٨٩
١٩٠ ١٩٣ ١٩٥ ٢٠٤
عدوة القرويين ١٥٠ ١٥١ ١٦٣ ١٦٨
١٧٠ ١٨٤ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٣ ٢٠٣ ٢٠٤
العرائش ١٥٦ ١٥٧
العراق ١٤ ٢١ ٢٣ ٢٤ ٢٩ ٣٦ ٣٧
٤٢ ٤٣ ٤٥ ٩١ ٩٢ ٩٥ ٩٦ ١٢٣
١٢٤ ١٣٤ ١٣٥ ١٥١
عرفات ١٥
العقبة ١٢ ١٣
عقبة السعتر بفاس ٢٠٤
العقيق ٣٧ ٧٥
عمالة تفيلالت ٦٣
عمالة درعة ٦٣
عمالة السوس ٦٣
عمالة فاس ٦٣
عمالة مراكش ٦٣
عمورية ٣٢
عمواس ٢٦
عيون أبى المهاجز ٧٢
عين اسحق (بالتسول) ١٧١
عين التمر ٢١
عين علـــون بفاس ١٥١

حرف ﴿ غ ﴾

غار حراء ٨
غدير الجوزاء بفاس ١٥١
غذامس ٦٩
غزنة ٢٣

حرف (ف)

فاس ٥٨ ٦٣ ٨٠ ٨١ ١١٤ ١٢٤ ١٤٩ ١٥٠
١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٧ ١٥٨
١٥٩ ١٦٠ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦
١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣
١٧٤ ١٧٧ ١٧٩ ١٨١ ١٨٢ ١٨٤ ١٨٧
١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥
١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣
٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨
فج الفرس بصنهاجة ١٥٨

فخ بضواحى مكة ١٢٠ ١٣٨ ١٣٩ ١٤١
فحص الزاد ١٦٨
فحص بنى مصرخ ١٨٣
فحص سايس بضواحى فاس ١٥٠
فحص شريس ٨٨
فحص مسون ١٧١
الفرات ٢٣
فرغانة ٣٢
فزان ٤٨
فلسطين ٣٢ ٤٢ ٥٣ ٥٥ ١٢٠

حرف ﴿ ق ﴾

قابس ٨٣ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٦
القادسية ٢٣ ٢٥ ٤٤ ١١١
قاليقلا ٣٢
قبرس ٣٥
قرطاجنة ٦١ ٦٨ ٨٢
قرطبة ٨٨ ١٠٣ ١١٤ ١٢٧ ١٥٢ ١٧٢
١٧٤ ١٧٥ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥
١٨٦ ١٩١ ١٩٣ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠١
القرن بالقيروان ١٥١
القسطنطينية ٢٥ ٦٢ ٦٩ ٧٠ ٨٨
قسطيلة ١٠٨
قصر جعفر الحاجب بالاندلس ١٩٤
قصر ابن هبيرة بالكوفة ١٣٥
قصر فرعون (وليلى) ٧٣ ١٤٠ ١٧٦
القصر الكبير ١٢١
قصر المجاز ٦٠
قصر مصمودة ١٥٦ ١٧٥ ١٨٣
قصور حسان ٨٣
قفصة ٣٤ ٦٧ ٧٤ ١٠٨
قلاع غياثة ١٤٢
قلعة حجر النسر ١٥٦ ١٧٨ ١٨٣
قلعة فازاز ٢٠٥
قمونيـة ٦٩
قنسرين ٣٢
القيروان ٦٣ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٤ ٧٥
٧٩ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٥ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠
٩٣ ٩٤ ٩٨ ٩٩ ١٠١ ١٠٥ ١٠٦
١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٤ ١١٥ ١١٦
١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢١ ١٢٢ ١٣٩ ١٥١
١٥٩ ١٦٧ ١٧٣ ١٨٠ ١٨٢ ٢٠٨
القيسارية (سوق الثياب بفاس) ١٥١

حرف [ك]

كابل (عاصمة افغانستان) ٣٢
كتامة ١١٦ ١١٩ ١٦٥
الكدان بفاس ٢٠٤

كرمان ٢٤
الكعبة ٧٠ ١٣٩
كرواوة (بفاس) ١٥١
كورة سجلماسة ٢٠٠
الكوفة ٢٤ ٢٨ ٣٢ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩
٤٢ ٤٤ ٤٥ ٤٧ ٤٨ ٥٠ ١٣٥

حرف [ل]

لبدة ٦٢
لواتة ـ مدينة ـ ١٦٧

حرف (م)

المدائن ٢٤ ٤٧
مدائن مكناسة ١٦٧
المدينة ١٢ ١٣ ١٤ ١٧ ١٩ ٢٣ ٢٨ ٢٩
٣٧ ٤٠ ٤٢ ٥٠ ٦٥ ٦٧ ٧٥ ٧٧
٧٩ ٨٩ ١٠٠ ١١٢ ١٢٤ ١٢٥ ١٣٥
١٣٦ ١٣٧
مرج راهط ٧٥
مرسى هنين ١٦١
مراكش ٥٨ ٦٣
مرماجنة ٨١
مرناق ٦١
مرو ٢٨ ٣٦
المرية ١٨٥
مسجد الاشياخ ١٦٠
مسجد الاندلس ١٦٠ ٢٠٦
مسجد تلمسان ١٤٢
مسجد الشرفاء ١٦٠
مسجد القرويين ١٥٩ ١٦٠ ١٦٢ ١٩٨ ٢٠٦
المسيلة ١٩٩
مشرع الحضر ١٧٦
المشرق ٥٩ ٦٤ ٦٨ ٧٢ ٧٥ ٨١ ٨٢
٨٤ ٨٨ ٨٩ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦
١٠٧ ١٠٩ ١١٣ ١١٥ ١١٦ ١٢٤ ١٢٥
١٢٦ ١٣٢ ١٤٤ ١٨٥
مصر ٢٤ ٢٦ ٣٢ ٣٣ ٣٥ ٣٧ ٣٨
٣٩ ٤٢ ٥٣ ٥٤ ٥٨ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥
٦٩ ٧١ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨٢ ٨٤
٨٥ ٨٩ ٩٣ ٩٤ ٩٩ ١١٤ ١١٥ ١٢٠
١٣٨ ١٥٢ ١٦٤ ١٨٥ ١٩٠
مضيق الحية ١٩٧ ١٠٨
المغرب ٣٣ ٥٤ ٥٦ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣
٦٤ ٦٦ ٧٢ ٧٣ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩
٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٩ ٩٠
٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠
١٠١ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠
١١١ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٩ ١٢٠
١٢١ ١٢٢ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٩
١٣٨ ١٣٩ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٧ ١٤٨ ١٥٥

١٥٧ ١٥٩ ١٦١ ١٦٢ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧
١٦٩ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨
١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥
١٨٦ ١٧٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢
١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠
٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦
المغربان (الاقصى والاوسط) ١٥٣ ١٥٥ ١٧٠
المغرب الادنى ٦٢ ٦٣
المغرب الاقصى ٤٠ ٥٢ ٥٨ ٦٠ ٦٢ ٦٣
٦٤ ٧١ ٧٢ ٧٨ ٨١ ٨٧ ٩٤ ٩٥ ٩٧ ٩٩ ١٠٢
١١١ ١١٣ ١١٦ ١٢٠ ١٢٢ ١٢٤ ١٣٢
١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٥٢ ١٦٥ ١٦٦
١٦٧ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٣ ١٧٨ ١٨١ ١٨٩ ١٩٥
المغرب الاوسط ٥٨ ٦٣ ٧٢ ١١٥ ١٢٢ ١٤٢
١٥٤ ١٦٥ ١٧٣ ١٩٥
المقرمدة بفاس ١٥١
مكة ١٣ ١٤ ١٩ ٤٠ ٤٨ ١٢٠ ١٣٨ ١٦٤ ١٦٥
مكران ٢٤
مكناسة ٨١ ١٥٦ ١٦٦ ١٧٤ ١٩٧
٢٠٥ ٢٠٦
ملوية ١٧٠ ١٧٣
مليلة ١٧٠
ممس ٨١
منى ١١ ١٣ ١٤
المهدية ١١٤ ١٦٧ ١٦٨ ١٧٢ ١٨٢ ١٩٢
مبروقة ٨٥ ٨٨

حرف (ن)

النجف ٥٠
نفيس (مدينة) ١٥٣ ١٥٦
نكو ١٧١ ١٧٣ ١٩٦
نهر سبو ١٤٩ ١٥١ ١٦٣
النهروان ٤٦ ٤٨ ٩٦

حرف (هـ)

هراة ٢٨

حرف (و)

وادى زادات ١٩٦
وادى سبو ٩٩
وادى شلف ٩٧ ١٥٥
وادى فاس ١٥٠
وادى القرى ٣٧
وادى ملوية ٦٣ ٨١ ١٣٩ ١٤٤
وادى مليانة ٨٣
وادى منى ١٩٧
وجدة ١٩٥
ودان ٦٩
ورغة ٧٣ ١٥٦
وشقة (بالاندلس) ١٦٢
وشقة بجبال مديونة ١٦٢
وطاط ١٧٣
وليلى ٦١ ٧٣ ٨١ ١٢٠ ١٣٨ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢
١٤٤ ١٤٦ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥٥ ١٥٦ ٢٤٢
وهران ١٧٨ ١٩٢

حرف (ى)

يثرب ١١
اليرموك ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٥
اليمامة ١٩ ٢١
اليمن ١١ ١٤ ٣٩ ٤١ ٤٢ ٥٩ ٧٩

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣	١٦	فأخد	فأخذ
١٤	٥	نكهة	نهكة
١٦	١٠	نجن	نحن
١٦	١٩	إماراة	إمارة
٢٠	١٦	رضى عنه	رضى الله عنه
٢٣	١٥	وأن يدعوا	وأن يدعو
٢٤	١	وبثو	وبثوا
٥٦	٣	وأخوة	وإخوة
٦٣	٩	الى افريقية بلاد	إلى بلاد
٦٤	١٢	فلهدا	فلهذا
٦٨	١٧	عمرو العاصى	عمرو بن العاص
٦٩	٨	فاتخنوا	فأثخنوا
٧١	١٤	البرير	البربر
٧٢	١١	رضى عنه	رضى الله عنه
٧٢	١١	ولى	وولى
٧٩	٨	افريقيه	افريقية
٨٤	١٢	برد	بردة
٩١	٤	الحاج	الحجاج
٩٦	٤	بعد أصحابه	بعض أصحابه
٩٦	٧	ونبعت	ونبغت
١٠٢	١٦	لهل	لهم
١٠٥	٤	دلك	ذلك

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٩	١	سنه	سنة
١١٩	١٣	طبنه	طبنة
١٢١	٢	الاخواد	الاجواد
١٢١	٨	ليلـه	ليلـة
١٣٠	٣	الحصوصية	الخصوصية
١٣٣	٢	اوليتهما	أوليتها
١٣٦	٥	محاوراب	محاورات
١٤٩	٢٠	فى الاساس	فى حفر الاساس
١٥٣	١٥	واتخـدها	واتخذها
١٥٨	١٤	مشش	مشيش
١٦١	١٠	بحيى	يحيى
١٧٠	٩	العافيه	العافية
١٧٤	٤	المـافية	العافية
١٧٤	٦	علـه	علـيه
١٧٤	٨	ستـة	سنة
١٧٩	١٨	ألجزيرة	الجزيرة
١٨٠	١٠	فبائـل	قبائـل
١٨٦	١٥	أشرقت	أشرفت
١٨٧	١٠	وقلـه	وقلـة
١٨٧	١١	مـدينه	مـدينة
١٨٧	١٣	خمسة	خمـس
١٩٠	٨	فغرت الينا » فاها	فغرت الينا فاها »
١٩٦	٥	فأنفـد	فأنفـذ
١٩٦	١٤	منهرما	منهزما
٢٠٠	١٦	المغز	المعز
٢٤٨	١٧	١٨٣	١٣٨
٢٤٨	٢٦	مبروقة	ميورقة
٢٤٨	٢٩	نكو	نكور

AHMED AN-NACIRI

AL-ISTIQÇA

TOME I

DAR EL KITAB
PLACE DE LA MOSQUÉE * B. P. 4018 Derb SIDNA
CASABLANCA (Maroc)

Dépositaires :

ÉDITIONS LAROSE
11, RUE VICTOR COUSIN
PARIS (Ve)

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE & D'ORIENT
11, RUE SAINT-SULPICE
PARIS (VIe)

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولتان المرابطية والموحدية

الجزء الثانى

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الجزء الثانى



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرابطية

الخبر عن الدولة الصنهاجية اللمتونية المرابطية وأوليتها

قد تقدم لنا عند الكلام على نسب البربر وشعوبها أن صنهاجة احدى قبائل البرانس من البربر ، وانهم أعظم قبائلها بالمغرب ، لايكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط ، حتى زعم كثير من الناس انهم ثلث البربر .

وتقدم لنا ان النسابين من العرب زعموا ان صنهاجة وكتامة من حمير ، خلفهم الملك افريقيش بالمغرب ، فاستحالت لغتهم الى البربرية . والتحقيق خلاف ذلك وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر ، وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهى الى السبعين ، منهم : لمتونة و لمطة ومسوفة ومسراتة ومداسة وبنو وارث وبنو دخير وبنو زياد وبنو موسى وبنو فشتال وغير ذلك ، وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تفوت الحصر .

وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان احداهما : دولة بنى زيرى بن مناد الصنهاجيين بافريقية ، ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيديين والاخرى : دولة الملثمين بالمغرب الاقصى والاوسط والاندلس كما سيأتى .

وموطن هؤلاء الملثمين أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان . ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولا فى أربعة عرضا ، وفيهم قوم لايعرفون حرثا ولا زرعا ولا فاكهة ، وانما أموالهم الانعام ، وعيشهم اللحم واللبن ، يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزا إلّا أن يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق ، وانما قيل لهم الملثمون لانهم يتلثمون ، ولايكشفون وجوههم أصلا .

قال ابن خلكان : « اللثام سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف ، وسبب ذلك على ما

قيـــل ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم ، فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم . وقيـل كان سببه ان قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم بعض مشايخهم ان يبعثوا النساء فى زى الرجال الى ناحية ، ويقعدوا هم فى البيوت متلثمين فى زى النساء . فاذا أتاهم العـــدو وظنوهم نساء خرجوا عليهم ، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم ، فلزموا اللثام تبركا به بما حصل لهم من الظفر بالعدو » .

وقال عز الدين ابن الاثير فى كامله مـا مثاله : وقيل ان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم . ولم يكن بها إلّا المشايخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ انه العـدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، والرأى ان نسوق النعم ونمضى فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم ، فبينما هم فى جمع النعم من المراعى اذ أقبـل رجال إلى الحى ، فبقى العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو خلقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر . فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه ، فلا يعرف الشيخ من الشاب ، ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا .

وفى ذلك يقول أبو محمد بن حامد الكاتب

قوم لهم شرف العلا من حمير * واذا انتموا صنهاجة . فهم هم
لمـا حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم ، فتلثموا

وقال ابن خلدون « كان دين صنهاجة أهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب ، ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات الصحراوية حتى كان اسـلامهم بعد فتح الاندلس ، وكانت الرياسة فيهم للمتونة واستوسق (١) لهم ملك ضخم عند دخول عبد الرحمـن بن

---

١) راجـع نص ابن خلدون فى صحيفة ٢٣٥ من الجزء الاول طبـع الجزائر ففيه بعض تقديم وتأخير وزيادة بيان .

معاوية الى الاندلس ، توارثه ملوك منهم من بنى ورتنطو (١) وطالت أعمارهم فيه الى الثمانين ونحوها ودوخوا تلك البلاد الصحراوية ، وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم ، ثم افترق أمرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعا ، واستمروا على ذلك مائة وعشرين سنة ، الى ان قام فيهم الامير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت (٢) اللمتونى فاجتمعوا عليه وأحبوه وبايعوه ، وكان من أهل الفضل والدين والجهاد والحج فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد في بعض غزواته . »

الخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكُدالى

وما كان من أمره مع الشيخ أبى عمران الفاسى رحمهما الله

لما توفى أبو عبد الله بن تيفاوت قام بامر صنهاجة من بعده يحيى بن ابراهيم الكُدالى ، وكُدالة ولمتونة اخوان يجتمعان فى أب واحد ، وكل منهما قبيل كبير يسكنون الصحراء التى تلى بلاد السودان ويليهم من جهة المغرب البحر المحيط — فاستمر الامير يحيى ابن ابراهيم على رياسة صنهاجة وحربهم لاعدائهم الى ان كانت سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، فاستخلف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل الى المشرق برسم الحج ، فلما قضى حجه وزيارته قفل الى بلاده ، فمر فى عوده بالقيروان فلقى بها الشيخ الفقيه أبا عمران الفاسى ، وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه . فرآه الشيخ أبو عمران محبا فى الخير فأعجبه حاله ، وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق ، فقال له الشيخ : « وما ينتحلون من المذاهب ؟ » قال : « انهم

---

١) الذى فى نسخ ابن خلدون انه ورتنطق بالقاف .

٢) الذى فى ابن خلدون صحيفة ٢٣٦ طبع الجزائر جزء أول انه تارشت ونسخة مطبعة مصر صحيفة ١٨٢ من الجزء السادس انه ناشرت وفى القرطاس طبع فاس تارشنا أو تارشت .

قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كبير علم !» فاختبره الشيخ وسأله عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيأ ! إلّا انه حريص على التعلم صحيح النية والعقيدة ! فقال له الشيخ : « وما يمنعك من تعلم العلم ؟ » فقال : « يا سيدى عدم وجود عالم بارضى ، وليس فى بلادى من يقرأ القرآن فضلا عن العلم ! ومع ذلك فأهل أرضى يحبون الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ، ويدرس لهم العلم ويفقههم فى دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام ، فلو رغبت فى الثواب من الله تعالى لبعثت معى بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين فينتفعون به ويكون لك وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم » فندب الشيخ أبو عمران تلامذته الى ذلك فاستصعبوا دخول أرض الصحراء وأشفقوا منها ، فقال الشيخ أبو عمران ليحيى بن ابراهيم : « انى أعرف ببلد نفيس (١) من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا أخذ عنى علما كثيرا ـ واسمه واجاج بن زلو اللمطى من أهل السوس الاقصى ـ اكتب له كتابا لينظر فى تلامذته من يبعثه معك فسر اليه لعلك تجد حاجتك عنده » فكتب اليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول فيه : « أما بعد اذا وصلك حامل كتابى هذا وهو : يحيى بن ابراهيم الكدالى فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم شرائع الاسلام ويفقههم فى دين الله ، ولك وله فى ذلك الثواب والاجر العظيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . »

وأبو محمد واجاج هذا من رجال التشوف قال فيه : « ومنهم واجاج بن زلو اللمطى من أهل السوس الاقصى رحل الى القيروان ، وأخذ عن أبى عمران الفاسى ثم عاد الى السوس ، فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن ، وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه واذا أصابهم قحط استسقوا به » اه

فسار يحيى بن ابراهيم بكتاب الشيخ أبى عمران حتى وصل الى الفقيه واجاج بمدينة نفيس ، فسلم عليه ودفع اليه الكتاب ، وكان ذلك فى رجب سنة ثلاثين وأربعمائة

---

١) بلد نفيس قرب أغمات كانت موجودة زمان البكرى وقد ذكرها في مسالكه فراجع ما ذكره فى حقها فى صحيفة ١٦٠ طبع الجزائر وراجع ما كتب عليها فى الجزء الاول من هذه الطبعة صحيفة ١٥٣ تعليق عدد ٢ .

فنظر الفقيه واجاج فى الكتاب ، ثم جمع تلامذته فقرأه عليهم وندبهم لما أمر به الشيخ أبو عمران ، فانتدب لذلك رجل منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولى ، وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع والسياسة ، مشاركا فى العلوم ، فخرج مع يحيى بن ابراهيم الى الصحراء ، وكان من أمره ما نقصه عليك .

الخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصحراء وابتداء أمره بها

لما انتهى يحيى بن ابراهيم الى بلاده ـ ومعه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى ـ تلقاه قبائل كُدالة ولمتونة وفرحوا بمقدمهما ، وتيمنوا بالفقيه وبالغوا فى اكرامه وبره ، فشرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رسم الدين ويسوسهم بآداب الشرع ، وألفاهم يتزوجون أكثر من أربع حرائر ، فقال لهم : « ليس هذا من السنة ، وانما سنة الاسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر فقط ، وله فيما شاء من ملك اليمين سعة » وجعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وكبحهم عن كثير من مألوفاتهم الفاسدة وشدد فى ذلك ، فاطرحوه واستصعبوا علمه ، وتركوا الاخذ عنه لما جشمهم من مشاق التكليف .

فلما رأى عبد الله بن ياسين اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا فى دين الاسلام يومئذ ، فلم يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك ، وقال له : إنما أتيت بك لانتفع بعلمك فى خاصة نفسى وما علىّ فيمن ضل من قومى . وكان قومه ليس عندهم من الاسلام إلّا الشهادة دون ماعداها من أركان الاسلام وشرائعه .

ثم قال يحيى بن ابراهيم لعبد الله بن ياسين : « هل لك فى رأى أشير به عليك ان كنت تريد الآخرة ؟ » قال : « وما هو ؟ » قال : « ان ههنا جزيرة فى البحر » . قال ابن خلدون : « هو بحر النيل يحيط بها من جهاتها يكون ضحضاحا فى المصيف يخاض بالاقدام وغمرا فى الشتاء يعبر بالزوارق » قال يحيى بن ابراهيم : وفيها الحلال المحض من شجر البرية

وصيد البر والبحر ، ندخل فيها ونقتات من حلالها ونعبد الله تعالى حتى نموت . » فقال عبد الله بن ياسين : « ان هذا الرأى حسن ! فهلم بنا فلندخلها على اسم الله ! فدخلاها ودخل معهما سبعة نفر من كُدالة ، وابتنى عبد الله رابطة هناك ، وأقام فى أصحابه يعبدون الله تعالى مدة من ثلاثة أشهر ، فتسامع الناس بهم وانهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار ! فكثر الواردون عليهم ، والتوابون لديهم ، فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الخير ، ويرغبهم فى ثواب الله ويحذرهم ألم عقابه حتى تمكن حبه من قلوبهم ، فلم تمر عليه إلّا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل ! وكان من أمرهم ما تسمعه عن قريب .

شروع عبد الله بن ياسين فى الجهاد

واعلانه بالدعوة وما كان من أمره فى ذلك

لما اجتمع الى عبد الله بن ياسين من أشراف صنهاجة نحو ألف رجل سماهم : المرابطين للزومهم رابطته ،

ولما تفقهوا ورسخ فيهم الدين قام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم الى الجنة وخوفهم من النار ، وأمرهم بتقوى الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأخبرهم بما فى ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم جزائه ، ثم ندبهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة وقال لهم : « معشر المرابطين ، انكم اليوم جمع كثير نحو ألف رجل ! ولن يغلب ألف من قلة ! وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم الى صراطه المستقيم ، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم بان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا فى الله حق جهاده ! » فقالوا له : « أيها الشيخ المبارك مرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ! ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا ! » فقال لهم : « اخرجوا على بركة الله ، وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وابلغوهم حجته فان تابوا فخلوا سبيلهم وان أبوا من ذلك وتمادوا فى غيهم ولجوا فى طغيانهم استعنا

بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . » فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته . فوعظهم وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عماهم بسبيله ، فلم يرفعوا بذلك رأسا .

فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه وجمع أشياخ قبائلهم ووجوهها وقرأ عليهم حجة الله ! ودعاهم الى التوبة ! ورغبهم فى الجنة ! وخوفهم من النار ! وأقام ينذرهم سبعة أيام ! وهم فى ذلك كله لايلتفتون الى قوله ! ولا يزدادون الافسادا ! فلما يئس منهم قال لاصحابه : « قد أبلغنا فى الحجة ، وأنذرنا وأعذرنا . وقد وجب علينا الآن جهادهم ، فاغزوهم على بركة الله » فبدأ أولا بقبيلة كُدالة فغزاهم فى ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه ، وقتل منهم خلقا كثيرا . وأسلم الباقون إسلاما جديدا ، وحسنت حالهم ، وأدوا ما يلزمهم من كل ما فرض الله عليهم . وكان ذلك فى صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

ثم سار الى قبيلة لمتونة فنزل عليها وقاتلهم حتى أظهره الله عليهم ، وأذعنوا الى الطاعة ، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة .

ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له ، وبايعوه على ما بايعته لمتونة وكُدالة .

فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا الى التوبة والمبايعة ، وأقروا له بالسمع والطاعة . فكان كل من أتاه تائبا منهم يطهره بان يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الاسلام ، وكان يأمرهم بالصلاة والزكاة وأداء العشر ، واتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه مايرفع اليه من ذلك .

ثم أخذ فى اشتراء السلاح وإركاب الجيوش من ذلك المال ، وجعل يغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذلل قبائلها .

ثم جمع أسلاب القتلى فى تلك المغازى وجعلها فيئا للمرابطين ، وبعث بمال دثر مما اجتمع لديه من الزكوات والاعشار والاخماس الى طلبة العلم ببلاد المصامدة ، فاشتهر أمره فى جميع بلاد الصحراء وما والاها ، من بلاد السودان وبلاد القبلة وبلاد المصامدة

وسائر أقطار المغرب ، وانه قام رجل بكدالة يدعو الى الله تعالى والى الصراط المستقيم ويحكم بما أنزل الله ، وأنه متواضع زاهد فى الدنيا ، وطار له ذكر فى العالم ، وتمكن ناموسه من القلوب وأحبته الناس .

ثم توفى يحيى بن ابراهيم الكدالى على أثر ذلك . وحكى ابن خلدون ان وفاة يحيى ابن ابراهيم كانت قبل اعتزال عبد الله بن ياسين وأصحابه فى الجزيرة . والله أعلم .

الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتونى

لما توفى يحيى بن ابراهيم الكدالى عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بأمر المرابطين فى حربهم وجهادهم لعدوهم .

وكانت قبيلة لمتونة من بين قبائل صنهاجة أكثر طاعة لله تعالى ودينا وصلاحا ، فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويقدمهم على غيرهم ، وذلك لما أراده الله تعالى من ظهور أمرهم وتملكهم على الخلق ، فجمع عبد الله بن ياسين رؤوس القبائل من صنهاجة وولى عليهم يحيى بن عمر اللمتونى - وعبد الله بن ياسين هو الامير على الحقيقة لانه هو الذى يأمر وينهى ويعطى ويمنع ، وعن رأيه يصدرون - فكان يحيى بن عمر يتولى النظر فى أمر الحرب وعبد الله بن ياسين ينظر فى أمر الدين وأحكام الشرع ويأخذ الزكوات والاعشار .

وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين ، واقفا عند أمره ونهيه . فمن حسن طاعته له انه قال له يوما : « قد وجب عليك أدب » قال يحيى « فيماذا يا سيدى ؟ » قال : « لاأعرفك به حتى آخذه منك ! » فكشف له يحيى عن بشرته فضربه عشرين سوطا ! ثم قال له : « إنما ضربتك لانك باشرت القتال ! واصطليت بنار الحرب بنفسك ! وذلك خطأمنك ! فان الامير لا يقاتل ، وانما يقف ويحرض الناس ، ويقوى نفوسهم ، فان حياة الجند بحياة أميره ، وهلاكه بهلاكه . »

واستقام الامر ليحيى بن عمر ، وملك جميع بلاد الصحراء ، وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها ، وكان من أهل الزهد والدين والصلاح .

الخبر عن غزو عبدالله بن ياسين ويحيى بن عمر سجلماسة والسبب في ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على بنى مدرار المكناسيين أصحاب سجلماسة ان انقراض دولتهم كان على يد خزرون بن فلفل بن خزر المغراوى، وانه زحف الى سجلماسة سنة ست وستين وثلاثمائة، وبرز اليه صاحبها أبو محمد المعتز بالله – آخر ملوك بنى مدرار الصفرية – فهزمه خزرون وقتله، واستولى على بلده وذخيرته، وبعث برأسه الى قرطبة – وكان ذلك لأول حجابة المنصور بن أبى عامر – واستمر خزرون بن فلفل واليا على سجلماسة الى ان هلك وولى بعده ابنه وانُودين بن خزرون الى ان هلك أيضا وولى بعده ابنه مسعود بن وانُودين.

ولما انقرضت الدولة الاموية بالاندلس وافترق أمر الجماعة بها وصار الملك طوائف، استبد أمراء الاطراف وملوك زناتة بالمغرب كل بما فى يده، وعدم الوازع وتصرفوا فى الرعايا بمقتضى أغراضهم وشهواتهم فنال فاسا وأعمالها من جور بنى عطية المغراويين ما حكينا بعضه قبل، ونال أهل سجلماسة ودرعة من بنى خزرون بن فلفل المغراويين مثل ذلك أو أكثر.

فلما كانت سنة سبع وأربعين وأربعمائة – وقد انتشر ذكر عبد الله بن ياسين وأصحابه المرابطين فى العالم – اجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا الى عبد الله بن ياسين ويحيى ابن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون اليهم فى الوصول الى بلادهم، ليطهروها مما هى فيه من المنكرات وشدة العسف من الامراء، وعرفوهم بما هم فيه أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذل والصغار مع أميرهم مسعود بن وانُودين المغراوى

فلما وصل الكتاب الى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأه عليهم وشاورهم فى الامر. فقالوا: «أيها الفقيه هذا مما يلزمنا ويلزمك! فسر بنا على بركة الله» فدعا لهم بخير وحضهم على الجهاد.

وخرج بهم فى عشرين من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة فى جيش كثيف من المرابطين – وقيل كان خروجه سنة خمس وأربعين وأربعمائة – فسار حتى وصل الى

بلاد درعة فوجد بها عامل مسعود بن وانودين فنفاه عنها ، ووجد بها خمسين ألف ناقة لمسعود المذكور - وكانت ترعى فى حمى حماه لها هنا لك - فاكتسحها عبد الله بن ياسين . واتصل الخبر بمسعود فجمع جيوشه وخرج نحوه ، فالتقى الجمعان فيما بين درعة وسجلماسة . فكانت بينهما حرب فظيعة منح الله فيها المرابطين النصر على مغراوة ، فقتل أميرهم مسعود وأكثر جيشه وفر الباقون .

واستولى عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم وأموالهم مع الابل التى كان اكتسحها فى درعة ، فاخرج الخمس من ذلك كله وفرقه على فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهما وقسم الاربعة أخماس على المرابطين .

وارتحل من فوره الى سجلماسة فدخلها وقتل من وجد بها من مغراوة وأقام بها حتى أصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو وأحرق الدور التى كانت تباع بها الخمور وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه . واستعمل على سجلماسة عاملا من لمتونة وانصرف الى الصحراء .

ثم توفى الامير أبو زكرياء يحيى بن عمر فى بعض غزواته ببلاد السودان سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

الخبر عن رياسة أبى بكر بن عمر اللمتونى وفتح بلاد السوس

لما توفى الامير يحيى بن عمر اللمتونى ولى عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر . وذلك فى محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وقلده أمر الحرب والجهاد ، ثم ندب المرابطين الى غزو بلاد السوس والمصامدة . فزحف اليها فى جيش عظيم فى ربيع الثانى من السنة المذكورة .

وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ، ثم سار حتى انتهى الى بلاد السوس . فغزا جزولة من قبائلها وفتح

مدينة ماسة (١) ، وتارودانت - قاعدة بلاد السوس - وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم البجلية (٢) نسبة الى على بن عبد الله البجلى الرافضى - كان سقط الى بلاد السوس أيام قيام عبيد الله الشيعى بافريقية - فأشاع هنالك مذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل وعضوا عليه فكانوا لايرون الحق إلّا ما فى يدهم . فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تارودانت عنوة وقتلوا بها خلقا كثيرا ورجع من بقى منهم الى مذهب السنة والجماعة .

وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فيئا وأظهر الله المرابطين على من عداهم ففتحوا معاقل السوس وخضعت لهم قبائله ، وفرق عبد الله بن ياسين عماله بنواحيه وأمرهم باقامة العدل واظهار السنة وأخذ الزكوات والاعشار واسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة .

فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة وفتح بلادهم وذكر نسبهم

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتح جبل دَرَن ، وبلاد رودة ، ومدينة شفشاوة بالسيف . ثم فتح مدينة نفيس وسائر بلاد كُدميوة ووفدت عليه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه . ثم ارتحل الى مدينة أغمات - وبها يومئذ أميرها لقوط ابن يوسف بن على المغراوى - فنزل عليها وحاصرها حصارا شديدا .

ولما رأى لقوط مالا طاقة له به أسلمها وفرعنها ليلا هو وجميع حشمه الى تادلا فاستجار ببنى يفرن ملوك سلا وتادلا .

---

(١) مدينة ماسة ذكرها البكرى فى مسالكه فقال انها قرب السوس ويضاف اليها الوادى المنصب فى المحيط صحيفة ١٦١ طبع الجزائر .

(٢) انظر بسط الكلام على البجليين فى مسالك البكرى صفحة ١٦٢ طبع الجزائر وراجع القرطاس ايضا .

ودخل المرابطون مدينة أغمات سنة تسع وأربعين وأربعمائة فاقام بها عبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجند، ثم خرج الى تادلا ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوى فقتله .

وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت اسحق النفزاوية . قال ابن خلدون : وكانت من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف بن على ابن عبد الرحمن بن وطاس شيخ وريكة فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المغراوى خلفه أبو بكر بن عمر على امرأته زينب بنت اسحق المذكورة الى ان كان من أمرها ما نذكره .

ثم تقدم عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا ففتحها واستولى عليها ثم أخبر بان بساحل تامسنا قبائل برغواطة فى عدد كثير وجمع عظيم .

ولنذكرهنا كلاما ملخصا فى برغواطة ودولتهم ثم نرجع الى ما نحن بصدده فنقول : اختلف الناس فى نسب برغواطة هؤلاء الى أى شىء يرجع . فبعضهم يلحقهم بزناتة وبعضهم يقول فى متنبئهم صالح بن طريف البرغواطى : انه يهودى الاصل من سبط شمعون بن يعقوب عليه السلام نشأ ببرباط - حصن من عمل شدونة من بلاد الاندلس - ثم رحل الى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلى . واشتغل بالسحر وجمع منه فنونا وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا . فوجد بها قبائل جهالا من البربر فأظهر لهم الصلاح والزهد وموه عليهم وخلبهم بلسانه وسحرهم بنير نجاته فصدقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآنا - حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى - فكان يقال لمن تبعه ودخل فى دينه برباطى ثم عربته العرب فقالوا برغواطى فسموا برغواطة .

قال ابن خلدون : « وهذا من الاغاليط البينة ! » وصحح ان القوم من المصامدة بشهادة الموطن والجوار وغير ذلك . والتحقيق ان برغواطة قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد وانما هم أخلاط من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف الذى ادعى النبوة بتامسناسنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المؤمنين . وشرع لاتباعه الديانة التى أخذوها عنه وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب ميسرة المضغرى كبير الصفرية لعهده وكان طريف يكنى

أبا صبيح ومن كبار أصحاب ميسرة المذكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه الشرائع ! ثم هلك سنة سبع وعشرين ومائة ، وقام بامره ابنه صالح بن طريف المذكور فعفت مخارقه على مخارق أبيه ! وكان أولا من أهل العلم والدين ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وأتى من البهتان بما أوضحناه قبل فى ولايـة حنظلة ابن صفوان الكلبى على المغرب .

ثم خرج صالح بن طريف الى المشرق سنة أربع وسبعين ومائة بعد أن ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم فى دولة السابع منهم وأوصى بشريعته الى ابنه إلياس بن صالح . ولم يزل إلياس مظهرا للاسلام مصرا على ما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان متظاهرا بالعفاف والزهد الى ان هلك سنة أربع وعشرين ومائتين لمضى خمسين سنة من ولايته . ثم ولى من بعده ابنه يونس بن الياس فاظهر دينهم ودعا الى كفرهم ، وقتل من لم يدخل فى أمره حتى حرق مدائن تامسنا وما والاها يقال انه حرق منها ثلاثمائة وثمانين مدينـة واستلحم اهلها بالسيف لمخالفتهم ايـاه وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكالات (وهو حجر عال نابت وسط الطريق) سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين نفسا .

قال زمور بن صالح (١) ! ثم رحل يونس بن الياس الى المشرق وحج ، ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده . وهلك سنة ثمان وستين ومائتين لاربع وأربعين سنة من ملكه . وانتقل الامر عن بنيه إلى غيرهم من قرابته ، فولى أمرهم أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى على ملك برغواطة وأخذ بدين آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره ، وكانت له فى البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة أشار إلى شىء منها سعيد بن هشام المصمودى فى أبيات منها قوله :

وهذى أمة هلكوا وضلوا * وعاروا ، لا سقوا ماء معينا
يقولون النبى أبو غفير * فأخزى الله أم الكاذبينا

---

(١) الذى فى النسخة المطبوعة بمدينة الجزائر أبو صالح زمور بن موسى بن هشام صفحة ١٣٤ مسالك البكرى .

سيعلم أهـل تامسنا إذا مـا * أتوا يـوم القيامة مفظعينا
هنالـك يونس وبنـو أبيه * يقودون البرابر حائرينـا

واتخذ أبو غفير من الزوجات أربعا وأربعين - لانهم يبيحون فى ديانتهم الخسيسة أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء - وكان له من الولد مثل ذلك أو أكثر . وهلك أواخر المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه .

ثم ولى بعده ابنه أبو الانصار عبد الله بن أبى غفير فاقتفى سننه ، وكان كبير الدعوة مهيبا عند ملوك عصره يهادونه ويدافعونه بالمواصلة ، وكان يلبس الملحفة والسراويل ويلبس المخيط من الثياب ولا يعتم أحـد فى بلاده إلّا الغرباء ، وكان حافظا للجار وافيا بالعهد ، وتوفى سنة احدى وأربعين وثلاثمائة لاربع وأربعين سنة من ملكه ودفن بتاسلاخت وبها قبره .

وولى بعده ابنه أبو منصور عيسى بن أبى الانصار - وهو ابن اثنتين وعشرين سنة - فسار سيرة آبائـه وادعى النبوة واشتد أمره وعلا سلطانه ، ودانت له قبائل المغرب قال زمور بن صالح : « كان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطـة وعشرة آلاف من سواهم » .

وقـد كان للملوك العدوتين فى غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة من الادارسة والاموية والشيعة وغيرهم .

ولما زحف بلكّين بن زيرى بن مناد الصنهاجى إلى المغرب زحفه المشهور وأجفات قبائل زناتة وملوكها بين يديه وانحازوا إلى سبتة وأطل عليهم من جبل تطوان وعاين جمعهم الكثيف رجع عنهم إلى جهاد برغواطة ، فأوقع بهم وقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبى الانصار ، وبعث بسبيهم إلى القيروان وذلك سنة تسع وستين وثلاثمائة .

ثم حاربتهم أيضا جنود المنصور بن أبى عامر لما عقد ابنه عبد الملك المظفر لمولاه واضح على جهاد برغواطة ، فعظم أثره فيهم بالقتل والسبى .

ثم حاربهم أيضا بنو يفرن لما استقل بنو يعلى بن محمد بن صالح منهم بناحية سلا واقتطعوها عن عمل زيرى بن عطية المغراوى صاحب فاس .

وكان لابى الكمال تميم بن زيرى اليفرنى فيهم جهاد كبير حسبما تقدم التنبيه عليه

وذلك أعـوام العشرين وأربعمائة فغلبهم على تامسنا وولى عليها من قبله بعد أن أثخن فيهم سبيا وقتـلا .

ثم تراجعوا من بعده إلى أن جاءت دولة المرابطين ودخلـوا أرض المغرب دخلتهم الثانية وفتحوا بلاد المصامدة وبلاد تادلا وتامسنا . فأخبر عبد الله بن ياسين بأن بساحلها قبائل برغواطة فى عدد كثير وجمع عظيم وانهم مجوس أهل ضلالة وكفر ، وأخبر بما تمسكوا به من ديانتهم الخبيثة . وقيل له إن برغواطة قبائـل كثيرة وأخلاط شتى ، اجتمعوا فى أول أمرهم على صالح بن طريف المتنبئ الكـذاب ، واستمر حالهم على الضلالة والكفر إلى الآن . فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الكفر رأى أن الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار إليهم فى جيوش المرابطين - والامير يومئذ على برغواطة هو أبوحفص عبد الله من ذرية أبى منصور عيسى بن أبى الانصار عبد الله بن أبى غفير محمـد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف - فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام ، مـات فيها من الفريقين خلق كثير وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزولي ـ مهدى المرابطين ـ فكان فيها شهادته رحمه الله .

ولما حضرته الوفاة قال لهم : « يا معشر المرابطين إنى ميت من يومى هذا لامحالة ! وانكم فى بلاد عدوكم فإياكم أن تجبنوا أو تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وكونوا أعوانا على الحق واخوانا فى ذات الله ، وإياكم والتحاسد على الرياسة فإن الله يؤتى ملكه من يشاء من خلقه ، ويستخلف فى أرضه من أراد من عباده » في كلام غير هـذا .

وتوفى عبد الله بن ياسين عشية ذلك اليوم ، وهو يوم الاحد الرابع والعشرين من جمدى الاولى سنة احدى وخمسين وأربعمائة ، ودفن بموضع يعرف بكريفلة ، وبنى على قبره مسجد وهو مشهور بها الى الآن .

وكان عبد الله بن ياسين رحمه الله شديد الورع فى المطعم والمشرب انما يتعيش من لحوم الصيد ونحوها لم يأكل شيئا من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها مدة اقامته فيهم .

وكان مـع ذلك كثير النكاح يتزوج فى كل شهر عددا من النساء ثم يطلقهن ولا يسمع بامرأة جميلة إلّا خطبهـا . ومن حسن سياسته انه أقام فى صنهاجة السنة والجماعة

حتى انه ألزمهم ان من فاتته صلاة فى جماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط .

ومن كراماته أن المرابطين خرجوا معه فى بعض غزواته ببلاد السودان فنفد ما معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك فقام عبد الله فتيمم وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وأمن المرابطون على دعائه فلما فرغ من الدعاء قال لهم : « احفروا تحت مصلاى هذا ! » فحفروا فصادفوا الماء على نحو شبر من الارض عذبا باردا ! فشربوا واستقوا وملأوا أوعيتهم . ومن تقواه وورعه أنه لم يزل صائما من يوم دخل بلاد صنهاجة الى أن توفى رحمه الله .

واستمر الامير أبو بكر بن عمر على رياسته وجددت له البيعة بعد وفاة عبد الله ابن ياسين ، فكان أول ما فعله بعد تجهيزه اياه ودفنه ان زحف الى برغواطة مصمما فى حربهم ، متوكلا على الله فى جهادهم ، فأثخن فيهم قتلا وسبيا حتى تفرقوا فى المكامن والغياض ، واستأصل شافتهم وأسلم الباقون اسلاما جديدا ، ومحا أبو بكر بن عمر أثر دعوتهم من المغرب وجمع غنائمهم وقسمها بين المرابطين وعاد الى مدينة أغمات .

غزو أبى بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحه اياها

لما استقر الامير أبو بكر بن عمر بأغمات ، أقام بها الى صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة . وخرج غازيا بلاد المغرب فى أمم لاتحصى من صنهاجة وجزولة والمصامدة . ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكناسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها حتى اقتحمها عنوة بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بنى يفرن وخربها فلم تعمر بعد الى الآن .

وكان تخريبه إياها فى آخر يوم من ربيع الثانى من السنة المذكورة ثم رجع الى مدينة اغمات .

عود أبى بكر بن عمر إلى بلاد الصحراء والسبب فى ذلك



كان الامير أبو بكر بن عمر اللمتونى قد تزوج زينب بنت اسحق النفزاوية وكانت بارعة الجمال والحسن كما قلنا وكانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأى متين ومعرفة بادارة الامور حتى كان يقال لها الساحرة ، فأقام الامير أبو بكر عندها باغمات نحو ثلاثة أشهر ، ثم ورد عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال أمر الصحراء ، ووقوع الخلاف بين أهلها .

وكان الامير أبو بكر رجلا متورعا فعظم عليه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضا ، وهو قادر على كفهم ، ولم ير أنه فى سعة من ذلك وهو متولى أمرهم ومسؤول عنهم ، فعزم على الخروج الى بلاد الصحراء ليصلح أمرها ، ويقيم رسم الجهاد بها .

ولما عزم على السفر طلق امرأته زينب وقال لها عند فراقه اياها : « يازينب انى ذاهب الى الصحراء وأنت امرأة جميلة بضة لاطاقة لك على حرارتها ! وانى مطلقك ، فاذا انقضت عدتك فانكحى ابن عمى يوسف بن تاشفين فهو خليفتى على بلاد المغرب ! » فطلقها ، ثم سافر عن اغمات وجعل طريقه على بلاد تادلا ، حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها أياما حتى أصلح أحوالها ثم سافر الى الصحراء .

ونقل ابن خلكان عن كتاب « المعرب عن سيرة ملوك المغرب » فى سبب رجوع الامير أبى بكر بن عمر إلى الصحراء ما مثاله قال : « كان أبو بكر بن عمر رجلا ساذجا خير الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية . وكانت ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط . فلماحصلت البلاد لابى بكر بن عمر سمع ان عجوزا فى الصحراء ذهبت لها ناقة فى غداة فبكت وقالت : ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب ! فحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلا من اصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ! ورجع إلى بلاده الجنوبية ! » اه

وكان سفر أبى بكر بن عمر إلى الصحراء فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين

وأربعمائة ، ولما وصل إليها أصلح شأنها ورتب أحوالها وجمع جيشا كثيفا وغزا به بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة .

وكان يوسف بن تاشفين قد استفحل أمره أيضا بالمغرب ، واستولى على أكثر بلاده . فلما سمع الامير أبو بكر بن عمر بما آل اليه أمر يوسف بن تاشفين وما منحه الله من النصر أقبل من الصحراء ليختبر أحواله . ويقال : انه كان مضمرا لعزله وتولية غيره . فأحس يوسف بذلك فشاور زوجته زينب بنت اسحق ـ وكان قد تزوجها بعد أبى بكر بن عمر ـ فقالت له : « ان ابن عمك متورع عن سفك الدماء . فاذا لقيته فاترك ما كان يعهده منك من الادب والتواضع معه ! وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مساوله ، ثم لاطفه مع ذلك بالهدايا من الاموال والخلع وسائر طرف المغرب واستكثر من ذلك ، فانه بارض صحراء وكل ما جلب اليه من هنا فهو مستطرف لديه »

فلما قرب أبو بكر بن عمر من أعمال المغرب خرج اليه يوسف بن تاشفين فلقيه على بعد ، وسلم عليه وهو راكب سلاما مختصرا . ولم ينزل له ولا تأدب معه الادب المعتاد ! فنظر أبو بكر الى كثرة جيوشه فقال له : « يا يوسف ماتصنع بهذه الجيوش ؟ » قال : « أستعين بها على من خالفنى ! » فارتاب أبو بكر به ثم نظر الى ألف بعير قد أقبلت موقرة فقال : « ماهذه الابل الموقرة ؟ » قال : « أيها الامير انى قد جئتك بكل مامعى من مال وأثاث وطعام وإدام لتستعين به على بلاد الصحراء ! » فازداد أبو بكر تعرفا من حاله وعلم انه لايتخلى له عن الامر فقال له يا ابن عم : « انزل أوصيك » فنزلا معا وجلسا فقال أبو بكر : « انى قد وليتك هذا الامر وانى مسؤل عنه فاتق الله تعالى فى المسلمين وأعتقنى وأعتق نفسك من النار ولا تضيع من أمور رعيتك شيئا فانك مسؤول عنه . والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فى رعيتك وهو خليفتى عليك وعليهم » ثم ودعه وانصرف إلى الصحراء فأقام بها مواظبا على الجهاد فى كفار السودان إلى أن استشهد من سهم مسموم أصابه فى شعبان سنة ثمانين وأربعمائة بعد أن استقام له أمر الصحراء كافة إلى جبل الذهب من بلاد السودان والله غالب على أمره .

الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى

لما عزم الامير أبو بكر بن عمر على السفر إلى بلاد الصحراء دعا ابن عمه يوسف ابن تاشفين بن ابراهيم اللمتونى ، فعقد له على بلاد المغرب وفوض إليه أمره وأمره بالرجوع إلى قتال من به من مغراوة وبنى يفرن وسائر زناتة والبربر . واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيبته . فعاد يوسف من سجلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال أبى بكر بن عمر بالنصف الآخر وذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

ولما انتهى يوسف بن تاشفين إلى ملوية ميز جيوشه فوجدها أربعين ألفا من المرابطين فاختار منهم أربعة من القواد وهم سير بن أبى بكر اللمتونى ، ومحمد بن تميم الكدالى ، وعمر بن سليمان المسوفى ، ومدرك التلكانى ، وعقد لكل قائد منهم على خمسة آلاف من قبيلته وجعلهم مقدمة بين يديه لقتال من بالمغرب من مغراوة وبنى يفرن وسائر قبائل البربر القائمين به . ثم سار هو فى أثرهم يتقرى المغرب بلدا بلدا ويتتبع أهله قبيلة قبيلة . فقوم يقاتلونه ثم يظفر بهم ، وقوم يفرون بين يديه ، وقوم يلقون إليه السلم ويبذلون الطاعة حتى دوّخ بلاد المغرب . ثم سار حتى دخل مدينة أغمات . ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسحق النفزاوية — التى كانت تحت أبى بكر ابن عمر — فكانت عنوان سعده ، والقائمة بملكه ، والمدبرة لأمره ، والفاتحة عليه بحسن سياستها لاكثر بلاد المغرب ، ومن ذلك اشارتها عليه فى أمر أبى بكر بن عمر وكيفية ملاقاته حسبما ذكرناه آنفا . وهكذا كان أمرها فى كل ما تحاوله رحمها الله .

ومما يستطاب من حديثها ما حكاه ابن الاثير فى كامله وقد تكلم على يوسف بن تاشفين هذا فقال : « كان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل العلم والدين يكرمهم ويحكمهم فى بلاده ، ويصدر عن رأيهم ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، من ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجربها ، وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته — وكانت من أحسن النساء ولها الحكم

فى بلاده ـ فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمنى المـال ألف دينار ، واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته : « ياجاهل! ماحملك على هذا الذى لاتصل إليه !؟ » ثم أرسله الى زوجته فتركته فى خيمة ثلاثة أيام ، ثم أمرت بان يحمل اليه فى كل يوم طعام واحـد ثم أحضرته وقالت له : « ما أكلت فى هذه الثلاثة الايام ؟ » قـال : « طعاما واحدا » فقالت له : « كل النساء شىء واحد !» وأمرت له بمال و كسوة وسرحته الى حال سبيله و كانت وفاتها سنة أربع وستين وأربعمائة .

بناء مدينة مراكش

لمـا دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة كان أمر يوسف بن تاشفين قد استفحل بالمغرب جدا ورسخت قدمه فى الملك وعظم صيته فسمت همته إلى بناء مدينة يأوى إليها بحشمه وجنـده ، وتكون حصنا له ولارباب دولته فاشترى موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة . وقال صاحب المعرب : « كان ملكا لعجوز منهم » ثم نزل الموضع المذكور بخيام الشعر وبنى مسجدا لصلاته وقصبة صغيرة لاختزان ماله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا » . وقال أبو الخطاب بن دحية فى كتاب النبراس : « إن موضع مدينة مراكش كان مزرعة لاهل نفيس فاشتراه يوسف منهم بماله الذى خرج بـه من الصحراء » . وفى كتاب المعرب : « ان يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراكش بموضع كان يسمى بذلك الاسم ـ ومعناه بلغة المصامدة امش مسرعا ـ و كان ذلك الموضع مكمنا للصوص فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بهـا وضبط هذه الكلمة بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الالف كاف مكسورة ثم شين معجمة (١) ويقال كان فى موضعها قرية صغيرة فى غابة من الشجر وبها قوم من

---

(١) كذا ضبطها صاحب كشف الظنون الامام القسطنطينى رحمـه الله .

البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الانيقة . وهى في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها ، وبالقرب منها جبل لايزال عليه الثلج وهو الذى يعدل مزاجها وحرها . »

وقال ابن خلدون : « اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراكش لنزوله ونزول عسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن ، إذ لم يكن فى قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا » وفى القرطاس : « لما شرع يوسف بن تاشفين فى بناء مسجد مراكش كان يحتزم ويعمل فى الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه لله تعالى » قال : « والذى بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها ، ويعرف اليوم بالسجينة . ولم يكن بالموضع ماء فحفر الناس آبارا فظهر لهم الماء على قرب فاستوطنوها وبنوا بها » قالوا : ولم تزل مدينة مراكش لا سور لها الى ان توفى يوسف بن تاشفين رحمه الله وولى بعده ابنه على بن يوسف ومضى معظم دولته ، فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة يقال كان ذلك باشارة القاضى أبى الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور ، فانه كان قد قدم على السلطان بمراكش فأشار عليه بذلك عندما نبغ محمد بن تومرت مهدى الموحدين بجبال المصامدة .

وكانت مدة البناء ثمانية أشهر ، وكان الانفاق على السور سبعين ألف دينار ، وبنى على بن يوسف أيضا الجامع الاعظم المنسوب اليه الى اليوم والمنار الذى عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى .

ورأيت فى كتاب ابن عبد العظيم الازمورى الموضوع فى مناقب بنى امغار رضى الله عنهم ان امير المسلمين على بن يوسف اللمتونى لما عزم على ادارة السور على مراكش شاور الفقهاء وأهل الخير فى ذلك فمنهم من ثبطه ، ومنهم من ندبه اليه . وكان من جملة من ندبه القاضى أبو الوليد بن رشد . ثم شاور أبا عبد الله محمد بن اسحق المعروف بامغار ـ صاحب عين الفطر ـ فأشار ببنائه وبعث له من ماله الحلال وأمره ان يجعله فى صندوق صائر البناء ويتولى الانفاق فى ذلك رجل فاضل فقبل السلطان اشارته وعمل برأيه فسهل الله أمر البناء .

ثم لما جاءت دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر اعتنى بمدينة مراكش واحتفل فى تشييدها وبالغ فى تنميق مساجدها وتنجيد مصانعها ومعاهدها على ما نذكر البعض منه في محله ان شاء الله .

ولم تزل مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم .

ثم لما جاءت دولة بنى مرين من بعدهم اتخذوا كرسى مملكتهم بمدينة فاس وبنوا بها المدينة البيضاء .

ثم جاءت الدولة السعدية من بعدهم فنقلوا الكرسى إلى مراكش وبنوا بها قصر البديع المشهور .

ثم جاءت الدولة الشريفة العلوية فاتخذ المولى اسمعيل بن الشريف كرسى ملكه بمكناسة الزيتون ، واحتفل فى بنائها احتفالا عظيما على ما نذكره ان شاء الله .

ثم لما كانت دولة المولى محمد بن عبد الله رد كرسى الملك الى مراكش وبنى بها قصوره ومصانعه واستمرت كرسيا لمملكتهم الى الآن .

وفضل مراكش أشهر من أن يذكر لا سيما ما اشتملت عليه من مزارات الاولياء ومدافن الصلحاء الكبار والائمة الاخيار ، حتى قال الوزير ابن الخطيب فى مقامات البلدان عند ذكره مدينة مراكش : « هى تربة الولى وحضرة الملك الاوّلى » وعبر عنها أبو العباس المقرى فى نفح الطيب (ببغداد المغرب) حرسها الله وصانها من ريب الزمان ، وطوارق الحدثان .

فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب

وفى سنة أربع وخمسين وأربعمائة المذكورة جند يوسف بن تاشفين الاجناد، واستكثر القواد ، وفتح كثيرا من البلاد ، واتخذ الطبول والبنود ، ورتب العمال وكتب العهود ، وجعل فى جيشه الاغزاز (١) والرماة كل ذلك ارهابا لقبائل المغرب ، فكمل له من الجيش فى تلك السنة أكثر من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والاغزاز والرماة ، فخرج بهم من حضرة مراكش قاصدا مدينة فاس فتلقته قبائلها من زواغة ولمايـة ولواتة وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم فى خلق عظيم ، فقاتلوه فكانت بينه وبينهم ملاحم عظام انهزموا فيها من بين يديه ، وانحصروا بمدينة صدينة فدخلها عليهم بالسيف عنوة فهدم أسوارها ، وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف !

ثم رحل الى فاس فنازلها بعد ان فتح جميـع أحوازها وذلك فى آخر سنة أربـع وخمسين وأربعمائة . وقال ابن خلدون : « ان يوسف بن تاشفين نازل أولا قلعة فازاز وبها مهدى بن تولى اليحفشى - وبنو يحفش بطن من زناتة - وكان أبوه تولى صاحب تلك القلعة ووليها هو من بعده فنازله يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدى بن يوسف الكزنائى صاحب مكـناسة لانه كان عدوا لمعنصر المغراوى صاحب فاس فزحف فى عساكر المرابطين الى فاس وجمع اليه معنصر ففض جموعه » اهـ والله أعلم .

ثم أقام يوسف على فاس أياما فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله وارتحـل عنها الى مدينة صفرو . فدخلها من يومه عنوة ، وقتل ملوكهـا أولاد مسعود بن وانودين المغراوى صاحب سجلماسة وكانوا قد استولوا عليها .

---

(١) الاغزاز جمع غز جنس من الترك كما فى القاموس ، وهم هنا قسم من جيش المرتزقة وقد عدهم صاحب صبح الاعشى من جملة طوائف الاجناد انظر صحيفة ٤٨٢ منه فى الجزء الثالث المطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .

ثم رجع يوسف الى فاس فحاصرها حتى فتحها وهو الفتح الاول وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة فاقام بها أياما واستعمل عليها عاملا من لمتونة وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى أشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطى من موالى بنى حمود .

ثم رجع الى منازلة قلعة فازاز فخالفه بنو معنصر بن حماد المغراوى الى فاس فدخلوها وقتلوا عامل يوسف الذى كان بها .

وكان مهدى بن يوسف الكزنائى - صاحب بلاد مكناسة - قد بايع يوسف بن تاشفين ودخل في طاعة المرابطين فأقره يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بجيشه لفتح بلاد المغرب ، فجمع مهدى بن يوسف جيشه وخرج من مدينة عوسجة يريد الاجتماع بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة فازاز فسمع بذلك تميم بن معنصر المغراوى صاحب فاس فعاجله فى أنجاد مغراوة وقبائل زناتة وأدركه ببعض الطريق وناجزه الحرب ففض جموعه وقتله ، وبعث برأسه الى الحاجب سكوت صاحب سبتة وطنجة .

ولما قتل مهدى بن يوسف بعث أهل مدائن مكناسة الى ابن تاشفين بالخبر وبذلوا له الطاعة فملك بلادهم .

ثم توالت عساكر المرابطين على تميم بن معنصر بالغارات والنهب ، واشتد عليه الحصار وعدمت الاقوات بفاس ، فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع مغراوة وبنى يفرن وخرج اليهم لاحدى الراحتين فكانت عليه الهزيمة ، فقتل تميم وجماعة من عشيرته ، وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية المكناسى ، فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى المرابطين فالتقى معهم على وادى صيفير ، فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم

واتصل الخبر بيوسف بن تاشفين وهو على قلعة فازاز فارتحل عنها وخلف جيشا من المرابطين لحصارها فاقاموا عليها تسع سنين ثم دخلوها صلحا سنة خمس وستين وأربعمائة .

ولما رحل يوسف عن قلعة فازاز وذلك سنة ست وخمسين سار الى بنى مراسن

ـ وأميرهم يومئذ يعلى بن يوسف ـ فغزاهم وقتل منهم خلقا وفتح بلادهم. ثم سار الى بلاد فندلاوة فغزاها وفتح جميع تلك الجهات. ثم سار منها الى بلاد ورغة ففتحها وذلك فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

وفى سنة ستين فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة.

وفى سنة اثنتين وستين أقبل الى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه بعد ان فرغ من جميع بلاد المغرب سوى سبتة، وشدد الحصار على فاس حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وغيرهم خلقا كثيرا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الاندلس ما يزيد على ثلاثة آلاف! وفر من بقى منهم إلى احواز تلمسان. وهذا هو الفتح الثانى لمدينة فاس وكان يوم الخميس ثانى جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وفى هذا الخبر بعض مخالفة لما قدمناه فى أخبار مغراوة وذلك نقلناه عن ابن خلدون وهذا عن ابن أبى زرع « وربك أعلم بمن هو اهدى سبيلا ».

فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الاسوار التى كانت فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة الاندلس وصيرهما مصرا واحدا وحصنها وأمر ببنيان المساجد فى شوارعها وأزقتها وأى زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب اهله وأمر ببناء الحمامات والفنادق والارحاء وأصلح بناءها ورتب أسواقها وأقام بها الى صفر من سنة ثلاث وستين وأربعمائة ثم خرج الى بلاد ملوية ففتح حصون وطاط.

وفى سنة أربع وستين بعدها استدعى يوسف أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناتة وغمارة والمصامدة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه وكساهم ووصلهم بالاموال ثم خرج للطواف على أعمال المغرب وتفقد أحوال الرعية والنظر فى سيرة ولاته وعماله فيها ـ وهم فى صحبته ـ فصلح على يده الكثير من أمور الناس.

وفى سنة خمس وستين بعدها غزا يوسف مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان.

وفى سنة سبع وستين وأربعمائة فتح يوسف جبال غياثة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا. وفيها فرق عماله على بلاد المغرب فولى سير بن أبى بكر على

مدائن مكناسة وبلاد مكلاثة وفازاز ، وولى عمر بن سليمان على فاس وأحوازها ، وداود بن عائشة على سجلماسة ودرعة ، وولى ابنه تميم بن يوسف على مدينة مراكش واغمات وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا ، وصفا ملك المغرب ليوسف بن تاشفين سوى سبتة وطنجة وكان من خبرهما ما نذكره .

فتح سبتة (١) وطنجة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس

كانت سبتة وطنجة لبنى حمود الادريسيين من لدن دولة الامويين بالاندلس ، ولما انقرضت دولتهم وخلفهم بنو حمود المذكورون بها استنابوا على سبتة وطنجة من وثقوا به من مواليهم الصقالبة ولم يزل أمر المدينتين الى نظر هؤلاء النواب واحدا بعد واحد الى ان استقل بهما الحاجب سكوت البرغواطى .

وكان عبدا لشيخ حداد من موالى الحموديين اشتراه من سبى برغواطة فى بعض أيام جهادهم ، ثم صار الى على بن حمود فاخذت النجابة بضبعيه الى ان استقل بالامر واقتعد كرسي عملهم بطنجة وسبتة ، وأطاعته قبائل غمارة ، واتصلت أيام ولايته الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب ، ونازل بلاد غمارة فدعا الحاجب سكوت الى مظاهرته عليهم . فهم بالاجلاب معه ومظاهرته على عدوه ثم ثناه عن ذلك ابنه الفائل الرأى .

فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة وانقاد المغرب لطاعته صرف عزمه الى الحاجب سكوت .

وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فأجابه يوسف بقوله : « لا يمكننى ذلك إلّا اذا ملكت طنجة وسبتة ! » فراجعه ابن عباد يشير عليه بان يسير هو إليها بعساكره فى البرفينازلها

---

(١) لم يذكر المؤلف داخل هذه الترجمة فتح سبتة وساقه فى الترجمة الموالية لها .

ويبعث ابن عباد قطائعه فى البحر فينازلوها أيضا حتى يتملكها . فأخذ يوسف فى محاولة ذلك وصرف عزمه إليه . ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة فجهز اليها قائده صالح بن عمران فى اثنى عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من سائر قبائل المغرب فلما قربوا من طنجة برز اليهم الحاجب سكوت بجموعه ـ وهو شيخ كبير قد ناهز التسعين سنة ـ وقال : « والله لايسمع أهل سبتة طبول اللمتونى وأناحى أبدا ! » فالتقى الجمعان بوادى منى من احواز طنجة والتحم القتال فقتل سكوت وفضت جموعه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها واستولوا عليها .

ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبتة فاعتصم بها وكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف .

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلى بن تيلكان اللمتونى لغزو تلمسان والمغرب الاوسط فسار اليها فى عشرين ألفا من المرابطين . وكان بتلمسان يومئذ العباس بن بختى (١) من ولد يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى فدوخوا المغرب الاوسط وتقروا بلاد زناتة وظفروا بيعلى بن الامير العباس ابن بختى فقتلوه ، وانكفأوا راجعين إلى يوسف فألفوه بمراكش .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين فيها غير يوسف بن تاشفين السكة فى جميع عمله وكتب عليها اسمه .

وفيها فتح مدينة آكرسيف ومدينة مليلة وجميع بلاد الريف وفتح مدينة نكور وخربها فلم تعمر بعد .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة فيها زحف يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بنى يزناسن وما والاها . ثم سار الى تلمسان ففتحها واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل أميرها العباس بن بختى المغراوى ، وأنزل بها عامله محمد بن تينغمر المسوفى فى عساكر المرابطين فصارت ثغرا لمملكته ، واختط بها مدينة تاكرارت

---

(١) الذى فى النسخة الصحيحة من ابن خلدون المطبوعة بالجزائر سنة ١٨٤٧ ميلادية فى صحيفة ٢٤٢ من الجزء الاول أنه يحيى بالياء والحاء المهملة .

بمكان محلته – وهو اسم المحلة بلسان البربر – ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس وجميع أعمال شلف الى الجزائر وانكفأ راجعا الى المغرب فدخل مراكش فى ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

ثم ورد عليه بها كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها ويسأله النصر والاعانة فأجابه يوسف بقوله :« اذا فتح الله على سبتة اتصلت بكم وبذلت جهدى فى جهاد العدو !» وكان الفنش قد تحرك فى هذه السنة فى جيوش لا تحصى من الافرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم فشق بلاد الاندلس شقا يقف على كل مدينة منها فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ثم يرتحل الى غيرها . ونزل على اشبيلية فاقام عليها ثلاثة أيام فافسد وخرب وكذلك فعل فى شدونة وأحوازها ، وخرب بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فادخل قوائم فرسه فى البحر وقال : « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته ! » ثم رجع إلى مدينة سرقسطة فنزل عليها وحاصرها وحلف أن لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها ، وأراد أن يقدمها بالفتح على غيرها فبذل اليه أميرها المستعين بن هود مالا عظيما فلم يقبله منه وقال « المال والبلاد لى ! » وبعث الى كل قاعدة من قواعد الاندلس جيشا لحصارها والتضييق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر بن ذى النون سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، فكان ذلك من أقوى الاسباب المحركة لعزائم المسلمين بالاندلس والمغرب على الجهاد .

الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض الاندلس

لما انقرضت دولة بنى أمية بالاندلس صدر المائة الخامسة بعد نزاع بين أعياصها شديد ، وقتال منهم عريض مديد ، وخلفتها الدولة الحمودية فلم يطل أمدها حتى اقتسمت رؤساء الاندلس مملكتها ، وتوزعوا أعمالها وصارت الحال إلى ما قال ابن الخطيب :

حتى إذا سلك الخلافة انتشر * وذهب العين جميعا والأثر
قام بكل بقعة مليك ! * وصاح فوق كل غصن ديك !

فوجد العدو السبيل إلى الاستيلاء على ثغور المسلمين ، وانتهاز الفرصة فيها بالتضريب بين ملوكها واغراء بعضهم ببعض ، وكان منهم ابن عباد باشبيلية ، وابن الافطس ببطليوس ، وابن ذى النون بطليطلة ، وابن هود بسرقسطة ، ومجاهد العامرى بدانية ، وغير هؤلاء ، وكلهم يدارى الطاغية ويتقيه بالجزية إلى أن كان من أمر الادفونش ما كان من تخريب بلاد المسلمين ، واستيلائه على طليطلة بعد حصاره اياها سبع سنين ، ثم حصاره سرقسطة .

فلما رأى رؤساء الاندلس ما نزل بهم من مضايقة عدو الدين ، واستطالته على ثغور المسلمين ، أجمع رأيهم على اجازة يوسف بن تاشفين فكاتبه أهل الاندلس كافة من الخاصة والعلماء يستصرخونه فى تنفيس العدو عن مخنقهم ، ويكونوا معه يدا واحدة عليه .

فلما تواترت رسلهم وكتبهم عليه بعث ابنه المعز بن يوسف فى عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنازلها برا وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بحرا فاقتحموها عنوة فى ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطى وجىء به الى المعز أسيرا فقتله صبرا ، وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بفاس ينظر فى أمر الجهاد ويستعده ، ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصدا نحوها ليعبر منها إلى الاندلس .

ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة ركب البحر الى المغرب لاستنفار يوسف الى الجهاد ، فلقيه مقبلا ببلاد طنجة بموضع يعرف ببليطة على ثلاث مراحل من سبتة ، وقال ابن خلدون : لقيه بفاس ، فأخبره بحال الاندلس وماهى عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب ، وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر والحصار كل يوم . فقال له يوسف : « ارجع الى بلادك وخذ فى أمرك فانى على أثرك » فرجع ابن عباد الى الاندلس ونزل ليوسف عن الجزيرة الخضراء لتكون رباطا لجهاده ، ودخل يوسف سبتة فنظر فى أمرها وأصلح سفنها ، وقدمت عليه بها جنود الله من المغرب والصحراء والقبلة والزاب ، فشرع فى اجازتها الى الاندلس .

ولما تكاملت بساحل الخضراء عبر هو فى أثرها فى موكب عظيم من قواد المرابطين وانجادهم وصلحائهم ، فلما استوى على ظهر السفينة رفع يديه وقال : « اللهم ان كنت تعلم ان فى جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبره وان كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبره » فسهل الله عليهم العبور فى أسرع وقت . وكان ذلك يوم الخميس عند الزوال ، منتصف ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ونزل بالخضراء فصلى بها الظهر من يومه ذلك ولقيه المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس .

واتصل الخبر بالادفونش وهو محاصر لسرقسطة فارتحل عنها وقصد نحو أمير المسلمين ، وبعث الى ابن ردمير وألبرهانس وغيرهما من كبار النصرانية ، واستنفر أهل قشتالة وجليقية وسائر المجاورين له من أمم النصرانية ، فاجتمع له منهم ما يفوت الحصر وصمد الى ابن تاشفين والمسلمين . هكذا وقع مساق هذه الغزوة عند ابن خلدون وابن أبى زرع وغيرهما .

وساقها ابن الاثير وابن خلكان وابن عبد المنعم الحميرى مساقا غير هذا . ولنذكر بعض ما نقلوه من ذلك فنقول : لما ملك يوسف بن تاشفين المغرب وبنى مراكش وتلمسان الجديدة ، وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة ، وتمهدت له الاقطار العريضة المديدة ، تاقت نفسه إلى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ فى انشاء السفن والمراكب ليعبر فيها ، فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا إلمامه بجزيرتهم ، وأعدوا له العدة والعدد الا انهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته ، وكرهوا أن يصبحوا بين عدوين : الفرنج عن شمالهم ، والملثمين عن جنوبهم . وكانت الفرنج قد اشتدت وطأتها عليهم فتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شىء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين ، والفرنج مع ذلك ترهب جانب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم ، لنفاذ أمره ونقله دولة زناتة وملك المغرب اليه فى أسرع وقت ، مع ما ظهر لابطال الملثمين ومشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس ، والطعنات التى تنظم الكلى ، فكان لهم بذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتالهم .

وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظل يوسف ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر

إليهم وعاين بلادهم ، فلما رأوا عزيمته متوفرة على العبور راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم فى أمره ، وكان فزعهم فى ذلك الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة ، فوقع اتفاقهم على مكاتبته - وقد تحققوا أنه يقصدهم - يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس يقول :

« أما بعد فإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز ، وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهن ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا فاختر لنفسك أكرم نسبتيك ! فإنك بالمحل الذى لا يجوز ان تسبق فيه إلى مكرمة ! وان في استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت ! والسلام . » فوصله الكتاب مع تحف وهدايا - وكان يوسف لا يعرف اللسان العربى لكنه كان ذكى الطبع يجيد فهم المقاصد - وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له : « أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الاعادى فإنهم مسلمون ! وهم من ذوى البيوتات فلا تغير بهم وكف بهم من وراءهم من الاعداء الكفار ، وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر ، فأعرض عنهم إعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب » فقال يوسف ابن تاشفين لكاتبه : « فما ترى أنت ؟ » فقال : « أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذى لا يرد بأنه خليق بما حصل فى يده من الملك أن يعفو إذا استعفى وان يهب إذا استوهب وكلما وهب جزيلا كان أعظم لقدره ! فإذا عظم قدره تأصل ملكه وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته ! وإذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة إليهم ! وكان وارث الملك من غير اهلاك لآخرته ! واعلم ان بعض الملوك الاكابر والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال : « من جاد ساد ، ومن ساد قاد ، ومن قاد ملك البلاد ! » فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف فهمه وعلم صحته ، فقال للكاتب : « أجب القوم واكتب بما يجب فى ذلك واقرأ علىّ كتابك » فكتب الكاتب : « بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . تحية من سالمكم وسلم إليكم وحكّمه التأييد والنصر فيمن حكم عليكم ،

وانكم مما بأيديكم من الملك فى اوسع اباحة ، مخصوصون منا بأكرم ايثار وسماحة ! فاستديموا وفاءنا بوفائكم ، واستصلحوا إخاءنا باصلاح إخائكم ! والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام . » فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه ، وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللمط مما لايكون إلّا في بلاده ، وأنفذ ذلك إليهم ، فلما وصلهم ذلك وقرأوا كتابه فرحوا به وعظموه واعتزوا بولايته ، وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج ، وأزمعوا إن رأوا من الفرنج ما يريبهم أن يجيزوا إليه يوسف بن تاشفين . ويكونوا من أعوانه عليه ، فتأتى ليوسف بن تاشفين برأى وزيره ما أراد من محبة أهل الاندلس له و كفاه حربهم .

وقال ابن الاثير فى الكامل : « كان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس وممتلكا لأكبر بلادها مثل قرطبة واشبيلية ، وكان مع ذلك يؤدى الضريبة إلى الادفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته ، فردها عليه ولم يقبلها منه ، ثم أرسل إليه يتهدده ويتوعده بالمسير إلى قرطبة وتملكها من يده إلّا أن يسلم إليه جميع الحصون التى فى الجبل ويبقى السهل للمسلمين . وكان الرسول فى جمع كثير نحو خمسمائة فارس ، فأنزله المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره ، ثم أمر القواد أن يقتل كل منهم من عنده ، وأحضر الرسول فصفعه حتى برزت عيناه ، وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا إلى الاذفونش وأخبروه الخبر ، وكان متوجها إلى قرطبة ليحاصرها ، فلما بلغه هذا الخبر رجع إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويستعد استعدادا غير الذى سبق . وعاد المعتمد إلى اشبيلية وأقام بها وترك قرطبة بدون مدافع يدافع عنها .

وقال ابن عبد المنعم الحميرى فى كتابه الروض المعطار ما ملخصه : « ان المعتمد ابن عباد أخر فى سنة من السنين الضريبة التى كان يدفعها للاذفونش عن وقتها ، ثم أرسلها اليه بعد ، فغضب الاذفونش واشتط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن فى التجني ، حتى طلب ان تأتي زوجته الى الجامع الاعظم بقرطبة فتلد فيه اذ كانت حاملا ، وكان بالجانب الغربى من المسجد المذكور موضع كنيسة قديمة بنى المسلمون عليها المسجد ، فأشار عليه الاطباء والقسيسون أن تكون زوجته ساكنة قرب ولادتها بمدينة

الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر لدين الله وأبدع فى تشييدها وتنجيدها ، وتتردد المرأة مع ذلك الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة وكان الرسول فى ذلك يهوديا وكان وزيرا للاذفونش ، فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه اليهودى وأغلظ له فى القول ولسعه بكلمة آسفته ! فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودى ، فأنزل دماغه فى حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة !

ولما سكن غضبه استفتى الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودى ، فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة فى ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل إذ ليس له ذلك ! وقال للفقهاء : « انما بادرت بالفتوى خوفا ان يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو ، وعسى الله ان يجعل فى عزيمته للمسلمين خيرا . »

وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد ، فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه فى قصره ، ثم زحف فى عسكرين أحدهما عليه والآخر على بعض قواده حتى نزل على ضفة النهر الاعظم باشبيلية قبالة قصر ابن عباد . وفى أيام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه : « كثر بطول مقامى فى مجلسى هذا علي الذباب ، واشتد الحر فأتحفنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسى وأطرد بها الذباب عن وجهى ! » فوقع له ابن عباد بخط يده فى ظهر الرقعة : « قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك فى مراوح من جلود اللمط تروح منك لا عليك ان شاء الله ! » فلما وصلت رسالة ابن عباد الاذفونش وقرئت عليه وفهم مقتضاها أطرق إطراق من لم يخطر له ذلك ببال ، وفشا فى الاندلس توقيع ابن عباد ، وما أظهر من العزيمة على إجازة يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو ، فاستبشر الناس وفرحوا بذلك ، وانفتحت لهم أبواب الآمال .

وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه فى ذلك اهتموا منه ، فمنهم من كاتبه ومنهم من شافهه ، وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له : « الملك عقيم ! والسيفان لا يجتمعان فى غمد ! » فأجابهم ابن عباد بكلمته التى صارت مثلا : « رعى الجمال خير من رعى الخنازير ! » ومعناه ان كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسيرا يرعى جماله فى الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش أسيرا له يرعى خنازيره

وقال لمن لامه : « يا قوم انى من أمرى على حالتين : حالة يقين ، وحالة شك ، ولابد لي من احداهما ، أما حالة الشك فإنى إن استندت إلى ابن تاشفين ، أو إلى الاذفونش ، ففى الممكن أن يفى لي ويبقى على وفائه . ويمكن أن لايفعل فهذه حالة شك . وأما حالة اليقين فإنى إن استندت إلى ابن تاشفين فإنى أرضى الله ! وان استندت إلى الاذفونش أسخطت الله ! فإذا كانت حالة الشك فيهما عارضة ، فلاى شيء أدع ما يرضى الله وآتى ما يسخطه ! ؟ » فحينئذ أقصر أصحابه عن لومه .

ولما عزم ابن عباد على رأيه أمر صاحب بطليوس المتوكل على الله عمر بن الافطس وصاحب غرناطة عبد الله بن حبوس الصنهاجى ، أن يبعث إليه كل منهما قاضى حضرته ففعلا . واستحضر قاضى الجماعة بقرطبة عبد الله بن محمد بن أدهم — وكان أعقل أهل زمانه — فلما اجتمع عند ابن عباد القضاة باشبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم أنهم رسله إلى يوسف بن تاشفين ، وأسند إلى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف وترغيبه فى الجهاد ، وأسند إلى الوزير ما لابد منه من ابرام العقود السلطانية .

وكان يوسف بن تاشفين لاتزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام ، مستنجدين بفقهاء حضرته ، ووزراء دولته ، فيسمع إليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم .

ولما انتهت الرسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم ، وجرت بينه وبينهم مراوضات ، ثم انصرفوا إلى مرسلهم .

ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء فخرج إليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات ، وأقاموا له سوقا جلبوا إليه ما عندهم من سائر المرافق ، وأذنوا للغزاة فى دخول البلد والتصرف فيها ، فامتلأت المساجد والرحاب بالمطوعة وتواصوا بهم خيرا » هذا مساق صاحب الروض المعطار .

وقال ابن الاثير : « لما رجع المعتمد بن عباد إلى اشبيلية وترك قرطبة بدون مدافع وسمع مشايخها بما جرى من قتل ابن عباد لليهودى ، ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا : « هذه بلاد الاندلس

قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها إلّا القليل ، وان استمرت الاحوال على مانرى عادت نصرانية كما كانت » وساروا إلى القاضى أبى بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له : « ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها ! وقد رأينا رأيا نعرضه عليك » قال : « ما هو ؟ » قالوا : « نكتب إلى عرب افريقية ونشترط لهم إذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين فى سبيل الله ! » قال : « أخاف إذا وصلوا إلينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ! ويتركوا الفرنج ويبدؤا بنا ! والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا ! » قالوا له : « فكاتب يوسف بن تاشفين وارغب إليه فى العبور إلينا أو يرسل بعض قواده . »

وبينما هم يتفاوضون إذ قدم عليهم ابن عباد - وهم فى ذلك - فعرض عليه القاضى ابن أدهم ما كانوا فيه . فقال له ابن عباد : « أنت رسولى إليه فى ذلك ! » فامتنع القاضى - وإنما أراد أن يبرىء نفسه من تهمة تلحقه - فألح عليه المعتمد ، فعبر القاضى البحر إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش - وكان أمير المسلمين يومئذ بمدينة سبتة - ففى الحال أمر بعبور العساكر إلى الاندلس ، وأرسل إلى مراكش فى طلب من بقي من عساكره ، فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا ، فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار ؛ فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية .

وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا ، وخرج من أهل قرطبة عسكر كبير ، وقصده المطوّعة من سائر بلاد الاندلس . ووصلت الاخبار إلى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده ، وسار من طليطلة وكتب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له فى القول ويصف ما معه من القوة والعدد وبالغ فى ذلك . فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه - وكان كاتبا مفلقا - فكتب وأجاد ، فلما قرأه على أمير المسلمين قال : « هذا كتاب طويل » وأحضر كتاب الاذفونش وكتب على ظهره (الذى يكون ستراه !) وأرسله إليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم أنه بلي برجل له دهاء وعزم »

وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم رأتها

قط ، فصارت الخيل تجمح من رؤيـة الجمال ورغائها ، وكان ليوسف في عبورها رأى مصيب ، فكان يحدق بها عسكره ويحضرها الحرب ، فـكانت خيل الفرنج تجمح منها »

وقدم يوسف بن تاشفين بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هى السنة ، ومن جملة ما فى الكتاب : « بلغنا يا أذفونش انك دعوت الله فى الاجتماع بنا ، وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر عليها البحر إلينا ، فقـد عبرناه إليك ، وقد جمع الله تعالى فى هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ! وما دعاء الكافرين إلّا فى ضلال ! » فلما سمع الاذفونش ما كتب إليه يوسف جاش بحر غيظه ، وزاد فى طغيانه ، وأقسم أن لا يبرح من موضعه حتى يلقاه .

ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار قال رحمه الله : « فلما عبر يوسف وجميع جيوشه البحر الى الخضراء نهض الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل . وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مـع أمرائها على اشبيلية .

وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية فى مائة فارس من وجوه أصحابه ، فلما أتى محلـة يوسف ركض نحوهم وركضوا نحوه ثم برز اليه يوسف وحده والتقيـا منفردين وتصافحا وتعانقا ، وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والخلوص وشكرا نعم الله ، وتواصيا بالصبر والرحمة ، وبشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله فى أن يجعـل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه . وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته . وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين

وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ، ورأى الناس من عزة سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس إلّا من بادر أو أعان ، وكذلك فعل الصحراويون مـع يوسف أهل كل صقع من أصقاعه رابطوا وكابدوا .

وكان الاذفونش لما رأى اجتماع العزائم على مناجزته علم أنه عام نطاح ! فاستنفر

الفرنجة للخروج ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنج ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد من الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد : « ان صاحبكم يوسف قد تعنى بالمجيء من بلاده وخوض البحر وأنا أكفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعبا : أمضى اليكم وألقاكم فى بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم ! » وقال لخاصته وأهل مشورته : « انى رأيت أنى ان أمكنتهم من الدخول الى بلادى فناجزونى فيها وبين جدرها — وربما كانت الدائرة على — يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ! ولكنى أجعل يومهم معى في حوز بلادهم فان كانت عليّ اكتفوا بما نالوه ، ولم يجعلوا الدروب وراءهم إلّا بعد أهبة أخرى فيكون فى ذلك صون لبلادى وجبر لمكاسرى ! وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفى بلادهم ما خفت أن يكون فيّ وفى بلادى إذا ناجزوني في وسطها ! » .

ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم : « بهؤلاء أقاتل الجن والانس وملائكة السماء ! » فالمقلل يقول : « المختارون أربعون ألف دارع ولكل واحد أتباع ! » وأما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله .

واتفق الكل ان عدد المسلمين كان أقل من عدد الكفار ! ورأى الاذفونش فى نومه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه . فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها ، فأحضر رجلا مسلما عالما بتفسير الرؤيا فقصها عليه ، فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه . فقال : « تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ؟ » الى آخر السورة . وقوله تعالى : « فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير . » وذلك يقتضى هلاك هذا الجيش الذى تجمعه ! » فلما اجتمع جيشه ورأى كثرته أعجبه فأحضر ذلك المعبر وقال له : « بهذا الجيش ألقى إله محمد صاحب كتابكم ! فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين : « هذا الملك هالك وكل من معه ! » وذكر الحديث : ثلاث مهلكات وفيه واعجاب المرء بنفسه ! » .

ثم خرج الاذفونش الى بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف نحوه أيضا وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ، ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته ، وسار وهو ينشد متفائلا ببيت سائر ، مجيزا له بأبيات من شعره :

لابد من فرج قريب ✯ يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك ✯ سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه ✯ نكس على دين الصليب
لابد من يوم يكو ✯ ن له أخا يوم القليب

ووافت الجيوش كلها بطليوس فأناخوا بظاهرها ، وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس ، فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود . ثم جاءهم الخبر بشخوص الاذفونش اليهم »

وقال ابن أبى زرع : « ارتحل يوسف بن تاشفين من الخضراء قاصدا نحو الاذفونش وقدم بين يديه قائده أبا سليمان داود بن عائشة — وكان بطلا من الابطال — فى عشرة آلاف فارس من المرابطين ، بعد أن قدم أمامه المعتمد بن عباد مع أمراء الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب المرية ، وابن حبوس صاحب غرناطة ، وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى ، وابن ذى النون ، وابن الافطس وغيرهم ، فأمرهم يوسف أن يكونوا مع المعتمد فتكون محلة ملوك الاندلس واحدة ، ومحلة المرابطين أخرى ، فتقدم بهم ابن عباد فكانوا إذا ارتحل ابن عباد من موضع نزله يوسف بمحلته ، فلم يزالوا كذلك حتى نزلوا مدينة طرطوشة ، فأقاموا بها ثلاثا وكتب منها يوسف إلى الاذفونش يدعوه إلى الاسلام أو الجزية أو الحرب ، وكان جواب الاذفونش ما تقدم ، ثم ارتحل يوسف وارتحل الاذفونش حتى نزلا معا بالقرب من بطليوس ، وكان نزول يوسف بموضع يعرف بالزلاقة(١) وتقدم المعتمد فنزل ناحية أخرى تحجز بينه وبين يوسف ربوة ، وبين المسلمين والفرنج نهر بطليوس حاجزا يشرب منه هؤلاء وهؤلاء ، فأقاموا ثلاثة أيام ، والرسل تختلف بينهم إلى أن وقع اللقاء على ما نذكره .

ولما ازدلف بعضهم إلى بعض أذكى المعتمد عيونه فى محلات الصحراويين خوفا عليهم

---

(١) ويسميه المسيحيون ساكر الياس هكذا : « Sacralias »

من مكايد الاذفونش – إذ هم غرباء لاعلم لهم بالبلاد – وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل إن الرجل من الصحراويين كان لايخرج إلى طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة إلّا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات . ثم قامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت .

ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون في الناس مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار .

وجاءت الطلائع تخبر أن العدوّ مشرف عليهم صبيحة يومهم – وهو يوم الاربعاء – فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكعّ الاذفونش ورجع إلى إعمال المكر والخديعة . فعاد الناس إلى محلاتهم وباتوا ليلتهم . ثم اصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش إلى ابن عباد يقول ! « غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت ! » فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه أنها حيلة منه وخديعة وإنما قصده الفتك بنا يوم الجمعة . فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار . ويقال ان الاذفونش واعدهم ليوم الاثنين وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس كما أشار ابن عباد .

وبعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى ، – وكان فى محلة ابن عباد – فرحا مسرورا يقول : « انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة » فتأهب ودعا وتضرّع ودهن رأسه وتطيب . وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر العدو الكافر ، ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش ، وسمعا ضوضاء الجيش وخشخشة السلاح . ثم تلاحق بقية الطلائع محققين لتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول : « استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه : « ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد . وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا له ، فان انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده . ولا أراه يصبر لكم ان صدقتموه الحملة » فعند ذلك بعث ابن عباد

الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه بإقبال الاذفونش ويستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له : « قل له : انى سائر اليك ان شاء الله » وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا ما دام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد .

وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله إلّا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله . ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمي الوطيس . واستحر القتل فى أصحاب ابن عباد وصبر صبرا لم يعهد مثله ، واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحرب واشتد عليه وعلى أصحابه البلاء وساءت الظنون وانكشف البعض منهم — وفيهم ابنه عبد الله بن المعتمد — وأثخن هو جراحات فى رأسه وبدنه وعقرت تحته فى ذلك اليوم ثلاث أفراس كلما هلك واحد قدم له آخر وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا يكنى : أبا هاشم . — وكان قد تركه باشبيلية عليلا — فقال :

أبا هاشم هشمتنى الشفار ☆ فلله صبرى لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج ☆ فلم يثننى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد يوسف بن تاشفين داود بن عائشة — وكان بطلا شهما ، فنفس بمجيئه على ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك — وطبوله قد ملأت أصواتها الجو — فلما أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم صدمة ردتهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق الناس ريح الظفر وتباشروا بالنصر . ثم صدقوا جميعا الحملة فزلزلت الارض من حوافر الخيل وأظلم النهار بالعجاج وخاضت الخيل فى الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما

ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية ومر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه طعنة بقى يخمع بها بقية عمره . قالوا : وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فرس يومئذ أنثى يمر بين ساقات المسلمين وصفوفهم يحرضهم ويقوى نفوسهم على الجهاد ويحضهم على الصبر فقاتل الناس ذلك اليوم قتال

من يطلب الشهادة ويرغب فى الموت .

وعلى سياق ابن خلكان : « ان ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو فى يوم الاربعاء . وكان الموعد بالمناجزة يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر . فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد — والروم فى أثرها والناس على طمأنينة — فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر فى العساكر ، فماجت بأهلها . ورجفت الارض ، وصارت الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو ، فغمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها . وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه وفر رؤساء الاندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا انه وهى لا يرقع ، ونازلة لا تدفع . وظن الاذفونش ان أمير المسلمين فى المنهزمين ، ولم يعلم ان العاقبة للمتقين ، فتقدم أمير المسلمين وأحدقت به انجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل ، وقصدوا محلة الاذفونش فاقتحموها وقتلوا حاميتها ، وضربت الطبول ، وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق ، وتراجع الروم الى محلتهم بعد ان علموا ان أمير المسلمين فيها فقصدوه فافرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ، ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها . ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان أمر أمير المسلمين حشمه السودان ، فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند . ومزاريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود نفدت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه ! وانتضى خنجرا كان متمنطقا به فاثبته فى فخذه . فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه . وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة . وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا اقفاءهم — والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم — الى ان لحقوا بربوة لجؤوا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل . فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا من بعد ما نشبت فيهم أظفار المنية ، واستولى المسلمون على ما كان فى محلتهم من الاثاث والآنية والمضارب والاسلحة وغير ذلك ، وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من

ذلك تل عظيم » .

وقال صاحب الروض المعطـــار : لجـأ الاذفونش الى تل كان يلي محلته فى نحو خمسمائة فارس ما منهم إلّا مكلوم . وأباد القتـل والاسر من عداهم من أصحابه ، وعمل المسلمون من رؤسهم مآذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضـع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى إلّا نكالا محيطا به وباصحابه .

وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه ، وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وسأله عن حاله عند ما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له : « هاهم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك ! »

وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه : « كتابى هذا اليك من المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف رجب ، وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين ، وأذاقهم العذاب الاليم ، والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة فى تشتيت شمـل الاذفونش والاحتواء على جميـع عساكره اصلاه الله نكال الجحيم ، ولا أعدمه الوبال العظيم ، بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل بجميع ابطاله وحماته ، حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها ، فلله الحمد على جميل صنعه ولم يصبنى والحمد لله الاجراحات يسيرة آلمت ، لكنها قرحت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام » .

واستشهد فى ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء ، مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضى مراكش ابى مروان عبد الملك المصمودى وغيرهما رحم الله الجميع » .

وحكى ان موضع المعترك كان على اتساعه ما فيه موضع قدم إلّا على ميت أو دم .

وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن فى ذلك السلطـان يوسف فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس ، وعرفهم ان مقصوده الجهـاد والاجر العظيم ، وما عند الله فى ذلك من الثواب المقيم . فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له صنعه وأمر أمير المسلمين بقطـع رؤوس القتلى وجمعها فقطعت وجمع بين يديه منها أمثال الجبال ، فبعث منها الى اشبيلية عشرة آلاف رأس ، والى قرطبة مثـل ذلك ، والى بلنسية مثلها ، والى سرقسطة ومرسية مثلها

وبعث الى بلاد العدوة أربعين ألف رأس، فقسمت على مدن العدوة ليراها الناس فيشكروا الله على ما منحهم من النصر والظفر العظيم » .

قال ابن أبى زرع : « وفى هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ولم يكن يدعى به قبل ذلك ، وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز اهله وكتب امير المسلمين بالفتح إلى بلاد العدوة وإلى تميم بن المعز الصنهاجى صاحب افريقية ، فعملت المفرحات فى جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس ، واجتمعت كلمة الاسلام واخرج الناس الصدقات ، وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى .

ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أصحابه وأبطاله ففقدهم ولم يسمع إلّا نواح الثكالى عليهم اغتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك أسفا وغما ، وراح الى أمه الهاوية ، ولم يخلف إلّا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة .

ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام يوسف بظاهر اشبيلية ثلاثة أيام . وورد عليه الخبر بوفاة ولده أبى بكر بن يوسف — وكان قد تركه مريضا بسبتة — فاغتم لذلك وانصرف راجعا الى العدوة ، وذهب معه ابن عباد يوما وليلة ، فعزم عليه يوسف فى الرجوع الى منزله ، وكانت جراحاته قد تورمت عليه ، فسير معه ولده عبد الله الى ان وصل البحر وعبر الى المغرب .

وكان أمير المسلمين عند مجيئه الى بلاد الاندلس وقصده ملاقاة الاذفونش قد تحرى المسير بالعراء من غير ان يمر بمدينة اورستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الاذفونش وهناك اجتمع بعساكر الاندلس . قاله ابن خلكان .

ولما فرغ من الوقعة رجع عوده على بدئه كل ذلك تورع منه وتكرم وتخفيف عن الرعايا رحمه الله ورضى عنه .

ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنئ بالفتح ، وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فانشدوه . قال عبد الجليل بن وهبون : « حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه ، فقرأ قارئ : « إلّا تنصروه فقد نصره الله » فقلت : « بعدا لى ولشعرى ! والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره وأقوم به » . اه

ومن هنا اختلفت أقوال المؤرخين فى حال أمير المسلمين فى الجهاد ، فقيل انه لم

يرجع الى بلاد الاندلس بعد هذه المرة لكنه ترك قواده فيها ورسم لهم بالجهاد وشن الغارات على بلاد العدو . وقيل انه عاد اليها ثانيا وثالثا وعلى هذا القول فاختلفوا فى زمان ذلك العود وتاريخه . والله تعالى أعلم .

بقيـة اخبار امير المسلمين فى الجهاد

ومـا اتفق لـه مـع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عبـاد

اعلم ان اقوال المؤرخين اختلفت فى أمر يوسف بن تاشفين بعد غزوة الزلاقة فحكى ابن خلكان وغيره أن أمير المسلمين لما عزم على النهوض إلى بلاد المغرب ترك قائده سير بن أبى بكر اللمتونى بأرض الاندلس وخلف معه جيشا برسم غزو الفرنج ، فاستراح سير بن أبى بكر أياما قلائل ثم دخل بلاد الاذفونش وشنّ الغارات فنهب وقتل وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة وتوغل فى بلاد العدو وحصل فعلى أموال جليلة وذخائر عظيمة ، ورتب رجالا وفرسانا فى جميع ما استولى عليه . وأرسل إلى السلطان يوسف بجميع ما حصله وكتب إليه يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال فى أضيق عيش وانكده وملوك الاندلس فى بلادهم واهليهم فى أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب إليه « أن يأمرهم بالنقلة والرحيل إلى أرض العدوة فمن فعل فذاك ومن أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ، ولتبدأ بمن والى الثغور منهم ، ولا تتعرض لابن عباد إلّا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول عليه أميرا من عسكرك » فامتثل سير بن ابى بكر امره واستنزلهم واحدا بعد واحد حتى كان آخرهم ابن عباد فألحقه بهم ونظمه فى سلكهم على ما نذكره

وقال ابن ابى زرع : لما كانت سنة إحدى وثمانين واربعمائة جاز امير المسلمين إلى الاندلس الجواز الثانى برسم الجهاد . قال ! وسبب جوازه ان الاذفونش لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جموعه عمد إلى حصن لبيط الموالى لعمل ابن عباد فشحنه بالخيل والرجال والرماة ، وامرهم ان يكونوا ينزلون من الحصن المذكور فيغيرون فى اطراف

بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الاندلس ، إذ كان السبب فى جواز امير المسلمين إلى الاندلس فكانوا ينزلون من الحصن فى الخيل والرجل فيغيرون ويقتلون ويأسرون قد جعلوا ذلك وظيفة عليهم فى كل يوم . فساء ابن عباد ذلك وضاق به ذرعا . ثم عبر البحر إلى العدوة مستنفرا لامير المسلمين فلقيه بالمعمورة من حاق وادى سبو — وهذه المعمورة هى المسماة اليوم بالمهدية ، من احواز سلا — فشكا إليه حصن لبيط وما يلقاه المسلمون من أهله ، فوعده الجواز إليه ، فرجع المعتمد .

وسار يوسف فى أثره ، فركب البحر من قصر المجاز إلى الخضراء ، فتلقاه ابن عباد بها بألف دابة تحمل الميرة والضيافة . فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها إلى أمراء الاندلس يدعوهم إلى الجهاد ، وقال لهم : « الموعد بيننا وبينكم حصن لبيط » ، ثم تحرك يوسف من الخضراء ، وذلك فى ربيع الاول من السنة المذكورة ، فنزل على حصن لبيط — وفى القاموس لبطيط كزنبيل بلد بالجزيرة الخضراء الاندلسية ، ولعله هو هذا — فلما نزله أمير المسلمين لم يأته ممن كتب إليه من امراء الاندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية ، وابن عباد صاحب اشبيلية فنازلا معه الحصن وشرعوا فى القتال والتضييق عليه .

وكان يوسف رحمه الله يشن الغارات على بلاد الفرنج كل يوم ودام الحصار على الحصن اربعة اشهر لم ينقطع القتال فيها يوما واحدا إلى ان دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز وابن عباد نزاع وشنآن ، فشكا المعتمد إلى أمير المسلمين ابن عبد العزيز فقبض عليه امير المسلمين وأسلمه إلى ابن عباد فاختل امر المحلة بسبب ذلك وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ووقع بها الغلاء .

ولما علم الاذفونش بذلك حشد أمم النصرانية وقصد الى حماية الحصن فى أمم لا تحصى ، فلما قرب من الحصن انحرف له يوسف عنه الى ناحية لورقة ، ثم الى المرية ثم جاز الى العدوة وقد تغير على أمراء الاندلس لكونهم لم يأته منهم احد عندما دعاهم الى الجهاد ومنازلة الحصن .

ولما أفرج أمير المسلمين عن الحصن المذكور ، أقبل الاذفونش حتى نزل عليه فأخلاه مما كان فيه من آلة الحصار ومادته ، واخرج من كان فيه من بقية النصارى

المنفلتين من مخالب المنية ، وعاد الى طليطلة فاستولى ابن عباد عليه بعد خلائه وفناء جميع حماته بالقتل والجوع سوى تلك الصبابة المنفلتة .

وكان فيه عند ما نازله امير المسلمين اثنا عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية ، فاتى عليهم القتل والجوع حتى لم يبق فيه سوى نحو المائة وهم المنفلتون منه عند إخلائه .

ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة جاز امير المسلمين الى الاندلس الجواز الثالث برسم الجهاد ؛ فسار حتى نزل على طليطلة وحاصر بها الاذفونش وشن الغارات باطرافها فاكتسحها وانتسف ثمارها وزروعها وخرب عمرانها وقتل وسبى ولم يأته من ملوك الاندلس احد ، ولا عرج عليه منهم معرج فغاظه ذلك !

ولما قفل من غزو طليطلة عمد الى غرناطة فنازلها . وكان صاحبها عبد الله بن بلكين ابن باديس بن حبوس قد صالح الاذفونش وظاهره على أمير المسلمين ، وبعث اليه بمال واشتغل بتحصين بلده . وفى ذلك يقول بعض شعراء عصره :

يبنى على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير
دعوه يبنى ، فسوف يدرى * اذا أتت قدرة القدير

ولما انتهى أمير المسلمين الى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلكين واغلق أبوابها دونه فحاصره امير المسلمين نحو شهرين . ولما اشتد عليه الحصار أرسل يطلب الامان فأمنه أمير المسلمين وتسلم منه البلاد فملكها ، وبعث بعبد الله وأخيه تميم بن بلكين صاحب مالقة الى مراكش مع حريمهما وأولادهما فاقاما بها وأجرى عليهما الانفاق الى ان ماتا بها .

ولما خلع امير المسلمين بنى باديس وملك غرناطة ومالقة وما اضيف إليهما خاف منه المعتمد بن عباد وانقبض عنه . ويقال : ان ابن عباد طمع فى غرناطة وان امير المسلمين يعطيه اياها فعرّض له بذلك فاعرض عنه أمير المسلمين فخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عليه ، ثم سعى بينهما الوشاة فتغير عليه امير المسلمين وعبر إلى العدوة فى رمضان سنة ثلاث وثمانين المذكورة .

ولما انتهى إلى مراكش ولى على الاندلس قائده سير بن ابى بكر اللمتونى وفوض إليه جميع امورها كلها ولم يأمره فى ابن عباد بشئ فسار سير بن ابى بكر نحو اشبيلية ،

وهو يظن ان ابن عباد إذا سمع به يخرج إليه ويتلقاه على بعد ويحمل إليه الضيافات على العادة فلم يفعل ، وتحصن منه ولم يلتفت اليه ! فراسله سير ابن أبى بكر أن يسلم اليه البلاد ويدخل فى طاعة أمير المسلمين . فامتنع ابن عباد فعند ذلك تقدم سير الى حصاره وقتاله . وبعث بعض قواده الى قرطبة ليحاصرها وبها يومئذ المأمون بن المعتمد ابن عباد ، فنازلها فى عساكر المرابطين حتى فتحها يوم الاربعاء ثالث صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وقتل صاحبها المأمون بن المعتمد ثم فتح بياسة وأبدة وحصن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة ، ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلد إلّا وقد ملكه المرابطون ما عدا قرمونة واشبيلية . ثم ارتحل سير بن أبى بكر الى قرمونة فنازلها حتى دخلها عنوة زوال يوم السبت السابع عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة . فاشتد الامر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث الى الاذفونش لعنه الله يستغيث به على لمتونة ويعده باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد ان هو كشف عنه ما هو فيه من الحصار ! فبعث اليه الاذفونش قائده القومس فى جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل .

فلما علم سير بقدوم الفرنج اليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل الشجاعة والنجدة . وقدم عليهم ابراهيم بن اسحق اللمتونى وبعثه للقاء الفرنج . فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهم حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ، ومنحهم الله النصر فهزموا الفرنج وقتلوهم حتى لم يفلت منهم الا القليل .

ثم شد سير ابن أبى بكر فى الحصار والتضييق على اشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على المعتمد وجماعة من أهل بيته ! فقيدهم وحملهم فى السفين بنهر اشبيلية وبعث بهم إلى أمير المسلمين بمراكش . فأمر أمير المسلمين بإرسال المعتمد إلى مدينة اغمات فسجن بها واستمر فى السجن إلى ان مات به لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وكان دخول سير بن أبى بكر مدينة اشبيلية يوم الاحد الثانى والعشرين من رجب سنة أربع وثمانين .

ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقى من بلاد الاندلس إلى ان خلصت لهم ولم يبق لملوك الطوائف بها ذكر . وهذه الاخبار نقلناها عن ابن أبى زرع ممزوجة باليسير من كلام غيره واعتمدنا كلامه لانه موضوع بالقصد الاول لأخبار المغرب فيكون أعنى بـه من غيره .

وفى تاريخ ابن خلدون بعض مخالفة لما مر . قال : « أجاز يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس الجواز الثانى سنة ست وثمانين وأربعمائة وتثاقل أمراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من نكيره عليهم لما يسومون به رعاياهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم ، فوجد عليهم . وعهد برفع المكوس وتحرى المعدلة » وقال أيضا : « ان الفقهاء بالاندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم ، فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فاجابوه بالامتثال . حتى اذا رجع عن بلادهم رجعوا الى حالهم . فلما أجاز ثانية انقبضوا عنه إلّا ابن عباد فإنه بادر الى لقائه وأغراه بالكثير منهم ! فتقبض على ابن رشيق البناء وأمكن ابن عباد منه للعداوة التى بينهما . وبعث جيشا الى المرية ، ففر عنها صاحبها ابن صمادح ونزل بجاية من أرض افريقية . وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين ومحلاته . فساء نظره وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الامر من ايديهم . وسارت اليه بذلك فتاوى أهل المشرق الاعلام مثل الغزالى والطرطوشى وغيرهما .

فعمد إلى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين وأخاه تميما عن مالقة ، بعد أن كان منهما مداخلة للطاغية فى عداوة يوسف بن تاشفين ، وبعث بهما إلى المغرب. فخاف ابن عباد عند ذلك منه وانقبض عن لقائه ، وفشت السعايات بينهما . ونهض أمير المسلمين إلى سبتة فاستقر بها وعقد للامير شير بن أبى بكر على الاندلس وأجازه . فانتهى إليها ، وقعد ابن عباد عن تلقيه وميرته فأحفظه ذلك وطالبه بالطاعة لامير المسلمين والنزول عن الامر ، ففسد ذات بينهما ثم غلبه على جميع عمله . ثم صمد إلى إلى اشبيلية فحاصره بها واستنجد الطاغية ، فعمد إلى استنقاذه من هذا الحصار فلم يغن عنه شيئا . وكان دفاع لمتونة مما فت فى عضده . واقتحم المرابطون اشبيلية عنوة سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وتقبض سير على المعتمد وقاده أسيرا إلى

مراكش ، فلم يزل فى اعتقال يوسف بن تاشفين إلى أن هلك فى محبسه من أغمات سنة تسعين وأربعمائة .

ثم عمد إلى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس فقتله وابنيه يوم الاضحى سنة تسع وثمانين واربعمائة بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وأن يملكوه مدينة بطليوس .

ورثاهم الاديب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدته المشهورة التى يقول فى أولها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهى قصيدة غريبة فى منوالها وموضوعها ، عدد فيها أهل النكبات ، ومن عثر به الزمان بما يبكى منه الجماد ، وتستشرف لسماعه الأنجاد والوهاد .

ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث الى الاندلس سنة تسعين وأربعمائة ، وزحف اليه الطاغية . فبعث أمير المسلمين عساكر المرابطين لنظر محمد بن الحاج اللمتونى ، فانهزم النصارى أمامه وكان الظهور للمسلمين .

ثم أجاز الامير يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وتسعين ، وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن ابى بكر ، فافتتحوا عامة الاندلس من أيدى ملوك الطوائف ، ولم يبق منها إلّا سرقسطة فى يد المستعين بن هود معتصما بالنصارى . وأغزى الامير مزدلى صاحب بلنسية إلى بلاد برشلونة فأثخن فيها ، وبلغ إلى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع .

وانتظمت بلاد الاندلس فى ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن . واستولى أمير المسلمين على العدوتين معا واتصلت هزائم المرابطين على الفرنج مرارا والله غالب على أمره . » فهذا كلام ابن خلدون فى سياقه هذه الاخبار .

واعلم أنه قد يوجد هنا لبعض المؤرخين حط من رتبة أمير المسلمين وغض عليه إما فى كونه كان بربريا من أهل الصحراء بعيدا عن مناحى الملك والادب ورقة الحاشية ، وإما فى كونه تحامل على ملوك الاندلس حتى فعل بهم ما فعل ، وذلك حيث عاين حسن بلادهم ورفاهية عيشهم .

واعلم ان هـذا الكلام جدير بالرد ، وأصله من بعض أدباء الاندلس الذين كانوا ينادمون ملوكها ويستظلون بظلهم ويغدون ويروحون فى نعمتهم ، فحين فعل أمير المسلمين بسادتهم ورؤسائهم ما فعل أخذهم من ذلك ما يأخذ النفوس البشرية من الذب عن الصديق والمحاماة عن القريب حتى باللسان ، وإلّا فقد كان أمير المسلمين رحمه الله من الدين والورع على ما قد علمت ، ومن ركوب الجادة وتحرى طريق الحق على الوصف الذى سمعت !

وهـذا ابن خلدون إمام الفن ومتحرى الصدق ، قد نقـل أن ملوك الاندلس كانوا يظلمون رعاياهم بضرب المكوس وغيرها ، ثم وصلوا أيديهم بالطاغية وبذلوا له الاموال فى مظاهرته اياهم على أمير المسلمـين ، ثم لم يقدم على قتالهم واستنزالهم عن سرير ملكهم حتى تعددت لديـه فتاوى الائمة الاعلام من أهل المشرق والمغرب بذلك فافهم هذا واعرفه . والله تعالى يقابل الجميع بالعفو والصفح الجميل بمنه وكرمه .

بقية أخبار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سوى ما تقدم

قال ابن خلكان : « كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حازمـا ، سائسا للامور ، ضابطا لمصالح مملكته ، مؤثرا لاهل العلم والدين ، كثير المشورة لهم » قال : « وبلغنى أن الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالى رحمـه الله لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة ، وميله الى أهل العلم ، عزم على التوجه اليـه ، فوصل الى الاسكندرية وشرع فى تجهيز ما يحتاج اليه ، فجاء اليه الخبر بوفاته ، فرجع عن ذلك العزم » قال : « وكنت وقفت على هذا الفصل فى بعض الكتب وقد ذهب عنى فى هذا الوقت من أين وجدته »

وكان أمير المسلمين يوسف معتدل القـامة ، أسمر اللون ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، دقيق الصوت .

وكان يخطب لبنى العباس ، وهو أول من تسمى بامير المسلمين . ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى ان توفى يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسمائة . وعاش

تسعين سنة ، ملك منها مدة خمسين سنة رحمه الله .

وقال ابن خلدون : « تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ، وخاطب الخليفة لعهده ببغداد ـ وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله العباسى ـ وبعث اليه عبد الله بن محمد بن العربى المعافرى الاشبيلى ، وولده القاضى أبا بكر بن العربى الامام المشهور ، فتلطفا فى القول وأحسنا فى الابلاغ ، وطلبا من الخليفة أن يعقد لأمير المسلمين بالمغرب والاندلس ، فعقد له ، وتضمن ذلك مكتوب من الخليفة منقول فى أيدى الناس . وانقلبا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما إلى نظره من الاقطار والاقاليم ، وخاطبه الامام الغزالى والقاضى أبو بكر الطرطوشى يحضانه على العدل والتمسك بالخير . ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع إلى الاندلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة » اه كلام ابن خلدون .

وإنما احتاج أمير المسلمين الى التقليد من الخليفة المستظهر بالله ـ مع انه كان بعيدا عنه وأقوى شوكة منه ـ لتكون ولايته مستندة الى الشرع . وهذا من ورعه رحمه الله .

وإنما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدبا مع الخليفة . حتى لا يشاركه فى لقبه ! لان لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة ، والخليفة من قريش كما فى الحديث فافهم .

ومن أخبار يوسف بن تاشفين أيضا ما نقله غير واحد من الائمة ، ان أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المغربية والاندلسية المعاونة بشيء من المال على ما هو بصدده من الجهاد ، وأنه كتب الى قاضى المرية أبى عبد الله محمد بن يحيى ـ عرف بابن البراء ـ يأمره بفرض معونة المرية ، ويرسل بها اليه ، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها ، وكتب اليه يخبره بانه لا يجوز له ذلك . فاجابه أمير المسلمين بان القضاة عندى والفقهاء قد أباحوا فرضها ، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فرضها فى زمانه . فراجعه القاضى عن ذلك بكتاب يقول فيه : « الحمد لله الذى إليه مآبنا ، وعليه حسابنا . وبعد ، فقد بلغنى ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك . وان أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوه بان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقتضاها ، فالقضاة والفقهاء إلى النار دون زبانية . فإن كان عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وضجيعه فى قبره ، ولا يشك فى عدله ، وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بوزيره ولا بضجيعه

فى قبره ، ولا ممن لا يشك في عدله . فإن كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلته في العدل فالله تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقلدهم فيك . وما اقتضاها عمر رضى الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحضر من كان معه من الصحابة رضى الله عنهم ، وحلف ان ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم . فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم ، وليحلف أن ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم . وحينئذ تجب معونته ، والله تعالى على ذلك كله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . » فلما بلغ كتابه إلى أمير المسلمين وعظه الله بقوله ، ولم يعد عليه في ذلك قولا ، والاعمال بالنيات .

وكان أمير المسلمين حين ورد عليه التقليد من الخليفة ضرب السكة باسمه ، ونقش على الدينار : « لا اله إلّا الله محمد رسول الله » وتحت ذلك : « أمير المسلمين يوسف بن تاشفين » وكتب على الدائرة : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » وكتب على الصفحة الاخرى : « عبد الله أحمد أمير المؤمنين العباسى » وعلى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكته .

وكان ملكه قد انتهى الى مدينة افراغة من قاصية شرق الاندلس ، والى مدينة أشبونة على البحر المحيط من غرب الاندلس ، وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا . وفي العرض ما يقرب من ذلك .

وملك بعدوة المغرب من جزائر بنى مزغنة الى طنجة ، الى آخر السوس الاقصى الى جبال الذهب من بلاد السودان .

ولم يرفى بلد من بلاده ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا خراج ، لا فى حاضرة ولا فى بادية إلّا ما أمر الله به ، وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكوات والاعشار ، وجزيات أهل الذمة ، وأخماس الغنائم .

وقد جبى فى ذلك من الاموال على وجهها ما لم يجبه أحد قبله . يقال انه وجد فى بيت ماله بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربع من الورق ، وخمسة آلاف وأربعون ربعا من مطبوع الذهب .

وكان رحمه الله زاهدا فى زينة الدنيا وزهرتها ، ورعا متقشفا ، لباسه الصوف ، لم

يلبس قط غيره . ومأكله الشعير ولحوم الابل وألبانهـا ، مقتصرا على ذلك ، لم ينتقل عنه مدة عمره على مـا منحه الله من سعة الملك وخوله من نعمة الدنيا . وقد رد أحكام البـلاد الى القضاة ، وأسقط ما دون الاحكام الشرعية . وكان يسير فى أعماله بنفسه ، فيتفقد أحوال الرعية فى كل سنة . وكان محبا للفقهاء وأهل العلم والفضل . مكرمـا لهم ، صادرا عن رأيهم ، يجرى عليهم أرزاقهم من بيت المال . وكان مع ذلك حسن الاخلاق متواضعا ، كثير الحياء جامعا لخصال الخير . رحمه الله تعالى ورضى عنه .

الخبر عن دولة أمير المسلمين أبى الحسن على بن يوسف ابن تاشفين اللمتونى

لمـا توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى التاريخ المتقدم ، بايع الناس ابنه على ابن يوسف المذكور بمراكش بعهد من أبيه اليه ، وتسمى بأمير المسلمين .

وكان سنه يوم بويـع ثلاثا وعشرين سنة . وملك من البلاد ما لم يملكه أبوه ، لانه صادف البلاد ساكنة . والاموال وافرة ، والرعايا آمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة ، وسلك طريقة أبيه فى جميع أموره واهتدى بهديه ،

خروج يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين

لما توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سجاه ابنه على بن يوسف بثوبه ، وخرج الى المرابطين ـ ويده فى يـد أخيه أبى الطاهر تميم بن يوسف ـ فنعى لهم أباه ، ثم وضع أبو الطاهر يده فى يد أخيه على بن يوسف فبايعه . ثم قال للمرابطين : « قوموا فبايعوا أمير المسلمين ». فبايعه جميع من حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة ، وبايعه

الفقهاء وأشياخ القبائل ، فتمت له البيعة بمراكش .

ثم كتب إلى سائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد القبلة يعلمهم بوفاة أبيه واستخلافه من بعده ، ويأمرهم بالبيعة . فأتته البيعة من جميع البلاد ، وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة إلّا أهل مدينة فاس ، فإن ابن أخيه يحيى بن أبى بكر بن يوسف كان أميرا عليها من قبل جده يوسف . فلما انتهى إليه الخبر بموت جده وولاية عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعة عمه ، فخرج عليه ووافقه على ذلك جماعة من قواد لمتونة ، فزحف إليه علي بن يوسف من مراكش ، حتى إذا دنا من فاس خاف يحيى بن أبى بكر على نفسه ، وعلم أنه لاطاقة له بحرب عمه . فأسلم فاسا لعمه . وخرج منها خائفا يترقب . فدخلها علي بن يوسف يوم الاربعاء الثامن من ربيع الآخر سنة خمسمائة . واستقام له الأمر .

وقيل إن علي بن يوسف لما دنا من فاس نزل بمدينة مغيلة من أحوازها . ثم كتب إلى ابن أخيه يعاتبه على ما ارتكبه من الخلاف . ويدعوه إلى الدخول فى الطاعة كما دخل الناس . وكتب كتابا آخر إلى أشياخ البلد يدعوهم فيه إلى بيعته ، ويتهددهم ويتوعدهم ، فلما وصل الكتاب إلى يحيى وقرأه ، جمع أهل البلد واستشارهم في المقاتلة والحصار ، فلم يوافقوه . فلما يئس منهم خرج فارا إلى مزدلي بن تيلكان — وكان عاملا على تلمسان — فلقيه مزدلي بوادى ملوية مقبلا برسم البيعة لعلي بن يوسف . فأعلمه يحيى بما كان من شأنه ، فضمن له مزدلي عن عمه العفو والصفح ، فرجع معه حتى إذا وصلا إلى فاس ، دخل مزدلي على أمير المسلمين علي بن يوسف ، ونزل يحيى مستخفيا بحومة وادى شرذوع .

ولما اجتمع مزدلي بأمير المسلمين وسلم عليه ورأى منه اكراما وقبولا أعلمه بخبر يحيى ، وما ضمن له من العفو ، فأجابه إلى ذلك وعفا عنه وأمنه ! ثم جاء يحيى فبايعه ، وخيره أمير المسلمين بين أن يسكن بجزيرة ميورقة بشرق الاندلس أو ينصرف إلى بلاد الصحراء . فاختار الصحراء فانصرف إليها ، ثم سافر منها إلى الحجاز فحج البيت ورجع إلى عمه فاستأذنه أن يكون فى جملته ، ويكون سكناه معه بحضرة مراكش ، فأذن له فى ذلك فسكنها مدة ، ثم اتهمه عمه بالتشغيب عليه فثقفه ، وبعث به إلى الجزيرة الخضراء فاستمر بها إلى أن مات .

أخبار الـــولاة بالمغرب والأندلس

لما بويع أمير المسلمين علي بن يوسف عزل عن قرطبة الامير أبا عبد الله محمد بن الحاج اللمتونى ، وولى مكانه القائد أبا عبد الله محمد بن أبي زلفي، فغزا طليطلة ، وأوقع بالنصارى فقتلهم قتلا ذريعا بباب القنطرة أخذهم على غرة .

وفى سنة إحدى وخمسمائة عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب ، وولى مكانه أبا عبد الله بن الحاج ، فأقام واليا على فاس وسائر أعمال المغرب نحو ستة أشهر ، ثم عزله وولاه بلنسية وأعمالها من بلاد شرق الاندلس

ولما عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب ولاه غرناطة وأعمالها من بلاد الاندلس ، فكانت له على النصارى وقعة افليج . وذلك أنه خرج غازيا ببلاد الفرنج سنة اثنتين وخمسمائة فنزل حصن افليج — وبه جمع عظيم — فحاصرهم حتى اقتحم عليهم الحصن ، فأرز النصارى إلى القصبة فتحصنوا بها ، وأرسلوا خبرهم إلى الفنش فاستعد للخروج لاغاثتهم ، فأشارت عليه زوجته أن يبعث ولده عوضا منه ، لان تميم بن يوسف ابن ملك المسلمين ، وسانجة ابن ملك النصارى . فامتثل إشارتها ، وبعث ولده سانجة فى جيش كثيف من زعماء الفرنج وأنجادهم . فسار حتى إذا دنا من افليج أخبر تميم بن يوسف بمقدمه ، فعزم على الافراج عن الحصن وأن لا يلقى الفرنج . فأشار عليه قواد لمتونة منهم عبد الله بن محمد بن فاطمة ومحمد ابن عائشة وغيرهم بالمقام . وشجعوه وهوّنوا عليه أمرهم ، فقالوا : « إنما قدموا في ثلاثة آلاف فارس ، وبيننا وبينهم مسافة » . فرجع إلى رأيهم ، فلم يكن إلّا عشي ذلك اليوم حتى وافتهم جيوش الفرنج فى ألوف كثيرة . فهم تميم بالفرار فلم يجد له سبيلا .

ثم صمم قواد لمتونة على مناجزة العدو ، وصمدوا إليه فكانت بينهم حرب عظيمة بَعد العهد بمثلها . فهزم الله تعالى العدوّ ونصر المسلمين ، وقتل ولد الفنش ، وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف . ودخل المسلمون افليج بالسيف عنوة ، واستشهد فى هذه الوقعة جماعة من المسلمين رحمهم الله . واتصل الخبر بالفنش فاغتم لقتل ولده

وأخذ بلده وهلاك جنده ، فمرض ومات أسفا لعشرين يوما من الوقعة . وكتب تميم ابن يوسف إلى أمير المسلمين بالفتح .

واعلم أنه يقال فى ملوك الجلالقة الذين نسميهم اليوم الاصبنيول الاذفونش ، ويقال الفنش . فقال ابن خلكان : « الاذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو بعدها نون ثم شين معجمة هو اسم لأكبر ملوك الافرنج وهو صاحب طليطلة » . وقال ابن خلدون : « بنو اذفونش هم ولد اذفونش بن بطرة أول ملوك الجلالقة » اه . وأما قولهم الفونش فهو اسم علم لبعض ملوكهم ، وليس لقبا لجميعهم .

وكان محمد بن الحاج رحمه الله مدة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصارى تضييقا فاحشا بالغارات والنهب . فخرج فى غزاة له ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسبى ، وكان معه جماعة من قواد لمتونة ، فبعث بالمغنم على الطريق الكبير . وأخذ هو على برية تقرب من بلاد المسلمين . وكان أكثر الناس مع المغنم . وكان طريق البرية الذى أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك إلّا على سرب واحد لصعوبته وشدة وعورته . فلما توسطه محمد بن الحاج وأخذته الاوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجد النصارى قد كمنوا له فى جهة من تلك الجهات ، فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واغتنم الشهادة ، إذ لم يجد منفذا يخلص منه . فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوّعة ، وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة فى نفر يسير بحيلة أعملها .

واتصل خبر الوقعة بأمير المسلمين فآسفه موت أبى عبد الله بن الحاج ، وولى مكانه أبا بكر بن ابراهيم بن تافلوت ، وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم أبى بكر بن باجة الحكيم المعروف بابن الصائغ — وكان عاملا على مرسية — فوصل اليه العهد بالولاية على بلنسية وطرطوشة وما والاهما . وهو بمرسية . ثم خرج بجيش مرسية الى بلنسية ، فاجتمع اليه من كان بها من الجند . ثم زحف بهم الى برشلونة فنازلها ، وأقام عليها عشرين يوما ، فانتسف ما حولها وقطع ثمارها وخرب قراها ، فأتاه ابن رذمير من قرابة الاذفونش فى جيوش كثيرة من حشود بسيط برشلونة وبلاد أربونة . فكانت بينهم حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الفرنج ، واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمائة رحمهم الله تعالى .

أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد
وجوازه الأول إلى بلاد الاندلس

لما دخلت سنة ثلاث وخمسمائة جاز أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس برسم الجهاد ، فعبر البحر من سبتة منتصف المحرم من السنة المذكورة فى جيوش عظيمة تزيد على مائة ألف فارس ، فانتهى الى قرطبة فأقام بها شهرا . ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلايوت ، ففتحها عنوة بالسيف . وفتح من أعمال طليطلة سبعة وعشرين حصنا ، وفتح مجريط (١) ووادى الحجارة ، وانتهى الى طليطلة فحاصرها شهرا وانتسف ما حولها ، وبالغ فى النكاية ، ثم قفل الى قرطبة بعد ان دوخ البلاد .

وفى سنة أربع وخمسمائة فتح الامير سير بن أبى بكر شنترين ، وبطليوس ، ويابورة ، وبرتقال ، واشبونة ، وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس . وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين .

وفى سنة سبع وخمسمائة توفى الامير سير بن أبى بكر باشبيلية ودفن بها ، وولى اشبيلية عوضا منه أبو عبد الله محمد بن فاطمة ، فلم يزل عليها إلى أن توفى سنة عشر وخمسمائة .

وفى سنة سبع المذكورة غزا الامير مزدلى طليطلة وأعمالها ، فدوخها وفتح حصن أرجنة عنوة ، فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية . واتصل الخبر بالبرهانس - كبير الفرنج - فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم ، فصمد القائد مزدلى للقائه ، ففر أمامه ليلا ، وعاد مزدلى الى قرطبة ظافرا غانما .

ثم كانت له فى الفرنج وقائع أخرى ، إلى أن توفى رحمه الله غازيا ببلاد الفرنج سنة ثمان وخمسمائة . فولى أمير المسلمين مكانه على قرطبة ابنه محمد بن مزدلي ، فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر ، ثم توفى شهيدا فى بعض غزواته أيضا .

---

(١) هي المسماة اليوم مادريد دار ملك الاصبنيول . مؤلف

استيلاء العـــدو على سرقسطة

كانت سرقسطة وأعمالها من شرق الاندلس بيد بنى هود الجذاميين ، تغلبوا عليها في صدر المائة الخامسة أيام الطوائف ، وتوارثوها إلى أن كان منهم أحمـد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله ، فزحف إليه ابن رذمير سنة ثلاث وخمسمائة ، فخرج إليه المستعين فالتقوا بظاهر سرقسطة ، فانهزم المسلمون واستشهد منهم جماعـة منهم المستعين بن هود .

ثم لما كانت سنة اثنتى عشرة ـ وصاحب سرقسطة يومئذ عبد الملك بن المستعين بن هود الملقب بعماد الـدولة ـ زحف ابن رذمير إليها فنازلها وزحف الفنش أيضا فى أمم من النصرانية إلى لاَردة من بلاد الجوف فنازلها . واتصل الخبر بأمير المسلمين ، فكتب إلى امراء غرب الاندلس يأمرهم بالمسير إلى أخيه تميم بن يوسف ـ وكان يومئذ واليا على شرق الاندلس ـ فيسيرون معه لاستنقاذ سرقسطة ولاَردة ، فقدم على تميم عبد الله ابن مزدلى وأبو يحيى بن تاشفين ـ صاحب قرطبـة ـ بعساكرهما ، فخرج تميم بن يوسف من بلنسية مـع أمراء الاندلس ، فصمد نحو لاردة ، وكان بينه وبين الفنش قتال عظيم أزعجه عن لاردة خاسئا صاغرا ، بعد ان بـذل جهده فى حصارها ، وأفقد من جيوشه عليها ما يزيد على العشرة آلاف فارس ، ورجع تميم إلى بلنسية .

ولمـا رأى ابن رذمير ذلك بعث إلى طوائف الافرنج يستصرخهم على سرقسطة ، فأتوا فى أمم كالنمل حتى نازلوها معـه وشرعوا فى القتال ، وصنعوا أبراجا من خشب تجرى على بكرات وقربوها منها ، ونصبوا فيها الرعادات ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ، وقوي طمعهم فيها ، فاشتد الحصار واستمر حتى فنيت الاقوات وهلك أكثر الناس جوعا ، فراسل المسلمون الذين بها ابن رذمير على ان يرفع عنهم القتال إلى أجل ، فان لم يأتهم من ينصرهم أخلوا له البـلد وأسلموه اليه ، فعاهدهم على ذلك ، فتم الاجل ولم يأتهم أحـد ، فدفعوا اليه المـدينة وخرجوا إلى مرسية وبلنسية ، وذلك سنة اثنتى عشرة وخمسمائة . وبعد استيلاء النصارى عليها وصل من بر العـدوة جيش فيه عشرة آلاف فـارس بعثه أمير المسلمين لاستنقاذها فوجدوها قد فرغ منها ونفذ حكم الله فيها .

وفى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، تغلب ابن رذمير على بلاد شرق الاندلس ، وملك قلعة أيوب التى ليس فى بلاد شرق الاندلس أمنع منها ، وألح بالغارات على بلاد الجوف ، فاتصلت هذه الاخبار بأمير المسلمين وهو بمراكش ، فجاز إلى الاندلس برسم الجهاد وضبط الثغور ، وهو جوازه الثانى ، فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر ، فوصل بجيوشه الى قرطبة ، ونزل خارجها ، وأتته وفود الاندلس للسلام عليه ، فسألهم عن أحوال بلادهم وثغورهم بلدا بلدا ، فعرفوه بما كان .

وعزل القاضى أبا الوليد بن رشد عن قضاء قرطبة ، وولى مكانه أبا القاسم بن حمدين ويقال انما عزل ابن رشد لانه استعفاه ، وكان قد اشتغل بتأليف البيان والتحصيل .

ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنتمرية ففتحها عنوة ، وسار فى بلاد الفرنج يقتل ويسبى ويقطع الثمار ، ويخرب القرى والديار ، حتى دوخ بلاد غرب الاندلس ، وفر أمامه الفرنج وتحصنوا بالمعاقل المنيعة .

وفى سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد أمير المسلمين إلى بلاد العدوة ، بعد أن ولى أخاه تميم بن يوسف على جميع بلاد الاندلس ، فلم يزل عليها الى أن توفى سنة عشرين وخمسمائة .

ولاية الأمير تاشفين بن على بن يوسف على بلاد الأندلس وأخباره فى الجهاد

لما توفى الامير تميم بن يوسف فى التاريخ المتقدم ولى أمير المسلمين على بلاد الاندلس ابنه تاشفين بن على بن يوسف ، ماعدا الجزائر الشرقية . فانه قد عقد عليها لمحمد بن على المسوفى المعروف بابن غانية ، فعبر الامير تاشفين البحر الى الاندلس فى خمسة آلاف من الجند ، وبعث الى أجناد البلاد فأتوه فخرج بهم غازيا طليطلة ، ففتح بعض حصونها بالسيف وانتسف ما حولها .

وفى السنة المذكورة ، أعنى سنة عشرين وخمسمائة هزم الامير تاشفين النصارى بفحص الصباب وقتلهم قتلا ذريعا ، وفتح ثلاثين حصنا من حصون غرب الاندلس ، وكتب بالفتح الى أبيه .

وفى سنة ثلاثين وخمسمائة هزم الامير تاشفين جموع الفرنج بفحص عطية ، وأفنى منهم خلقا كثيرا بالسيف .

وفى سنة احدى وثلاثين بعدها دخل الامير تاشفين مدينة كركى بالسيف ، فلم يبق بها بشرا .

وفى سنة اثنتين وثلاثين بعدها جاز الامير تاشفين من الاندلس الى المغرب ، بعد ان غزا مدينة أشكونية ففتحها عنوة ، وحمل معه من سبيها الى العدوة ستة آلاف سبية ، فانتهى الى مراكش ، وخرج أمير المسلمين للقائه فى زى عظيم وسرور كبير .

وفى سنة ثلاث وثلاثين بعدها أخذ أمير المسلمين البيعة لولده تاشفين .

وفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة كانت وفاة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين اللمتونى رحمه الله . وذلك لسبع خلون من رجب من السنة المذكورة . قال ابن خلكان : « كان أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين رجلا حليما ، وقورا ، صالحا ، عادلا ، منقادا الى الحق والعلماء ، تجبى اليه الاموال من البلاد ، ولم يزعزعه عن سريرة قط حادث ولا طاف به مكروه » .

قلت قد طاف به فى آخر دولته أعظم مكروه ، وذلك محمد بن تومرت النابغ تحت ابطه بجبال المصامدة كما يأتى خبره ان شاء الله .

الخبر عن دولة أبى المعز تاشفين بن على بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني

لما توفى أمير المسلمين علي بن يوسف فى التاريخ المتقدم ولى بعده ابنه أبو المعز تاشفين بن علي بعهد من أبيه إليه ، وأخذ بطاعته وبيعته أهل العدوتين معا كما كانوا فى عهد أبيه .

وكان أمر عبد المؤمن بن على يومئذ قد استفحل بتينملل وسائر بلاد المصامدة أهل جبل درن . قال ابن الخطيب : « كان تاشفين بن على قد استخلفه أبوه على بلاد الاندلس ، ثم استقدمه لمدافعة أصحاب محمد بن تومرت مهدى الموحدين ، فلم ينجح أمره ، بخلاف ما عوده الله في بلاد الاندلس من النصر ، لما قضاه الله من الادبار على دولتهم » .

ولما خرج عبد المؤمن بن على من تينملل يريد فتح بلاد المغرب - وكان مسيره على طريق الجبال - سير أمير المسلمين علي بن يوسف ابنه تاشفين المذكور معارضا له على طريق السهل ، وأقاموا على ذلك مدة توفى أمير المسلمين على بن يوسف فى أثنائها ، وأفضى الامر الى ابنه تاشفين وهو فى الحرب .

وقدم أهل مراكش اسحق بن على بن يوسف نائبا عن أخيه تاشفين بمراكش وأعمالها ، ومضى تاشفين بعد البيعة له متبعا لعبد المؤمن حتى انتهيا الى تلمسان ، فنزل عبد المؤمن بكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيطرى المطل عليها ، ونزل تاشفين بالبسيط مما يلي الصفصاف ، ووصله هناك مدد صنهاجة ، من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية ، مع قائده طاهر بن كباب ، لعصبية الصنهاجية . وفى يوم وصوله أشرف على عسكر الموحدين ، وكان يدل بإقدام وشجاعة . فقال لجيش لمتونة : « إنما جئتكم لاخلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومى ! » فامتعض تاشفين لكلمته وأذن له فى المناجزة ، فحمل على القوم فركبوا وصمموا للقائه ، فكان آخر العهد به وبعسكره . وكان الموحدون قد قتلوا قبل ذلك الروبرتير قائد تاشفين على الروم ، وقتلوا عسكره فى بعض الغارات ، ثم فتكوا بعسكر ثالث من عساكر تاشفين ، ونالوا

منه أعظم النيل .

وفى القرطاس : «زحف المرابطون لقتال الموحدين فنهاهم تاشفين فلم ينتهوا ، وتعلقوا فى الجبل لقتالهم ، فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة شنعاء » .

ولما توالت هذه الوقائع على تاشفين أجمع الرحلة الى وهران . فبعث ابنه ابراهيم ولى عهده الى مراكش فى جماعة من لمتونة ، وبعث كاتبا معه أحمد بن عطية ، ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فأقام عليها شهرا ينتظر قائد أسطوله محمد بن ميمون ، الى ان وصل اليه من المرية بعشرة أساطيل ، فأرسى قريبا من معسكره ، وزحف عبد المؤمن من تلمسان ، وبعث فى مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى ، فقدموا وهران،وفضوا جموع المرابطين الذين بها . ولجأ تاشفين الى رابية هناك،فأحدقوا بها وأضرموا النيران حولها ، حتى إذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه ، فتردى من بعض حافات الجبل ، وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . ونجا فل العسكر الى وهران ، فانحصروا مع أهلها ، حتى جهدهم العطش ، ونزلوا جميعا على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة ، فأتى عليهم القتل رحمهم الله !

وقال فى القرطاس : « ان تاشفين بن على خرج ذات ليلة - وهو بوهران - ليضرب فى محلة الموحدين، فتكاثرت عليه الخيل والرجل ، ففر أمامهم ، وكان بجبل عال مشرف على البحر ، فظن ان الارض متصلة به ، فأهوى من شاهق بإزاء رابطة وهران ، فمات رحمه الله . وكان ذلك فى ليلة مظلمة ممطرة وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة آنفا . فوجد من الغد بازاء البحر ميتا ، فاحتز رأسه وحمل الى تينملل ، فعلق على شجرة هناك . وذلك بعد ملازمة الحرب مع الموحدين فى البيداء ، لم يأو الى ظل قط من يوم بويع إلى أن مات . وكانت مدة ولايته سنتين وشهرا ونصف شهر » .

وقال ابن خلكان : لما تيقن تاشفين بن علي أن دولتهم ستزول أتى مدينة وهران - وهى على البحر - وقصد أن يجعلها مقره ، فإن غلب على الامر ركب منها إلى الاندلس . وكان فى ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب ، وبأعلاها رباط يأوى اليه المتعبدون . وفى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم فى جماعة يسيرة من خواصه ، وكان عبد المؤمن بجمعه فى تاكرارت وهى وطنه . واتفق انه أرسل منسرا من الخيل الى وهران ، فوصلوها فى اليوم السادس والعشرين من رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى — صاحب المهدى — فكمنوا عشية ، وأعلموا بانفراد تاشفين فى ذلك الرباط ، فقصدوه وأحاطوا به وأحرقوا بابه ، فأيقن الذين فيه بالهلاك ، فخرج راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثب الفرس النار وينجو ، فترامى الفرس نازيا لروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف هنالك الى جهة البحر على حجارة فى محل وعر ، فتكسر الفرس وهلك تاشفين فى الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه ، وكان عسكره فى ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى فى ذلك الليل . وجاء الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران . وسمى ذلك الموضع الذى فيه الرباط صلب الفتح . ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى السهل . ثم توجه الى تلمسان ، وهى مدينتان قديمة وحادثة بينهما شوط فرس ، ثم توجه الى فاس فحاصرها واستولى عليها سنة أربعين وخمسمائة . ثم قصد مراكش سنة احدى وأربعين بعدها فحاصرها أحد عشر شهرا وفيها اسحق بن على بن يوسف بن تاشفين وجماعة من مشايخ دولتهم . فقدموه بعد موت أبيه على بن يوسف نائبا عن أخيه تاشفين ، فاستولى عليها وقد بلغ القحط من أهلها كل مبلغ . وأخرج اليه اسحق بن على ومعه سير بن الحاج - وكان من الشجعان ومن خواص دولتهم - وكانا مكتوفين ، واسحق دون بلوغ ، فعزم عبد المؤمن أن يعفو عن اسحق لصغر سنه ، فلم يوافقه خواصه وكان لا يخالفهم ، فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما . ثم نزل عبد المؤمن القصر وذلك سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة » .

وقال ابن خلدون : « أقام الموحدون على مراكش تسعة أشهر ، وأمير الملثمين يومئذ اسحق بن على بن يوسف ، بايعوه صبيا صغيرا عند بلوغ خبر أخيه ، ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين ، فانهزموا وتتبعهم الموحدون بالقتل واقتحموا عليهم المدينة فى أخريات شوال سنة احدى وأربعين وخمسمائة . وقتل عامة الملثمين ، ونجا اسحق فى جملته وأعيان قومه الى القصبة حتى نزلوا على حكم الموحدين

وأحضر اسحق بين يدى عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم ، وتولى كبر ذلك أبو حفص عمر بن واكاك منهم وانمحى أثر الملثمين ، واستولى الموحدون على جميع البلاد والله غالب على أمره » .

قال ابن جنون : كانت لمتونة أهل ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب ، ملكوا بالاندلس من بلاد الافرنج الى البحر الغربى المحيط ، ومن بلاد العدوة من مدينة بجاية الى جبل الذهب من بلاد السودان ، وخطب لهم على أزيد من ألفى منبر بالتثنية . وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناهى القمح فى أيامهم الى ان بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، وبيعت الثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال ، والقطانى لا تباع ولا تشترى ، وكان ذلك مصحوبا بطول أيامهم . ولم يكن فى عمل من أعمالهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ، ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر . وكثرت الخيرات فى دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ، ولم يكن فى أيامهم نفاق ولا قطاع طريق ، ولا من يقوم عليهم ، وأحبهم الناس الى ان خرج عليهم محمد بن تومرت مهدى الموحدين سنة خمس عشرة وخمسمائة » .

وأما الاحداث الواقعة فى أيامهم ففى شهر ذى الحجة من سنة سبع وستين وأربعمائة ظهر النجم المعكف بالمغرب .

وفى سنة احدى وسبعين وأربعمائة كسفت الشمس الكسوف الكلى الذى لم يعهد قبله مثله ، وكان ذلك يوم الاثنين عند الزوال فى اليوم الثامن والعشرين من الشهر .

وفى سنة اثنتين وسبعين بعدها كانت الزلزلة العظيمة التى لم ير الناس مثلها بالمغرب ، انهدمت منها الابنية ، ووقعت الصوامع والمنارات ، ومات فيها خلق كثير تحت الهدم . ولم تزل الزلزلة تتعاقب فى كل يوم وليلة من أول يوم من ربيع الاول الى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

وفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ولد الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن أصبغ المعروف بابن المناصف صاحب الارجوزة .

وفى سنة سبع وتسعين وأربعمائة توفى الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن الطلاع .

وفى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة توفى أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف

المعروف بابن النحوى بقلعة حماد ، صحب أبا الحسن اللخمى وغيره من المشايخ ، وكان أبو الفضل من أهل العلم والدين على هدى السلف الصالح وكان مجاب الدعوة . ولما أفتى فقهاء المغرب باحراق كتب الشيخ أبى حامد الغزالى رضى الله عنه ، وأمر أمير المسلمين على بن يوسف بحرقها انتصر أبو الفضل هذا لابى حامد رحمه الله ، وكتب الى أمير المسلمين فى ذلك . وحدث صاحب التشوف ـ وهو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى المراكشى الدار عرف بابن الزيات ـ بسنده عن أبى الحسن على بن حرزهم قال : لما وصل الى فاس كتاب أمير المسلمين على بن يوسف بالتحريج على كتاب الاحياء ، وأن يحلف الناس بالأيمان المغلظة ان كتاب الاحياء ليس عندهم ذهبت الى أبى الفضل أستفتيه فى تلك الأيمان فأفتانى بانها لا تلزم ! وكانت الى جنبه أسفار ، فقال لى : « هذه الاسفار من كتاب الاحياء . ووددت انى لم أنظر فى عمرى سواها ! » وكان أبو الفضل قد انتسخ كتاب الاحياء فى ثلاثين جزءا فاذا دخل شهر رمضان قرأ فى كل يوم جزءا . ومناقبه كثيرة رحمه الله .

قلت : لم يقع فى دولة المرابطين أشنع من هذه النازلة وهى : احراق كتاب الاحياء فإنه لما وصلت نسخه الى بلاد المغرب تصفحها جماعة من فقهائه ، منهم القاضى أبو القاسم بن حمدين . فانتقدوا فيها أشياء على الشيخ أبى حامد رضى الله عنه ، وأعلموا السلطان بامرها ، وأفتوه بانها يجب احراقها ، ولا تجوز قراءتها بحال .

وكان على بن يوسف واقفا ـ كأبيه ـ عند اشارة الفقهاء وأهل العلم ، قد رد جميع الاحكام اليهم ، فلما أفتوه باحراق كتاب الاحياء كتب الى أهل مملكته فى سائر الامصار والاقطار بان يبحث عن نسخ الاحياء بحثا أكيدا ، ويحرق ما عثر عليه منها ، فجمع من نسخها عدد كثير ببلاد الاندلس ، ووضعت بصحن جامع قرطبة وصب عليها الزيت ثم أوقد عليها بالنار ! وكذا فعل بما ألفى من نسخها بمراكش ، وتوالى الاحراق عليها فى سائر بلاد المغرب ! ويقال إن ذلك كان فى حياة الشيخ أبى حامد رحمه الله وانه دعا بسبب ذلك على المرابطين أن يمزق ملكهم ، فاستجيب له فيهم ! فان كان كذلك فتاريخ الاحراق يكون فيما بين الخمسمائة (١) والخمس بعدها ، لان بيعة على بن

(١) وهو كذلك كما فى المعيار ذكر أنه فى سنة اثنتين أو ثلاث مؤلف

يوسف كانت على رأس الخمسمائة ، ووفاة الشيخ أبى حامد الغزالى رضى الله عنه كانت يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة .

وفى سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفى الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجى المعروف بابن العريف كان متناهيا فى الفضل والدين والزهد فى الدنيا . منقطعا الى الخير . يقصده الناس ويألفونه فيحمدون صحبته . وسعى به الى أمير المسلمين على بن يوسف فأمر باشخاصه الى حضرة مراكش . فوصلها وتوفى بها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر من السنة المذكورة . واحتفل الناس لجنازته ، وندم أمير المسلمين على ما كان منه له فى حياته . وظهرت له كرامات رحمه الله ، ودفن بقرب الجامع القديم الذى بوسط مراكش فى روضة القاضى موسى بن أحمد الصنهاجى .

قلت : وقبره الآن مشهور بسوق العطارين من مراكش عليه بناء حفيل .

وفى هذه السنة أيضا أعنى سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفى أبو الحكم بن برّجان . قال ابن خلكان : « هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمى عرف بابن برجان بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها جيم وبعد الالف نون ، وكان عبدا صالحا وله تفسير القرآن الكريم . وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الاحوال والمقامات » اهـ .

وقال فى التشوف : « لما أشخص أبو الحكم بن برجان (١) من قرطبة الى حضرة مراكش وكان فقهاء العصر انتقدوا عليه مسائل قال أبو الحكم : « والله لاعشت ولا عاش الذى أشخصنى بعد موتى!» يعنى أمير المسلمين على بن يوسف ، فمات أبو الحكم فأمر أمير المسلمين أن يطرح على المزبلة ولا يصلى عليه ، وقلد فيه من تكلم فيه من الفقهاء .

وكان أبو الحسن على بن حرزهم يومئذ بمراكش ، فدخل عليه رجل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه ، فأخبره بما أمر به السلطان فى شأن أبى الحكم . فقال له أبو الحسن :

---

(١) أنظر السبب فى تغريب هذين الزاهدين من المرية إلى مراكش فى كتاب اعمال الاعلام لابن الخطيب صفحة ٢٨٥ ، وفى المعجب للمراكشى صفحة ١٣٦ ، وفى لسان الميزان لابن حجر صفحة ٢٤٧ الجزء الاول .

« ان كنت تبيع نفسك من الله فافعل ما أقول لك » فقال له : « مرنى بما شئت أفعله ! » فقال له : « تنادى فى طرق مراكش وأسواقها : يقول لكم ابن حرزهم احضروا جنازة الشيخ الفقيه الصالح الزاهد أبى الحكم بن برجان ، ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله » ففعل ما أمره ، فبلغ ذلك أمير المسلمين ، فقال « من عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله ! » .

قال ابن عبد الملك فى كتاب الذيل والتكملة : « أبو الحكم بن برجان مدفون بمراكش برحبة الحناطة منها » . قال : « وهو الذى تقول له العامة سيدى أبو الرجال » .

وكان الشيخ أبو ينور المشترائى موجودا فى هذه المدة ، إلّا انى لم أقف على تاريخ وفاته . قال فى التشوف : « هو أبو ينور عبد الله بن واكريس الدكالى من مشترايـة من أشياخ أبى شعيب أيوب الساريـة ، كبير الشأن من أهل الزهد والورع . حدثوا عنه انه مات أخوه فتزوج امرأتـه فقدمت اليه طعاما يأكله فوقع فى نفسه ان فيه نصيب الايتام الذين هم أولاد أخيه فأمسك عنه وبات طاويا . وجاءه رجل من أشياخ مشترايـة فقال له : « ان عامل على بن يوسف تهددنى بالقتـل والصلب وقد خرج من مراكش متوجها الى دكالة » فقال له أبو ينور : « ردّه الله عنك » فسار الى ان بقى بينه وبين قرية يليسكاون ـ وهى التى تسميها العامة بوسكاون ـ نصف يوم ، فأصاب العامل وجع قضى عليه من حينه » .

وفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ثار القاضى أبو القاسم بن حمدين بقرطبة مـع العامة على المرابطين فقتلهم ، والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

الـــدولة الموحدية

الخبر عن دولـــة الموحدين من المصامدة

وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدى

قال ابن خلدون : « كان للمصامدة فى صدر الاسلام بجبال درن عـدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لاخوانهم بورغواطة في نحلة كفرهم ، وكان منهم قبل الاسلام ملوك وأمراء ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وفتن سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدى وقيامهم بدعوته . فـكانت لهم دولة عظيمة أدالت من لمتونة بالعدوتين ، ومن صنهاجة بافريقية ، حسبما هو مشهور ويأتى ذكره ان شاء الله تعالى . قال : « وأصل المهدى من هرغة من بطون المصامـدة يسمى أبوه عبد الله وتومرت ، وكان يلقب فى صغره أيضا أمغار ، وزعم كثير من المؤرخـين أن نسبه فى أهل البيت ، فبعضهم ينسبه الى سليمان ابن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب ، وبعضهم ينسبه الى العباس بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، والله أعلم بحقيقة الامر » .

وكان أهل بيته أهل نسك ورباط ، وكانت ولادته على ما عند ابن خلكان يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وشب المهـدى قارئا محبا للعلم . ثم ارتحل فى طلبه الى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومر بالاندلس ودخـل قرطبة وهى يومئذ دار علم . ثم لحق بالاسكندرية وحج ودخل العراق ولقى به جملة من العلماء وفحول النظار وأفاد علما واسعا .

وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده . ولقى أبا حامد الغزالى وفاوضه بذات صدره فى ذلك فأرادة عليه .

قال ابن خلكان : « اجتمع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي ، والكيا الهراسي ، والطرطوشي وغيرهم ، وحج وأقام بمكة مدة مديدة ، وحصل قدرا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين . وكان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشنا مخلولقا ، كثير الاطراق ، بساما في وجوه الناس ، مقبلا على العبادة ، لا يصحبه من متاع الدنيا إلّا عصا وركوة . وكان شجاعا فصيحا في لساني العرب والبربر ، شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع ، لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره ، وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك ، متحملا للاذى من الناس بسببه . وناله بمكة ـ شرفها الله ـ شيء من المكروه من أجل ذلك ، فخرج منها الى مصر ، وبالغ في الانكار فزادوا في أذاه وطردته الدولة . وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط في كلامه ، فينسب الى الجنون . فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده .

وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين ، فلما ركب السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة ، وألزمهم اقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ، ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهدية من أرض افريقية ، وكان ملكها يومئذ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وذلك في سنة خمس وخمسمائة . هكذا ذكره ابن أخيه أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم الصنهاجي في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان . وقيل ان ارتحال محمد بن تومرت عن بلاد المشرق كان سنة عشر وخمسمائة . واجتيازه بمصر كان سنة احدى عشرة بعدها والله أعلم بالصواب .

ولما انتهى إلى المهدية نزل بمسجد مغلق وهو على الطريق ، وجلس في طاق شارع إلى المحجة ينظر إلى المارة ، فلا يرى منكرا من آلة الملاهي أو أواني الخمر إلّا نزل اليها وكسرها ، فتسامع الناس به في البلد فجاءوا اليه وقرأوا عليه كتبا من أصول الدين ، فبلغ خبره الأمير يحيى ، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء . فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء ، فقال له : « أصلحك الله لرعيتك » . ولم يقم بعد ذلك بالمهدية إلّا أياما يسيرة ، ثم انتقل إلى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله في الانكار

فأخرج منها الى بعض قراها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن على القيسى الكؤمى.

وقال ابن خلدون : انطوى المهدى راجعا الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين ، وكان قد لقى بالمشرق أيمة الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم ، واستحسن طريقهم فى الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة فى صدر أهل البدعة ، وذهب الى رأيهم فى تأويل المتشابه من الآى والاحاديث بعد ان كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم فى التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف فى ترك التأويل واقرار المتشابهات كما جاءت . فبصر المهدى أهل المغرب فى ذلك ، وحملهم على القول بالتأويل والاخذ بمذاهب الاشعرية فى كافة العقائد وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم ، وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد .

وكان من رأيه القول بعصمة الامام علي على رأي الإمامية من الشيعة ، ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة سواها ! واحتل بطرابلس الغرب معتنيا بمذهبه ذلك مظهرا للنكير على علماء المغرب في عدولهم عنه . آخذا نفسه بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع ، حتى لقى بسبب ذلك اذايات في نفسه احتسبها من صالح عمله .

ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة وكان من المقترفين ، فأغلظ له ولأتباعه بالنكير ، وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات في الطرق ، فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وائتمروا به ، فخرج منها خائفا يترقب ، ولحق بملالة على فرسخ منها ، وبها يومئذ بنو وريا كل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه وأجاروه ، وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه إليه فأبوا واسخطوه ، وأقام بينهم يدرس العلم أياما وكان يجلس إذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة ، وهناك لقيه كبير أصحابه عبد المؤمن بن علي حاجا مع عمه ، فأعجب بعلمه وصرف عزمه إليه فاختص به وشمر للاخذ عنه .

وفى كتاب المعرب عن سيرة ملوك المغرب : ان المهدى كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت ـ يقال انه عثر عليه عند الشيخ أبى حامد الغزالى رضى الله عنه ـ وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس ، وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو إلى الله ، يكون مقامه ومدفنه بموضع

من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت ى ن م ل ل ، ورأى فيه أيضا - ان استقامة ذلك الامر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن (١) ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة ، فأوقع الله سبحانه فى نفسه انه القائم بهذا الامر وأن أوانه قد أزف ، فما كان محمد يمر بموضع إلّا ويسأل عنه ، ولا يرى أحدا إلّا أخذ اسمه وتفقد حليته .

وكانت حلية عبد المؤمن معه ، فبينما هو فى الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التى معه فقال له محمد بن تومرت - وقد تجاوزه - : « ما اسمك ياشاب ؟ » فقال : « عبد المؤمن » فرجع إليه وقال له : « الله أكبر ! أنت بغيتى » ! ونظر فى حليته فوافقت ماعنده ، فقال له : « من أين أقبلت ؟ » قال : « من كومية » قال : « أين مقصدك ؟ » فقال : « المشرق » قال : « ما تبغي ؟ » قال : « علما وشرفا » قال : « قد وجدت علما وشرفا وذكرا ! اصحبنى تنله ! » فوافقه على ذلك ، فألقى محمد إليه بأمره وأودعه سره .

قال ابن خلدون : « وارتحل المهدى إلى المغرب - وعبد المؤمن فى جملته - ولحق بوانشريس . فصحبه منها أبو محمد عبد الله الوانشريسي المعروف بالبشير » .

وقال ابن خلكان : « وكان جميلا فصيحا فى لغتي العرب والبربر ، ففاوضه المهدى فيما عزم عليه من القيام ، فوافقه على ذلك أتم موافقة . وكان البشير ممن تهذب وقرأ فقها ، فتذاكرا يوما فى كيفية الوصول إلى المطلوب ، فقال المهدى للبشير : « أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس ، وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعرى عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس ، لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سبيلا إلى المطلوب ! ويقوم لنا ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه فنصدق فيما نقول » ففعل البشير ذلك .

ثم لحق المهدى بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فاحضره القاضى بها - وهو ابن

---

(١) راجع فى كتاب اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين لأبي بكر الصنهاجي المطبوع بباريس على يد الاستاذ ليفي بروفانسال طبع كوتنير سنة ١٩٢٨ م ، كيفية اتصال عبد المومن بالمهدى فقد بسط الكلام فى ذلك . صفحة ٥٥ من النص العربى وما بعدها

صاحب الصلاة – ووبخه على منتحله ذلك وعلى خلافه لاهل قطره ، وظن القاضى ان من العدل نزعه عن ذلك ، فصم عن قوله واستمر على طريقه إلى فاس ، فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يدرس العلم إلى سنة أربع عشرة وخمسمائة . ثم انتقل إلى مكناسة فنهى بها عن بعض المنكرات ، فثار إليه الغوغاء وأوجعوه ضربا . ثم لحق بمراكش وأقام بها آخذا فى شأنه . ولقى بها أمير المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له في القول . ولقى ذات يوم أخت أمير المسلمين حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين فى زى نسائهم فوبخها ودخلت على أخيها باكية لما نالها من تقريعه ، ففاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل إليه من سيرته ، وكانوا قد ملئوا منه حسدا وحفيظة لما كان ينتحل من مذهب الاشعرية في تأويل المتشابه ، وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في اقراره كما جاء ، ويرى ان الجمهور لقنوه تجسيما ، ويذهب إلى تكفيرهم بذلك على أحد قولي الاشعرية في التكفير ، فأغروا الامير به فأحضره للمناظرة معهم ، فكان له الفلج والظهور عليهم .

وقال ابن خلكان : كان محمد المهدى قد استدنى أشخاصا من أهل المغرب جلادا فى القوى الجسمانية أغمارا . وكان أميل الى الاغمار من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة نفر سوى أبى محمد البشير . ثم انه رحل الى أقصى المغرب ، وتوجه فى أصحابه الى مراكش – وملكها يومئذ أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين – وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا ، وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب (١) الاندلسى وكان عالما صالحا – زاد ابن خلدون عارفا بالنجوم – فشرع محمد المهدى فى الانكار على جرى عادته حتى أنكر على ابنة الملك ، فبلغ خبره الملك ، وأنه يتحدث فى تغيير الدولة ، فتحدث مع مالك بن وهيب فى أمره ، فقال مالك ابن وهيب : « نخاف من فتح باب يعسر علينا سده ، والرأى ان تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور

---

(١) راجع ما قاله المقرى فيه فى نفح الطيب ج ٢ ص ٩٢٥ . وما ذكره أبو بكر الصنهاجي البيدن في كتابه اخبار المهدى وابتداء دولة الموحدين المطبوع بباريس سنة ١٩٢٨ م صفحة ٦٨ وما بعدها من النص العربى .

جماعة من علماء البلاد »، فأجاب الملك إلى ذلك .

وكان المهدى وأصحابه مقيمين فى مسجد خراب خارج البلد ، فطلبوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده : « سلوا هذا الرجل ما يبغى منا » فانتدب له قاضى المرية ـ واسمه محمد بن اسود ـ فقال : « ما هـذا الذى يذكر عنك من الاقوال فى حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق الموثر طاعة الله تعالى على هواه ؟ » فقال له المهدى : « أما ما نقل عنى فقد قلته ولى من ورائه أقوال ! وأما قولك انه يوثر طاعة الله على هواه وينقاد إلى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتجربه عن هذه الصفة انـه مغرور بما تقولون له وتضرونه به مع علمكم ان الحجة متوجهة عليه . فهل بلغك ياقاضى ان الخمر تباع جهارا ! وتمشى الخنازير بين المسلمين ! وتؤخذ أموال اليتامى ؟ » وعدد من ذلك شيأ كثيرا . فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ، ففهم الحاضرون من فحوى كلامه انه طامع فى المملكة لنفسه .

ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لقوله لم يتكلم أحد منهم . فقال مالك بن وهيب ـ وكان كثير الاجتراء على الملك ـ : « أيها الملك إن عندى لنصيحة إن قبلتها حمدت عاقبتها وإن تركتها لم تأمن غائلتها » فقال الملك : « ما هي ؟ » فقال : « إني أخاف عليك من هذا الرجل وأرى ان تعتقله وأصحابـه وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكفى شره ! وإن لم تفعل فلتنفقن عليه خزائنك كلها ، ثم لا ينفعك ذلك! » فوافقه الملك على رأيه ، فقال له وزيره : « يقبح بك أن تبكى من موعظة رجل ثم تسىء اليه فى مجلس واحد ! وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملـكك وهو رجل فقير لايملك سدّ جوعته ! » فلما سمع الملك كلامه أخـذته عزة النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء .

وقال ابن خلدون : كان مالك بن وهيب حزاء ينظر فى النجوم ، وكان الكهان يتحدثون بأن ملكا كائن بالمغرب فى أمة من البربر ، ويتغير فيه شكل السمكة لقران بين الكوكبين العلويين من السيارة يقتضى ذلك ، فقال مالك بن وهيب : « احتفظوا بالدولة من الرجل فانه صاحب القران والدرهم المربع » . فطلبه على بن يوسف ففقده ، وسرح الخيالة فى طلبه ففاتهم .

وحكى صاحب المعرب : « ان المهدى لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه

تلقاء وجهه إلى أن فارقه فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك اذ لم توله ظهرك ! فقال : « أردت أن لا يفارق وجهى الباطل حتى أغيره ما استطعت » اهـ كلامه .

فلما خرج المهدى وأصحابه من عند الملك قال لهم : « لا مقام لكم هنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فما نأمن أن يعاود الملك فى أمرنا فينالنا منه مكروه ، وان لنا بمدينة أغمات أخا فى الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا » واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من فقهاء المصامدة . فخرجوا اليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم مع الملك . فقال عبد الحق : « هذا الموضع لا يحميكم ، وان أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تينملل وبيننا وبينها مسافة يوم فى هذا الجبل . فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم » فلما سمع المهدى بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذى رآه فى كتاب الجفر فقصده مع أصحابه .

وقال ابن خلدون « لما لحق المهدى باغمات غير المنكرات على عادته ، فأغرى به أهل أغمات على بن يوسف وطيروا اليه بخبره . فخرج منها هو وتلامذته الذين كانوا معه فى صحبته ، فلحق أولا بمسفيوة ثم بهنتاتة . ولقيه بها الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى - جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وافريقية - . ثم ارتحل المهدى عنهم إلى هرغة فنزل على قومه ، وذلك سنة خمس عشر وخمسمائة وبنى رابطة للعباد ، فاجتمع عليه الطلبة من القبائل ، وأخذ يعلمهم المرشدة له فى التوحيد باللسان البربرى وشاع أمره .

ثم داخل عامل لمتونة على السوس اناسا من هرغة فى قتله ، ونذر بهم اخوانهم ، فنقلوا المهدى الى معقل من أشياعهم ، وقتلوا من داخل فى أمره ، ودعوا المصامدة الى مبايعته على التوحيد ، وقتال المجسمة دونه ، سنة خمس عشرة وخمسمائة . فتقدم اليها رجالاتهم من العشرة وغيرهم ، وكان فيهم من هنتاتة أبو حفص عمر بن يحيى ، وأبو يحيى بن يكيت ، ويوسف بن وانودين ، وابن يغمور ، ومن تينملل أبو حفص عمر بن علي الصناكى ، ومحمد بن سليمان ، وعمر بن تافراكين ، وغيرهم . وأوعبت قبيلة هرغة فدخلوا فى أمره كلهم ، ثم دخل معهم كدميوة وكنفيسة .

ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدى ، وكان قبلها يلقب بالامام ، وكان يسمي أصحابه الطلبة ،

وأهل دعوته الموحدين تعريضا بلمتونة فى أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم الى التجسيم .

ولما تم له من أصحابه خمسون سماهم آيت الخمسين . ثم زحف اليهم عامل لمتونة على السوس — وهم بمكانهم من هرغة — فاستجاشوا اخوانهم من هنتاتة وتينملل ، فاجتمعوا إليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة ، فكانت تلك باكورة الفتح ، وكان المهدى يعدهم بذلك فاستبصروا فى أمره ، وتسابقت كافتهم إلى الدخول فى دعوته ، وترددت إليهم عساكر لمتونة مرة بعد أخرى ففضوهم ، وانتقل لثلاث سنين من بيعته إلى جبل تينملل فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وحوالى منبع وادى نفيس ، وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا له . هذا كلام ابن خلدون فى سياقه هذا الخبر جئنا به مختصرا .

واقتضى كلام ابن خلكان أن ظهور المهدى ومبايعته لم تكن إلّا بتينملل ، فإنه قال عقب ما سبق له من ان الفقيه عبد الحق بن ابراهيم المصمودى أشار على المهدي بالمسير إلى تينملل ، وان المهدي لما سمع هذا الاسم تجدد له ذكر فيه فقصده مع أصحابه ، فلما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلموا أنهم طلاب علم ، فقاموا إليهم وأكرموهم ، وتلقوهم بالترحاب ، وأنزلوهم فى أكرم منازلهم . وسأل أمير المسلمين عنهم بعد خروجهم من مجلسه ، فقيل له : إنهم سافروا ، فسره ذلك وقال : « تخلصنا من الاثم بحبسهم! » . ثم إن أهل الجبل تسامعوا بوصول المهدى إليهم ، وكان قد سار فيهم ذكره فجاءوه من كل فج عميق ، وتبركوا بزيارته . وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما فى نفسه من الخروج على السلطان ، فإن أجابه أضافه إلى خواصه ، وإن خالفه أعرض عنه . وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة ! وكان ذوو الحنكة والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ، ويخوفونهم سطوة السلطان ، فكان لا يتم له مع ذلك أمر . وطالت المدة وخاف المهدي من مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل ، وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم إلى اسلامه إليه والتخلي عنه ، فشرع فى اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه ، فرأى بعض أولاد القوم شقرا زرقا وألوان آبائهم السمرة والكحل ! فسألهم عن سبب ذلك ، فلم يجيبوه ، فألزمهم الاجابة ، فقالوا : « نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج ، وفى كل سنة تصعد مماليكه إلينا وينزلون فى بيوتنا ويخرجوننا عنها ، ويختلون بمن فيها

من النساء . فتأتى اولادنا على هذه الصفة ! وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا » فقال المهدي : « والله إن الموت خير من هذه الحياة ، و كيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف و أطعنهم بالرمح ؟ » فقالوا : « بالرغم لا بالرضا » فقال : « أرأيتم لو أن ناصرا نصركم على اعدائكم ما كنتم تصنعون ؟ » قالوا : « كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت » ثم قالوا : « ومن هو ؟ » قال : « ضيفكم ! » يعنى نفسه . فقالوا : « السمع والطاعة » وكانوا يغالون فى تعظيمه ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق ، واطمأن قلبه ، ثم قال لهم : « استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح ، فإذا جاءوكم فأجروهم على عادتهم ، وخلوا بينهم وبين النساء ، وميلوا عليهم بالخمور ، فإذا سكروا فآذنونى بهم ! »

فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدى — وكان ذلك ليلا — أعلموه بذلك ، فأمر بقتلهم كلهم ، فلم يمض من الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم . ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد — كان خارج المنازل لحاجة له — فسمع التكبير عليهم والايقاع بهم ، فهرب على غير الطريق حتى خلص من الجبل . ولحق بمراكش فأخبر الملك بما جرى ، فندم على فوات محمد بن تومرت من يده ، وعلم ان الحزم كان مع مالك ابن وهيب فيما أشار به ، فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادى تينملل ، فإنه ضيق المسلك .

وعلم المهدى انه لابد من عسكر يصل اليهم ، فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادى ومراصده ، واستنجد لهم بعض المجاورين ، فلما وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبى الوادى مثل المطر ، وكان ذلك من أول النهار إلى آخره ، وحال بينهم الليل ، فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم ، فعلم انه لاطاقة له بأهل الجبل لتحصنهم ، فأعرض عنهم .

وتحقق المهدى ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل ، فعند ذلك استدعى أبا محمد البشير وقال له : « هذا أوان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة ! لنستميل بذلك قلوب من لم يدخل فى الطاعة » . ثم اتفقا على أنه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح — بعد استعمال العجمة واللكنة فى تلك المدة — : « انى رأيت البارحة فى منامى أنه نزل الىّ ملكان من السماء وشقا فؤادى وغسلاه وحشواه علما وحكمة

وقرآنا ! » فلما أصبح فعل ذلك - وهو فصل يطول شرحه - فانقاد له كل صعب القياد ، وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم ، فقال له محمد بن تومرت : « فعجل لنا بالبشرى فى أنفسنا ، وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء » فقال له : « أما أنت فانك المهدى القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك » ثم قال : « اعرض أصحابك علي حتى أميز أهل الجنة من أهل النار » وعمل فى ذلك حيلة قتل بها كل من خالف أمر محمد بن تومرت ، وأبقى من أطاعه . وشرح ذلك يطول .

وكان غرضه ان لا يبقى فى الجبل مخالفا لهم ، فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت ان فى الباقين من له أهل وعشيرة قتلوا وانهم لا تطيب نفوسهم بذلك ، فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم واغتنام أموالهم ، فسرهم ذلك وسلاهم عن اهلهم . وبالجملة فإن تفصيل هذه الواقعة طويل ولسنا بصدد ذلك .

وخلاصة الامر : ان محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجاله عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وفيهم عبد المؤمن بن على ، وأبو محمد البشير وأصحابه كلهم وأقام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش وأقاموا عليها شهرا . ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم منهم من القتل .

وكان فيمن سلم عبد المؤمن ، وقتل البشير وبلغ الخبر المهدي - وهو بالجبل - وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه اليه ، فأوصى من حضر ان يبلغ الغائبين : « ان النصر لهم ، وان العاقبة حميدة ، فلا يضجروا وليعاودوا القتال . فان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم ، وان الحرب سجال ، وانكم ستقوون ويضعفون ، ويقلون وتكثرون ، وأنتم فى مبدإ أمر وهم فى آخره » وأشباه هذه الوصايا وهى وصية طويلة اهـ كلام ابن خلكان .

وقال ابن خلدون : لما كان شأن أبى محمد البشير وميز الموحد من المنافق اعتزم المهدى على غزو لمتونة ، فجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكبكب ، وهزمهم الموحدون واتبعوهم الى أغمات فلقيتهم هنالك زحوف لمتونة مع أبى بكر بن على بن يوسف وابراهيم بن تاعماشت . فهزمهم الموحدون وقتل ابراهيم وجنده ، واتبعوهم الى مراكش فنزلوا البحيرة فى زهاء أربعين ألفا كلهم راجل إلّا أربعمائة فارس . واحتفل

على بن يوسف فى الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم : خرج عليهم من باب آيلان فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وسبيا . وفقد البشير واستحر القتل فى هيلانة ، وأبلى عبد المؤمن فى ذلك اليوم أحسن البلاء . وقيل للمهدى : « ان الموحدين قد هلكوا » فقال لهم : « ما فعل عبد المؤمن ؟ » قالوا : « هو على جواده الادهم قد أحسن البلاء » فقال : « ما بقى عبد المؤمن فلم يهلك أحد » !

وقال ابن الخطيب فى رقم الحلل : كانت وقعة البحيرة بأحواز مراكش قد استأصلت معظم أصحاب المهدى وكادت تأتى عليهم ، ومع ذلك فلم تضع منه ولا وهنت صبره . وكان يقول : « مثل هذا الامر كالفجر يتقدمه الفجر الكاذب وبعده ينبلج الصبح ويستعلى الضوء » ويأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التى ينالون من فىء عدوهم بعدها وأنه يعطى الرجل على قدر ما أعد من المرابط إلى غير ذلك .

فهذا خبر المهدى مختصرا من ابن خلدون ممزوجا بما نقله ابن خاكان من ذلك . وقد ساق ابن أبى زرع فى القرطاس خبر المهدى هذا وفيه بعض مخالفة لما تقدم . فلنأت به وإن أدى إلى بعض التكرار زيادة فى الامتاع ، وتحلية للاسماع ، فنقول :

قال ابن أبى زرع ما ملخصه : إن المهدى رحل إلى المشرق فى طلب العلم ولقى مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا ، وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونبغ فى علم الاصول والاعتقادات .

وكان فى جملة من لقى من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه ، لازمه ثلاث سنين . وكان الشيخ ابو حامد كثيرا ما يشير الى المهدى ويقول : « انه لا بد ان يكون له شأن ! » ونمى الخبر بذلك الى المهدى فلم يزل يتقرب الى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعه على ما عنده من العلم فى ذلك . فلما تحققت عنده الحال استخار الله وعزم على الترحال ، فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة ، ولازم فى طريقه درس العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الى ان اجتمع به عبد المؤمن ابن على فبايعه على مؤازرته فى الشدة والرخاء والعسر واليسر . ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش - وكانت له فصاحة وعليه مهابة - فاخذ يطعن على المرابطين وينسبهم الى الكفر

والتجسيم ويشيع عند من يثق به ويسكن اليه انه المهدى المنتظر الذى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . وجرى منه بمراكش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم ذكره ، فاتصل خبره بعلى بن يوسف اللمتونى فأحضره وقال له : « ما هذا الذى بلغنا عنك ؟ » فقال : « إنما أنا رجل فقير أطلب الآخرة وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فإنك المسؤول عنه . وقد ظهرت بمملكتك المنكرات ، وفشت البدع ، وقد وجب عليك احياء السنة وإماتة البدعة . وقد عاب الله تعالى أمة تركوا النهى عن المنكر ، فقال : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » . فلما سمع أمير المسلمين كلامه تأثر له وأخذه وأطرق مفكرا . ثم أمر بإحضار الفقهاء فحضر منهم ما أغص المجلس ، ثم قال أمير المسلمين : « اختبروا الرجل فإن كان عالما اتبعناه وإلا أدبناه » وكان المهدى فصيحا لسنا ذا معرفة بالاصول والجدل ، وكان الفقهاء الذين حضروا أصحاب حديث وفروع ، فدارت بينهم محاورة ومذاكرة أسكتتهم فيها وبان عجزهم عنه ، فعدلوا عن المذاكرة إلى الممالأة ، وأغروا به أمير المسلمين ، وقالوا : « هذا رجل خارجى ، وإن بقى بالمدينة أفسد عقائد أهلها ! » فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد ، فخرج إلى الجبانة وضرب بها خيمة جلس فيها ، وصار الطلبة يترددون إليه لاخذ العلم عنه ، فكثر جمعه وأحبته العامة وعظموه .

وانتهى خبره إلى أمير المسلمين ثانيا ، ونقل اليه أنه يطعن على الدولة فأحضره مرة أخرى وقال له : « أيها الرجل اتق الله فى نفسك ؛ ألم أنهك عن عقد الجموع والمحازب وأمرتك بالخروج من البلد ؟ » . فقال : « أيها الملك قد امتثلت أمرك وخرجت من المدينة إلى الجبانة واشتغلت بما يعنينى ، فلا تسمع لاقوال المبطلين ! » فتوعده أمير المسلمين وهم بالقبض عليه ، ثم عصمه الله منه ليقضى الله أمرا كان مفعولا

ولما انفصل المهدى عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به ، وشرحوا له جلية أمره وما يدعو اليه . فاستدرك أمير المسلمين فيه رأيه ، وبعث اليه من يأتيه برأسه ، فسمع بذلك بعض بطانته فمر مسرعا ، حتى اذا قرب من الخيمة قرأ قوله تعالى: « يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » الآية . فسمعها المهدى وفطن لها فانسل من حينه وخرج حتى أتى تينملل فأقام بها . وذلك فى شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة

ثم لحق بـه أصحابه العشرة السابقون الى دعوته والمصدقون بامامته ، وهم : عبد المؤمن ابن على الكومى ، وأبو محمد البشير الوانشريسى ، وأبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ، وأبو يحيى بن يكيت الهنتاتى ، وأبو حفص عمر بن على آصناك ، وابراهيم بن اسماعيل الخزرجى ، وابو محمد عبد الواحد الحضرمى ، وابو عمران موسى بن تمار ، وسليمان ابن خلوف ، وعاشر . فأقاموا بتينملل الى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة فعظم صيته بجبل درن وكثرت أتباعـه . فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس الى بيعته ، فبايعه العشرة البيعة الخاصة عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة .

ولمـا كان الغـد ـ وهو يوم السبت ـ خرج المهدى فى أصحابـه العشرة متقلدين السيوف ، وتقدم إلى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم انـه المهدى المنتظر ، ودعاهم إلى بيعته . فبايعوه البيعة العامة ، ثم بث دعاته فى بلاد المصامدة يدعون الناس إلى بيعتـه ويزرعون محبته فى قلوبهم بالثناء عليـه ووصفه بالزهد وتحرى الحق واظهار الكرامات ، فانثال الناس عليه من كل جهة ، وسمى اتباعـه الموحدين ، ولقنهم عقائد التوحيـد باللسان البربرى ، وجعل لهم فيه الاعشار والاحزاب والسور ! وقال : « من لايحفظ هذا التوحيد فليس بموحد ، لا تجوز إمامتـه ولا تؤكل ذبيحته ! » فاستولت محبته على قلوبهم ، وعظموه ظاهرا وباطنا ، حتى كانوا يستغيثون بـه فى شدائدهم ، وينوهون باسمه على منابرهم ، ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جم غفير . فلما علم ان ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيبا ، وندبهم إلى جهاد المرابطين وأباح لهم دماءهم واموالهم ، فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت ، فانتخب منهم عشرة آلاف من انجاد الموحدين ، وقدم عليهم ابا محمد البشير وعقد له رايـة بيضاء ودعـا لهم وانصرفوا ، فصمدوا إلى مدينة اغمات .

وانتهى الخبر إلى امير المسلمين ، فجهز لقتالهم جيشا من الحشم والاجناد ، فلما التقوا انتصر عليهم الموحدون وهزموهم واتبعوهم بالسيف حتى ادخلوهم مراكش وحاصروها اياما ، ثم أفرجوا عنها حين تكاثرت عليهم جيوش لمتونة ، وكان ذلك ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائـة ، وقسم المهدى الغنائم التى غنموها من عسكر المرابطين ، وتلا عليهم قوله تعالى : « وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم

هذه » الآية . وانتشر ذكر المهدى بجميع أقطار المغرب والاندلس . وأركب جل جيشه من خيل المرابطين التى غنموها . ثم غزا مراكش بنفسه فعبأ جيشه وسار حتى نزل بجبل كيليز بقرب المدينة ، فأقام محاصرا لها ثلاث سنين يباكرها بالقتال ويراوحها من سنة ست عشرة إلى سنة تسع عشرة .

ولما ضجر من مقامه هناك نهض الى وادى نفيس ، وانحدر مع مسيله يدعو الناس لطاعته ويقاتل من أبى منهم فانقاد له أهل السهل والجبل . وبايعته كدميوة . ثم غزا بلاد ركراكة ، فأخذهم بالدعاء الى توحيد الله وشرائع دينه ، وسار فى بلاد المصامدة يقاتل من أبى ويسالم من أجاب ففتح بلادا كثيرة ، ودخل فى دعوته عالم كثير من المصامدة . ورجع الى تينملل فأقام بها شهرين ريثما استراح الناس . ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هزرجة فى ثلاثين ألفا من الموحدين . فاجتمع على حربه أهل اغمات وهزرجة وخلق كثير من الحشم ولمتونة وغيرهم فانتصر عليهم الموحدون ، فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقسم المهدى أنفالهم بين الموحدين . ثم غزا أهل درن ففتح قلاعه وحصونه ، وطاع له جميع من فيه من قبائل هرغة وهنتاتة وكنفيسة وغيرهم .

ثم عاد الى تينملل فأقام بها ريثما استراح الناس . ثم نهد بهم الى غزو مراكش وجهاد المرابطين ، وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي وأبا محمد البشير ، وخص عبد المؤمن بامامة الصلاة ، فساروا حتى انتهوا الى أغمات ، فلقيهم بها أبو بكر بن على بن يوسف فى جيش كثيف من لمتونة وقبائل صنهاجة ، فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية أيام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموا أبا بكر وجيشه الى مراكش وقتلوهم فى كل طريق ، وحصروا مراكش أياما ، ثم رجعوا الى تينملل فخرج المهدى للقائهم فرحب بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد . ثم كانت وفاته عقب ذلك على ماندكره ان شاء الله . فهذا سياق ابن أبى زرع لهذه الاخبار والله أعلم بالصواب .

بقية أخبار المهدي وبعض سيرته إلى وفاته

كان المهدى رجلا ربعة ، أسمر ، عظيم الهامة ، غائر العينين ، حديد النظر ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء على كتفه الايمن ، ذا سياسة ودهاء وناموس عظيم . وكان مع ذلك عالما فقيها ، راويا للحديث ، عارفا بالاصول والجدل ، فصيح اللسان ، مقداما على الامور العظام ، غير متوقف فى سفك الدماء ، يهون عليه اتلاف عالم فى بلوغ غرضه ، وكان حصورا لا يأتى النساء ، وكان متيقظا فى احواله ضابطا لما ولى من سلطانه ، أنشد صاحب كتاب المغرب فى حقه :

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه

ثم قال :

« له قدم فى الثرى وهمة فى الثريا ، ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا ، أغفل المرابطون عقله وربطه ، حتى دب اليهم دبيب الفلق فى الغسق ، وترك فى الدنيا دويا . أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم لكان لعزمه فيها غير مسلم ، وكان قوته من غزل أخت له فى كل يوم رغيفا بقليل سمن أو زيت ! ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ! ورأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه ، فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه ! وقال : « من كان يتبغى للدنيا فليس له عندى إلّا ما رأى ! ومن تبغى للآخرة فجزاؤه عند الله ! » وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة ، وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه . وكان له شعر فمن ذلك قوله :

أخذت بأعضادهم اذ نأوا * وخلفك القوم اذ ودعوا

فكم أنت تنهى ولا تنتهى * وتسمع وعظا ولا تسمع

فيا حجر السن حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

وكان كثيرا ما ينشد :

تجرد من الدنيا فإنك انما * خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

وكان يتمثل أيضا بقول أبى الطيب المتنبى :

اذا غامرت فى شرف مروم * فـلا تقنـع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير * كطعم الموت فى أمر عظيم

وبقوله أيضا :

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا بـه * ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

وبقوله أيضا :

وما أنـا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

وقال ابن الخطيب فى رقم الحلل : « قالوا كان محمد بن تومرت يزعم انه مأمور بنوع من الوحى والالهام ، وينكر كتب الرأى والتقليد . وله باع فى علم الكلام ، وغلبت عليه نزغة خارجية ، وكان ينتحل القضايا الاستقبالية ، ويشير الى الكوائن الآتية ، ورتب قومه ترتيبا غريبا . فمنهم أهل الدار ، وأهل الجماعة ، وأهل الساقة ، وأهل خمسين ، وأهل سبعين ، والطلبة ، والحفاظ ، واهل القبائل . فأهل الدار للامتهان والخـدمة ، واهل الجماعة للتفاوض والمشورة ، واهل الساقة للمباهاة . واهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقى ، وسائر القبائل لمدافعة العدو . وكان يعلمهم أوجه العبادات فى العادات » .

قلت : من ذلك ان طائفة من المصامدة عسر عليهم حفظ الفاتحة لشدة عجمتهم ، فعدد كلمات أم القرآن ولقب بكل كلمة منها رجلا ، فصفهم صفا وقال لأولهم : « اسمك الحمد لله » وللثانى : « رب العالمين » وهكذا حتى تمت كلمات الفاتحة . ثم قـال لهم : « لا يقبل الله منكم صلاة حتى تجمعوا هـذه الاسماء على نسقها فى كل ركـعـة ! » فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرآن . ذكره صاحب المعرب .

قالوا : وهو أول من أحدث « أصبح ولله الحمد » فى أذان الصبح .

ومن جراءته واقدامه وتهالكه على تحصيل مرامه ما حكاه صاحب القرطاس قال ! « كانت بين الموحدين والمرابطين حرب فقتل من الموحـدين خلق كثير فعظم ذلك على عشائرهم ، فاحتال المهدى بـأن انتخب قوما من أتباعه ودفنهم احياء بموضع المعركة

وجعل لكل واحد منهم متنفسا فى قبره ! وقال لهم : « إذا سئلتم عن حالكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . وان ما دعا إليه الامام المهدى هو الحق ! فجدوا فى جهاد عدوكم » وقال لهم ! « إذا فعلتم ذلك اخرجتكم و كانت لكم عندى المنزلة العالية » وقصد بذلك ان يثبتهم على التمسك بدعوته ، ويهون عليهم ما لا قوا من القتل والجراحات بسببه . ثم جمع اصحابه عند السحر وقال لهم : « انتم يا معشر الموحدين حزب الله وانصار دينه واعوان الحق ، فجدوا فى قتال عدوكم فإنكم على بصيرة من امركم ، وإن كنتم ترتابون فيما اقوله لكم فأتوا موضع المعركة وسلوا من استشهد اليوم من إخوانكم يخبروكم بما لقوا من الثواب عند الله ! » ثم أتى بهم إلى موضع المعركة ونادى « يا معشر الشهداء ماذا لقيتم من الله عز وجل ؟ » فقالوا : « قد أعطانا من الثواب ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ! » فافتتن الناس وظنوا ان الموتى قد كلموهم ! وحكوا ذلك لبقية إخوانهم ، فازدادوا بصيرة فى أمره وثباتا على رأيه . والله اعلم بحقيقة الحال .

وفـــــاة المهدى رحمه الله

كانت وفاة المهدى عقب وقعة البحيرة . قال ابن خلدون : « لأربعة أشهر بعدها » وقال ابن الخطيب وغيره : كانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة . وقيل غير ذلك .

وقال فى القرطاس : « لما رجع الموحدون من غزو مراكش إلى تينملل خرج إليهم المهدى فسلم عليهم ورحب بهم ، واعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد وبمدة ملكهم ، وأعلمهم انه يموت فى تلك السنة . فبكوا واسفوا ثم مرض مرضه الذى مات منه ، وقدم عبد المؤمن للصلاة ايام مرضه ، ثم توفي فى التاريخ المتقدم » .

وذكر بعض المؤرخين : « ان المهدى راى فى منامه قبل وفاته كأن آتيا اتاه فأنشده ابياتا نعى له فيه نفسه ، واعلمه باليوم الذى يموت فيه فكان كذلك » انظر القرطاس.

وقد مر فى هذه الاخبار ذكر « كتاب الجفر » وربما تتشوف النفس لمعرفة حقيقته ، فقد قال ابن خلدون فى كتاب طبيعة العمران : « واعلم ان كتاب الجفر كان اصله ان هرون بن سعيد العجلى ـ وهو رأس الزيدية ـ كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق رضى الله عنه ، وفيه علم ما سيقع لاهل البيت على العموم ، ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص . وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الاولياء ، وكان مكتوبا عند جعفر الصادق فى جلد ثور صغير ، فرواه عنه هرون العجلى ، وكتبه وسماه « الجفر » باسم الجلد الذى كتب فيه (لان الجفر فى اللغة هو الصغير) فصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم . وكان فيه تفسير القرآن الكريم وما فى باطنه من غرائب المعانى مروية عن جعفر الصادق رضى الله عنه » .

وذكره ابن قتيبة فى أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام طويل : « وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن الكريم ، وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذى ذكره العجلى » ثم قال ابن قتيبة :

ألم تر ان الرافضين تفرقوا * فكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهم * طوائف سمته النبى المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم * برئت إلى الرحمن ممن تجفرا

فى ابيات غير هذه ، ثم قال ابن قتيبة : « وهو جلد جفر ادعوا انه كتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كل ما يحتاجون اليه ، وكل ما يكون الى يوم القيامة » اه . وهذا تزييف من ابن قتيبة لكتاب الجفر ، وخالف هذا المذهب ابو العلاء المعرى فقال :

لقد عجبوا لاهل البيت لما * اتاهم علمهم فى مسك جفر
ومرآة المنجم ـ وهى صغرى ـ * ارته كل عامرة وقفر

والمسك بفتح الميم الجلد ، والجفر بفتح الجيم ما بلغ اربعة اشهر من اولاد المعز وكانت عادتهم فى ذلك الزمان انهم يكتبون فى الجلود وما شاكلها لقلة الاوراق يومئذ .

وقال ابن خلدون : كتاب الجفر لم تتصل روايته عن جعفر الصادق رضى الله عنه ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل . ولو صح السند

الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه . فهم أهل الكرامات رضى الله عنهم .

الخبر عن دولة أبى محمد عبد المؤمن بن على الكومي واوليتها

اعلم ان بنى عبد المؤمن ليسوا من المصامدة ، وانما هم من كومية ، ثم من بنى عابد منهم وكوميـة ، ويعرفون قديما بصطفورة بطن من بنى فاتن بن تامصيت بن ضرى بن زجيك بن مادغيس الابتر ، فهم بنو عم زناتة يجتمعـون فى ضرى بن زجيك . هذا هو الصحيح . وبعض المؤرخين يرفعون نسب عبد المؤمن الى قيس عيلان بن مضر ، وهو ضعيف .

قال ابن خلدون : « كان عبد المؤمن من بنى عابد أحد بيوتات كومية وأشرافهم » قال : « وموطنهم بتاكرارت وهو حصن فى الجبل المطل على هنين من ناحية الشرق » .

وقال ابن خلكان : « كان والد عبد المؤمن وسيطافي قومه ، وكان صانعا فى عمـل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها ، وكان عاقلا من الرجال وقورا » .

ويحكى ان عبد المؤمن فى صباه كان نائما تجاه أبيه وأبوه مشتغل بعمله فى الطين ، فسمع أبوه دويا فى السماء ، فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار ، فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن ، وهو نائم فغطته ، ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها ، فرأته أمه على تلك الحال ، فصاحت خوفا على ولدها فسكتهـا أبوه ، وقالت : « أخاف عليه » فقال « لا بأس عليه ، بل انى متعجب مما يدل عليه ذلك » ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من أمر النحل ، فطار عنه باجمعه ، فاستيقظ الصبى ، وما به من ألم ! فتفقدت أمه جسده فلم تر به أثرا ! ولم يشك إليها ألما !

وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر ، فمضى أبوه اليه فاخبره بما رآه من النحل مع ولده ، فقال الزاجر : « يوشك أن يكون له شأن يجتمـع على طاعته اهل المغرب »

فكان من امره ما اشتهر .

وقد تقدم لنا ان المهدى كان عنده كتاب الجفر ، وكان فيه ان أمره لا يتم إلّا على يد رجل اسمه كذا ، وحليته كذا ، وهو عبد المؤمن بن علي . فأقام المهدى يتطلبه مدة الى ان لقيه بملالة ، وعبد المؤمن اذ ذاك شاب حدث طالب علم . فلازم المهدى واستمسك بغرره الى ان كان من أمره ما كان .

وكان المهدى يتفرس فيه النجابة وينشد اذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها * فكلنا بك مسرور ومغتبط

السن ضاحكة ، والكف مانحة ، * والنفس واسعة ، والوجه منبسط

والبيتان لابى الشيص الخزاعى . وكان يقول لاصحابه : صاحبكم هذا غلاب الدول! وكان يقول : عبد المؤمن من صِدّيقى هذه الدائرة !

وقال ابن خلدون : آثر المهدى عبد المؤمن بمزيد الخصوصية والقرب بما خصه الله به من الفهم والوعى للتعليم ، حتى كان خالصة المهدى وكنز صحابته . وكان مؤمله لخلافته لما أظهره عليه من الشواهد المؤذنة بذلك . وفى ذلك يقول ابن الخطيب :

وخلف الأمر لعبد المؤمن * فانقادت الدنيا له فى رسن

حباه بين القوم بالإمارة * اذ وضحت له فيه الأمارة

ولما اجتاز المهدى فى طريقه الى المغرب بالثعالبة ـ عرب الجزائر ـ أهدوا اليه حمارا فارها يركبه لانه كان ساعيا على رجليه . فكان يوثر به عبد المؤمن ويقول لاصحابه : « أركبوه الحمار يركبكم الخيول المسومة ! » وزعم بنو عبد المؤمن ان المهدى كان استخلفه من بعده . وقال ابن خلكان : لم يصح انه استخلفه وانما راعى أصحابه فى تقديمه اشارته فتم له الامر . والله أعلم .

بيعة عبد المؤمن بن على والسبب فيها



لما توفى المهدى في التاريخ المتقدم تولى عبد المؤمن تجهيزه والصلاة عليه ، ثم دفنه بمسجده الملاصق لداره من تينملل .

ولما فرغ الموحدون من أمره تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده ، وكانوا من قبائل شتى . وأحبت كل قبيلة أن يكون الخليفة منها ، وان لا يتولى عليها من هو من غيرها . فتنافسوا فى ذلك . فاجتمع العشرة والخمسون وتآمروا فيما بينهم وخافوا على انفسهم النفاق . وان تفسد نياتهم وتفترق جماعتهم ، فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن لكونه كان غريبا بين اظهرهم . ليس من المصامدة لان المصامدة من البرانس ، وكومية قبيلة عبد المؤمن من البتر . فقدموه لذلك مع ما كانوا يرون من ميل المهدى اليه وايثاره على غيره فتم له الامر .

وقال ابن خلدون : لما مات المهدى خشي اصحابه من افتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة لولاية عبد المؤمن . لكونه من غير جلدتهم ، فارجأوا الامر الى ان تخالط بشاشة الدعوة قلوبهم ، وكتموا موته ثلاث سنين يموهون فيها بمرضه . ويقيمون سنته فى الصلاة والحزب الراتب ، ويدخل اصحابه الى بيته كأنه اختصهم بعيادته ، فيجلسون حوالى قبره ، ويتفاوضون فى شؤونهم ، ثم يخرجون لانفاذ ما ابرموه . ويتولى ذلك عبد المؤمن . حتى إذا استحكم أمرهم وتمكنت الدعوة من كافتهم كشفوا القناع عن حالهم ، وتمالأ من بقى من العشرة على تقديم عبد المؤمن ، وتولى كبر ذلك الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس . فاظهروا للناس موت المهدى وعهده لصاحبه ، وانقاد بقية أصحابه لذلك ، وروى لهم يحيى بن يغمور انه كان يقول فى دعائه اثر صلواته : « اللهم بارك فى الصاحب الافضل » فرضى الكافة وانقادوا له واجمعوا على بيعته .

وزعموا (١) ان عبد المؤمن استعمل فى ذلك حيلة تم له بها ما أراد وذلك انه عمد الى طائر وأسد فضراهما حتى أنسابه ، وعلم الطائر أن يقول عند علامة نصبها له : « النصر والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين ! » وعلم الاسد ان يبصبص له ويتمسح به كلما رآه ! ثم جمع عبد المؤمن الموحدين وخطبهم وحضهم على الألفة واجتماع الكلمة ، وحذرهم عاقبة البغى والخلاف ، وبينما هو فى ذلك إذ أرسل سائس الاسد أسده ، وصفر صاحب الطائر لطائره ، فبصبص هذا ! وأعلن بالنصر هذا ! فعجب الحاضرون من ذلك ورأوا أنها كرامة لعبد المؤمن فازدادوا بها بصيرة فى أمره وثباتا على بيعته ، مع ما كان من تقديم المهدى له فى الصلاة أيام مرضه ، وفى ذلك يقول بعضهم :

أنس الشبل ابتهاجا بالاسد * ورأى شبه أبيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم * فقضى حقكم حين وفد

والله أعلم .

وكانت بيعة عبد المؤمن العامة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوما من ربيع الاول سنة ست وعشرين وخمسمائة بجامع تينملل . وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدى ، ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ، ثم كافة الموحدين ، لم يتخلف عن بيعته منهم أحد ، فاستوسق له الامر واستولى على المغرب بأسره ، وفتح بلاد افريقية الى برقة ، وبلاد الاندلس بأسرها ، وخطب له على منابر هذه الاقاليم كلها على ما سيأتى تفصيله ان شاء الله .

ولما تمت بيعته غزا من حينه بلاد تادلا فقتل بها وسبى ، ثم غزا بلاد درعة فاستولى عليها ، ثم غزا بلاد غمارة فافتتح البعض منها وقتل واليها ، ثم تسابق الناس الى دعوته أفواجا ، وانتقضت البربر على المرابطين في سائر أقطار المغرب . وكان ما نذكره .

---

(١) قد نقل العلامة المقرى عن تاج الدين بن حمويه السرخسى فى رحلته الى المغرب الاقصى أن هذه القصة وقعت ليعقوب المنصور الموحدى وذلك أن قوما من الغرباء قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منها أسد وغراب فربض الاسد بين يدى المنصور ودعا الغراب له بالنصر فقال بعضهم الابيات المذكورة وهذا هو الصحيح لان السرخسى يحدث عن مشاهدة لوجوده زمن المنصور انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٧٣٩

غزوة عبد المومن الطويلة التى استولى فيها على المغربين



ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوته الطويلة التى مكث فيها سبع سنين ، وأجلت عن فتح المغربين معا الاقصى والاوسط : خرج لها من تينملل فى صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، فلم يزل يتقرى بلاد المغرب ويفتح معاقلها ويستنزل حماتها ويذلل صعابها الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة .

وكان خروجه من تينملل على طريق الجبل ، وخرج تاشفين بن على فى اتباعه من مراكش على طريق السهل الى ان وصلا الى تلمسان حسبما قدمناه فى أخبار المرابطين .

قال ابن خلدون : خرج عبد المؤمن فى هذه الغزوة من تينملل يعنى على طريق الجبل كما قلنا ، وخرج تاشفين بن على — يعنى فى حياة والده بعساكره يحاذيه فى البسيط — والناس يفرون منه الى عبد المؤمن ، وهو يتنقل فى الجبال فى سعة من المواكه للاكل والحطب للدفء ، الى ان وصل الى جبال غمارة ، واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب ، وأقشعت الرعايا عن البلاد ، وألح الطاغية على المسلمين بالعدوة الاندلسية ، وهلك خلال ذلك أمير المسلمين على بن يوسف سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه تاشفين بن على المذكور وهو فى غزاته هذه .

وفى القرطاس : « ارتحل عبد المؤمن الى جبال غمارة ، وارتحل تاشفين بن على فى أثره ، فنزل بازاء عين القديم وذلك فى فصل الشتاء ، فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محلته أو تاد أخبيتهم ورماحهم ، وهدموا بيوتهم وخيامهم » انتهى .

ونشأت فتنة بين لمتونة ومسوفة فنزع جماعة من أمراء مسوفة — منهم عامل تلمسان يحيى بن اسحق المعروف بآنكمار — ولحقوا بعبد المؤمن ودخلوا في دعوته ، فنبذ اليهم المرابطون العهد وإلى سائر مسوفة . واستمر عبد المؤمن على حاله ، فنازل سبتة فامتنعت عليه . وتولى كبر دفاعه عنها القاضى أبو الفضل عياض بن موسى الشهير الذكر ، وكان رئيسها يومئذ بأبوته ومنصبه وعلمه ودينه .

قال ابن خلدون : « ولذلك سخطته الدولة يعنى دولة الموحدين آخر الايام حتى

مات مغربا عن سبتة مستعملا فى خطة القضاء بالبادية من تادلا رحمه الله . وتمادى عبد المؤمن فى غزاته الى جبال غياثة وبطوية فافتتحها ، ثم نازل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى إلى بلاد زناتة فأطاعته قبائل مديونة ، وكان قد بعث إليهم جيشا من الموحدين إلى نظر يوسف بن وانودين ، فخرج إليهم محمد بن يحيى بن فانوا عامل تلمسان من قبل المرابطين فيمن معه من جيوش لمتونة وزناتة . فهزمهم الموحدون ، وقتل ابن فانوا وانفض جمع زناتة ورجعوا إلى بلادهم . وولى تاشفين بن علي على تلمسان أبا بكر بن مزدلي ، وقدم على عبد المومن - وهو بمكانه من الريف - أبو بكر بن ما خوخ ويوسف ابن بدر - من أمراء بنى ومانوا من زناتة - فبعث معهم يحيى بن يغمور ويوسف بن وانودين فى عسكر ، فأثخنوا فى بلاد بنى عبد الوادوبنى يلومى من زناتة سبيا وأسرا ، ولحق صريخهم بتاشفين بن علي ، فأمدهم بعساكر لمتونة - ومعهم الروبرتير قائد الروم - ونزلوا منداس ، وانضمت إليهم قبائل زناتة من بنى يلومى ، وبنى عبد الواد مع شيخهم حمامة بن مطهر واخوانهم بنى توجين وغيرهم ، فأوقعوا ببنى ومانوا وقتلوا أبا بكر بن ماخوخ فى ستمائة من قومه ، واستنقذوا غنائمهم ، وتحصن الموحدون وفل بنى ومانوا بجبل سيرات .

ولحق تاشفين بن ما خوخ صريخا بعبد المؤمن ومستجيشا به على لمتونة وزناتة . فارتحل معه عبد المؤمن الى تلمسان ثم أجاز الى سيرات .

وقصد محلة لمتونة وزناتة فاوقع بهم ، ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل تيطرى ، ونزل تاشفين بن على بالسهل مما يلى الصفصاف ، ثم وصل مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية لنظر قائده طاهر بن كباب ، أمدوا به تاشفين ابن على وقومه لعصبية الصنهاجية ، وفى يوم وصوله أشرف على معسكر الموحدين ، وكان يدل باقدام . فعرض بلمتونة وأميرهم تاشفين بن على لقعودهم عن مناجزة الموحدين ، وقال : « انما جئتكم لاخلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومى » فامتعض تاشفين بن علي من كلمته وأذن له فى المناجزة ، فحمل على القوم ، فركبوا وصمموا للقائه فكان آخر العهد به وانفض عسكره . وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم وهو الروبرتير فى عسكر ضخم ، فاغار على قوم من زناتة كانوا فى بسيط لهم ،

فاكتسحهم ورجع بالغنائم ، فاعترضه الموحدون من عسكر عبد المؤمن فقتلوهم وقتلوا الروبرتير فى جملتهم .

ثم بعث تاشفين بن على بعثا آخر الى جهة أخرى ، فلقيهم تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحدين . واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم أعظم النيل .

وتوالت هذه الوقائع على تاشفين بن علي اللمتونى فأجمع الرحلة الى وهران ، وبعث ابنه — ولى عهده — ابراهيم بن تاشفين الى مراكش فى جماعة من لمتونة ، وبعث كاتبا معه أحمد بن عطية ، ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فأقام عليها شهرا ينتظر قائد اسطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المرية بعشرة أساطيل ، فأرسى قريبا من معسكره ، وزحف عبد المؤمن من تلمسان ، وبعث فى مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحي الهنتاتى ، ومعه بنو ومانوا من زناتة فتقدموا الى بلاد زناتة ونزلوا منداس وسط بلادهم ، وجمع له بنو يادين كلهم وبنو يلومى وبنو مرين ومغراوة ، فأثخن فيهم الموحدون حتى أذعنوا للطاعة ودخلوا فى دعوتهم . ووفد على عبد المؤمن جماعة من رؤسائهم ، وكان منهم سيد الناس ابن أمير الناس شيخ بنى يلومى ، وحمامة بن مطهر شيخ بنى عبد الواد وغيرهم ، فتلقاهم بالقبول وسار بهم فى جموع الموحدين الى وهران . فبيتوا لمتونة بمعسكرهم ففضوهم ، ولجأ تاشفين الى رابية هناك فأحدقوا بها وأضرموا النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكبا فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل ، وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وبعث برأسه الى تينملل ، ونجافل العسكر الى وهران ، فانحصروا بها مع أهلها حتى جهدهم العطش فنزلوا على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة ، فاستأصلهم القتل رحمهم الله . وبلغ خبر مقتل تاشفين بن على الى تلمسان مع فل لمتونة الذين نجوا من وقعة وهران وفيهم سير بن الحاج فى آخرين من أعيانهم ، ففر معهم من كان بها من لمتونة .

ولما وصل عبد المؤمن الى تلمسان استباح أهل تاكرارت لما كان أكثرهم من الحشم بعد ان كانوا بعثوا ستين من وجوههم فلقيهم يصليتن من مشيخة بنى عبد الواد فقتلهم أجمعين . وافتتح عبد المؤمن تلمسان وعفا عن أهلها ورحل عنها لسبعة أشهر من فتحها بعد ان ولى عليها سليمان بن محمد بن وانودين وقيل يوسف بن وانودين .

فتح مدينة فاس

نقل بعض المؤرخين أن عبد المومن لم يزل محاصرا لتلمسان والفتوح ترد عليه وهناك وصلته بيعة أهل سجلماسة ، الى ان اعتزم على الرحيل الى المغرب . فترك ابراهيم ابن جامع محاصرا لتلمسان ، وقصد مدينة فاس سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقد تحصن بها يحيى بن أبى بكر الصحراوى من فل تاشفين بن على من وهران ، فنازلها عبد المؤمن وبعث عسكرا لحصار مكناسة ، ثم نهض فى اتباعه وترك عسكرا من الموحدين على فاس ، وعليهم الشيخ أبو حفص ، وأبو ابراهيم من صحابة المهدى العشرة ، فحاصروها سبعة أشهر . ثم داخلهم ابن الجيانى فسرب البلد وأدخل الموحدين ليلا ، وفر يحيى بن أبى بكر الصحراوى الى طنجة . ثم أجاز منها الى يحيى بن على المسوفى المعروف بابن غانية بالاندلس - وكان واليا على قرطبة من قبل المرابطين - فأقام عنده الى ان كان من أمره ما نذكره . وانتهى خبر فتح فاس الى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكناسة فرجع إليها ودخلها .

وحكى صاحب القرطاس فى فتح فاس خلاف هذا الوجه فقال : وفى سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن فاسا بعد حصار شديد : قطع عنها ماء النهر الداخل اليها وسده بالبناء والخشب حتى انحبس الماء فوق بسيط الارض وانتهى الى مراكزه منها ثم خرق السد فانحدر الماء على المدينة دفعة واحدة وهدم سورها ثم هدم من دورها ما يزيد على ألفى دار بالتشية ، وهلك بها خلق كثير وكاد الماء يأتى على أكثرها ، ثم دخلها عبد المومن وأمن أهلها إلّا من كان بها من المرابطين فانه أمر أن لا يمضى لهم أمان ، وقتلهم قتل عاد . ثم أمر بسور المدينة فهدم منه ثلم كثيرة أوسعها جدا ، وقال : « انا لا نحتاج إلى سور وانما أسورانا سيوفنا وعدلنا » فلم تزل فاس لا سور لها الى ان تداركها حافده يعقوب المنصور فابتدأ بناءه ، ومات فأتمه ابنه الناصر سنة ستمائة .

ولما فتح عبد المؤمن فاسا ولى عليها ابراهيم بن جامع الذى خلفه على تلمسان ، فانه لما فتحها ارتحل الى عبد المؤمن فاتصل به وهو محاصر لفاس ، ففتحها عبد المؤمن وولاه

عليها ، وكان قد اعترضه فى طريقه المخضب بن عسكر شيخ بنى مرين ونالوا منه ومن رفقته ، وكانت معه أموال لمتونة وذخيرتهم التى استولى عليها عبد المؤمن بوهران ، وكان ابن جامع ذاهبا بها إلى تينملل فاعترضه بنو مرين وانتزعوها منه ، وانتهى الخبر بذلك إلى عبد المؤمن فكتب إلى عامله على تلمسان يوسف بن وانودين يأمره أن يجهز العساكر إلى بنى مرين ، فبعثها صحبة عبد الحق بن منغفاد شيخ بنى عبد الواد ، فأوقعوا ببنى مرين وقتل المخضب شيخهم .

فتح مراكش واستئصال بقية اللمتونيين

ثم ارتحل عبد المؤمن من فاس عامدا إلى مراكش فوافته فى طريقه بيعة أهل سبتة ، فولى عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هنتاتة ، ومر على مدينة سلا فافتتحها بعد مواقعة قليلة وثلم سورها كفاس ، ونزل منها بدار ابن عشرة ، وكانت هذه الدار قصرا بديعا بمدينة سلا ، بناه الفقيه أبو العباس بن القاسم من بنى عشرة ، فشيده وأتقنه ، ولما فرغ منه وصفته الشعراء وهنته به ودعت له ، وكان بالحضرة يومئذ الاديب ابن الحمارة ولم يكن أعدّ شيئا فافكر قليلا ثم قال :

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها حلول الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا لذى أمل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وهذا القصر لم يبق له اليوم اسم ولا رسم . ثم تمادى عبد المؤمن إلى مراكش وسرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطة ، فأثخن فيهم ورجع ، فلقيه فى طريقه وانتهوا جميعا إلى مراكش ، وقد انضم إليها جموع لمطة ، فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلا ، واكتسحوا أموالهم وظعائنهم ، وأقاموا على مراكش تسعة أشهر ، وأميرهم يومئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، وكانوا قد بايعوا أولا ابراهيم بن تاشفين بن علي فألفوه مضعفا عاجزا ، فخلعوه وبايعوا عمه اسحق بن على المذكور ، وهو صبى صغير ،

ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا إلى مدافعة الموحدين فانهزموا ، وتبعهم الموحدون بالقتل ، فاقتحموا عليهم المدينة فى أخريات شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقتل عامة الملثمين ، ونجا اسحق فى جملته وأعيان قومه إلى القصبة حتى نزلوا على حكم الموحدين ، وأحضر اسحق بين يدى عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم ، وتولى كبر ذلك أبو حفص بن واجّاج منهم .

وانمحى أثر الملثمين ، واستولى الموحدون على جميع البلاد . وقد قيل فى ترتيب هذه الاخبار غير هذا الوجه .

قال ابن مطروح القيسى : لما بويع عبد المؤمن بتينملل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراكش فحاصرها أياما وذلك فى شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ثم ارتحل عنها إلى تادلا ، ثم إلى سلا ، فتلقاه أهلها سامعين مطيعين . فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة وخطب له بها .

وفى سنة سبع وعشرين بعدها فتح عبد المؤمن بلاد تازا .

وفى سنة ثمان وعشرين بعدها تسمى عبد المؤمن بأمير المؤمنين . (١) واعلم أن اللقب بأمير المؤمنين كان فى صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من بنى أمية أو من بنى العباس بعدهم . ولما قام عبيد الله المهدى أول ملوك العبيديين بأفريقية تسمى بأمير المؤمنين لانه كان يرى أنه أحق بالخلافة من بنى العباس المعاصرين له بالمشرق ، فهو أول من زاحم الخليفة فى هذا اللقب ، ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الاموى صاحب الاندلس ، ورأى أن له فى الخلافة حقا اقتداء بسلفه الذين كانوا خلفاء بالمشرق وكلاهما - أعنى العبيدى والاموى - قرشى من عبد مناف ، ثم لم يتجاسر أحد لا من ملوك العجم بالمشرق ولا من ملوك البربر من المغرب على اللقب بأمير المومنين لأنه لقب الخليفة الاعظم القرشى كما علمت ، إلى أن جاءت دولة المرابطين وكان منهم

---

(١) وعبد المؤمن هذا هو أول من تسور على اللقب بأمير المومنين من غير جنس العرب ، ولم يتجرأ أحد من العجم قبله على هذه الدعوى ، وكانت سبب انتقاض المغرب عليه . أنظر تحقيق القول فى هذا المبحث فى مقدمة تاريخنا المغربى .

يوسف بن تاشفين واستولى على المغربين والاندلس ، وعظم سلطانه واتسعت مملكته ، وخاطب الخليفة العباسى بالمشرق فولاه على ما بيده ، وتسمى بأمير المسلمين أدبا مع الخليفة حسبما أشرنا إليه سالفا . ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بأمير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده ولسان الحال ينشد :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها ، وحتى سامها كل مفلس

وفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة أمر عبد المؤمن ببناء رباط مدينة تازا ، فبنيت وحصن سورها ، ثم كانت محاربته لتاشفين بن علي على نحو ما أسلفناه . والله تعالى أعلم .

ثورة محمد بن هود السلاوى المعروف بالماسى

كان محمد بن هود بن عبد الله السلاوى رجلا من سوقة أهل سلا ، وكان أبوه سمسارا بها يبيع الكنابيش ، وكان هو قصارا بها مدة ، ثم لحق بعبد المؤمن عند ماظهر وبايعه وشهد معه فتح مراكش ، ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ، ودعا لنفسه وتسمى بالهادى ، وتمكن ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة ، فأقبل إليه الشراد من كل جانب . وانصرفت إليه وجوه الاغمار من أهل الآفاق ، وأخذ بدعوته أهل سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة ورجراجة وقبائل تامسنا وهوارة ، وفشت ضلالته فى جميع المغرب .

قال فى القرطاس : بايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن إلّا مراكش ، فسرح اليه عبد المؤمن عسكرا من الموحدين لنظر يحيى بن اسحق أُنْكمار النازع اليه من ايالة تاشفين بن على حسبما تقدم ، فالتقى بالماسى وقاتله فانتصر الماسى عليه وعاد مهزوما إلى عبد المؤمن ، فسرح اليه عبد المؤمن ثانيا الشيخ أبا حفص الهنتاتى فى جيش عظيم من أشياخ الموحدين وغيرهم ، واحتفل عبد المؤمن فى الاستعداد . ونهض الشيخ أبو حفص من مراكش فاتح ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وشيعه عبد المؤمن إلى وادى تانسيفت ، ثم دعا له وودعه وانصرف الشيخ أبو حفص فى جيوش الموحدين حتى انتهوا إلى رابطة ماسة فبرز إليهم محمد بن هود فى نحو ستين ألفا من

الرجالة وسبعمائة من الفرسان ، فكانت بينهم حرب شديدة . ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموهم ، وقتل محمد بن هود في المعركة مع كثير من أتباعه وفضت جموعه ، وكان ذلك فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، وكان الذى باشر قتل ابن هود هو الشيخ أبو حفص رئيس الجيش ، فلقبه الموحدون بسيف الله تشبيها له بخالد بن الوليد رضى الله عنه.

وكتب الشيخ أبو حفص إلى عبد المؤمن برسالة الفتح من انشاء الفقيه أبى جعفر ابن عطية القضاعى الكاتب المشهور يقول فيها : « كتابنا هذا من وادى ماسة بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ، ونصره تعالى المعهود القديم ، وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم . فتح بهر الانوار إشراقا ، وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقا ، ونبه للامانى النائمة جفونا وأحداقا ، واستغرق غاية الشكر استغراقا ، فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا ، جمع أشتات الطلب والأرب ، وتقلب فى النعم أكرم منقلب ، وملأ دلاء الامل إلى عقد الكرب .

فتح تفتح أبواب السماء لـه * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة ، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة . كان أولئك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما ، واقتطعوا الكفر معنى واسما ، وأملى الله تعالى لهم ليزدادوا إثما ، وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته ، واستهوى القلوب بمهولاته ، ونصب له الشيطان من حبالاته ، فأتته المخاطبات من بعد وكثب ، ونسلت اليه الرسل من كل حدب ، واعتقدته الخواطر أعجب عجب ، وكان الذى قادهم إلى ذلك ، وأوردهم تلك المهالك ، وصول من كان بتلك السواحل ، ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس ، فيما سلف من الاعوام ، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام ، آناء الليالي والايام ، لبسوا الناموس أثوابا ، وتدرعوا الريـاء جلبابا ، فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا . »

ومنها فى ذكر صاحبهم الماسى المدعى للهداية : « فصرع بحمد الله تعالى لحينه ، وبادرت إليه بوادر منونه ، وأتته وافدات الخطايا عن يساره ويمينه . وقد كان يدعى أنه بشر بأن المنية فى هذه الاعوام لا تصيبه ! والنوائب لا تنوبه ! ويقول فى سواه قولا كثيرا ، ويختلق على الله تعالى إفكا وزورا ! فلما رأوا هيئة اضطجاعه ، وما خطته

الاسنة فى أعضائه وأضلاعه ، ونفذ فيه من أمر الله تعالى مالم يقدروا على استرجاعه ، هزم من كان لهم من الاحزاب ، وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب ، وأعطوا على بكرة أبيهم صفحات الرقاب ، ولم تقطر كلومهم إلّا على الاعقاب ، فامتلأت تلك الجهات باجسادهم ، وآذنت الآجال بانقراض آمادهم ، وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم ، فلم يعاين منهم إلّا من خرّ صريعا ، وسقى الارض نجيعا ، ولقى من أمر الهنديات فظيعا ، ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي في الوادى ، فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ، ويسبح طامعا فى الخروج إلى ما ينجيه ، اختطفته الاسنة اختطافا ، وأذاقته موتا ذعافا . ومن لج فى الترامى على لجه ، ورام البقاء فى ثبجه ، قضى عليه شرقه ، وألوى بذقنه غرقه ، ودخل الموحدون إلى البقية الكائنة فيه ، يتناولون قتلهم طعنا وضربا ، ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيما وكربا ، حتى انبسطت مراقات الدماء ، على صفحات الماء ، وحكت حمرتها على زرقته ، حمرة الشفق على زرقة السماء ، وجرت العبرة للمعتبر ، فى جرى ذلك الدم جرى الابحر ! »

وبالجملة فهى رسالة بليغة ، وهى التى أورثت منشئها الرتبة العلية ، والمنزلة السنية ، فان عبد المؤمن لما وقف عليها استحسنها ووقعت منه موقعا كبيرا ، فاستكتبه أولا ، ثم استوزره ثانيا ، ثم نكبه وقتله ثالثا كما سيأتى .

ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزوة ماسة أراح بمراكش أياما ، ثم خرج غازيا بلاد القائمين بدعوة محمد بن هود بجبال درن فأوقع بأهل نفيس وهيلانة ، وأثخن فيهم بالقتل والسبي حتى أذعنوا للطاعة ورجع .

ثم خرج الى هسكورة فأوقع بهم وافتتح معاقلهم وحصونهم .

ثم نهض الى سجلماسة فاستولى عليها ورجع الى مراكش .

ثم خرج ثالثة الى برغواطة فحاربوه مدة ، ثم هزموه ، واضطرمت نار الفتنة بالمغرب وكان ما نذكره .

انتقاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم



قد تقدم لنا ان عبد المؤمن كان غزا سبتة فى غزوته الطويلة ، وان القاضي عياضا رحمه الله دافعه عنها ، وانه لما قتل تاشفين بن علي وفتحت تلمسان وفاس واستفحل أمر عبد المؤمن بايع أهل سبتة فى جملة من بايع من أمصار المغرب .

قالوا : وبادر القاضى عياض الى لقاء عبد المؤمن فاجتمع به بمدينة سلاحين كان ذاهبا لفتح مراكش فأجزل صلته ، وولى على سبتة يوسف بن مخلوف التينملى وساكن الموحدون أهل سبتة فى ديارهم واطمأنوا اليهم .

فلما انتقض المغرب على عبد المؤمن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من الفتن انتقض أهل سبتة أيضا ، وكان انتقاضهم — كما فى القرطاس — برأى القاضى عياض رحمه الله فقتلوا عامل الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميته وحرقوهم بالنار.

وركب القاضى عياض البحر الى يحيى بن علي المسوفى المعروف بابن غانية ، وكان معتصما بقرطبة متمسكا بدعوة المرابطين ، فلقيه وأدى اليه البيعة ، وطلب منه واليا على سبتة فبعث معه يحيى بن أبى بكر الصحراوى الذى كان معتصما بفاس أيام حصار عبد المؤمن لها ، ففر ولحق بابن غانية كما قلنا ، وبقى فى جملته الى ان بعثه مع القاضى عياض فى هذه المرة ، فدخل يحيى سبتة وقام بأمرها .

ولما اتصلت بعبد المؤمن هذه الاخبار مع ما تقدم من هزيمة برغواطة للشيخ أبى حفص خرج من مراكش قاصدا بلاد برغواطة أولا ، ثم من بعدهم ثانيا ، فتسامعت برغواطة بخروج عبد المؤمن اليهم ، فكتبوا الى يحيى بن أبى بكر بمكانه من سبتة يستنصرونه عليهم ، فاتاهم وبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المؤمن فهزموه ، ثم كانت له الكرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأفتهم حتى انقادوا للطاعة ، وتبرأوا من يحيى الصحراوى ولمتونة ، وفر الصحراوى إلى منجاته ، ثم طلب الامان من عبد المؤمن وتشفع اليه بأشياخ القبائل فأمنه ووفد عليه فبايعه وحسنت طاعته لديه ، وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

ولما رأى أهل سبتة ذلك كله سقط فى أيديهم وندموا على صنيعهم وكتبوا ببيعتهم الى عبد المؤمن وقدم بها أشياخ سبتة وطلبتها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضى عياض ، وأمره بسكنى مراكش . والصحيح أنه ولاه القضاء بتادلا ثم دخل مراكش ، قيل دخلها مريضا مرض موته ، وقيل مات بالطريق وحمل اليها ، وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سبتة فهدم وكذلك فعل بفاس وسلا .

واعلم ان ما صدر من القاضى عياض رحمه الله فى جانب الموحدين دليل على انه كان يرى ان لا حق لهم فى الأمر والامامة وانما هم متغلبون ، وهذا أمر لاخفاء به كما هو واضح . ولما كانت شوكة عبد المؤمن لا زالت ضعيفة وتاشفين بن على أمير الوقت لا زال قائم العين امتنع القاضى عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن ، ودافعه عن سبتة إذ لا موجب لذلك لان بيعة تاشفين فى أعناقهم وهو لا زال حيا ، فلا يعدل عن بيعته إلى غيره بلا موجب .

وأما ما غالط به المهدي رحمه الله من ان المرابطين مجسمة ، وان جهادهم أوجب من جهاد الكفار ، فضلا عن أن تكون طاعتهم واجبة ، فسفسطة منه عفا الله عنا وعنه !

ولما قتل تاشفين وفتحت تلمسان وفاس وقويت شوكة عبد المؤمن بايعه القاضى عياض حينئذ وقبل صلته ، لان من قويت شوكته وجبت طاعته .

ثم لما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام الماسى عليه واجماع قبائل المغرب على التمسك بدعوته رجع القاضى بأهل سبتة عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق فى الامامة بطريق الاصالة ، ولم يأخذ بدعوة الماسى لانه ثائر أيضا ، هذا مع ما كان ينقل عن المهدى من أنه غلبت نزغة خارجية عليه ، وانه يقول بعصمة الامام وذلك بدعة كما لا يخفى ، فتكون امامته وامامة أتباعه مقدوحا فيها من هذه الحيثية ، لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة . فالحاصل ان ما فعله القاضى عياض أولا وثانيا وثالثا كله صواب موافق للحكم الشرعى ، فهكذا ينبغى أن تفهم أحوال أئمة الدين ، واعلام المسلمين رضى الله عنهم ونفعنا بعلومهم .

وأما القتل والتحريق الذى صدر من أهل سبتة فالظن بالقاضى عياض رحمه الله انه لا يوافق على ذلك ولا يرضاه ، لكن العامة تتسرع إلى مجاوزة الحدود ، لا سيما

أيام الفتن ، وذلك معروف من حالهم والله الموفق .

ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة مكناسة القديمة بعد حصارهم اياها سبع سنين : اقتحموها عنوة يوم الاربعاء ثالث جمدى الاولى من السنة المذكورة فخربت وقتل أكثر رجالها وسبي حريمهم وخمست أموالهم ، ثم بنيت مكناسة تاكرارت المدينة الموجودة الآن .

اخبار الاندلس وفتوحها

كان عبد المؤمن لما فتح تلمسان وفاسا بعث الى الاندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أنجاد الموحدين .

وقال ابن خلدون : بعث عبد المؤمن بعد فتح مراكش جيشا من الموحدين لنظر بدران بن محمد المسوفى النازع الى عبد المؤمن من جملة تاشفين بن علي ، وعقد له على حرب الاندلس ومن بها من لمتونة والثوار ، وأمده بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد ، وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجى .

ولما أجازوا إلى الاندلس نزلوا بأبى الغمر بن عزرون ، صاحب شريش ، فكان أول بلد فتحوا من الاندلس بلد شريش ، خرج إليهم صاحبها أبو الغمر فيمن معه من المرابطين وبايعهم لعبد المومن ودخل فى طاعته . فكان الموحدون يسمون أهل شريش بالسابقين الاولين . وحررت أملاكهم ، فلم تزل محررة سائر أيامهم ، فلم يكن فى أملاكهم رباعة وجميع بلاد الاندلس مربعة . وكان ملوك الموحدين إذا قدم عليهم وفود الاندلس كان أول من ينادى منهم أهل شريش ، فكان يقال : أين السابقون ؟ فيدخلون للسلام ، فإذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا فدخل غيرهم حينئذ ، وكان فتح شريش فاتح ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

ثم زحف الموحدون إلى لبلة ، وكان بها من الثوار يوسف بن أحمد البطروجى ، فبذل لهم الطاعة ، ثم زحفوا إلى شلب ففتحوها ، ثم نهضوا إلى باجة ، وبطليوس ،

ففتحوهما أيضا ، ثم زحفوا إلى اشبيلية فحاصروها برا وبحرا إلى أن فتحوها فى شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . وفر من كان بها من المرابطين إلى قرمونة . وقتل من أدركه القتل منهم ، وقتل فى جملتهم عبد الله ولد القاضى أبى بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافرى الحافظ المشهور : وأصيب فى هيعة تلك الدخلة من غير قصد .

وكتب الموحدون بالفتح إلى عبد المؤمن ، ثم قدم عليه وفدهم بمراكش مبايعين له سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، ورئيس الوفد يومئذ القاضى أبو بكر بن العربي المذكور ، فالفوا عبد المؤمن مشغولا بحرب محمد بن هود الماسى ، فأقاموا بمراكش سنة ونصفا . لم يلقوه فيها حتى كان يوم عيد الاضحى من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . فلقوه بالمصلى فسلموا عليه سلام الجماعة . ثم بعد ذلك دخلوا عليه فسلموا عليه السلام الخاص ، وقبلت بيعتهم .

وسأل عبد المؤمن القاضي أبا بكر بن العربى عن المهدى هل كان لقيه عند الامام أبى حامد الغزالي . فقال : « ما لقيته ، ولكن سمعت به » فقال له : « فما كان أبو حامد يقول فيه ؟ » قال : « كان يقول : إن هذا البربرى لابد أن سيظهر ! » ثم صرف عبد المؤمن أهل اشبيلية بعد أن أجازهم ، وكتب لهم منشورا بتحرير أملاكهم ، فانصرفوا عنه فى جمدى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، فلما قربوا من مدينة فاس توفى الامام أبو بكر بن العربى رحمه الله ، فحمل ودفن خارج باب المحروق منها ، بتربة القائد مُظفّر ، وقبره مزارة إلى الآن ، وعليه قبة حسنة .

وفى هذه السنة ملك الموحدون قرطبة ، وكان بها يحيى بن علي المسوفي - المعروف بابن غانية - مقيما لدعوة المرابطين ، فلما دخل الموحدون الاندلس واشتعلت نار الفتنة بحرب المرابطين انتهز الطاغية الفرصة في بلاد الاسلام ، وضايق ابن غانية بقرطبة ، وألح على جهاته ، حتى نزل له عن بَيّاسة وأبدة ، وتغلب على اشبونة ، وطُرطوشة ، والمريـــة ، وماردة ، وأفراغة ، وشنترين ، وشنتمرية ، وغيرها من حصون الاندلس ، وطالب ابن غانية بالزيادة على ما بذل له أو الافراج عن قرطبة ، فأرسل ابن غانية إلى بدران بن محمد أمير الموحدين ، واجتمعا باستجة ، وضمن له بدران أمان الخليفة عبد المومن على أن يتخلى له عن قرطبة وقرمونة ففعل ، ثم لحق بغرناطة ، وبها ميمون

ابن بدر اللمتوني في جماعة من المرابطين ، وأراد أن يكلمه في الدخول في طاعة الموحدين وأن يمكنهم من غرناطة كما فعل هو بقرطبة ، فتوفى بغرناطة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ودفن فى القصبة بازاء قبر باديس ابن حَبّوس الصنهاجى ، وانتهز الطاغية الفرصة فى قرطبة فزحف إليها وحاصرها ، فجهز إليه الموحدون الذين كانوا باشبيلية أبا الغمر بن عزرون لحمايتها ، ووصل إليه مدد يوسف البطروجى من لبلة ، وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث إليها عسكرا من الموحدين لنظر يحيى بن يغمور ، ولما دخلها أفرج عنها الطاغية لأيام من مدخله ، وبادر ثوّار الاندلس إلى يحيى بن يغمور فى طلب الامان من عبد المومن ، ثم تلاحقوا به بمراكش فتقبلهم ، وصفح لهم عما سلف .

قدوم عبد المؤمن الى سلا ووفادة اهل الاندلس عليه بها

لما كانت سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم عبد المومن من مراكش إلى سلا ، فنظر فى أمرها وأجرى إليها ماء عين غبولة ، حتى وصل إلى رباطها ، ولم تكن رباط الفتح يومئذ قد بنيت ، لان بانيها حافده يعقوب المنصور كما سيأتى إن شاء الله ، وإنما كان يقال رباط سلا .

ثم أذن عبد المومن لأهل الاندلس فى الوفادة عليه بسلا ، فقدموا عليه فى نحو خمسمائة فارس من الفقهاء والقضاة والخطباء والاشياخ والقواد ، فتلقاهم الشيخ أبو حفص الهنتاتى ، والوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية ، واشياخ الموحدين على نحو ميلين من المدينة ، فأمر عبد المومن بانزالهم ، وأفاض عليهم سجال الاكرام ، وانواع الضيافات والانعام ، وبقوا على ذلك ثلاثة أيام ، ثم أذن لهم فى الدخول فدخلوا عليه أول يوم من المحرم فاتح سنة ست وأربعين وخمسمائة ، فسلموا عليه .

وأشار الوزير ابن عطية لاهل قرطبة بالتقدم ، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج فأراد أن يتكلم فدهش ، ثم وصف حال قرطبة ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن الفنش

لعنه الله قد اضعفها » فتلافاه أبو بكر بن الجـدّ بالخطبة البليغة ، فجلى فى ذلك المجلس ، واستحسن عبد المؤمن خطبته ، ووصل الجميع كلا على قـدره ، وقضى مطالبهم ، وأوصاهم بما اقتضاه الحال، وامرهم بالانصراف إلى بلادهم ، فانصرفوا فرحين مغتبطين .

وقال ابن خلدون : « استدعى عبد المؤمن أهل الاندلس - وهو بسلا - فوفدوا عليه وبايعوه جميعا ، وبايعه الرؤساء من الثوار على الانخلاع من الامر ، مثل سدراتى ابن وزير صاحب باجة ويابرة ، ويوسف البطروجى صاحب لبلة ، وابن عزرون صاحب شريش ورندة ، ومحمد بن الحجام صاحب بطليوس ، وعامل بن مهيب صاحب طلبيرة ، وتخلف ابن القيسى وأهل شلب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعد . وانصرف أهل الاندلس إلى بلادهم ، ورجع عبد المؤمن إلى مراكش واستصحب الثوار فلم يزالوا بحضرته . والله تعالى أعلم .

غزو افريقية وفتح مدينة بجاية

ثم بلغ عبد المومن اضطراب بلاد افريقية بسبب تنازع ملوكها من بنى زيرى بن مناد الصنهاجيين واستطالة العرب عليهم بها ، فأجمع الرحلة إلى غزوها ، بعد ان شاور الشيخ أبـا حفص وأبا ابراهيم وغيرهما من المشيخة فوافقوه . فخرج من مراكش أواخر سنة ست وأربعين وخمسمائة ، واستخلف عليها الشيخ أبا حفص الهنتاتى ، وسار حتى وصل إلى سلا فأقام بها شهرين ، ثم نهض منها إلى سبتة مظهرا أنه يريد العبور إلى الاندلس بقصد الجهاد .

فلما وصل إلى سبتة استدعى فقهاء قرطبة واشبيلية وأعيان الاندلس وقوادها ، فاستوضح منهم أحوال البلاد ، وأوصاهم بما إليهم منها وودعهم .

ورحل عن سبتة مظهرا العود إلى مراكش ، وسار حتى وصل إلى القصر الكبير ، وهو قصر كتامة ، فميز جيوشه وأزاح عللهم وفرق فيهم الاموال ، وأمرهم بتجديد الازواد ، وخرج يعتسف البلاد على غير طريق ، فجعل مدينة فاس عن يمينه ، وجـدّ السير حتى خرج على وادى ملوية ، ثم سار إلى تلمسان فأقام بها يوما واحدا ، ثم خرج

منها ووالى السير قاصدا بجاية ، فطرق الجزائر على حين غفلة من أهلها . فدخلها وأمنهم ، وفرّ صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز إلى أبيه يحيى ببجاية .

وخرج الى عبد المؤمن الحسن بن على الصنهاجى صاحب المهدية ، وكان الفرنج قد أخرجوه منها ، فقصد ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فعدل به الى الجزائر وأنزله بها كالمسجون . فلما طرق عبد المؤمن الجزائر فى هذه المرة خرج اليه الحسن ابن علي المذكور ، فصحبه ووصل يده بيده ، حتى كان من أمره ما نذكره ان شاء الله .

ثم اعترضت جيوش صنهاجة عبد المؤمن بام العلو فهزمهم وصبح بجاية من الغد فدخلها . وفرّ صاحبها يحيى بن العزيز الصنهاجى آخر ملوك بنى حماد أصحاب القلعة . فركب البحر فى أسطولين كان أعدهما لذلك ، واحتمل فيهما ذخيرته وأمواله ، وعزم على المسير إلى مصر ، ثم عدل إلى بونة فنزل على أخيه الحارث ، فأنكر عليه سوء صنيعه وافراجه عن البلد ، فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتخلى له عن الامر .

وفى خلال ذلك دخل الموحدون قلعة حماد عنوة ، وكان عبد المؤمن وجه جيشا من الموحدين اليها وأمر عليهم ابنه أبا محمد عبد الله فدخلوها وأضرموا النيران فى مساكنها وخربوها وقتلوا بها نحو ثمانية عشر ألفا ، وامتلأت أيدى الموحدين من الغنائم والسبى ، ثم جمع لهم العرب الذين هناك من الاثبج وزغبة ورياح وغيرهم بسطيف ، فأوقعوا بهم واستلحموهم ، وسبوا نساءهم واكتسحوا أموالهم .

واما يحيى بن العزيز فإنه بايع لعبد المومن سنة سبع واربعين وخمسمائة . ونزل له عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له عبد المؤمن ، ونقله إلى مراكش بأهله وخاصته فسكنها وأفاض عليه سجال الاحسان ، وأنزله منزلة رفيعة ، ثم انتقل إلى سلا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . فسكن بقصر ابن عشرة منها إلى ان مات من سنته رحمه الله .

ووفد على عبد المومن بمراكش كبراء العرب من اهل افريقية طائعين ، فوصلهم ورجعوا إلى قومهم مغتبطين .

فتح المرية وبياسة وأبدة

كانت هذه البلاد قد استولى عليها الفرنج أيام الموحدين والمرابطين بالاندلس ، فلما كانت سنة ست وأربعين وخمسمائة عبر الشيخ أبو حفص إلى الاندلس في جيش كثيف من الموحدين ومعه السيد أبو سعيد ابن أمير المومنين برسم الجهاد - وكان بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة - فنزلوا المرية وضيقوا عليها بالحصار ، وبنى السيد أبو سعيد على محلته سورا ، واستغاث نصارى المرية بالفنش فأغاثهم بمحمد بن مردنيش - وكان واصلا يده بيده - ووجه معه السلطان أحد قواد الفرنج فى جيش كثيف ، فلم يتمكنوا من البلد ولا من محلة الموحدين لكونها محصنة بالسور . فرجع ابن مردنيش والسلطان بخفى حنين وافترقا فلم يجتمعا بعد .

ثم عمد السلطان إلى بياسة وأبدة فأخلاهما من النصارى الذين كانوا بهما خوفا عليهم ، ورجع عوده على بدئه . وأما السيد أبو سعيد فإنه شدد الحصار على المرية حتى نزلوا على الامان بواسطة الوزير ابن عطية .

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وجه عبد المؤمن على يصليتن قريب المهدى فأتى به مكبولا من سبتة ، فأمر بقتله وصلبه بباب مراكش لأمر نقمه عليه .

ثم ارتحل عبد المؤمن بعد مقتل يصليتن إلى تينملل بقصد زيارة قبر المهدى ، فزار وفرق في أهلها أموالا عظيمة ، وأمر ببناء مسجدها وتوسعتها .

قدوم عبد المؤمن مدينة سلا وتولية اولاده على النواحى بها

لما قضى عبد المؤمن أربه من تينملل ارتحل منها إلى سلا ، فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين بعدها ، فبايع لابنه السيد أبى عبد الله محمد بولاية العهد ، وأمر أن يذكر فى الخطبة بعده ، وكتب بذلك إلى جميع الافاق .

ثم عقد لابنه السيد أبى الحسن علي على فاس وأعمالها ، واستوزر له أبا الحجاج يوسف بن سليمان . وعقد لابنه السيد أبى حفص عمر على تلمسان وأعمالها واستوزر له أبا محمد عبد الحق بن وانودين ، واستكتب له أبا الحسن عبد الملك بن عياش . وعقد لابنه السيد أبى سعيد عثمان على سبتة وطنجة ، واستوزر له أبا محمد عبد الله بن سليمان ، وأبا عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجى ، واستكتب له أبا بكر بن طفيل القيسى ، وأبا بكر بن حبيش الباجى . وعقد لابنه السيد أبى محمد عبد الله على بجاية وأعمالها ، واستوزر له أبا سعيد يخلف بن الحسن . وعقد للشيخ أبى زيد بن يكيت على قرطبة وأعمالها ، ويقال إن قرطبة كانت فى هذا التاريخ بيد يحيى بن يغمور والله أعلم .

واستقامت الاحوال لعبد المؤمن وبنيه ، وصفا له المغربان والاندلس . والله غالب على أمره .

إيقاع عبد المومن بعبد العزيز وعيسى اخوي المهدى والسبب في ذلـــك

كان عبد العزيز وعيسى أخوا المهدى من مشيخة العسكر ووجوه الجيش باشبيلية أيام فتحها ووفادة أهلها على عبد المؤمن بمراكش حسبما تقدم . ثم ساء أثرهما بها ، واستطالت أيديهما على أهلها ، واستباحا الدماء والاموال ، ثم اعتزما على الفتك بيوسف البطروجى صاحب لبلة ، فلحق ببلده وأخرج الموحدين الذين بها وحول الدعوة عنهم إلى المرابطين ، ونشأ عن ذلك فساد كبير بالاندلس ، ثم لحق أخوا المهدى بالعدوة فى خبر طويل .

واستمر حالهما إلى أن بايع عبد المؤمن لابنه محمد بولاية العهد ، وعقد لاخوته على العمالات والنواحى ، ففسدت نية عبد العزيز وعيسى بذلك ، مع ما كان صدر من عبد المؤمن من قتل ابنى عمهما يصليتن ، وكانا يومئذ بفاس وعبد المؤمن بسلا ، فخرجا

من فاس إلى مراكش على طريق المعدن مضمرين للغدر .

واتصل خبر خروجهما بعبد المؤمن ، فخرج من سلا فى أثرهما متلافيا أمر مراكش . وقدم أمامه وزيره أبا جعفر ابن عطية ، فسبقاه إليها وداخلا بعض الاوباش بها فى شأنهما . فوثبوا بعاملها أبى حفص عمر بن تافراكين فقتلوه بمكانه من القصبة .

ووصل على إثرهما الوزير ابن عطية ثم عبد المومن على أثره ، فأطفآ تلك النائرة ، وتقبض عبد المومن على عبد العزيز وعيسى فقتلهما وصلبهما ، وتتبع المداخلين لهما فألحقهم بهما وانقطع الشغب وزال الفساد .

ايقاع يحيى بن يغمور بأهل لبلة واسرافه فى ذلك

لما كانت سنة تسع وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة لبلة ، وكان المتولى لفتحها يحيى بن يغمور والى قرطبة واشبيلية ، حاصرها مدة ثم اقتحمها عنوة ، وقبض على أهلها فخرج بهم إلى ظاهر المدينة ، وصفهم فى صعيد واحد ثم عرضهم على السيف أجمعين حتى خلص القتل منهم إلى الفقيه المحدث أبى الحكام بن بطال ، والفقيه الصالح أبى عامر بن الجد !

وكان عدد من قتل من أهل لبلة فى ذلك الصعيد ثمانية آلاف وقتل بأحوازها نحو أربعة آلاف ثم بيعت نساؤهم وابناؤهم وأمتعتهم واسلابهم فعل ذلك افتياتا على عبد المومن ! وبلغه الخبر وهو بمراكش ، فسخطه . وبعث إليه عبد الله بن سليمان فجاء به معتقلا إلى الحضرة يوم عيد الفطر ، فألزمه بيته وبقى على ذلك مدة ثم عفا عنه وسرحه مع ابنه السيد ابى حفص إلى تلمسان . ولم يصرف إلى أهل لبلة شيئا مما أخذ لهم واستقام امر الاندلس ، ونزل ميمون بن بدر اللمتونى عن غرناطة للموحدين فملكوها ، وأجاز إليها السيد ابو سعيد صاحب سبتة ، بعهد ابيه عبد المومن إليه بذلك ، ولحق الملثمون بمراكش .

امر (١) عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة

لما كانت سنة خمسين وخمسمائة أمر امير المومنين عبد المومن بن علي باصلاح المساجد وبنائها فى جميع ممالكه ، وبتغيير المنكرات ما كانت . وأمر مع ذلك بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث واستنباط الاحكام منها ، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة . فجزاه الله خيرا .

نقل المصحف العثمانى من قرطبة الى مراكش وبناء جامع الكتبيين بها

كان بقرطبة ثم بجامعها الاعظم المشهور مصحف أمير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ذكر ذلك جماعة من المؤرخين منهم ابن بشكوال وغيره . وكان ذلك المصحف الكريم متداولا عند بنى امية واهل الاندلس ، واستمر بقرطبة إلى دولة الموحدين فنقله عبد المؤمن إلى مراكش .

قال ابن بشكوال : « أخرج المصحف العثمانى من قرطبة وغرب منها ، وكان

---

(١) الذى فى كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشى : ان يعقوب المنصور هو الآمر بذلك ، فانظر هل فعل هذا اقتداء بجده أم من ذاته لاول الامر ، لكن الظاهر من كلام المراكشى أن إحراق كتب الفروع ورد الناس إلى الكتاب والسنة كان مقصدا وعزما لعبد المومن وابنه يوسف ، إلّا أنهما لم يظهراه ، وأظهره يعقوب بعدهما اهـ . وما ذكره المؤلف هنا منقول عن صاحب القرطاس . وكلام صاحب المعجب أولى بالاعتبار لقربه من الزمن المذكور ومشاهدته للواقع .

بجامعها الاعظم ليلة السبت الحادى عشر من شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فى ايام ابى محمد عبد المؤمن بن علي وبأمره ، وهذا احد المصاحف الاربعة التى بعث بها عثمان رضى الله عنه إلى الامصار : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام . وما قيل من ان فيه دم عثمان بعيد ، وان يكن أحدها فلعله الشامى » .

قال ابن عبد الملك قال ابو القاسم التجيبى السبتى : « اما الشامى فهو باق بمقصورة جامع بني أمية بدمشق ، وعاينته هنالك سنة سبع وخمسين وستمائة ، كما عاينت المكى بقبة الشراب » . قال : « فلعله الكوفى أو البصرى » .

قال الخطيب ابن مرزوق في كتاب المسند الصحيح الحسن : « اختبرت الذى بالمدينة والذى نقل من الاندلس ، فألفيت خطهما سواء ، وما توهموه أنه خطه بيمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها ، وإنما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدنى ، ونص ما على ظهره : هذا ما اجمع عليه جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله عنهم على كتب المصحف » اه

وكان من خبر نقله إلى مراكش ما ذكره ابن رشيد فى رحلته عن أبى زكريا يحيى ابن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسى عن كتاب جده الوزير ابى بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور ، قال : « وصل إلى عبد المومن ابناه السيدان أبو سعيد ، وأبو يعقوب من الاندلس ، وفى صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو الامام الذى لم يختلف فيه مختلف ، فتلقى وصوله بالاجلال والاعظام وبودر إليه بما يجب من التبجيل والاكرام .

وكان فى وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبر لاولى الألباب . وذلك أن أمير المؤمنين عبد المؤمن كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره فى خاطره ، وتروّى مع نفسه فى كيفية جلبه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ، فتوقع أن يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ، ويستوحشوا لفقدان إضاءته وإشراقه ، فوقف عن ذلك فأوصله الله إليه تحفة سنية . وهدية هنية ، دون أن يكدرها من البشر

اكتساب ، أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب ، بل أوقع الله تعالى فى نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بإرساله ، ما اطلع بالمشاهدة على صحة صدقه ، وعضدت مخايل برقه ، سواكب ودقه ، وعد ذلك من كرامات أمير المؤمنين عبد المؤمن وسعادته .

ثم عزم عبد المؤمن على تعظيم المصحف الكريم وشرع فى انتخاب كسوته ، واختيار حليته ، فحشر الصناع المتقنين ممن كان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والاندلس، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة من المهندسين ، والصوّاغين ، والنظامين ، والحلائين ، والنقاشين، والمرصعين ، والنجارين ، والزواقين ، والرسامين ، والمجلدين ، وعرفاء البنائين ! ولم يبق من يوصف ببراعة ، أو ينسب إلى الحذق فى صناعة ، إلّا أحضر للعمل فيه ، والاشتغال بمعنى من معانيه !

وبالجملة ، فقد صنعت له أغشية بعضها من السندس ، وبعضها من الذهب والفضة ، ورصع ذلك بأنواع اليواقيت وأصناف الاحجار الغريبة النوع والشكل العديمة المثال . واتخذ للغشاء محمل بديع مما يناسب ذلك فى غرابة الصنعة وبداعة الصبغة .

واتخذ للمحمل كرسى على شاكلته ، ثم اتخذ للجميع تابوت يصان فيه على ذلك المنوال ! ووصف ذلك يطول .

وفى خلال هذه المدة أمر عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله ، فبدئ ببنائه وتأسيس قبلته فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وكمل فى منتصف شعبان من السنة المذكورة على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع ، وأفسح المساحة ، وأحكم البناء والنجارة . وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل فى السنين العديدة لاستغرب تمامه ، فكيف فى هذا الامد اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع ان يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه ! وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور .

ونهض عبد المؤمن عقب ذلك لزيارة روضة المهدى بمدينة تينملل ، فأقام بها بقية شعبان ومعظم رمضان ، وحمل فى صحبته المصحف العثمانى فى التابوت المذكور ، ومعه مصحف المهدى ، وختم القرآن العزيز فى مسجد المهدى وعند ضريحه ختمات كثيرة . وعاد إلى مراكش .

ولم يزل الموحدون يعتنون بهذا المصحف الكريم ويحملونه فى أسفارهم متبركين به كتابوت بنى اسرائيل إلى أن حمله منهم السعيد وهو علي بن إدريس ابن يعقوب المنصور الملقب بالمعتضد بالله حين توجه إلى تلمسان ، آخر سنة خمس وأربعين وستمائة ، فقتل السعيد قريبا من تلمسان ، ووقع النهب فى الخزائن ، واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ، ونهب المصحف فى جملة ما نهب منه ، وعثر عليه ملوك بنى عبد الواد أصحاب تلمسان ، فلم يزل فى خزانتهم بها إلى أن افتتحها السلطان الاعظم أبو الحسن المرينى أواخر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وحصل عنده فكان يتبرك به ويحمله فى أسفاره على العادة إلى أصيب فى وقعة طريف وحصل فى بلاد البرتقال ، وأعمل أبو الحسن الحيلة فى استخلاصه حتى وصل إلى فاس سنة خمس وأربعين وسبعمائة على يد بعض تجار آزمور ، واستمر فى خزانته إلى أن سافر أبو الحسن سفرته المعلومة الى افريقية فاستولى عليها .

ولما كانت سنة خمسين وسبعمائة ركب أبو الحسن البحر من تونس قافلا إلى المغرب ، وذلك فى إبان هيجان البحر ، فغرقت مراكبه وهلكت نفوس تجل عن الحصر ، وضاعت نفائس يعز وجود مثلها ، ومن جملتها المصحف العثمانى فكان ذلك آخر العهد به .

ومما يناسب ذكره هنا المصحف العقبانى ، وهو مصحف عقبة بن نافع الفهرى فاتح المغرب ، وكان متداولا عند ملوكه ومتبركا به وثانى المصحفين فى المنزلة عند أهل المغرب .

قال أبو عبد الله اليفرنى فى كتاب النزهة : « إن السلطان أبا العباس أحمد المنصور بالله المعروف بالذهبى لما جدد ولاية العهد لولده المأمون بعث إليه بالقدوم من مدينة فاس ، فوافاه بتامسنا ، وباشر المنصور أخذ البيعة له بنفسه ، وحضر الاعيان وأهل العقد والحل ، وأحضر المصحف الكريم الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه » قال : « وهو من ذخائر الخلفاء . وأحضر الصحيحان للشيخين . وقرئ ظهير البيعة وذلك فى شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة . ولم يزل المصحف العقبانى متداولا بين الملوك السعديين إلى أن انقرضت دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العلوية السجلماسية فانتقل المصحف المذكور اليها . وتداولته ملوكها الى أن جاء السلطان

المولى عبد الله بن إسمعيل بن الشريف رحمه الله ، فبعث هديـة سنية مع ركب الحاج للحرم النبوى ، وبعث فى جملتها المصحف المذكور » .

قـال صاحب البستان : « ولما سافر الركب النبوى يعنى سنة خمس وخمسين ومائـة وألف وجـه معه السلطان المـولى عبد الله ثلاثة وعشرين مصحفا - بين كبير وصغير - كلها محـلاة بالذهب ، منبتة بالدر والياقوت ، ومن جملتهـا المصحف الكبير العقبانى الذى كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثمانى ، وهو مصحف عقبة بن نافع الفهرى نسخه بالقيروان من المصحف العثمانى ، فوقع هذا المصحف بيد الاشراف الزيـدانيين يتداولونه بينهم إلى أن بلـغ إلى السلطان المولى عبد الله المذكور فغربه من المغرب إلى المشرق ، ورجع الدر إلى صدفه والابريز إلى معدنه » .

قال الشيخ المسناوى :« وقد وقفت عليه حين أمر السلطان المولى عبد الله بتوجيهه إلى الحجرة النبوية ، وظهر لى أن تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر لبعد ما بينهما » .

ووجـه معه السلطان المذكور ألفى حصاة بالتثنية وسبعمائة حصاة من الياقوت المختلفة الالوان إلى الحجرة النبوية على الحالّ بها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وهـذه الاخبار وإن كانت متباعدة التاريخ فهى متناسبة المعنى ، جمعناها هنا ليقف الناظر عليها فى محل واحد وتحصل فائدتها متناسقة . والله الموفق .

نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها

كان الوزير أبو جعفر أحمد بن عطية من أهل مراكش وأصله القديم من طُرْطوشة ، ثم بعد من دانية .

وكان أبوه أبو أحمـد بن عطية كاتبا لامير المسلمين علي بن يوسف اللمتونى ، ثم لابنه تاشفين من بعده ، وتحصل فى قبضة الموحدين فعفا عنه عبد المؤمن .

ولما حاصر عبد المؤمن فاسا اعتزم أبو أحمد هـذا الفرار فتقبض عليه فى طريقه ، وسيق إلى عبد المؤمن فاعتذر ، فلم يقبل عبد المؤمن عذره ، وسحب إلى مصرعه فقتل رحمه الله

وكان ابنه أبو جعفر صاحب الترجمة كاتبا لاسحق بن علي اللمتونى بمراكش فشمله عفو امير المومنين فيمن شمله من ذلك الفل .

وخرج في جملة الشيخ أبى حفص العنتاتى حين نهض لقتال محمد بن هود الماسى .

فلما كان الفتح وكتب رسالته المتقدمة وقف عليها عبد المومن فاستحسنها واستكتبه لذلك . ثم ارتفعت مكانته عنده فاستوزره ، فظهر غناؤه وكفايته ، وحمدت سيرته وادارته ، وقاد العساكر ، وجمع الاموال وبذلها ، وبعد في الدولة صيته . ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله أحد فى دولته ، وتحبب إلى الناس باجمال السعي والاحسان ، فعمت صنائعه ، وفشا معروفه . وكان محمود السيرة ، مبخت المحاولات ، ناجح المساعى ، سعيد المآخذ ، ميسر المآرب . وكانت وزارته زينا للوقت ، وكمالا للدولة رحمه الله .

ثم لما كانت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وفد أشياخ اشبيلية على عبد المؤمن ، ورغبوا منه فى ولاية بعض أبنائه عليهم ، فعقد لابنه السيد أبى يعقوب عليها ، وبعث معه الوزير ابن عطية المذكور لمباشرة الامور واصلاح الاحوال . فأغنى فى ذلك الغناء الجميل .

ولما غاب وجهه عن الحضرة وجد حساده السبيل إلى التدبير عليه والسعي به ، حتى أوغروا صدر الخليفة عليه ، فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومى ، وانبرى لمطالبة ابن عطية وجد في التماس عوراته ، وتشنيع سقطاته ، وطرحت بمجلس السلطان أبيات منها :

قل للامام أطال الله مدته * قولا تبين لذى لب حقائقه
ان الزراجين قوم قد وترتهم * وطالب الثار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل * لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى اطفاء نارهم * فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدوّ ومن والاهم كهم * فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أنى ناصح لكم * والحق أبلج لا تخفى طرائقه

قالوا فلما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة فى معناها وغر صدره على

وزيره أبى جعفر وأضمر له فى نفسه شرا ، فكان ذلك من أقوى أسباب نكبته ، وقيل أفضى اليه بسر فافشاه .

وانتهى ذلك كله الى أبى جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش . فحجب عند قدومه ، ثم قيد الى المسجد فى اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم . وقرروا على ما يعلمون من أمره وما صار اليه منهم ، فاجاب كل بما اقتضاه هواه . وأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية ، وتوجه فى أثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدى ، فاستصحبهما بحال ثقاف .

وصدرت عن أبى جعفر فى هذه الحركة من لطائف الآداب نظما ونثرا فى سبيل التوسل بتربة امامهم المهدى عجائب ، فلم تجد شيئا مع نفوذ قدر الله تعالى فيه .

ولما انصرف من وجهته أعادهما معه قافلا الى مراكش ، فلما حاذى تاكمارت أنفذ الامر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة هنالك ، فمضيا لسبيلهما وذلك فى شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

ومما خاطب به الوزير المذكور عبد المؤمن مستعطفا له من رسالة تغالى فيها فغالته المنية . ولم ينل الأمنية ، وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالوهية ، ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش فى وجه فضل الانبياء على غيرهم ، قوله سامحه الله : « تالله لو أحاطت بى كل خطية ، ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطية ، حتى سخرت بمن فى الوجود ، وأنفت لآدم من السجود . وقلت ان الله تعالى لم يوح فى الفلك الى نوح ، وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا ، وبريت لقدار ثمود نبلا ، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان على الطين ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وافتريت على العذراء البتول فقذفتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوة ، وأبغضت كل قرشى ، وأكرمت لاجل وحشى كل حبشى ، وقلت ان بيعة السقيفة ، لا توجب امامة الخليفة ، وشحذت شفرة غلام المغيرة ابن شعبة ، واعتلقت من حصار الدار وقتل اشمطها بشعبة . وقلت تقاتلوا رغبة فى الابيض والاصفر ، وسفكوا الدماء على الشريد الاعفر ، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا ، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا . ثم أتيت حضرة المعصوم لائذا ، وبقبر

الامام المهدى عائذا ، لاذن لمقالتى أن تسمع ، وتغفرلى هذه الخطيئات أجمع ، مع انى مقترف ، وبالذنب معترف .

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا * بحمل قلوب هدها الخفقان

والسلام على المقام الكريم ، ورحمة الله تعالى وبركاته » .

وكتب مع ابن له صغير آخرة :

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن

قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج * ورحمة منكم أنجى من السفن

وصادفتنا سهام كلنا غرض * وعطفة منكم أوقى من الجنن

هيهات للخطب أن تسطو حوادثه * بمن أجارته رحماكم من المحن

من جاء عندكم يسعى على ثقة * بنصره لم يخف بطشا من الزمن

فالثوب يطهر عند الغسل من درن * والطرف يرهص بعد الركض فى سنن

أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم * من دون من عليهم لا ولا ثمن

ونحن من بعض من أحييت مكارمكم * كلتا الحياتين من نفس ومن بدن

وصبية كفراخ الورق من صغر * لم يألفوا النوح فى فرع ولا فنن

قد أوجدتهم أياد منك سابقة * والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة : الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين !

ومما كتب به من السجن :

أنوح على نفسى أم أنتظر الصفحا ؟ * فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى

فها أنا فى ليل من السخط حائر * ولا أهتدى حتى أرى للرضا صبحا !

وامتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية ، فلما أسمعوه ما قالوا أعرض عنهم وقال : « ذهب ابن عطية وذهب الادب معه » .

وكان لابى جعفر أخ اسمه عطية قتل معه كما قلنا . ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب عقيل بن عطية . ومن نظمه فى رجل تعشق قينة كانت ورثت مالا من مولاها فكانت تنفق عليه منه ، فلما فرغ المال ملها ، فقال أبو طالب :

لا تلحه إن مل من حبها * فلم يكن ذلك عن ود

لمـا رآها قـد صفا مالها * قال صفا الوجد مع الوجد !

ويروى أن الوزير ابن عطية رحمه الله مرّ مـع الخليفة عبد المومـن ببعض طرق مراكش فأطلت جارية بارعة الجمال من شباك فقال عبـد المؤمن :

قدت فـؤادى من الشباك إذ نظرت

فقال الوزير مجيزا له : حـوراء ترنـو إلى العشاق بالمقـل

فقال عبد المؤمن :

كأنما لحظهـا فى قلب عاشقهـا

فقال الوزير : سيف المـؤيد عبد المؤمن بن علي

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية ، رحم الله الجميع بمنه .

غزو افريقية ثانيا وفتح المهدية وغيرها من الثغور

كانت بلاد افريقية بيد بنى زيرى بن مناد الصنهاجيين من لدن الدولة العبيدية بها . وفى هذا التاريخ كانت دولتهم قد أشرفت على الهرم ، وكثر التنازع بينهم ، وزاحمتهم الثوار من العرب وغيرهم بتلك الاقطار ، فانتهز الفرنج أصحاب صقلية الفرصة فيهم وملكوا منهم عدة ثغور مثل صفاقس وسوسة وغيرهما . ثم ملكوا بعد ذلك المهدية وهى يومئذ دار ملك الحسن بن على الصنهاجى آخر ملوك بنى زيرى بن مناد ، ففر الحسن عنها الى ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية ، فانزله بالجزائر .

ولما طرق عبد المؤمن ثغر الجزائر فى غزوته الاولى الى افريقية خرج اليه الحسن ابن علي هذا وصحبه وصار فى جملته . فكان الحسن يغريه بغزو افريقية واستنقاذها من يد العدو .

وكان عبد المؤمن يحب ذلك ويرغب فيه إلّا انه كان ينتظر ابان الفرصة . فاتفق ان فرنج صقلية أوقعوا باهل زويلة – وهى مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان – وقعة شنيعة ، حتى إنهم قتلوا النساء والاطفال ! ففر جماعة منهم الى عبد المؤمن بن على

وهو بمراكش يستغيثونه ويستنصرونه على العدو .

فلما وصلوا اليه أكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين . وانه ليس فى ملوك الاسلام من يقصد سواه . ولا يكشف هذا الكرب غيره . فدمعت عيناه وأطرق ، ثم رفع رأسه وقال : « أبشروا لأنصرنكم ولو بعد حين » وأمر بانزالهم . وأطلق لهم ألفي دينار .

ثم أمر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العسكر فى السفر . وكتب الى جميع نوابه فى المغرب — وكان قد ملك العدوتين الاندلس والمغرب واتسعت خطة مملكته الى قرب مدينة تونس — فكتب الى من بطريقه من النواب يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات وأن يترك الزرع فى سنبله ويخزن فى مواضعه وأن يحفروا الآبار فى الطرق ، ففعلوا جميع ما أمرهم به ، وجمعوا غلات الحب ثلاث سنين . ونقلوها الى المنازل التى على الطريق . وطينوا عليها فصارت كأنها تلال .

فلما كان صفر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار عبد المؤمن من مراكش يؤم بلاد افريقية .

وقال ابن خلدون : « كان عبد المومن فى هذه السفرة قد عزم على العبور إلى الاندلس لما بلغه من اضطراب أحوالها واستطالة الطاغية بها . فنهض يريد الجهاد . واحتل بسلا ، فبلغه انتقاض افريقية ، وأهمه شأن النصارى بالمهدية . فلما توافت العساكر بسلا استخلف الشيخ أبا حفص الهنتاتى على المغرب ، وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس ، ونهض يغذ السير إلى افريقية . واجتمع عليه من العساكر مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة أمثالهم ، وكان هذا الجند يمتد أميالا .

وبلغ من حفظه وضبطه أنهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة ! وإذا نزلوا صلوا بامام واحد بتكبيرة واحدة ، لا يتخلف منهم أحد كائنا من كان .

وقدم بين يديه الحسن بن علي الصنهاجى صاحب المهدية ، وكان قد اتصل به كما قلنا ، فلم يزل يسير إلى أن وصل إلى مدينة تونس فى الرابع والعشرين من جمدى الآخرة من السنة ، وبها صاحبها أحمد بن خراسان ، وأقبل اسطوله فى البحر فى سبعين شينيا وطريدة وشلندا .

فلما نازلها راسل أهلها يدعوهم إلى الطاعة فامتنعوا . فقاتلهم من الغد أشد قتال . ولما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من أعيان أهلها إلى عبد المومن يسألونه الامان لأهل بلدهم ، فأجابهم عبد المومن بأن لهم الامان في أنفسهم وأهليهم وأموالهم لمبادرتهم إلى الطاعة ، وأما من عداهم من سائر أهل البلد فيؤمنهم فى أنفسهم وأهليهم ، ويقاسمهم على أموالهم وأملاكهم نصفين ! وأن يخرج صاحب البلد هو وأهله . فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلد ، وبعث إليهم من يمنع العساكر من الدخول عليهم . وبعث أمناءه ليقاسموا الناس على أموالهم وأملاكهم ، وأقام أهل تونس بها على اجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم ! وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن أبى قتل !

وأقام عليها ثلاثة أيام ثم سار إلى المهدية واسطوله يحاذيه فى البحر ، فوصل إليها ثامن عشر رجب من السنة المذكورة ، وكان بالمهدية يومئذ خواص الفرنج من أولاد ملوكها وأبطال فرسانها ، وقد اخلوا مدينة زويلة المجاورة للمهدية فدخلها عبد المومن ، وامتلأت بالعساكر والسوقة ، فصارت مدينة معمورة فى ساعة واحدة ، ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها . وانضاف إليه من صنهاجة والعرب وأهل افريقية ما يخرج عن الاحصاء ، وأقبلوا يقاتلون المهدية مدة أيام فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق محال القتال عليها لأن البحر دائر بأكثرها فكأنها كف فى البحر ، وزندها متصل بالبر ، وكانت الفرنج تخرج شجعانها إلى أطراف العسكر ، فتنال منه ويعودون سريعا ، فأمر عبد المومن ببناء سور غربى المدينة يمنعهم من الخروج ، وأحاط الاسطول بها في البحر ، وركب عبد المؤمن شينيا ومعه الحسن بن علي الذى كان صاحبها ، وتطوف بها فى البحر ، فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لاتفتح بقتال برا ولابحرا ، وليس لها إلّا المطاولة وقال للحسن : « كيف نزلت عن مثل هذا الحصن ! ؟ » فقال : « لقلة من يوثق به ، وعدم القوت ، وحكم القدر » فقال : « صدقت ! » .

وعاد عبد المومن من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات ، وترك القتال ، فلم يمض غير قليل حتى صار فى المعسكر مثل الجبلين من الحنطة والشعير . فكان من يصل إلى

المعسكر من بعيد يقول : « متى حدثت هذه الجبال ؟ » فيقال : « هي حنطة وشعير ! » فيتعجب من ذلك ، وتمادى الحصار .

وفى مدة هذا الحصار استولى عبد المومن على طرابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها ، وفتح مدينة قابس بالسيف ، وسير ابنه السيد أبا محمد من مكان حصاره للمهدية فى جيش ففتح بلادا أخرى ، ثم أطاعه أهل مدينة قفصة ، وقدم عليه صاحبها فوصله بألف دينار . وبالجملة فإنه استخلص فى هذه المدة جميع بلاد افريقية من أيدى القائمين بها .

ولما كان الثانى والعشرون من شعبان من السنة المذكورة جاء اسطول صاحب صقلية فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد ممدا لاهل المهدية . وكان هذا الاسطول قد قدم من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس ، وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه ، فأرسل إليهم ملك الفرنج يأمرهم بالمسير إلى المهدية ، ليمدوا اخوانهم الذين بها ، فقدموا فى التاريخ المذكور ، فلما قاربوا المدينة حطوا شرعهم ليدخلوا المينا ، فخرج إليهم أسطول عبد المؤمن . وركب العسكر جميعه ، ووقفوا على جانب البحر ، فاستعظم الفرنج ما رأو من كثرة العساكر وداخل الرعب قلوبهم .

ونزل عبد المؤمن الى الارض فجعل يمرغ وجهه ويبكى ويدعو للمسلمين بالنصر واقتتلوا فى البحر ، فانهزمت شوانى الفرنج وأعادوا القلوع وساروا وتبعهم المسلمون فأخذوا منهم سبع شوانى ، وكان أمرا عجيبا وفتحا غريبا .

وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا ، وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويئس أهل المهدية حينئذ من النجاة . ومع ذلك فقد صبروا على الحصار أربعة أشهر أخرى الى آخر ذى الحجة من السنة ، فنزل حينئذ من فرسان الفرنج إلى عبد المؤمن عشرة وسألوا الامان لمن فيها من الفرنج على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها إلى بلادهم ، وكان قوتهم قد فنى حتى أكلوا الخيل ، فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام ودعاهم اليه ، فقالوا : « ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك » وترددوا اليه أياما .

وكان من جملة ما استعطفوه به ان قالوا : « أيها الخليفة ، ما عسى أن تكون المهدية ومن بها بالنسبة الى ملكك العظيم وأمرك الكبير ، وان أنعمت علينا كنا

أرقاء لك فى أرضنا ! » فعفا عنهم ـ وكان الفضل شيمته ـ وأعطاهم سفنا ركبوا فيها وساروا وكان الزمن شتاء فغرق أكثرهم ، ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير .

وكان صاحب صقلية قد قال : « إن قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين عندنا بجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم وأموالهم . » فأهلك الله الفرنج غرقا .

وكان مدة استيلائهم على المهدية اثنتى عشرة سنة . فدخلها عبد المؤمن صبيحة يوم عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، فكان يقال لهذه السنة سنة الاخماس.

وأقام عبد المؤمن بالمهدية عشرين يوما حتى رتب أحوالها وأصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخائر والاقوات والرجال والعدد .

واستخلف عليها أبا عبد الله محمد بن فرج الكومى وجعل معه الحسن بن على الصنهاجى الذى كان صاحبها ، وأمره أن يقتدى برأيه فى أفعاله ، وأقطع الحسن بها اقطاعا ، وأعطاه دورا نفيسة يسكنها وكذلك فعل بأولاده .

وصفت افريقية كلها لعبد المؤمن ودخل أهلها فى طاعته من برقة الى تلمسان ، ولم يبق له بها منازع ، ففرق فيها عماله وقضاته وضبط ثغورها وأصلح شؤنها .

وثنى عنانه إلى المغرب أول صفر من السنة المذكورة ، وانقطعت عادية الفرنج عن بلاد افريقية مدة مديدة . والله تعالى أعلم .

توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب

وفى هذه السنة أعنى سنة خمس وخمسين وخمسمائة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد افريقية والمغرب ، فكسر من برقة فى جهة الشرق الى بلاد نول من السوس الاقصى فى جهة الغرب بالفراسخ والاميال ، طولا وعرضا . ثم أسقط من التكسير الثلث فى الجبال والغياض والانهار والسباخ والحزون والطرق ، وما بقي قسط عليه الخراج ، وألزم كل قبيلة بقسطها من الزرع والورق ، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب عفا الله عنه .

بناء عبد المؤمن جبـــل طارق

كان عبد المؤمن رحمه الله ـ وهو بافريقية ـ قد أمر ببناء جبـل الفتح وتحصينه ، وهو جبل طارق ، فبنى وشيد حصنه . وكان ابتداء البناء به فى تاسع ربيع الاول من سنة خمس وخمسين وخمسمائة المذكورة ، وكمل بناؤه فى ذى القعدة منها .

بناء عبد المـــؤمن مدينة البطحاء

لما كان عبد المؤمن قافـلا من بلاد افريقية بنى مدينة البطحاء ، وسبب بنائه إياها أنه لما طالت بالموحدين الاقامة بالمشرق والتغرب عن أوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا نام فأتى شيخ من أشياخ الموحدين ممن اطلع على ذلك إلى عبد المؤمن فأخبره الخبر ، وقال لـه : « دعنى أبت الليلة فى مرضعك وأنم على فراشك ، فإن فعلوا ما اتفقوا عليـه كنت قـد ندبتك بنفسى فى حق المسلمين وأجرى فى ذلك على الله ! وإن حصلت السلامة فمن الله تعالى ، ويكون أجرى على قدر نيتى ! » فبات على فراشه . فاستشهد فى تلك الليلة . فلما أصبح عبد المؤمن وصلى الصبح افتقده فوجده قتيلا على فراشه ، فأخذه وحمله بين يديه على ناقة لا يقودها أحد ، فسارت الناقة يمينا وشمالا حتى بركت وحدها ، فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأنزل عنها ، وأخـذ بزمام الناقة فأزيلت عن مبركها ، وحفر قبره فيه ودفن ، وبنيت عليه قبة ، وبنى بازاء القبة جامعـا .

ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد ، وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيلة من قبائل المغرب . فقبر الشيخ هنا لك مزارة عند أهل تلك البلاد إلى اليوم قاله فى القرطاس .

ولما دخل عبد المؤمن إلى تلمسان فى هـذه الرجعة قبض على وزيره عبد السلام بن محمد الكومي فسجنه ثم سمه في جرعة لبن هلك بها من ليلته .

عبور عبد المومن الى جبل طارق والسبب فى ذلك



كان عبد المؤمن – وهو بافريقية – قد بلغه أن محمد بن مردنيش الثائر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان ، وأطاعه واليها محمد بن علي الكومى ، ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها ، وغدر بقرمونة وملكها ، ثم رجع إلى قرطبة وخرج ابن يكيت لحربه فهزمه ابن مردنيش وقتله .

فكتب عبد المؤمن إلى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افريقية عليه وانه واصل اليهم. فلما نهض من تلمسان فى رجعته هذه عدل الى طنجة فدخلها فى ذى الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وأقام بها إلى أن دخلت سنة ست وخمسين بعدها ، فعبر منها إلى الاندلس ونزل بجبل طارق فأقام به شهرين ، واستشرف منه أحوال الاندلس ، ووفد عليه قوادها وأشياخها فأمر بغزو غرب الاندلس ، فنهض إليه الشيخ أبو محمد عبد الله ابن أبى حفص الهنتاتى من قرطبة فى جيش كثيف من الموحدين ، ففتح حصن المرنكش من أحواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارى ، وخرج الفنش من طليطلة لاغاثته فوجده قد فتح . وصمد الموحدون لقتاله فهزمه الله ، وقتل من عسكره ستة آلاف ، وساق المسلمون السبي إلى قرطبة واشبيلية .

وفى هذه السنة ملك الموحدون بطليوس ، وباجة ، ويابورة ، وحصن القصر ، فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد إلى مراكش .



قدوم كُومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب فى ذلك

تقدم لنا ان عبد المؤمن لم يكن من المصامدة ، وانما كان من كُومية إحدى بطون بنى فاتن من البرابرة البتر ، وكانت مواطنهم بالمغرب الاوسط ، الى ان استدعاهم عبد المؤمن الى مراكش سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

والسبب فى ذلك انه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذى فداه بنفسه وتحقق ذلك منهم ورأى أنه غريب بين اظهرهم ليس له قبيل يستند إليه ، ولا عشير يثق به ويعتمد عليه ، أرسل فى خفية الى أشياخ كُومية الذين هم قبيلته وعشيرتهم ، وأمرهم بالقدوم عليه وأن يركبوا كل من بلغ الحلم منهم ، ويأتوه فى أحسن زىّ وأكمل عدة ، وسرب اليهم الاموال والكسى ، فاجتمع منهم أربعون ألف فارس ، ثم أقبلوا الى عبد المؤمن — وهو بمراكش — برسم خدمته ، والقيام بين يديه .

ولما دخلوا أرض المغرب تشوش أهله من قدوم هذا الجيش الحفيل ، من غير أن يتقدم لهم سبب ظاهر ، وتقول الناس الاقاويل ، فسار جيش كُومية حتى نزلوا على وادى أم الربيع ، وتسامع الموحدون باقبالهم فارتابوا منهم ، وعرفوا أمير المؤمنين عبد المؤمن بخبرهم ، فأمر عبد المؤمن الشيخ أبا حفص الهنتاتى أن يخرج اليهم فى جماعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم ، فسار حتى لقيهم على وادى أم الربيع فقال لهم: « ما أنتم أسلم لنا أم حرب ؟ » قالوا : « بل نحن سلم ، نحن قبيل أمير المؤمنين ، نحن كُومية قصدنا زيارته والسلام عليه » . فرجع أبو حفص وأصحابه وعرف عبد المؤمن الخبر ، فأمر جميع الموحدين أن يخرجوا الى لقائهم ففعلوا واحتفلوا لذلك .

وكان يوم دخولهم مراكش يوما مشهودا ، فرتبهم عبد المؤمن فى الطبقة الثانية من أهل الديوان ، وجعلهم بين قبيلة تينملل والقبيلة التابعة لهم ، وجعلهم بطانته يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه إذا خرج ويقومون على رأسه إذا جلس ، فاعتضد بهم عبد المؤمن وبنوه سائر دولتهم الى انقراضها . والله غالب على أمره .

استعـــداد عبد المـــؤمن للجهاد

وإنشاؤه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته رحمه الله



لما تمهد لعبد المؤمن ملك المغربين وأفريقية والاندلس وطاعت له سائر الاقطار وخضعت له الرقاب في البوادى والامصار تفرغ لشأنه . وتاقت نفسه للجهاد ، فعزم على غزو بلاد الفرنج برا وبحرا ، فأمر رحمه الله فى هذه السنة التى هى سنة سبع وخمسين وخمسمائة بانشاء الاساطيل فى جميع سواحل ممالكه ، فأنشىء له منها أربعمائة قطعة ، فمنها بحلق المعمورة وهى التى تسمى اليوم المهدية ، مائة وعشرون قطعة ، ومنها بطنجة وسبتة وبادس ومراسى الريف مائة قطعة ، ومنها ببلاد افريقية ووهران ومرسى هنين مائة قطعة . ومنها ببلاد الاندلس ثمانون قطعة .

ونظر فى استجلاب الخيل للجهاد والاستكثار من أنواع السلاح والعدد ، وأمر بضرب السهام فى جميع عمله ، فكان يضرب له منها فى كل يوم نحو عشرة قناطير جدية! فجمع له من ذلك ما لا يحصى كثرة ، وفى خلال هذا وفدت عليه قبيلة كومية كما مر .

ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين عبد المومن من مراكش قاصدا الاندلس برسم الجهاد ، وكان خروجه يوم الخميس خامس ربيع الاول من السنة المذكورة ، فوصل الى رباط سلا فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وافريقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم الى الجهاد ، فأجابه خلق كثير ، واجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة ومن قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس ! ومن جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ، ومائة ألف راجل! فضاقت بهم الارض وانتشرت المحلات والعساكر فى أرض سلا ، من عين غبولة إلى عين خميس ، إلى حلق المعمورة .

فلما استوفيت لديه الحشود ، وتكاملت لديه الجنود والوفود . كان المعنى الذى أشار اليه القائل :

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فابتدأ بعبد المومن مرضه الذى توفى منه ، وتمادى بـه ألمه فخاف أن يفجـأه الحمام فأمر بعزل ولده محمد عن ولاية العهد واسقاط اسمه من الخطبة ، لما ظهر لـه من العجز عن القيام بأمر الخلافة .

وكان ذلك يوم الجمعة الثانى من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكتب بذلك الى جميع طاعته . وتمادى به مرضه واشتد ألمه فتوفى ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك ، وحمل الى تينملل فدفن بهـا الى جنب قبر الامام المهدى رحمه الله ، فسبحان من لا يبيد ملكه ولا ينقضى عزه .

ونقل ابن خلكان فى كيفية عزل ولى العهد وجها (١) آخر ، قال ناقلا من خط العماد بن جبريل : « ان عبد المؤمن كان فى حياته قـد عهد الى أكبر أولاده ،وهو محمـد ، وبايعه الناس بعد تحليف الجند له ، وكتب ببيعته الى البـلاد ، فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر ، لانه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة ، من ادمـان شرب الخمر ، واختلال الرأى ، وكثرة الطيش ، وجبن النفس . ويقال انه مع هذا كله كان بـه ضرب من الجذام . واضطرب أمره واختلف الناس عليه فخلع . وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوما ، وذلك فى شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكان الذى سعى فى خلعه أخويه أبا يعقوب يوسف وأبا حفص عمر ابنى عبد المؤمن ، ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين ، وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأى فتأخر منهما أبو حفص عمر ، وسلم الامر الى اخيه أبى يعقوب يوسف ، فبايعوه الناس واتفقت عليه الكلمة . والله تعالى أعلم .



---

(١) على هذا الوجه اقتصر صاحب المعجب طبع سلا صحيفة ١٤٢ ، والوجه الاول ذكره صاحب القرطاس وابن الاثير فى تاريخه جزء ١١ صحيفة ١١٧ .

بقيــة أخبار عبد المؤمن وسيرتـــه

قال ابن خلكان : « كان عبد المؤمن عند وفاته شيخا نقى البياض » قال : « ونقلت من تاريخ فيه سيرته وحليته فقال مؤلفه رأيتـه شيخا معتدل القامة ، عظيم الهامة ، أشهل العينين ، كث اللحية ، شثن الكفين ، طويل القعدة . واضح بياض الاسنان ، بخـده الايمن خال » .

وكان رحمه الله فصيحا فقيها عالمـا بالاصول والجدل والحديث مشاركا فى كثير من العلوم الدينية والدنيوية ، ذا حزم وسياسة وإقـدام فى الحرب ومهمات الامور . سرى الهمة ، ميمون النقيبة ، لم يقصد قط بلدا إلّا فتحه ، ولا جيشا إلّا هجمه . محبا لاهل العلم والادب ، مكرما لوفادتهم ، منفقا لبضاعتهم . ذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبى العباس التيفاشى لمـا أنشده :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار عليه أن يقتصر على هذا البيت ، وأمر له بألف دينار .

وقد تقدم ما دار بينه وبين وزيره ابن عطية من الشعر الذى تجاذباه في أمر الجارية التى أطلت من الشباك ، وذلك دليل على سراوة طبعه ، وخفة روحه . رحمـه الله .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن على



قال ابن خلدون : « لما هلك عبد المؤمن أخذ السيد أبو حفص بن عبد المؤمن البيعة على الناس لاخيه أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن باتفاق من الموحدين كافة ، ورضى من الشيخ أبى حفص الهنتاتى خاصة ، واستقل فى رتبة وزارته ،

وذكر القاضى أبو الحجاج يوسف بن عمر مؤرخ دولتهم ان أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن بويع ببيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الاول سنة ستين وخمسمائة ، وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بسنتين . لانه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته ناس من أشياخ الموحدين ، وامتنع من بيعته أخواه : السيد أبو محمد صاحب بجاية ، والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة ، فكف عنهم . ولم يطالبهم ببيعة ، وتسمى بالامير ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس .

وذكر ابن مطروح فى تاريخه انه لما مات عبد المومن كان ولده يوسف باشبيلية . فأخفى أصحابه موته ، وأرسلوا الى يوسف ، فوصل من اشبيلية الى سلا فى أقرب وقت فبويع بها ولم يتخلف عن بيعته إلّا ناس قليلون ، فلم يلتفت اليهم .

وكان أول شىء فعله بعد البيعة ان سرّح الجيوش المجتمعة للجهاد الى بلادهم وقبائلهم ، وكتب الى البلاد بتسريح السجون وتفريق الصدقات فى جميع عمله ، وتسمى بالامير . ثم ارتحل الى مراكش فدخلها وأقام بها ، وكتب الى جميع أهل طاعته من الموحدين يطلبهم بالبيعة ، فأتته البيعة من جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس ، ما خلا قرطبة وبجاية . فان ولاتهما وهما أخواه توقفا عن ذلك ، وانتشر خبر أمير المؤمنين يوسف فى أقطار البلاد ، ودان له من بالعدوتين من العباد ، وفرق الاموال فى القبائل والاجناد .

وفى سنة تسع وخمسين وخمسمائة قدم عليه أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية ، والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة تائبين مبايعين ، وقدم معهما أشياخ بلديهما .

وفقهاؤهما ، فوصلهم أمير المؤمنين يوسف بالاموال والخلع ، وأحسن اليهم .

وفى هذه السنة ثار مرزدغ الصنهاجى من صنهاجة مفتاح . وضرب السكة باسمه ، وكتب فيها « مرزدغ الغريب ، نصره الله عن قريب . » وكانت ثورته ببلاد غمارة ، فبايعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة ، فافسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقا كثيرا وسبى ، فبعث اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش .

وفى سنة ستين وخمسمائة كانت وقعة الجلاب بالاندلس بين السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الفرنج مع ابن مردنيش ، وكانت الفرنج ثلاثة عشر ألفا ، فهزم ابن مردنيش وقتل من معه من الفرنج باجمعهم ، وكتب السيد أبو سعيد بالفتح إلى أخيه أمير المؤمنين يوسف .

وفى احدى وستين وخمسمائة عقد أمير المؤمنين يوسف على بجاية لاخيه السيد أبى زكريا ، وعلى أشبيلية للشيخ أبى عبد الله محمد بن ابراهيم ، ثم أدال منه بأخيه السيد أبى ابراهيم ، وأقر الشيخ أبا عبد الله على وزارته ، وعقد على قرطبة لاخيه السيد أبى اسحق ، وأقر السيد أبا سعيد على غرناطة .

ثم نظر الموحدون فى وضع العلامة المكتوبة بخط الخليفة فاختاروا : « الحمد لله وحده » لما وقفوا عليها بخط الامام المهدى فى بعض مخاطباته ، فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم . والله أعلم

ثورة سبع بن منغفاد بجبال غمارة

وفى سنة احدى وستين وخمسمائة ثار سبع بن منغفاد ، وسماه ابن أبى زرع يوسف ابن منغفاد بجبل تيزيران من بلاد غمارة . وعظمت الفتنة فى قبائلها ، وجاذبهم فيها جيرانهم من صنهاجة ، فبعث إليهم أمير المومنين يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدين ، إلى نظر الشيخ أبى حفص الهنتاتى ، ثم تعاظمت فتنة غمارة وصنهاجة . فخرج إليهم أمير المؤمنين بنفسه وأوقع بهم واستأصلهم ، وقتل سبع بن منغفاد وحمل رأسه إلى

مراكش وانحسم داؤهم، وعقد يوسف لاخيه السيد أبى علي الحسن على سبتة وسائر بلادهم.

وفى سنة ثلاث وستين اجتمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف بن عبد المومن واللقب بأمير المومنين، وذلك فى جمادى الآخرة منها، وخاطب العرب بافريقية يستدعيهم إلى الغزو ويحرضهم. وكتب إليهم فى ذلك بقصيدة ورسالة مشهورة بين الناس، فكان من احتفالهم ووفودهم عليه ما هو معروف.

وفى سنة أربع وستين بعدها وفد عليه أهل الامصار من افريقية والمغرب والاندلس: القضاة والفقهاء والخطباء والشعراء والاشياخ والاعيان برسم التهنئة والمطالعة بأحوال بلادهم، فوصلت الوفود إلى مراكش، فدخلوا عليه وهنؤه بالخلافة، ووصل الجميع كل على قدره، وأوصاهم بما اقتضاه الحال. وكتب لهم الظهائر بمطالبهم وإصلاح شؤونهم، وانصرفوا شاكرين.

وفى هذه السنة أيضا بعث أمير المؤمنين الشيخ أبا حفص الهنتاتى فى جيوش الموحدين إلى الاندلس لاستنقاذ بطليوس من حصار العدو، واحتفل أمير المؤمنين فى ذلك، فلما انتهوا إلى اشبيلية بلغه أن الموحدين وأهل بطليوس هزموا العدو وأسروا قائد جيشه، فسار الشيخ أبو حفص إلى قرطبة.

وفى سنة خمس وستين بعدها وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد أبا حفص الى الاندلس برسم الجهاد، فعبر البحر من قصر المجاز الى طريف فى عشرين ألفا من الموحدين والمتطوعة، فدوخوا بلاد العدو. وبعث السيد أبو حفص أخاه السيد أبا سعيد الى بطليوس، فعقد الصلح مع الطاغية ابن اذفونش - وهو يومئذ أعظم ملوك فرنج الجزيرة - وانصرف، ونهضوا جميعا إلى مرسية ومعهم ابراهيم بن همشك كان من قواد ابن مردنيش فنزع عنه الى الموحدين فحاصروا ابن مردنيش الثائر بمرسية وأعمالها، واستولوا على أكثر بلاده، واتصل الخبر بالخليفة بمراكش وقد خف الى الجهاد.

وفى سنة ست وستين أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء قنطرة تانسيفت (١) وكان الشروع فى بنائها يوم الاحد ثالث صفر من السنة المذكورة.

---

(١) جاء فى كتاب الروض المعطار أن على بن يوسف بن تاشفين اللمتونى كان قد بنى قنطرة تانسيفت وأن السيل أتى بعد ذلك فهدمها.

الجواز الاول لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن
الى الاندلس بقصد الجهاد

لما اتصل بأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد أبى حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش ، وظهور المسلمين على عدوهم بها ، وكان بعض ملوك الفرنج بها لم يزالوا يشغبون على المسلمين بالغارات على أطراف بلادهم ، تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو بها ، وقد توافت لديه وهو بمراكش جموع العرب من افريقية صحبة السيد أبى زكريا صاحب بجاية والسيد أبى عمران صاحب تلمسان .

وكان يوم قدومهم عليه يوما مشهودا ، فاعترضهم وسائر عساكرهم ، ونهض الى الاندلس فى مائة ألف من العرب والموحدين ، واستخلف على مراكش أخاه السيد أبا عمران ، فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين وخمسمائة . ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية ولقيه السيد أبو حفص هنالك منصرفا من بعض غزواته .

ولما نزل أمير المؤمنين يوسف باشبيلية خافه محمد بن مردنيش ، وحمل على قلبه فمرض ومات ! وقيل ان أمه سمته لانه كان قد أساء الى خواصه وكبراء دولته . فنصحته فتهددها . وخافت بطشه فسمته ! ولما مات محمد بن مردنيش جاء أولاده واخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ـ وهو باشبيلية ـ فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التى كانت لابيهم ، فأحسن اليهم أمير المؤمنين وتزوج أختهم ، وأصبحوا عنده فى أعز منزلة ، وصنع فى وليمتها مهرجانا عظيما يقصر الوصف عنه .

ولما صفت لامير المؤمنين يوسف الاندلس خرج من اشبيلية غازيا بلاد العدو ، فنزل على مدينة له تسمى وبذة ، فاقام محاصرا لها شهورا الى ان اشتد عليهم الحصار وعطشوا ، فراسلوه فى تسليم المدينة ، وان يعطيهم الامان على نفوسهم ، فامتنع من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم فى بعض الليالى لغط عظيم وأصوات هائلة ، وذلك انهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من

الصهاريج ، فارتووا وتقووا على المسلمين ، فانصرف عنهم الى اشبيلية ، بعد ان هادنهم مدة سبع سنين .

فليعتبر الواقف على هذه القضية ، وليعلم ان هؤلاء كفار جاحدون ، ينسبون الى الله تعالى ما لا يليق بـه من التثليث وأنواع الكفر ، ومع ذلك لما انقطع رجاؤهم ، ورجعوا اليه تعالى بالاضطرار الصادق ، رحمهم سبحانه وهو أرحم الراحمين ، فلا ينبغى بعد هذا للمؤمن الموحـد اذا حصل فى شدة ان ييأس من رحمة الله ، فانه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون . والسر فى الاضطرار ، فانه عند أرباب البصائر ، هو اسم الله الاعظم الذى اذا دعى بـه أجاب وإذا سئل به أعطى ، اللهم اجعلنا يا مولانا عندك من المرحومين واجعل كل من يرحمنا عندك من المرحومين . فانت أهل ذلك والقادر عليه .

ثم بلغ أمير المؤمنين خروج العدو الى أرض المسلمين مـع القومس الاحدب ، فخرج اليهم وأوقع بهم بناحية قلعة رباح . وأثخن فيهم ، ورجع الى اشبيلية ،

وفى هذه السنة أعنى سنة سبـع وستين وخمسمائة ، شرع أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن فى بناء جامع اشبيلية ، فتم وصليت به الجمعة فى ذى الحجة منها !

وفى هذه السنة أيضا عقد أمير المؤمنين الجسر على وادى اشبيلية بالقوارب ، وبنى قصبتها الداخلة ، وبنى الزلاليق للسور ، وبنى سور باب جوهر ، وبنى الرصفان المتدرجة بضفتى الوادى ، وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله اشبيلية ، وأنفق فى ذلك أموالا لا تحصى .

ثم انتقض ابن اذفونش وأغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد أبا حفص اليه فغزاه بعقر داره ، وافتتح قنصرة بالسيف ، وهزم جموعه فى كل جهة .

ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعا الى مراكش سنة احـدى وسبعين لخمس سنين من اجازته الى الاندلس ، وعقد على قرطبة لاخيه أبى الحسن ، وعلى اشبيلية لاخيـه أبى على .

وأصاب مراكش طاعون فهلك من السادة : أبو عمران ، وأبو سعيد ، وأبو زكريا وقـدم الشيخ أبو حفص الهنتاتى من قرطبة فهلك فى طريقه ودفن بمدينة سلا ، وهو جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وافريقية .

واستدعى الخليفة أخويه السيدين أبا علي وأبا الحسن فعقد لابى علي على سجلماسة ، ورجع أبو الحسن الى قرطبة ، وعقد لابنى أخيه السيد أبى حفص : لابى زيد منهما على غرناطة ، ولابى محمد على مالقة .

وفى سنة ثلاث وسبعين سطا بذرية بنى جامع وزرائه وغر بهم الى ماردة .

وفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة عقد لغانم بن محمد بن مردنيش على اسطوله ، واغزاه مدينة اشبونة ، فغنم ورجع .

وفيها كانت وفاة أخيه الوزير السيد أبى حفص بن عبد المؤمن بعد ما أبلى فى الجهاد ، وبالغ فى نكاية العدو ، وقدم ابناه من الاندلس فأخبرا الخليقة بانتقاض الطاغية ، واعتزم على الجهاد ، وأخذ فى استدعاء العرب من افريقية ، والله تعالى أعلم .

غزو امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية

وفتح مدينة قفصة والسبب فى ذلك

كانت قفصة من بلاد افريقية قد استبد بها بنو الرند أو اخر دولة صنهاجة من بنى زيرى بن مناد ، كان جدهم عبد الله بن محمد بن الرند عاملا لهم بها ، فتوارثها بنوه من بعده ، فاستبدوا بها آخر الدولة ، ولما غزا عبد المؤمن بلاد افريقية استنزلهم فى جملة من استنزل من الثوار بها . ولما مات عبد المؤمن وبويع ابنه يوسف بلغه سنة أربع وسبعين وخمسمائة ان بعض بنى الرند قد عاد الى قفصة وثار بها فاضطربت لاجل ذلك أحوالها ، فنهض اليها فى سنة خمس وسبعين بعدها ، فانتهى الى افريقية ، ونزل على مدينة قفصة ، وضيق عليها بالقتال والحصار حتى دخلها ، وظفر بابن الرند القائم بها فقتله ، وذلك فى سنة ست وسبعين وخمسمائة .

ثم عاد الى مراكش فدخلها فى سنة سبع وسبعين بعدها . هكذا فى القرطاس ، ونحوه لابن خلدون فى أخبار بنى عبد المؤمن .

وذكر عند الكلام على بنى الرند وجها آخر فقال : « كان عبد المؤمن قد ولى على

قفصة عمران بن موسى الصنهاجى . فأساء الى الرعية . فبعثوا عن على بن العزيز بن المعتز الرندى من بجاية وكان بها فى مضيعة يحترف بالخياطة ، فقدم عليهم وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه . وقدموا مكانه على بن العزيز فساس ملكه وحاط رعيته وأغزاه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين وخمسمائة أخاه السيد أبا زكريا ، فحاصره وضيق عليه وأخذه . وأشخصه الى مراكش باهله وماله . واستعمله على الاشغال بمدينة سلا الى ان هلك بها ، وفنيت دولة بنى الرند ، والبقاء لله وحده . » اه كلامه فالله أعلم أى ذلك كان .

وفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين يوسف من مراكش لبناء حصن أزكندر ، فبناه على المعدن الذى ظهر هنا لك .

الجواز الثانى لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس

برسم الجهاد وما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله

لما قدم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من فتح قفصة سنة سبع وسبعين وخمسمائة قدم عليه ولاة الاندلس ورؤساؤها يهنؤنه بالايالة . فاكرم وفادتهم وانصرفوا .

ثم بلغه الخبر بأن اذفونش بن سانجة نازل قرطبة وشن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ، ثم نزل استجة وتغلب على حصن شقيلة . وأسكن به النصارى وانصرف .

فاستنفر السيد أبو اسحق سائر الناس للغزو ، ونازل الحصن نحوا من أربعين يوما ، ثم بلغه خروج اذفونش من طليطلة بمدده فانكفأ راجعا ، وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من اشبيلية فى جموع الموحدين ، ونازل طلبيرة فبرز اليه أهلها فأوقع بهم وانصرف بالغنائم .

فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد المومن على معاودة الجهاد ، وولى على الاندلس أمناءه

وقدمهم للاحتشاد . فعقد لابنه السيد أبى زيد على غرناطة ، ولابنه السيد أبى عبد الله على مرسية ، ونهض سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

وفى القرطاس : كان خروجه من مراكش فى التاريخ المذكور على باب دكالة ، قال برسم غزو افريقية ، فلما وصل الى سلا أتاه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جامع من افريقية ، فأعلمه بهدوّها وسكونها ، فصرف عزمه الى الاندلس . فنهض من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين من ذى القعدة من السنة المذكورة ، فنزل بظاهرها وبات هناك . ثم نهض يوم الجمعة الموالى له فوصل الى مكناسة يوم الاربعاء السادس من ذى الحجة ، فعيد بها عيد الاضحى خارجها . ثم ارتحل الى فاس فدخلها وأقام بها بقية الشهر .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة ، ففى اليوم الرابع بها نهض من فاس وسار حتى انتهى الى سبتة ، فأقام بها بقية شهر المحرم ، وأمر الناس بالجواز الى الاندلس ، فجازت قبائل العرب أولا ، ثم قبائل زناتة ، ثم المصامدة ، ثم مغراوة وصنهاجة وأوربة ، وأصناف البربر . ثم عبرت جيوش الموحدين والاغزاز والرماة . فلما استكمل الناس الجواز عبر هو فى آخرهم فى الحاشية والعبيد .

وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر من السنة المذكورة ، فنزل بجبل الفتح ، ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء . ثم سار الى اشبيلية . فلما أشرف عليها يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر خرج اليه ولده السيد أبو اسحق ومعه فقهاء اشبيلية وأشياخها فبعث اليهم يأمرهم بالوقوف بآخر المنية حتى يصل اليهم ، فلما صلى الظهر وركب اجتاز بهم ، فلما دنا منهم نزلوا عن دوابهم فوقف لهم حتى سلموا عن آخرهم وركبوا .

ثم نهض إلى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فانتهى اليها فى السابع من ربيع الاول فنزل عليها . وأداربه الجيوش ، وشدد عليها فى الحصار والقتال ، وبذل المجهود الى ليلة الثانى والعشرين من ربيع المذكور ، فانتقل من موضع نزوله بجوفى شنترين الى غربيها ، فأنكر المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا ، فلما جن الليل وصلى العشاء الآخرة بعث الى ولده السيد أبى اسحق صاحب اشبيلية فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة لغزو اشبونة ، وشن الغارات على أنحائها ، وأن يسير اليها فى جيوش الاندلس خاصة . وأن يكون رحيله نهارا . فأساء الفهم وظن انه أمره بالرحيل ليلا ، وصرخ

الشيطان فى محلة المسلمين ، أن أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة ، وتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ، ورحلت طائفة منهم بالليل ، ولما كان قرب الفجر أقلع السيد أبو اسحق وأقلع من كان مواليا له . وتتابع الناس بالرحيل ، وتسابقوا لاختيار المنازل وأمير المؤمنين مقيم فى مكانه لا علم له بذلك ، فلما أصبح وصلى الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله من أهل المحلات أحدا إلّا يسيرا من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله ، وينزلون لنزوله ، والاقواد الاندلس فانهم الذين كانوا يسيرون أمام ساقته وخلف محلته من أجل من يتخلف عنها من الضعفاء ، فلما طلعت الشمس وتطلع النصارى المحصورون على المحلة من سور البلد ورأوا أمير المؤمنين منفردا فى عبيده وحشمه ، وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحوا البلد ، وخرج جميع من فيه خرجة منكرة ، وهم ينادون : الرى الرى ، أى اقصدوا السلطان . فضربوا فى محلة العبيد الى ان وصلوا الى أخبية أمير المؤمنين فمزقوها واقتحموها ، فبرز اليهم وقاتلهم بسيفه ، حتى قتل ستة منهم ، ثم طعنوه طعنة نافذة وقتل عليه ثلاث من جواريه كن قد أكببن عليه ! ولما طعن وقع بالارض وتصايح العبيد ونادوا بالفرسان والاجناد فتراجع المسلمون وقاتلوا النصارى حتى أزاحوهم عن الاخبية ، واشتد القتال بينهم ، وتواقفوا ساعة ثم انهزم الفرنج وركبهم المسلمون بالسيف حتى أدخلوهم المدينة ، وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف ، واستشهد من المسلمين جماعة . وركب أمير المؤمنين يوسف وقد أنفذته الطعنة . وارتحل الناس ولا يدرون أين . ثم اهتدوا بالطبول فقصدوا جهة اشبيلية ، ثم سار أمير المؤمنين يريد العبور الى المغرب فاشتد ألمه ومات بالطريق رحمه الله ، قاله ابن مطروح .

وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة قرب الجزيرة الخضراء ، فحمل الى تينملل فدفن بها الى جنب قبر أبيه ، وقيل انه لم يمت حتى وصل الى مراكش . وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذى يدخل على أبيه ويخرج ويصرف الامور بين يديه من يوم طعن الى ان مات . قالوا وكتم ولده موته حتى وصل الى مدينة سلا فافشاه .

وكان قبل موته بأشهر كثيرا ما ينشد قول الشاعر ويردده .

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره * وأنكرتنى ذوات الاعين النجل

ورثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجير بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها :

جل الاسى . فأسل دم الاجفان * ماء الشؤن لغير هذا الشان

بقية أخبار أمير المومنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته



قال ابن خلكان : كان يوسف بن عبد المؤمن أبيض تعلوه حمرة ، شديد سواد الشعر ، مستدير الوجه ، أفوه ، أعين ، الى الطول ما هو ، فى صوته جهارة ، رقيق حواشى الطبع حلو الالفاظ ، حسن الحديث ، طيب المجالسة . أعرف الناس كيف تكلمت العرب ، وأحفظهم لايامها فى الجاهلية والاسلام ، صرف عنايته الى ذلك ، ولقى فضلاء اشبيلية أيام ولايته بها . وكان فقيها حافظا متفننا ، لان أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف ، فنشأ فى ظهور الخيل بين أبطال الفرسان ، وفى قراءة العلم بين أفاضل العلماء ، وكان ميله الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم ، ويقال إنه كان يحفظ صحيح البخارى ، وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة صالحة من الفقه ، ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب ، وجمع من كتب الحكمة شيئا كثيرا .

وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشان الوزير أبو بكر محمد بن طفيل ، كان متحققا بجميع أجزاء الحكمة . قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره . ولابن طفيل هذا تصانيف كثيرة .

وكان يوسف بن عبد المؤمن حريصا على الجمع بين علمى الشريعة والحكمة ، ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ، ومن جملتهم القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المعروف بالحفيد .

وكان يوسف بن عبد المؤمن شديد الملوكية ، بعيد الهمة ، جماعا مناعا ، ضابطا لخراج مملكته ، عارفا بسياسة رعيته ، وكان سخيا جوادا فى محل السخاء والجود ،

قد استغنى الناس فى أيامه . وكان من ضبطه وسياسته ، ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر ، وله فى غيبته نواب ، وخلفاء وحكام قد فوض الامور اليهم ، لما علم من صلاحهم وأهليتهم لذلك .

قال ابن خلكان : « والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه » .

ومما يستطرف من أخباره رحمه الله : ان الاديب ابا العباس أحمد بن عبد السلام الكُرُوانى — وكُروان قبيلة من البربر منازلهم بضواحى فاس — كان نهاية فى حفظ الاشعار القديمة والمحدثة ، وتقدم فى هذا الشأن وله فيه تآليف ، وكان مع ذلك صاحب نوادر ، جالس بها عبد المؤمن ، ثم ولده يوسف ، ثم ولده يعقوب .

فمن نوادره : أنه حضر يوما الى باب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن المذكور ، وحضر اليه أيضا الطبيب سعيد الغمارى ، فقال أمير المؤمنين لبعض خدمه : « انظر من بالباب من الاصحاب » فخرج الخادم ثم عاد اليه ، فقال : « ياسيدى به أحمد الكُرُوانى وسعيد الغمارى» فقال أمير المؤمنين يوسف : «من عجائب الدنيا شاعر من كُروان وطبيب من غمارة » فبلغ ذلك الكُرُوانى ، فقال : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ! أعجب منهما والله . خليفة من كُومية ! » فيقال ان أمير المؤمنين يوسف لما بلغه ذلك قال : « أعاقبه بالحلم عنه ففيه تكذيب له » ومن شعر الكُرُوانى من جملة قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين يوسف المذكور وهو بديع :

ان الامام هو الطبيب وقد شفا * علل البرايا ظاهرا ودخيلا
حمل البسيطة وهى تحمل شخصه * كالروح يوجد حاملا محمولا !

الخبر عن دولـــة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي



قـال ابن خلدون : « لما توفى الخليفة يوسف بن عبـد المؤمن على حصن شنترين فى التاريخ المتقدم بويع ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة ، واستوزر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى واستنفر الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى، فاستولى على بعض الحصون ، وأثخن فى بلاد الكفار ، ثم أجاز البحر الى الحضرة .

ولقيه بقصر مصمودة السيدأبو زكريا بن السيد أبى حفص ، قادما من تلمسان ، مع مشيخة بنى زغبة من عرب هلال ، ومضى الى مراكش فغير المناكر وبسط العدل ، ونشر الاحكام » اه وفيه نوع مخالفة لما قدمناه .

وقال ابن أبى زرع : لما تمت له البيعة وطاعت له الامة كان أول شىء فعله ان أخرج مائة ألف دينار ذهبا من بيت المال ، ففرقها فى الضعفاء من بيوتات المغرب ، وكتب الى جميع بلاده . بتسريح السجون ورد المظالم التى ظلمها العمال فى أيـام أبيه ، وأكرم الفقهاء ، وراعى الصلحاء وأهل الفضل ، وأجرى على أكثرهم الانفـاق من بيت المال ، وفرق فى الموحدين وسائر الاجناد أموالا جمة ، وكان أول شىء حـدث فى دولته شأن بنى غانية المسوفيين . أصحاب جزيرة ميورقة وأعمالها ، فلنأت بشىء من ذلك .

خروج علي بن إسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور



قد تقدم لنا فى أخبار الدولـة اللمتونية ان أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين اللمتونى كان قـد استعمـل على الجزائر الشرقية من بـلاد الاندلس وهى ميورقة ومنورقة ويابسة محمـد بن على بن يحيى المسوفى المعروف بابن غـانية ـ وهى أمهم ـ

فتوارثها بنوه من بعده ، الى أيام يوسف بن عبد المؤمن ، فبعث اليه محمد بن اسحق بن محمد المسوفى المذكور بالطاعة ، فقبل ذلك يوسف بن عبد المؤمن ، وبعث اليه قائده على بن الروبرتير ليختبر أمره ، ويعقد له البيعة عليه ، ويؤكد الامر فى ذلك .

وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمونه فى الرياسة ، فلما انتهى اليهم ابن الروبرتير ، وعلموا الامر الذى قدم لاجله ، أنكروا على أخيهم ذلك لانه لم يكن أعلمهم بمكاتبته يوسف بن عبد المؤمن فخلصوا نجيا دونه ، وتقبضوا عليه وعلى ابن الروبرتير ، وقدموا مكانه أخاهم على بن اسحق بن محمد ، ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب المنصور ، فركب على بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من أهلها ، وعليها يومئذ السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن - وكان خارجا فى بعض مذاهبه - فاستولى عليها ابن غانية فى صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة .

وحكى ابن أبى زرع فى استيلاء ابن غانية على بجاية وجها آخر قال : « دخل الميورقى - وهو على بن اسحق المذكور - مدينة بجاية يوم الجمعة السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسمائة ، والناس فى صلاة الجمعة .

وكانت أبواب المدن قبل ذلك لا تغلق وقت صلاة الجمعة ، فارتقب ابن غانية الناس حتى أحرموا بصلاة الجمعة ، ثم اقتحم عليهم المدينة وعمد الى الجامع الاعظم ، وأدار به الخيل والرجل فمن بايعه خلى سبيله ، ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه » قال : « وأقام بها سبعة أشهر ، ثم استرجعت من يده » قال : « ومن ذلك اليوم اتخذ الناس غلق أبواب المدن يوم الجمعة وقت الصلاة » والله أعلم .

ثم استولى على بن اسحق على الجزائر ، ثم على مازونة ، ثم على مليانة ، ثم على القلعة ثم نازل قسنطينة فامتنعت عليه .

واتصل الخبر بالمنصور فسرح السيد أبا زيد بن أبى حفص بن عبد المؤمن وعقد له على حرب ابن غانية ، وعقد لمحمد بن ابراهيم بن جامع على الاساطيل ، والى نظره أبو محمد بن عطوش وأحمد الصقلى . فوصل السيد أبو زيد الى افريقية وشرد ابن غانية عنها الى الصحراء فى أخبار طويلة .

ثم عاود ابن غانية الاجلاب على بلاد افريقية ، وظاهره على ذلك قراقوش الغزى ، من موالى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردى صاحب مصر ، وكان قد تغلب على طرابلس وما والاها .

وبلغ المنصور أن ابن غانية قد استولى على قفصة فنهض بنفسه من حضرة مراكش ثالث شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ووصل الى فاس فاراح بها ، ثم سار الى رباط تازا ، ثم سار على التعبية الى تونس .

وجمع ابن غانية من اليه من الملثمين والعرب وجاء معه قراقوش الغزى صاحب طرابلس ، فسرح اليهم المنصور مقدمة من جيشه لنظر السيد أبى يوسف يعقوب ابن السيد أبى حفص عمر ابن عبد المؤمن ، فلقيهم ابن غانية فى جموعه فانتصر عليهم وانهزم الموحدون ، وقتل جماعة من وجوههم ، وأسر على بن الروبرتير فى آخرين . وامتلأت أيدى العرب من أثاثهم وأسلابهم .

ووصل سرعان الناس الى المنصور وهو بتونس ، فنهض اليهم فى الحال ، ونزل القيروان ، ثم أغذ السير الى الحامة فالتقى الجمعان ، وأنشبوا الحرب فكانت الهزيمة على ابن غانية وأحزابه ، وأفلت من المعركة بذماء نفسه ومعه خليله قراقوش وأتى القتل على أكثرهم .

ثم صبح المنصور مدينة قابس - وكانت فى يد قراقوش - فافتتحها ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه فى البحر الى تونس ، وثنى العنان الي توزر فافتتحها وقتل من وجد بها ، ثم الى قفصة فنازلها أياما ، حتى نزلوا على حكمه فقتل من كان بها من الحشود وهدم سورها واستبقى أهلها ، وجعل أملاكهم بايديهم على حكم المساقاة .

ولما فرغ من أمر قفصة نهض الى عرب افريقية ، ففتك بهم واستباح حللهم وأموالهم وشردهم فى كل وجه ، ثم بعد ذلك جاءوه تائبين خاضعين ، فنقل أهل الفتنة والخلاف منهم الى المغرب الاقصى ، ورجع الى مراكش ، فدخلها فى رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم إلى أرض افريقية ثم منها إلى المغرب الاقصى والسبب في ذلك

اعلم أن أرض افريقية والمغرب لم تكن للعرب بوطن فى الايام السالفة لا فى الجاهلية ولا فى صدر الاسلام ، وانما كان المغرب وطنا لامة البربر خاصة لا يشاركهم فيه غيرهم .

ولما جاءت الملة الاسلامية وأظهرها الله على الدين كله زحفت جيوش المسلمين من العرب الى أرض المغرب فى جملة ما زحف اليه من أقطار الارض ، لكن العرب الداخلون الى أرض المغرب فى ذلك العصر إنما كانوا يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم ، فيقضون الوطر من فتح الاقطار والامصار ، ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب ، وان بقى القليل منهم به فانما كانوا يستوطنون منه الامصار دون البادية ، ويسكنون القصور دون الخيام ، فلم تكن العرب تسكن المغرب يومئذ بقبائلهم وخيامهم ، ولا استوطنوه باحيائهم وحللهم ، كما هو شأنهم اليوم . لان الملك الذى حصل لهم والغلب الذى مكنهم الله منه كان يمنعهم من سكنى البادية ، ويعدل بهم الى الحاضرة ولا بد ، فكانت الخيمة بأرض المغرب معدومة رأسا ، أو قليلة جدا لبعض البربر ممن كان يتخذها منهم وهم قليل ، وانما كان يسكن الجمهور منهم بالمداشر وكهوف الجبال ، واستمر الحال على ذلك الى أواسط المائة الخامسة ، فدخلت العرب أرض افريقية واستوطنوها بحللهم وخيامهم .

ثم لما كانت أو اخر المائة السادسة فى دولة يعقوب المنصور رحمه الله ، نقل الكثير منهم الى المغرب الاقصى ، فاستوطنوه بحللهم وخيامهم كذلك ، وصارت أرض المغرب منقسمة بين أمتين أمة العرب أهل اللسان العربى ، وأمة البربر أهل اللسان البربرى ، بعد ان كانت بلاده خاصة بالبربر لا يشاركهم فيها غيرهم كما قلنا .

واعلم ان أمة العرب تنقسم اولا الى قسمين : عدنان وقحطان ، ثم ينقسم كل من عدنان وقحطان الى شعبين عظيمين ، فاما عدنان وهم الاسماعيلية ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فينقسمون الى ربيعة ومضر ، وأما قحطان وهم اليمانية ذرية

قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام فينقسمون الى حمير و كهلان . هذا هو المعروف المشهور من نسب الفريقين . وقد يذكر النسابون لكل منهما شعوبا أخر ، لكننا لم نعتبرها إما لانقراضها أو لقوة الخلاف فيها أو لقلتها جدا واندراجها فيمن ذكرناه .

ثم يتشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعمائر وبطون وأفخاذ وفصائل لا حصر لها . لكننا ننبه على الغرض المقصود منها فنقول : من جملة قبائل مضر :

بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر .

ومن قبائلها أيضا بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور المذكور فى النسب السابق . وقد نسبت الخنساء جشم هذا الى جده ، فقالت تهجو دريد بن الصمة :

معاذ الله ينكحنى حبركى * قصير الشبر من جشم بن بكر

ومن قبائلها أيضا بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر المذكور أيضا .

ومن جملة قبائل كهلان القحطانيين : بنو الحرث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن جلد ابن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . و كهلان هو ابن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

واعلم ان هؤلاء القبائل الاربعة التى ذكرناها هى التى ذكر المؤرخون أنها انتقلت الى افريقية والمغرب ، وقد يضاف اليهم غيرهم من قبائل العرب ، لكنهم ليسوا بمشهورين كالاربعة المذكورة .

وأما خبر دخولهم الى المغرب والسبب فيه فقد ذكر المؤرخون ان بنى سليم بن منصور وبنى هلال بن عامر لم يزالوا بجزيرة العرب برهة من الدهر الى ان مضى الصدر من دولة بنى العباس ، وكانوا أحياء ناجعة بأرض الحجاز ونجد ، فبنو سليم مما يلى المدينة المنورة ، وبنو هلال فى جبل غزوان عند الطائف ، ثم تحيز بنو سليم والكثير من هلال بن عامر الى البحرين وعمان ، وصاروا جندا للقرامطة ، ثم غلبت القرامطة على بلاد الشام ، وظاهرهم على ذلك بنو سليم وبنو هلال . ثم انتقلت دولة العبيديين من افريقية الى مصر ، وغلبوا القرامطة على الشام وانتزعوه منهم ، وردوهم على اعقابهم الى البحرين ، ونقلوا أشياعهم من بنى سليم وبنى هلال ، فانزلوهم بصعيد مصر فى العدوة

الشرقية من بحر النيل فأقاموا هنالك ، وكان لهم اضرار بالبلاد ، ولما انتقلت الدولة العبيدية من افريقية الى مصر كما قلنا استنابوا على افريقية بنى زيرى بن مناد الصنهاجيين فملكوها ، وكانوا يخطبون بملوك العبيديين على منابرهم ويضربون السكة بأسمائهم ، ويؤدون اليهم إتاوة معلومة وطاعة معروفة .

ولما انساق ملك افريقية الى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى كان له رغبة فى مذهب أهل السنة خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة ، وكان الخليفة من العبيديين بمصر يومئذ المستنصر بالله معد بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله . والمعز هذا هو الذى انتقل الى مصر وبنى مدينة القاهرة .

وكان المعز بن باديس الصنهاجى لا تزال المراسلات والهدايا تختلف بينه وبين المستنصر العبيدى صاحب مصر كما كانت اسلافهما ، ثم ان المعز بن باديس ركب ذات يوم لبعض مذاهبه وذلك فى أول ولايته فكبا به فرسه فنادى مستغيثا بالشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فسمعته العامة وكان جمهورهم سنية ، فثاروا بالرافضة وقتلوهم أبرح قتل ، وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان ، وقطعوا من الاذان حى على خير العمل .

وكانت هذه الواقعة فى أيام الظاهر العبيدى والد المستنصر ، فكاتب المعز بن باديس فى ذلك ، فاعتذر اليه بالعامة ، فأغضى عنه .

واستمر ابن باديس على اقامة الدعوة لهم ، والمهاداة معهم ، وهو فى أثناء ذلك يكاتب وزيرهم القائم بأمور دولتهم أبا القاسم علي بن أحمد الجرجرائى ويستميله ، ويعرض ببنى عبيد وشيعتهم ويغض منهم .

ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وولى الوزارة بعده أبو محمد الحسن بن على اليازورى ، أصله من قرى فلسطين ، وكان أبوه فلاحا بها . فلما ولى الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء . كان يقول فى كتابه اليهم : عبدكم ! وصار يقول : فى كتاب اليازورى : صنيعتكم ! فحقد ذلك عليه ، وصارت القوارص تسرى من بعضهم الى بعض ، إلى أن أظلم الجو بين المعز بن

باديس وبين المستنصر العبيدى ووزيره اليازورى ، فقطع بن باديس الخطبة بهم على منابره سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وأحرق بنود المستنصر ، ومحا اسمه من السكة والطرز ، ودعا للقائم العباسى خليفة بغداد ، وجاءه خطابه وكتاب عهده ، فقرئ بجامع القيروان ، ونشرت الرايات السود ، وهدمت دور الاسماعيلية .

وبلغ الخبر بذلك كله الى المستنصر بالقاهرة فقامت قيامته ، ففاوض وزيره أبا محمد الحسن بن على اليازورى في أمر ابن باديس ، فأشار عليه بان يسرح له العرب من بنى هلال ، وبنى جشم الذين بالصعيد ، وان يتقدم اليهم بالاصطناع ، ويستميل مشايخهم بالعطاء وتولية أعمال افريقية وتقليدهم أمرها بدلا من صنهاجة الذين بها لينصروا الشيعة ويدافعوا عنهم ، فإن صدقت المخيلة فى ظفرهم بابن باديس وقومه صنهاجة كانوا أولياء للدولة وعمالا بتلك القاصية ، وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة ، وان كانت الاخرى فلها ما بعدها ، وأمر العرب على كل حال أهون على الدولة من أمر صنهاجة الملوك .

فبعث المستنصر وزيره الى هؤلاء الاحياء ، وأرضخ لامرائهم فى العطاء ، ووصل عامتهم ببعير و دينار لكل واحد منهم ، وأباح لهم اجازة النيل ، وقال لهم : « قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الآبق ، فلاتفتقرون بعدها ! » .

و كتب اليازورى الى المعز : « أما بعد ، فقد أنفذنا اليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا » .

فشرهت العرب اذذاك وعبروا النيل الى برقة ، فنزلوا بها واستباحوها ، وافتتحوا أمصارها ، وأعجبتهم البلاد . فكتبوا لاخوانهم الذين بقوا شرقى النيل يرغبونهم فى البلاد ، فأجازوا اليهم بعد ان أعطوا للمستنصر لكل رأس دينارين ، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه ، وتقارعوا على البلاد ، فحصل لبنى سليم شرقها ، ولبنى هلال غربها ، ثم انتشروا فى أقطار افريقية مثل الجراد ، لا يمرون بشىء إلّا أتوا عليه .

وبالجملة فلم تمر إلّا مدة يسيرة حتى استولوا على ضواحى افريقية . ونازلوا أمصارها ، واقتضوا من أهلها الاتاوة ، وحصروا ابن باديس فى مصره ، وصاهرهم ببناته تأليفا لهم ، ومع ذلك فلم يجد شيئا ، والحديث في ذلك طويل وليس تتبعه من

غرضنا .

قال ابن خلدون : ولهؤلاء الهلاليين فى الحكاية عن دخولهم الى افريقية طرق ، يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ومكة ، ويسمونه شكر بن أبى الفتوح ، وانه أصهر الى الحسن بن سرحان فى أخته جازية فأنكحه اياها ، وولدت منه ولدا واسمه محمد ، وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وفتنة . فاجمعوا الرحلة عن أرض نجد الى افريقية ، وتحيلوا عليه فى استرجاع أختهم جازية المذكورة ، فطالبته بزيارة أبويها ، فأزارها اياهم ، وخرج بها الى حللهم ، وأقام معها مدة الزيارة ، فارتحلوا به وبها ، وكتموا رحلتهم عنه وموهوا عليه بانهم يباكرون به للصيد والقنص ، ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها ، فلم يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه ، وصار الى حيث لا يملك أمرها عليهم ، ففارقوه ، ورجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل ، وانها من بعد ذلك كلفت به مثل ما كلف بها إلى أن ماتت من حبه ، ويتناقلون من أخبارها فى ذلك ما يعفى على خبر قيس وليلى ، ويروون كثيرا من أشعارها ، محكمة المبانى ، مثقفة الاطراف ، وفيها المطبوع والمنتحل ، والمصنوع ، لم يفقد فيها من البلاغة شىء ، وانما فقد منها الاعراب فقط ، ولا مدخل له فى البلاغة .

وفى هذه الاشعار شىء كثير دخلته الصنعة ، وفقدت فيه صحة الرواية ، فلذلك لا يوثق به ، ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بآياتهم ووقائعهم مع زناتة وحروبهم وضبط لاسماء رجالاتهم ، وكثير من أحوالهم ، لكنا لا نثق بروايتها ، وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها وغيره ، وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف خلفا عن سلف ، وجيلا عن جيل ، ويكاد القادح فيها والمستريب فى أمرها أن يرمى عندهم بالجنون ، لتواترها بينهم .

وهذا الشريف الذى يشيرون اليه هو من الهواشم ، وهو شكر بن أبى الفتوح الحسن بن جعفر بن أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد الاكبر ابن موسى الثانى ابن عبد الله أبى الكرام ابن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وأبو الفتوح هو الذى خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدى ، وبايع له بنو الجراح أمراء طيء بالشام ، وبعثوا عنه ، فوصل الى احيائهم ، وبايع له كافة العرب ، ثم غلبتهم عساكر الحاكم العبيدى ورجع الى مكة ، وهلك سنة ثلاثين وأربعمائة ، فولى بعده ابنه شكر هذا ، وهلك سنة ثلاث وخمسين ، وولى بعده ابنه محمد الذى يزعم هؤلاء الهلاليون انه من جازية هذه .

وقال ابن حزم : إن شكر بن أبى الفتوح لم يولد له قط ، وانما صار أمر مكة من بعده الى عبدٍ كان له .

وقال ابن خلدون : بل أخبرنى من أثق به من الهلاليين لهذا العهد ، انه وقف على بلاد الشريف شكر بن أبى الفتوح ، وانها بقعة من أرض نجد مما يلى الفرات ، وان ولده بها لهذا العهد والله أعلم .

واعلم ان جازية بنت سرحان هذه كانت من بنى دريد بن اثبج بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فهى هلالية اثبجية دريدية .

ومن مزاعمهم : انها لما صارت الى افريقية وفارقت الشريف ابن هاشم المذكور ، خلفه عليها منهم ماضى بن مقرب من رجالات دريد ، فأقامت عنده مدة ، ثم غاضبته ولحقت بأخيها الحسن بن سرحان فمنعها منه ، فقامت عشيرة ماضى بن مقرب معه وقاتلوا الحسن بن سرحان وعشيرته . وثارت الفتنة بينهم وقتل فيها الحسن بن سرحان ، واستمرت العداوة بينهم الى أيام الموحدين ، فهذا سبب انتقال هؤلاء العرب من الحجاز ونجد الى افريقية .

وأما سبب انتقالهم من افريقية الى المغرب الاقصى ، فقد ذكرنا ان بنى سليم بن منصور وبنى هلال بن عامر اقترعوا على بلاد افريقية ، فكان لبنى سليم شرقها ، ولبنى هلال غربها ، ثم تغلبوا على ضواحيها وامصارها وضايقوا ملوكها بها .

وانضم إلى بنى هلال بن عامر بنو جشم بن معاوية بن بكر ، فعلت أيديهم على الجميع ، واستمر أمرهم على ذلك إلى أن كانت دولة يعقوب المنصور الموحدى رحمه الله ، وثار ابن غانية ببلاد افريقية كما تقدم ، فظاهرته العرب من جشم وهلال على الموحدين ، وأوقعوا بمقدمة المنصور ، فنهض إليهم من تونس وأوقع بالملثمين أولا ثم بالعرب

ثانيا ، وفل جمعهم واتبع آثارهم إلى أن شردهم إلى صحارى برقة ، وانتزع تلك البلاد من أيديهم ، ثم راجعوا بصائرهم ، فأتوه طائعين خاضعين حسبما قدمنا الخبر عن ذلك مستوفى .

وكان الذين قاتلوه أولا ثم راجعوا طاعته ثانيا هم قبائل هلال بن عامر ، وجشم بن معاوية بن بكر كما قلنا ، وهم أصحاب غرب افريقية ، وأما بنو سليم بن منصور فلم يقاتله منهم أحد ، فلذلك بقى بنو سليم بأرض افريقية .

ونقل المنصور رحمه الله بنى هلال وبنى جشم إلى المغرب الاقصى حين أتوه طائعين ، وكان ذلك سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، فانزل قبيلة رياح من بنى هلال ببلاد الهبط ، فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى أزغار البسيط الافيح هناك إلى ساحل البحر الاخضر ، فاستقروا بها وطاب لهم المقام ، وأنزل قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط الافيح ما بين سلا ومراكش ، وهو أوسط بلاد المغرب الاقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار لاحاطة جبل درن بها ، فلم يبمموا بعدها قفرا ، ولا أبعدوا رحلة .

واعلم أن هذين البسيطين يسميان اليوم فى عرف عامة أهل المغرب بالغرب والحوز ، فالغرب عبارة عن بلاد الهبط وأزغار وما فى حكمهما ، والحوز عبارة عن بلاد تامسنا وما اتصل بها إلى مراكش ، فكان لرياح بلاد الغرب ، وكان لجشم بلاد الحوز .

ثم اعلم أيضا ان قبيلة رياح هم بنو رياح بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ابن صعصعة ، وهم بطون كثيرة وجلهم قد بقى بارض افريقية ، والذين انتقلوا منهم الى المغرب الاقصى كان رئيسهم فى ذلك العصر مسعود بن سلطان بن زمام الذوادى ، من بنى ذواد بن مرادس بن رياح فاقام معهم مدة ثم جمع جماعة من قومه وفر الى افريقية ، وذلك فى حدود التسعين وخمسمائة ، وأبدأ وأعاد هنالك فى الاجلاب مع الثوار ، الى ان هلك فى بعض تلك المدة .

وأقام الباقون بعد فرار كبيرهم مسعود المذكور ببلاد الهبط وازغار الى ان انقرضت دولة الموحدين . وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام المأمون الموحدى وقتله سنة ثلاثين وستمائة .

ولما تغلب بنو مرين على ضواحى المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء البعث

مع عساكرهم ، فقاموا بحماية ضواحيهم ، وانضم اليهم بنو عسكر بن محمد المرينيون حين خالفوا اخوانهم بنى حمامة بن محمد سلف الملوك منهم ، فكانت بين الفريقين جولة قتل فيها عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة أبو الملوك المرينين ، وقتل معه ابنه ادريس ، فاوجدت رياح السبيل لبنى مرين على أنفسهم فى طلب الثار ، فاثخنوا فيهم بعد ان ملكوا المغرب ، واستلحموهم قتلا وسبيا مرة بعد أخرى .

وكان آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت المرينى سنة سبع وسبعمائة ، تتبعهم بالقتل الى ان لحقوا برؤس الهضاب ، وأسنمة الربا المتوسطة فى المرج المستبحر بأزغار ، فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل الغارمة ، وذهبت رياح ادراج الرياح . هذا خبرهم على الجملة .

وأما بنو جشم أصحاب تامسنا فان المنصور لما نقلهم اليها نقل معهم قبائل أخر كانوا قد قاتلوه معهم ، ولم يكونوا من نسبهم ، ولكنهم كانوا مندرجين فيهم ، فكان يطلق على الجميع جشم ، وهؤلاء القبائل هم المقدم والعاصم من بنى هلال بن عامر ، ثم من الاثبج منهم ، وقرة من بنى هلال أيضا ، والخلط من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر . فهؤلاء القبائل ليسوا من جشم كما ترى ، ولكنهم لما انغمروا فيهم وانتقلوا الى المغرب بانتقالهم أطلق على الجميع جشم .

فاما المقدم والعاصم فهما ابنا مشرف بن اثبج بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ابن صعصعة ، وأما قرة فهم بنو قرة بن عبد مناف بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال ، فهؤلاء القبائل الثلاثة أعنى المقدم والعاصم وقرة هلاليون ، وأما الخلط فهم بطن من بنى عقيل بالتصغير .

قال أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى : الخلط بنو عوف وبنو معاوية ابنى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المذكور فى الانساب المتقدمة . فقد بان لك بهذا ان هذه القبائل الاربع أعنى العاصم ومقدما وقرة والخلط ، ليسوا من بنى جشم بن معاوية بن بكر من حيث النسب ، وان الثلاث الاول من بنى هلال بن عامر ، وان الرابعة وهى الخلط من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر . وفى معاوية بن بكر يجتمع الجميع كما ذكرناه أولا ،

والله تعالى اعلم .

ولنتكلم الآن على أخبار جشم على الجملة فنقول : لما نزل بنو جشم ببسيط تامسنا أقاموا به برهة من الدهر ، ثم تميز جمهورهم الى العاصم ومقدم وبنى جابر وسفيان والخلط .

فأما مقدم والعاصم فكانوا مع اخوانهم ببسيط تامسنا المذكور . وكان للموحدين عليهم عسكرة وجباية . وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين ، ثم عهد المأمون بن المنصور منهم حسن بن زيد ، وكان له أثر في الفتنة التي ثارت بين المامون وبين يحيى بن الناصر ابن المنصور .

ولما هلك يحيى المذكور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أمر الرشيد بن المأمون بقتل حسن بن زيد المذكور مع قائد وقائد ابنى عامر من شيوخ بنى جابر ، كل منهما اسمه قائد فقتلوا جميعا .

ثم صارت الرياسة لابى عياد وبنيه ، وكان رئيسهم لعهد بنى مرين عياد بن أبى عياد ، وكان له تلون على الدولة فى النفرة تارة والاستقامة أخرى ، فرّ الى تلمسان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة ، وفر الى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعمائة ، ولم يزل هذا دأبه ، وكانت له ولاية مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى من قبل ذلك . ومقاماته فى الجهاد معه مذكورة وبقيت رياسته فى بنيه الى ان انقرض أمرهم وتلاشوا . والله خير الوارثين .

وأما بنو جابر بن جشم فكانت لهم شوكة أيضا ، وكان لهم أثر فى الفتنة الناشئة بين المأمون بن المنصور ، ويحيى بن الناصر بن المنصور . فكانوا شيعة ليحيى . ولما ولى الرشيد بن المأمون أمر بقتل قائد وقائد ابنى عامر ، وهما يومئذ شيخا بنى جابر فقتلا وقتل معهم حسن بن زيد شيخ العاصم كما تقدم ، وكانوا جميعا معتقلين عند الرشيد .

وولى أمر بنى جابر بعدهما يعقوب بن محمد بن قيطون ، ثم قبض عليه قائد الموحدين أبو الحسن بن يعلو ، وكان ذلك بأمر أبى حفص المرتضى الموحدى ، وولى رياسة بنى جابر بعده اسمعيل بن يعقوب بن قيطون ، ثم تحيز بنو جابر هؤلاء عن احياء جشم الى سفح الجبل بتادلا وما اليها يجاورون هنالك صنائع من البربر الساكنين بقنته وهضابه ،

فيسهلون الى البسيط تارة ويأوون الى الجبل فى حلف البربر وجوارهم أخرى ، إذا دهمتهم مخافة من السلطان .

قال ابن خلدون : والرياسة فيهم لهذه العصور - يعنى أواخر المائة الثامنة - فى وردیغة من بطونهم ، قال : أدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبى عنان حسين بن علي الوردیغى ثم هلك ، وأقيم مقامه ابنه الناصر بن حسين ، ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعه عن السلطان أبى سالم المرينى سنة ستين وسبعمائة ، ونهضت إليهم عساكر السلطان فامكنوا منه ، ثم لحق بهم أبو الفضل ابن السلطان أبى سالم عند فراره من مراكش سنة ثمان وستين ، ونازله السلطان عبد العزيز المرينى وأحاط به وبهم ، فلحق ببرابرة صناكة ، ثم أمكنوا منه على مال حمل إليهم ، ولحق بهم أثناء هذه الفتن الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن المرينى على عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب ، وطلبه الوزير عمر فأخرجوه عنهم ، وطال بذلك مراس الناصر هذا للفتنة ، فنكرته الدولة وتقبضت عليه وأودعته السجن ، فمكث فيه سنين ثم تجافت عنه الدولة من بعد ذلك وأطلقته ، ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازى المستبد بالمغرب على ولد السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ، ونقلوا الرياسة عن بيته إلى غيرهم ، والله تعالى مقلب الامور .

وقد يزعم كثير من الناس أن وردیغة من بنى جابر ليسوا من جشم ، وانهم بطن من بطون سدراتة احدى شعوب لواتة من البربر ، ويستدلون على ذلك بموطنهم وجوارهم البربر ، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

وأما سفيان فهم الذين كانت لهم الرياسة والشوكة عند دخول العرب إلى المغرب ، كانت رياستهم يومئذ فى أولاد جرمون على سائر بطون جشم ، واستمروا على ذلك سائر أيام الموحدين ، ولما ضعف أمر بنى عبد المؤمن استكثروا بهم فى حروبهم . فكانت لهم عزة ودالة على الدولة بسبب الكثرة وقرب العهد بالبداوة ، وخبوا ووضعوا فى الفتن مع أعقاب الملوك من بنى عبد المؤمن المتنازعين على الملك ، وظاهروا البعض منهم على البعض ، وساءت آثارهم بالمغرب .

وكان شيخهم المشهور على عهد يحيى بن الناصر الموحدى جرمون بن عيسى

السفيانى ، وكانت بينهم وبين الخلط عداوة . فصارت الخلط شيعة للمأمون وبنيه ، وصارت سفيان بسبب ذلك شيعة ليحيى بن الناصر منازعه في الخلافة بمراكش ، ثم قتل الرشيد بن المأمون مسعود بن حميدان شيخ الخلط كما نذكر بعد ، فصاروا إلى يحيى ابن الناصر ، وصارت سفيان إلى الرشيد .

ثم ظهر بنو مرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين ، ونزع جرمون سنة ثمان وثلاثين وستمائة عن الرشيد ولحق بمحمد بن عبد الحق المرينى حياء مما وقع له مع الرشيد . وذلك أنه نادمه ذات ليلة حتى سكر . فقام يرقص طربا ، ثم حمل عليه وهو سكران وعربد وأساء الادب . ثم أفاق فندم . وفرّ إلى محمد بن عبد الحق . وهلك سنة تسع وثلاثين بعدها . وعلا كعب ابنه كانون بن جرمون عند السعيد بن المأمون ، ثم خالف عليه عند نهوضه إلى بنى مرين سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ورجع إلى آزمور فملكها ، وفت ذلك فى عضد السعيد فرجع عن حركته وقصد كانون بن جرمون ، ففرّ أمامه ثم حضر معه بعد ذلك حركته إلى تلمسان ، وقتل بحصن تامزردكت قبل مقتل السعيد بيوم واحد . قتلته الخلط فى فتنة وقعت بينهم فى محلة السعيد ، وهى التى جرت عليها تلك الواقعة .

وقام بأمر سفيان من بعده أخوه يعقوب بن جرمون ، وقتل ابن أخيه محمد بن كانون ، وحضر مع عمر المرتضى الموحدى حركة امان ايملولين سنة تسع وأربعين وستمائة ، فرحل يعقوب عن السلطان ، واختل عسكره بسبب ذلك ، فرجع واتبعه بنو مرين فكانت الهزيمة ، ثم عفا له المرتضى عنها ، ثم قتله مسعود وعلي ابنا أخيه كانون بثار أخيهما محمد سنة تسع وخمسين وستمائة . ولحقا بيعقوب بن عبد الحق المرينى ، وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فعجز عن القيام بأمره ، فقدم عمه عبد الله بن جرمون فعجز أيضا ، فقدم مسعود بن كانون فأقام شيخا على سفيان ، واستمرت حالهم مع الموحدين وبنى مرين على هذا النحو من اخلاص الطاعة والنصرة تارة ، والتمريض فيهما أخرى .

قال ابن خلدون : « واتصلت الرياسة على سفيان فى بنى جرمون هؤلاء الى عهدنا » قال : « وأدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبى عنان يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى

ابن يعقوب بن جرمون بن عيسى.»

وكانت سفيان هؤلاء أحياء حلولا باطراف تامسنا مما يلى آسفى ، وغلبتهم الخلط على بسائطها الفسيحة ، وبقى من أحيائهم الحارث والكلابة ينتجعون أرض السوس وقفاره . ويطلبون ضواحى بلاد حاحة من المصامدة ، فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس . ورياستهم فى أولاد مطاع من الحرث ، وطال عيثهم فى ضواحى مراكش وافسادهم ، فلما استبد سلطان مراكش الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن المرينى سنة ست وسبعين وسبعمائة كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم ، ثم استقدمهم فى بعض أيامه للعرض بخيلهم ورجلهم على العادة ، وشيخهم يومئذ منصور بن يعيش من أولاد مطاع ، فتقبض عليهم أجمعين ، وقتل من قتل منهم ، وأودع الآخرين سجونه ، فذهبوا مثلا للآخرين وخضضت شوكتهم والله قادر على ما يشاء .

وأما الخلط فقد كانوا ببسيط تامسنا أولى عدد وقوة ، وكان شيخهم هلال بن حميدان ابن مقدم ، ولما ولى العادل بن المنصور الموحدى خالفوا عليه وهزموا عساكره ، وبعث هلال بيعته الى المأمون بن المنصور سنة خمس وعشرين وستمائة ، وتبعه الموحدون على ذلك ، ثم جاء المأمون فظاهروه على أمره ، وتحيزت أعداؤهم الى يحيى بن الناصر منازعه ، ولم يزل هلال بن حميدان مع المأمون الى ان هلك فى حركته سنته ، وبايع بعده لابنه الرشيد وجاء به الى مراكش ، وهزم سفيان واستباحهم ، ثم هلك هلال بن حميدان فولى مكانه أخوه مسعود بن حميدان ، ثم خالف على الرشيد فاحتال الرشيد عليه حتى وفد عليه بمراكش فقتله في جماعة من قومه سنة ثنتين وثلاثين وستمائة ، وولى أمر الخلط بعده يحيى بن هلال ، وفر بقومه الى يحيى بن الناصر وحاصروا مراكش ثم استولوا عليها وعاثوا فيها ، وخرج الرشيد الى سجلماسة ، ثم عاد اليهم سنة ثلاث وثلاثين بعدها وغلبهم عليها ، ثم راجعوا طاعة الرشيد وطردوا يحيى بن الناصر الى بنى معقل عرب الصحراء ، فتقبض الرشيد على وشاح وعلي ابنى هلال وسجنهم بآزمور سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ثم أطلقهم ثم بعد ذلك غدر بمشيختهم بعد الاستدعاء والتأنيس وقتلهم أجمعين . ثم بعد ذلك حضروا مع السعيد بن المأمون حركته الى بنى عبد الواد أصحاب تلمسان ، وجروا عليه الواقعة حتى قتل فيها بسبب فتنتهم مع سفيان يومئذ ، فلم يزل المرتضى يعمل

الحيلة فيهم الى ان تقبض على أشياخهم سنة ثنتين وخمسين وستمائة فقتلهم ، ولحق عواج بن هلال بن حميدان ببنى مرين ، وقدم المرتضى عليهم علي بن أبى علي من بيت الرياسة فيهم . ثم رجع عواج الى الموحدين سنة أربع وخمسين وستمائة فأغزاه على بن أبى على فقتل فى غزاته تلك

ثم كانت واقعة أم الرجلين لبنى مرين على المرتضى سنة ستين وستمائة ، فنزع علي ابن أبى علي الى بنى مرين ، ثم صار الخلط كلهم الى بنى مرين ، وكانت الرياسة فيهم أول دولة بنى مرين لابى عطية مهلهل بن يحيى الخلطى . وأصهر اليه السلطان يعقوب ابن عبد الحق ، فانكحه مهلهل ابنته عائشة التى كان منها ابنه السلطان أبو سعيد بن يعقوب ، ولم يزل مهلهل كبيرا عليهم الى ان هلك سنة خمس وتسعين وستمائة ، ثم قام بامر الخلط ابنه عطية ، وكان لعهد السلطان أبى سعيد وابنه السلطان أبى الحسن ، وبعثه السلطان أبو الحسن سفيرا عنه الى سلطان مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ولما هلك عطية قام بامر الخلط ابنه عيسى بن عطية ، ثم ابن أخيه زمام بن ابراهيم بن عطية ، وهو الذى بلغ المبالغ من العز والترف والدالة على السلطان ، والقرب من مجلسه الى ان هلك ، فولى أمر الخلط بعده أخوه أحمد بن ابراهيم ، ثم أخوهما سليمان بن ابراهيم . ثم أخوهم مبارك بن ابراهيم على مثل حالهم أيام السلطان أبى عنان المرينى ومن بعده ، الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعد مهلك السلطان أبى سالم المرينى ، واستولى على المغرب أخوه السلطان عبد العزيز ، وأقطع ابنه أبا الفضل ناحية مراكش ، فكان مبارك بن ابراهيم بن عطية هذا معه .

ولما تقبض على أبى الفضل تقبض على مبارك المذكور . وأودع السجن الى ان غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد الهنتاتى وقتله ، فقتل معه مبارك بن ابراهيم هذا لما كان يعرف به من صحبته ومداخلته في الفتن كما يذكر فى أخبار بنى مرين ، وولى ابنه محمد بن مبارك على قبيل الخلط .

قال ابن خلدون : « إلّا ان الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين بذلك البسيط الافيح ، زيادة على العز والدعة ، فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف ، والله غالب على أمره » اهـ .

ولما انقرضت الدولة المرينية من المغرب وجاءت دولة الشرفاء السعديين وقام منهم أبو عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدى انحاشت الخلط اليه ، وأظهروا الخدمة والنصيحة ، وغلب محمد الشيخ المذكور على فاس وأخرج أبا حسون الوطاسى عنها ، فذهب أبو حسون المذكور الى دولة الترك بالجزائر واستنصر بهم على السعديين فلبوا دعوته ، وقدم معه منهم عسكر جرار الى فاس فأخرجوا محمد الشيخ السعدى عنها بعد حروب عظيمة جرت الخلط هؤلاء عليه فيها الهزيمة ، فلما استقل بالامر محمد الشيخ المذكور خلع الخلط من الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة ، ونقل اعيانهم الى مراكش واتخذهم رهائن عنده .

ولم يزل الامر على ذلك الى دولة السلطان أبى العباس أحمد المنصور السعدى المعروف بالذهبى ، فرأى جلاد الخلط وقتالهم يوم وادى المخازن وابلاءهم البلاء الحسن ، فاختار النصف منهم وردهم الى الجندية ، وأبقى النصف الآخر فى غمار الرعية ، ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه ، فعاثوا فى تلك البلاد وأكثروا فيها الفساد ، ومدوا أيديهم الى أولاد مطاع فنهبوهم ، وضايقوا بنى حسن فكثرت الشكاية بهم الى المنصور السعدى ، فضرب عليهم مغرما سبعين ألفا . فلم يزيدوا إلّا شدة ، فضرب عليهم بعثا الى تكرارين من أرض الصحراء فامتنعوا من ذلك ، فبعث اليهم القائد موسى بن أبى جمادة العمرى فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة ، ثم حكم فيهم السيف فمزقهم كل ممزق ، ومن ثم خمدت شوكتهم ولانت للغامز قناتهم ، ثم ختموا أعمالهم بفعلتهم الشنعاء التى ملأت الافواه وأسالت من الجفون الامواه ، وهى قتلهم ولى الله تعالى المجاهد فى سبيله أبا عبد الله سيدى محمد العياشى المالكى رحمه الله . فما زلنا نسمع ان قبيلة الخلط انما سلبوا العز منذ قتلهم للولى المذكور ، وكان ذلك فى المحرم سنة احدى وخمسين وألف ، والله تعالى أعلم .

الخبر عن بنى معقل عرب الصحراء من أرض المغرب

وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم وبطونهم



قال ابن خلدون : « هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى ، مجاورون لبنى عامر من زغبة الهلاليين فى مواطنهم بقبلة تلمسان ، وينتهون الى البحر المحيط من جهة الغرب ، وهم ثلاثة بطون ، ذوى عبيد الله ، وذوى منصور ، وذوى حسان .

فذوى عبيد الله منهم هم المجاورون لبنى عامر ، ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت فى التل وما يواجهها من القبلة ، ومواطن ذوى منصور من تاوريرت الى بلاد درعة ، فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة ، وعلى درعة وما يحاذيها من التل ، مثل تازا وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا والمعدن ، ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط ، وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس ، فيستولون على السوس الاقصى وما اليه وينتجعون كلهم فى الرمال الى مواطن الملثمين من كدالة ومسوفة ولمتونة .

وكان دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين فى عدد قليل يقال إنهم لم يبلغوا المائتين ، واعترضتهم بنو سليم فأعجزوهم وتحيزوا إلى الهلاليين منذ عهد قديم ، ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلى ملوية ورمال تافيلالت ، وجاوروا زناتة فى القفار فعفوا وكثروا وأثروا فى صحارى المغرب الاقصى ، فعمروا رماله وتقلبوا فى فيافيه ، وكانوا هنالك أحلافا لزناتة سائر أيامهم ، وبقى منهم بأفريقية جمع قليل اندرجوا فى جملة بنى كعب ابن سليم وداخلوهم حتى كانوا وزراء لهم فى الاستخدام للسلطان واستئلاف العرب .

فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الامصار والمدن أقام بنو معقل هؤلاء فى القفار ، وتفردوا فى البيداء فنموا نموا لا كفاء له ، وملكوا قصور الصحراء التى اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا . ثم توات ، ثم بودة ، ثم تمنطيت ، ثم وارکلان ، ثم تاسيبيت ثم تيكورارين شرقا ، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار وأكثر سكانها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها .

فحازت عرب معقل هـذه الاوطان في مجالاتهم ، ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا .

وكانوا فى تلك المـدة السالفة يعطون الصدقات للملوك زناتـة ويأخـدونهم بالدماء والطوائل ، ويسمونها جمل الرحيل ، وكان لهم الخيار فى تعيينها ، ولم يكن هؤلاء العرب يحمون من أطراف المغرب وتلوله حمى ، ولا يعرضون لسابـلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد الصحراء بأذية ولا مكروه . لمـا كان بالمغرب من اعتزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزناتة من بعدهم .

وكان لهم بازاء ذلك اقطاع من الدول يمدون الى أخذه اليد السفلى وعددهم قليل كما قلنا ، وانما كثروا بمن اجتمع اليهم من القبائل من غير نسبهم ، فان فيهم من فزارة بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، وفيهم من أشجع بن ريث ابن غطفان احياء كبيرة ، يظعنون مع بنى معقل بجهات سجلماسة ووادى ملوية ، ولهم عدد وذكر ، وفيهم الصبّـاح من الاخضر ، ويقولون انهم من ولد اخضر بن عـامر ، وعامر هذا هو – والله أعلم – من ولد رياح الهلاليين ، وفيهم المهاية من عياض احدى بطون الاثبج الهلاليين ، وفيهم العمور من الاثبج أيضا . وفيهم بطون أخر من بنى هلال وبنى سليم وغيرهم .

وأما أنسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة ، والنسابون من عرب هلال يعدونهم من بطونهم وهو غير صحيح ، وهم – أعنى بنى معقل – يزعمون أن نسبهم فى أهل البيت إلى جعفر بن أبى طالب ، وليس ذلك أيضا بصحيح ، لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل باديـة ونجعة .

هكذا ذكر ابن خلدون ، لكنه لما تكلم على جهينة إحدى بطون قضاعة ، وذكر أنهم نزلوا بلاد الصعيد وملأوها . قال : « ونزل معهم فى تلك المواطن من اسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبى طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحى المدينة وأخرجوهم منها ، فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ، ويحترفون فى غالب أحوالهم بالتجارة » اه كلامه . فعلى هذا لايبعد أن تكون طائفة من هؤلاء الجعافرة قد انتقلوا من أرض الصعيد ودخلوا مع بنى هلال إلى بلاد المغرب واوطنوا صحراءه ، وهم بنو معقل المذكورون ،

والناس مصدقون فى أنسابهم ، والله تعالى أعلم بحقائق الأمور .

ثم قال ابن خلدون : « والصحيح والله أعلم من أمرهم انهم من عرب اليمن . فان فى اليمن بطنين يسمى كل واحد منهما معقل ، ذكرهما ابن الكلبى وغيره فأحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير ، وهو معقل بن كعب بن عليم بن جناب وينتهى نسبه الى قضاعة والآخر من بنى الحرث بن كعب أصحاب نجران ، الذين كان منهم بنو عبد المدان ملوك نجران فى الجاهلية والاسلام . وهو معقل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب ، وينتهى نسبه الى كهلان » قال : « والانسب ان يكونوا من هذا البطن الآخر ، وقد عده الاخباريون فى بطون هلال الداخلين الى افريقية لمجاورتهم فى الوطن » قال : ومن املاء نسابهم ان معقلا جدهم له من الولد سجير ومحمد ، فولد سجير : عبيد الله ، وثعلب ، فمن عبيد الله ذوى عبيد الله البطن الكبير منهم ، ومن ثعلب الثعالبة الذين كانوا ببسيط متيجة من نواحى الجزائر ، وولد محمد : مختارا ومنصورا وجلالا وسالما وعثمان ، فولد مختار بن محمد حسان وشبانة ، فمن حسان ذوى حسان البطن المذكور اهل السوس الاقصى ، ومن شبانة الشبانات جيرانهم هنالك ، ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية فى ذوى حسان ينتجعون معهم ، وولد منصور بن محمد حسينا وأبا الحسين وهما شقيقان ، وعمران ومنبا وهما شقيقان أيضا وهما الاحلاف ، ويقال لعمران العمارنة ، ولمنبا المنبات ، ثم يقال لجميع البطون الاربعة ولد منصور بن محمد ذوى منصور ، وهم احدى بطونهم الثلاث المذكورة والله تعالى أعلم بغيبه » .

فهذه أصول عرب المغرب الاقصى وكيفية دخولهم اليه واستيطانهم اياه ، وبعض فصولهم قد ذكرناها ملخصة من تاريخ امام الفن أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون ، ومن جمهرة الانساب لابن حزم ، وزدنا ما يحتاج منها الى البيان بيانا والله تعالى الموفق .

ولنرجع الى ما كنا بسبيله من أخبار أمير المؤمنين يعقوب المنصور رحمه الله ، فانه لما رجع من افريقية الى مراكش سنة أربع وثمانين وخمسمائة رفع اليه ان أخاه السيد أبا حفص صاحب مرسية الملقب بالرشيد ، وعمه السيد أبا الربيع صاحب تادلا عند ما بلغهما خبر الوقعة التى كانت على مقدمة المنصور بأفريقية حدثا أنفسهما بالتوثب على

الخلافة ، فلما قدما عليه للتهنئة أمر باعتقالهما خلال ما استملى أمرهما ثم قتلهما ، وعقد للسيد أبى الحسن ابن السيد أبى حفص على بجاية . وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة شرع المنصور فى ادخال ساقية الماء الى مراكش ، ثم تاقت نفسه الى الجهاد فكان منه ما نذكره .

الجواز الاول ليعقوب المنصور رحمه الله الى الاندلس بقصد الجهاد

قال ابن أبى زرع : وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة تحرك أمير المؤمنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غربها ، وهى أولى غزواته ، فعبر من قصر المجاز الى الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول من السنة المذكورة ، ثم نهض من الخضراء حتى نزل شنترين ، وشن الغارات على مدينة اشبونة وأنحائها ، فقطع الثمار وحرق الزروع وقتل وسبا وأضرم النيران فى القرى وأبلغ فى النكاية ، وانصرف الى العدوة بثلاثة عشر ألفا من السبى ، فدخل فاسا فى آخر رجب من السنة المذكورة .

مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب
صاحب مصر ليعقوب المنصور رحمهما الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد

كانت الفرنج قد ملكوا سواحل الشام فى آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة قبل هذا التاريخ ، وملكوا معها بيت المقدس شرفه الله ، فلما استولى السلطان صلاح الدين رحمه الله على ديار مصر والشام اعتزم على جهادهم ، وصار يفتتح حصونها واحدا بعد واحد حتى أتى على جميعها . وافتتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وهدم الكنيسة التى بنواحيه ، وانقضت أمم النصرانية من كل جهة ، وتتابعت أساطيلهم الكفرية بالمدد من كل ناحية لتلك الثغور القريبة من بيت المقدس ، واعترضوا اسطول

صلاح الدين فى البحر ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لضعفها يومئذ عن ممانعتهم فبعث صلاح الدين صريخه إلى المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمائة (١) يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكاء وصور وطرابلس الشام ، وأوفد عليه أبا الحرث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بنى منقذ ملوك شيزر من حصون الشام ، وكان صلاح الدين قد ملكها من أيديهم وأبقى عليهم فى دولته ، فبعث صلاح الدين عبد الرحمن هذا إلى يعقوب المنصور طالبا مدد الاساطيل لتحول فى البحر بين أساطيل الفرنج وبين أمداد النصرانية بالشام ، ولمنازلة الثغور التى ذكرنا .

وبعث معه إلى المنصور بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ، ومائة درهم من دهن البلسان ، وعشرين رطلا من العود ، وستمائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا عربية بأوتارها . وعشرين من النصول الهندية ، وسروج عدة مثقلة ، فوصل إلى المغرب فصادف المنصور بالاندلس فانتظره بفاس إلى أن رجع فلقيه وأدى الرسالة وقدم الهدية .

وكان الكتاب الذى بعث به صلاح الدين من إنشاء الاديب عبد الرحيم البيسانى المعروف بالقاضى الفاضل ، وكان عنوان الكتاب من صلاح الدين إلى أمير المسلمين وفى أوله الفقير إلى الله تعالى يوسف بن أيوب ، وبعده : الحمد لله الذى استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض ، وأغنى من أهلها من سأله القرض ، وأجرى من أجرى على يده النافلة والفرض ، وزين سماء الملة بدرارى الذرارى التى بعضها من بعض ، وهو كتاب طويل .

ولما وقف عليه المنصور ورأى تجافيهم فيه عن خطابه بأمير المؤمنين لم يعجبه ذلك ، وأسرها فى نفسه ، وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة . وردة الى مرسله ولم يجبه الى حاجته ، ويقال انه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين اسطولا ، ومنع النصارى من سواحل الشام . والله تعالى أعلم .

قال ابن خلدون (٢) : وفى هذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالاساطيل

---

(١) صوابه ست وثمانين (راجع كتاب الروضتين للمقدسى ج ٢ ص ١٧٣)

(٢) هذا النقل غير موجود فى ابن خلدون سواء فى النسخة المطبوعة بالقاهرة سنة =

الجهادية ، وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد بها ، وكان ابن منقذ المذكور قد مدح المنصور بقصيدة يقول فيها :

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * إلى بحر جود ما لأخراه ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى * إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليك أمير المؤمنين ولم تزل * إلى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت إليك البر والبحر موقنا * بأن نداك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلى فبلغتها * وأدنى عطاياك العلى والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود بانيا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعدّتها أربعون بيتا ، فأعطاه بكل بيت ألفا . وقال له : إنما أعطيناك لفضلك ولبيتك ، يعنى لا لاجل صلاح الدين .

عود المنصور إلى افريقية والسبب في ذلك

لما قدم المنصور من الاندلس الى فاس وفرغ من شأن ابن منقذ تواترت لديه الاخبار بأن ابن غانية قد ظهر بافريقية ، فنهض اليها من فاس فى ثامن شعبان من تلك السنة ، فدخل تونس فى أول ذى القعدة منها فألفى بلاد افريقية ساكنة وقد فرّ ابن غانية عنها إلى الصحراء حين سمع بقدومه .

وفى سنة ست وثمانين وخمسمائة استولى الفرنج على مدينة شلب وباجة ويابورة من غرب الاندلس ، وذلك لما علموا أن المنصور قد أبعد عنهم واشتغل بأمر افريقية ، فاغتنموا الفرصة فيها ، واتصل الخبر بالمنصور فغاظه ذلك وأعظمه ، وكتب إلى قواد

= ١٢٨٤ أو المطبوعة بالجزائر سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧) ولعل المؤلف نقله عن نسخة أخرى خطية وربما تكون هى النسخة المخطوطة التى كان وقف عليها عند أحد عمال الغرب المعروف بولد الضاوية وهي التي استعملها عند جمعه لهذا التاريخ اه .

الاندلس يوبخهم ويأمرهم بغزو بلاد الفرنج ويعلمهم أنه قادم عليهم فى أثر كتابه ، فاجتمع قواد الاندلس إلى محمد بن يوسف والي قرطبة . فخرج بهم فى جيش كثيف من الموحدين والعرب وأهل الاندلس حتى نزل على شلب فشدد عليها الحصار وتابع عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبى دانس ومدينة باجة ويابورة ورجع إلى قرطبة فدخلها بخمسة عشر ألفا من السبى وثلاثة آلاف أسير قدمهم بين يديه في القطائن خمسون علجا فى كل قطينة ، وذلك فى شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

وفى هذا الشهر رجع المنصور من افريقية فانتهى إلى تلمسان فأقام بها إلى آخر السنة المذكورة ، وفى فاتح محرم من سنة ثمان وثمانين وهى سنة آكْرُوَاوْ خرج المنصور من تلمسان إلى فاس وهو مريض ، فكان يركب فى آكْرواو . فدخل فاسا وأقام بها مريضا سبعة أشهر حتى أبل من علته ، ثم نهض إلى مراكش فأقام بها إلى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، ثم نهض منها إلى الاندلس بقصد الجهاد ، وكان ما نذكره إن شاء الله .

الغزوة الكبرى بالأرك من بلاد الاندلس



قال ابن خلكان : كان يعقوب المنصور رحمه الله قد خافه الفنش صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه إلى خمس سنين ، فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها إلّا القليل خرجت طائفة من الفرنج فى جيش كثيف إلى بلاد المسلمين ، فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا ، فانتهى الخبر إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور وهو بمراكش فتجهز لقصدهم فى جيش عرمرم من قبائل الموحدين والعرب ، واحتفل فى ذلك وعبر البحر إلى الاندلس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، واتصل بالفرنج عبوره إليهم فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه .

قال ابن خلكان : وقد رأيت بدمشق جزأ بخط الشيخ الحافظ تاج الدين عبد الله بن حمويه السرخسى ، وكان قد سافر إلى مراكش وأقام بها مدة ، وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة ، فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة فينبغى ذكره ههنا .

قال : لما انقضت الهدنة بين أمير المؤمنين يعقوب المنصور وبين الاذفونش الفرنجى صاحب غرب جزيرة الاندلس ، وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة ، وذلك فى أواخر سنة تسعين وخمسمائة عزم يعقوب المنصور — وهو يومئذ بمراكش — على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الفرنج ، وكتب الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور ، وخرج الى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها . فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه ، فتوقف الحال عن تدبير تلك الجيوش . وحمل يعقوب المنصور الى مراكش وهو مريض ، فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم فى البلاد وعاثوا فيها ، وأغاروا على النواحى والاطراف ، وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس . واقتضى الحال تفرقة الجيوش التى جمعها يعقوب المنصور شرقا وغربا ، واشتغلوا بالمدافعة والممانعة ، فكثر طمع الاذفونش فى البلاد ، وبعث رسولا الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور يتهدد ويتوعد ، ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس ، وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له من ضعفاء المسلمين يعرف بابن الفخار ، وهي : « باسمك اللهم فاطر السموات والارض ، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح ، أما بعد ، فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ، ولاذى عقل لازب ، انك أمير الملة الحنيفية ، كما انى أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل ، وإهمال أمر الرعية ، واخلادهم إلى الراحة ، وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار ، وأسبى الذرارى وأمثل بالرجال ، ولا عذر لك فى التخلف عن نصرهم إذا امكنتك يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ، لاتستطيعون دفاعا ولا تمكلون امتناعا ، وقد حكى لي عنك أنك أخذت فى الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاما بعد عام ، تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فلا أدرى أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ؟ ثم قيل لي إنك لاتجد إلى جواز البحر سبيلا لعلة لايسوغ لك التقحم معها ، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك ، واعتذر لك وعنك ، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان ، وترسل إلي جملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والطرائد

والمسطحات ، وأجوز بجملتى إليك فأقاتلك فى أعز الاماكن لديك ، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك ، وهدية عظيمة مثلت بين يديك ، وإن كانت لي كانت يدى العليا عليك ، واستحققت إمارة الملتين والحكم على البرين ! والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الارادة ، لارب غيره ولاخير إلّا خيره » .

فلما وصل كتابه الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ، وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن التوقيع كما يأتى فى بقية أخباره : « ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » ثم كتب « الجواب ما ترى لا ما تسمع » فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا ، وأنشد متمثلا :

« ولا كتب إلّا المشرفية والقنى * ولا رسل إلّا الخميس العرمرم »

ثم أمر بالاستنفار ، واستدعاء الجيوش من الامصار ، وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه ، وجمع العساكر ، وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة يريد الاندلس .

وقال ابن أبى زرع : خرج أمير المؤمنين يعقوب المنصور من حضرة مراكش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وخمسمائة يوالى السير ويطوى المناهل ، ولا يلوى على فارس ولا راجل ، والجيوش تتابع فى أثره من سائر الاقطار ، فلما انتهى الى قصر المجاز أخذ فى اجازة الجيوش الواردة عليه ، لا يفرغ من طائفة إلّا وقد لحقت بها أخرى ، فأجاز أولا قبائل العرب ، ثم زناتة ، ثم المصامدة ، ثم غمارة ، ثم المتطوعة من قبائل المغرب ، ثم الاغزاز والرماة ، ثم الموحدون ، ثم العبيد ، ثم أجاز أمير المؤمنين فى أثرهم فى موكب عظيم من أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه ، واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة الموفى عشرين من رجب من السنة المذكورة ، فأقام بها يوما واحدا .

ثم نهض الى العدو قبل ان تخمد قرائح المجاهدين وتضعف نياتهم ، فسار حتى بقى بينه وبين حصن الارك الذى كان العدو نازلا بازائه نحو مرحلتين ، فنزل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة ، فجمع الناس ذلك اليوم وفاوضهم ووعظهم ، ثم اختص أهل الاندلس بمزيد المشورة ، وقال لهم : « إن جميع من استشرته وإن كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم ،

لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم » ، فأحالوه فى الرأى على القائد أبى عبد الله بن صناديد ، فعول المنصور رحمه الله فى ذلك على رأيه .

وقال ابن الخطيب فى رقم الحلل : إن أمير المؤمنين المنصور رحمه الله عرض جيشه ، وأخذ فى تقريب القرب الى الله تعالى بين يدى جهاده ، فسرح السجون ، وأدر الارزاق ، وعين الصدقات ، ورحل فنزل الاركوقد خيمت بأحوازه محلات العدوّ يضيق عنها المتسع ، وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فتحلل من المسلمين وقال : « أيها الناس اغفروا لي فيما عسى أن يكون صدر منى » فبكى الناس وقالوا : « منكم يطلب الرضى والغفران » وخطب الخطباء بين يديه محرضين ومذكرين فنشط الناس وطابت النفوس ، ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح والبروز إلى اللقاء ، فكانت التعبئة تحت الغلس .

وحكى ابن أبى زرع أن المنصور بات تلك الليلة عاكفا بمصلاه على الركوع والسجود ، وأنه أغفى اغفاءة فرأى ملكا نزل من السماء فى صورة بشر وبيده راية خضراء وبشره بالفتح ، وأنشده فى ذلك أبياتا بقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقص رؤياه على وجوه الجند ، فازداد الناس طمأنينة وبصيرة .

فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور فى قبته الحمراء المعدة للجهاد ، ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبى يحيى بن أبى حفص وقدمه على ذلك الجيش ، وعقد له رايته وقدمه بين يديه فرفرفت على رأسه الرايات ، وقرعت بين يديه الطبول ، وسار فى قبيل هنتاتة وبين يديه القائد ابن صناديد فى جيش الاندلس ، ثم عقد المنصور لجرمون ابن رياح على قبائل العرب ، ولمنديل بن عبد الرحمن المغراوى على قبائل مغراوة ، ولمحيوا ابن أبى بكر بن حمامة المرينى جد الملوك المرينيين على قبائل بنى مرين ، ولجابر بن يوسف العبد الوادى على قبائل بني عبد الواد ، وللعباس بن عطية التوجينى على قبائل بنى توجين ، ولتلجين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ، ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمارة ، وعقد للفقيه الصالح أبى خزر يخلف بن خزر الاوربى على المتطوعة .

وقال ابن خلدون : إن الذى كان على المتطوعة يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد ابن أبى حفص ، والكل إلى نظر الشيخ أبى يحيى بن أبى حفص ، وبقى المنصور رحمه الله

فى جيش الموحدين والعبيد ، وأمر الشيخ أبا يحيى بالرحيل والتقدم أمامه الى جهة العدو .

وكان المنصور قد ضفر مع ابن صناديد من الرأى أن يبقى هو متأخرا فى الموحدين والعبيد والحشم على مسافة يخفى بهـا عن أعين العدو ، ويقدم الشيـخ أبا يحيى ببعض الرايات والطبول فى هيئة السلطان فيلقى العدو ، فإن كانت للمسلمين فهو المطلوب ، وان كانت عليهم كان المنصور ردأ لهم ، ثم يستأنف القتال مع العدو وقد أنفل حده ولانت شوكته .

فسار الشيخ أبو يحيى على هـذا الترتيب وابن صناديد أمامه فى فرسان الاندلس وحماتها ، فكان الشيخ ابو يحيى إذا أقلع بجيشه عن موضع صباحا خلفه المنصور فيـه بجيشه مساء ، حتى أشرف الشيخ أبو يحيى على جموع الفرنج وهى يومئـذ إلى جنب حصن الارك ويقال الاركو بزيادة الواو فى آخره ، قد ضربت اخبيتها على ربوة عالية ذات مهاو وأحجار كبار قـد مـلأت السهل والوعر ، ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه فى البسيط ضحوة يوم الاربعاء التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمـائة ، وعند ابن خلكان أن ذلك كان يوم الخميس . قال : واقتفى المنصور فى ذلك طريقة أبيه وجده فإنهم أكثر ما كانوا يصـافون يوم الخميس ، ومعظم حركاتهم فى صفر ، فعبأ الشيـخ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب ، وعقد الرايات لامراء القبائل ، وأوقف كل قبيلة فى مركزها الذى عـين لها ، فجعل عسكر الاندلس فى الميمنة ، وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب فى الميسرة ، وجعل المتطوعة والاغزاز والرماة فى المقدمة وبقى هو فى القلب فى قبيل هنتاتة .

ولما أخذ الناس مراكزهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح يمشى فى صفوف المسلمين ويحضهم على الثبات والصبر ، وبينما الناس على ذلك إذ انفصلت من جيش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج فى الحديد ، وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده ، كان الفنش لعنه الله قد انتخبهم وصلّب أقسته عليهم صلاة النصر ، ورشوهم بماء المعمودية ، وتحالفوا عند الصلبان أن لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم ، فلما برزت هذه الكتيبة نادى منادى الشيخ أبى يحيى : معشر المسلمين اثبتوا في مصافكم ، واخلصوا لله تعالى نياتكم ، واذكروا الله عز وجل فى قلوبكم .

وبرز عامر الزعيم من أمراء العرب ، فحض الناس على الصبر وثبتهم ، وحملت كتيبة العدو حتى اندقت رماح المسلمين فى صدور خيلها أو كادت ، ثم تقهقرت قليلا ثم عاودت الحملة فكانت كالاولى ، ثم تهيأت للحملة الثالثة فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين ، وخلص البعض منها إلى الشيخ أبى يحيى يظنونه المنصور فاستشهد رحمه الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمتطوّعة وغيرهم ، وسمى بنو الشيخ أبى يحيى ببنى الشهيد وعرفوا به من يومئذ ، وأظلم الجو بالغبار واختلطت الرجال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه ، واقبلت العرب والمتطوّعة فأحاطوا بالكتيبة التى دفعت إلى الشيخ أبى يحيى ، وزحفت زناتة والمصامدة وغمارة إلى الربوة التى فيها الفنش وجموعه ، وكانت على ما قيل تنيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل ، فتوغل المسلمون فى تلك الاوعار إليهم وخالطوهم بها ، واشتد القتال واستحر القتل فى الكتيبة التى دفعت أولا وانقضت عليهم العرب والمتطوّعة وهنتاتة فطحنوهم طحنا ، وانكسرت شوكة الفنش بهلاكهم إذ كان اعتماده ومعوله عليهم .

وأسرعت خيل من العرب إلى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بأن الله تعالى قد فل شوكة العدو وأشرف على الانهزام ، فعندها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ، ورفع المسلمون اصواتهم بالتكبير وتسابقوا لقتال العدو وخفقت البنود ، وزحف امير المؤمنين نحو المعركة ، فلم يرع الفنش اللعين إلّا الرايات قد أقبلت تخفق من كل جهة وزعقات الطبول والابواق وأصوات المجاهدين بالتكبير قد زلزلت الارض ، فقال ما هذا ؟ فقيل : هذا المنصور قد أقبل فى جيشه ، وما قاتلك سائر اليوم إلّا طلائعه ومقدماته ! فقذف الله الرعب في قلبه ، وخشعت نفوس جموعه ، وزلزلت بهم الارض زلزالها ، فولوا الادبار لايلوون على شيء ، وأسعدهم يومئذ من وجد فى فرسه بقية تنجيه . وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، وأحاط بعضهم بحصن الارك يظنون أن الفنش قد تحصن به ، وكان عدوّ الله قد دخل على باب وخرج على آخر من الناحية الاخرى ، واقتحم المسلمون الحصن عنوة وأضرموا النيران فى أبوابه واحتووا على جميع ما كان فيه وفي محلة العدو من الاموال والذخائر وأنواع السلاح التى تفوت الحصر .

وقال ابن خلدون : « كان ملوك الفرنج الذين قاتلوا المنصور يومئذ ثلاثة ابن

اذفونش وابن الرند والبيبوج ، قال : واعتصم فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم ، فاستنزلهم المنصور على حكمه حتى فُودى بهم عددهم من المسلمين .

وفي القرطاس : أن عدد أسارى الارك كانوا أربعة وعشرين الفا ، فمنّ عليهم المنصور وأطلقهم ، قال فعز ذلك على جميع الموحدين وسائر المسلمين ، وعُدّت للمنصور سقطة من سقطات الملوك .

وقال ابن الاثير : « كانت الدائرة يوم الارك أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج وانهزموا أقبح هزيمة ، وكان عدد من قتل من الفرنج أزيد من مائة الف ، وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا ، فمن الخيام مائة الف وثلاثة وأربعون الفا ، ومن الخيل ستة واربعون الفا وقيل ثمانون الفا ، ومن البغال مائة الف ، ومن الحمير أربعمائة الف»

قال فى نفح الطيب : « جاء بها الكفار لحمل اثقالهم لانهم لا إبل لهم » قال :« وأما الجواهر والاموال فلا تحصى . وبيع الاسير بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والفرس بخمسة دراهم ، والحمار بدرهم ، وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع » كذا في نفح الطيب .

وفى كامل ابن الاثير : « أن يعقوب المنصور رحمه الله نادى فى عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاح ، وأحصى ما حمل إليه منه فكان زيادة على سبعين الف لبس ، واستشهد من المسلمين نحو عشرين الفا »

ثم تقدم المنصور بجيوشه الى بلاد الفرنج وأخذ يخرب المدن والقرى ، ويفتح الحصون والمعاقل ، ويقتل ويسبى ويأسر ، حتى وصل الى جبل سليمان ، ثم ثنى عنانه راجعا وقد امتلأت أيدى المسلمين من الغنائم ، ولم يعارضه من الفرنج معارض ، حتى وصل الى اشبيلية فاستقر بها .

وأما الفنش فانه لما انهزم وصل الى طليطلة فى أسوأ حال . فحلق رأسه ولحيته ، ونكس صليبه وركب حمارا ، وأقسم أن لا يركب فرسا ولا بغلا ولا ينام على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية ، فجمع جموعا عظيمة ، وبلغ الخبر بذلك الى المنصور فبعث الى بلاد المغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه ، فأتاه من المتطوعة والمرتزقة جمع عظيم ، ثم نهض الى الفنش فالتقوا فى ربيع الاول سنة اثنتين

وتسعين وخمسمائة ، فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة ، وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدواب وغيرها .

ثم تقدم المنصور الى مدينة طليطلة فحاصرها وقاتلها قتالا شديدا وقطع أشجارها ، وشن الغارات على ما حولها من البلاد ، وفتح فيها عـدة حصون مثل قلعة رباح ووادى الحجارة ومجريط وجبل سليمان وإقليج وكثير من أحواز طليطلة .

ثم ارتحل عن طليطلة الى مدينة طلمنكة فـدخلها عنوة بالسيف فقتل المقاتلة ، وسبا النساء والذرية ، وغنم أموالها ، وهدم أسوارها ، وأضرم النيران في جوانبها ، وتركها قاعا صفصفا .

وثنى عنانه الى اشبيلية ، فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، فرفـع إليه فى القاضى أبى الوليد بن رشد المعروف بالحفيد مقالات نسب فيها إلى المرض فى دينـه ومعتقده ، وكان أحد فلاسفة الاسلام ، وربما الفى بعضها بخط يده فحبس ، ثم أطلق وأشخص إلى مراكش وبها كانت وفاته رحمه الله .

ثم خرج المنصور من اشبيلية غازيا بلاد ابن اذفونش ، فسار حتى احتل بساحة طليطلة ، وبلغه أن صاحب برشلونة قد أمد ابن اذفونش بعساكره وانهم جميعا بحصن مجريط فنهض إليهم ، ولمـا أطل عليهم انفضت جموع ابن اذفونش من قبل القتال ، ثم انكفأ المنصور راجعا إلى اشبيلية .

ثم اجتمع ملوك الفرنج وأرسلوا يطلبون الصلح ، فأجابهم إليه وصالحهم على مدة خمس سنين بعد أن كان عازما على الامتناع مريدا لملازمة الجهاد إلى أن يفرغ منهم ، فأتاه خبر علي بن اسحق المسوفى المعروف بابن غانية وأنه دخل افريقية وأراد الاستيلاء عليها ، ففت ذلك فى عزمه وصالحهم على المدة التى ذكرنا .

وعقد على اشبيلية للسيد أبى زيد بن الخليفة ، وعلى مدينة بطليوس للسيد أبى الربيع ابن السيد أبى حفص ، وعلى المغرب للسيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص ، ثم عبر البحر إلى المغرب فوصل إلى مراكش فى شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

وفي نفح الطيب : أن يعقوب المنصور لمـا حاصر طليطلة وضيق عليها ولم يبق إلّا فتحها خرجت إليه والدة الاذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديـه وسألنه ابقاء البلد

عليهن ، فرق لهن ومن عليهن به ، ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل ، وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة . والله تعالى أعلم .

لطيفة : قال الشيخ محيى الدين بن عربى الحاتمى رحمه الله فى كتاب الفتوحات المكية ما نصه : « ولقد كنت بمدينة فاس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدين قد عبرت إلى الاندلس لقتال العدو حين استفحل أمره على الاسلام ، فلقيت رجلا من رجال الله ولا أزكى على الله أحدا ، وكان من أخص أودائى ، فسألنى ما تقول فى هذا الجيش هل يفتح له وينصر فى هذه السنة أم لا ؟ فقلت له : ما عندك فى ذلك ؟ فقال : « ان الله تعالى قد ذكره فى كتابه ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح فى هذه السنة ، وبشر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فى كتابه الذى أنزله عليه ، وهو قوله : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » فموضع البشرى فتحا مبينا من غير تكرار الالف فانها لاطلاق الوقوف فى تمام الآية ، فانظر أعدادها بحساب الجمل ، فنظرت فوجدت الفتح يكون فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة ، ثم جزت الى الاندلس وقد نصر الله جيش المسلمين ، وفتح الله به قلعة رباح والاركو وكُرْكرا وما انضاف الى هذه القلاع من الولايات . هذا عاينته من الفتح ممن هذه صفته ، فأخذت للفاء ثمانين للتاء ، وأربعمائة ، وللحاء المهملة ثمانية ، وللالف واحدا ، وللميم أربعين ، وللباء اثنين . وللياء عشرة ، وللنون خمسين ، وأما الالف فقد أخذ عددها ، وكان المجموع احدى وتسعين وخمسمائة ، وهى سنو الهجرة الى هذه السنة فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص » انتهى .

ذكر ما شيده المنصور رحمه الله من الآثار بالمغرب والاندلس

كان يعقوب المنصور رحمه الله لما عزم على المسير الى الاندلس بقصد الجهاد أوصى الى نوابه ووكلائه ببناء قصبة مراكش ، والاعتناء بتشييد قصورها ، فمن آثاره الباقية بها الى الآن بابها المعروف بباب آكْناوْ ، ولا مزيد على ضخامته وارتفاعه ، وأمرهم

ببناء الجامع الاعظم بها المنسوب اليه الى اليوم ، وتشييد مناره الماثل به ، ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل فى الارتفاع وعظم الهيكل . قال ابن سعيد : « طول صومعة الكتبيين بمراكش مائة ذراع وعشر أذرع » .

ولما اجتاز المنصور فى سفره هذا بأرض سلا أمر أيضا ببناء مدينة رباط الفتح ، فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأكمل سورها ، وركبت أبوابها ، وأمر ببناء المسجد الاعظم بطالعة سلا ومدرسة الجوفية منه . قال صاحب الروض المعطار : « كان يعمل فى بنائه ونقل حجارته وترابه سبعمائة أسير من أسارى الفرنج فى قيودها ، وأمر ببناء جامع حسان ومناره الاعظم المضروب به المثل فى الضخامة وحسن الصنعة ، قالوا ولم يتم بناؤه .

ولما فرغ المنصور من وقعة الارك ، واحتل بمدينة اشبيلية ، أخذ فى اتمام بناء جامعها الاعظم وتشييد مناره المشاكل للمنارين المتقدمين ، فهو ثالثة الاثافى بالنسبة لهما ، بل قيل انه ليس فى بلاد الاسلام منار أعظم منه ، وعمل لهذا المنار تفافيح من أملح ما يكون » . قال فى القرطاس : « بلغت من العظم إلى ما لا يعرف قدره إلّا أن الوسطى منها لم تدخل على باب المنار حتى قلعت الرخامة من أسفله . وزنة العمود الذى ركبت عليه أربعون ربعا من الحديد ، وكان الذى صنعها ورفعها فى أعلى المنار المذكور المعلم أبو الليث الصقلي ، وموّهت تلك التفافيح بمائة ألف دينار ذهبا » .

ولما كمل جامع اشبيلية وصلى فيه أمر ببناء حصن البرج على وادى اشبيلية ، وقد تقدم لنا فى أخبار عبد المؤمن أنه هدم أسوار مدينة فاس ، وأن حافده المنصور هذا شرع فى بنائها ثم أتمها ابنه الناصر من بعده .

ولما رجع المنصور من الاندلس إلى مراكش وجد كل ما أمر به من البناآت قد تم على أكمل حال وأحسنه مثل القصبة والقصور والجامع والصوامع ، وأنفق على ذلك كله من أخماس الغنائم ، وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا بناء ذلك ، لأنه سعى إليه بأنهم احتجنوا الاموال ، وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم ، فلما دخله المنصور وتطوّف به أعجبه ، فسأل عن عدد أبوابه فقيل إنها سبعة أبواب والثامن هو الذى يدخل منه أمير المؤمنين ، فقال المنصور عند ذلك : « لابأس بالغالي

إذا قيل حسن »

واتخذ المنصور (١) رحمه الله فى جامعه هذا لمصلاه به مقصورة عجيبة كانت مدبرة بحيل هندسية بحيث تنصب إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه منهـا ، وتختفى إذا انفصلوا عنها .

حكى الشريف الغرناطى شارح الحازمية عن الكاتب البارع أبى الحسن عبـد الملك ابن عيـاش أحـد كتاب المنصور قـال : « كانت لأبى بكر يحيى بن مجير (٢) الشاعر المشهور وفادة على المنصور فى كل سنة ، فصادف فى احـدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش ، وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترتفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله ، وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوه اياها فى ذلك ، فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ، ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قدم أبو بكر بن مجير فأنشد قصيدته التى أولها :

أعلمتنى ألقى عصا التسيار * فى بلـدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها :

طورا تـكون بمن حوته محيطة ... فكأنهـا سور من الاسوار
وتكون حينـا عنهم مخبوءة ... فكأنهـا سر من الاسرار
وكأنها علمت مقـادير الـورى ... فتصرفت لهم على مقـــدار
فـإذا احست بالامـام يزورها ... فى قومـه قـامت إلى الزوار
يبـدو فتبدو ثم تخفى بعـده ... كتكوّن الهلالات للاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها .

قال أبو العباس المقرى فى نفح الطيب : وقد بطلت حركات هـذه المقصورة الآن ، وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف ، والله وارث الارض ومن عليها .

ومن شعر ابن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة مدحه بها قوله :

---

(١) نسب صاحب الحلل الموشية بناء المسجد والمقصورة لعبد المؤمن .

(٢) توفى بمراكش سنة ٥٨٨ .

لـه حلبة الخيل العتاق كأنها ... نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى ... فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه ... وان جردوه فى ملاءته التفا
وأبلق أعطى الليل نصف اهابه ... وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجا ... فإذ حازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مج الراح صرفا أديمه ... وأصفر لم يمسح بها جلده صرفا
وأشهب فضيّ الاديم مُدَنَّر ... عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطخط الراهى بمهرق كاتب ... فجرّ عليه ذيله وهو ما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف ... ستنسف أرض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى ... أظبيا ترى تحت العجاجة أم طرفا
وقد كان فى البيداء يألف سربه ... فربته مهرا وهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لأنه ... إذا ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

ومما مدح به المنصور رحمه الله قول بعض شعراء عصره حين طلب منه الفنش الصلح فأجابه اليه :

أهل بان يسعى اليه ويرتجى ... ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلدا ... وموشحا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره ... وتعطرت منه الرياح تأرجا

ودخل عليه الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر فأنشده

أزال حجابه عنى وعينى ... تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن ... بعدت مهابة عند اقترابى

وكانم بكسر النون جنس من السودان ، وهم بنو عم تكرور ، وليس اسمهما للانتساب لأب أو لأم ، وإنما كانم اسم بلدة بنواحى غانة فسمى هذا الجنس بها ، وكذلك تكرور اسم للارض التى هم بها فسموا بها ، والله أعلم .

بقيـة أخبار المنصور وسيرتـه



قال ابن أبى زرع : كان المنصور رحمه الله ذا رأى وحزم ودين وسياسة ، قـال : وهو أول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين : الحمد لله وحـده ، فجرى عملهم على ذلك . وقـد تقدم لنا ان ذلك كان فى دولة أبيه فالله أعلم .

وهو واسطة عقد ملوك الموحـدين الذى ضخم الدولة وشرفها . وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية وبهجة ، صنع الله عز وجل فى أيامه الامن بالمشرق والمغرب والاندلس ، فكانت الظعينة تخرج من بلاد نول فتنتهى الى برقة وحدها لاترى من يعرض لها ولا من يسومها بسوء ، ضبط الثغور ، وحصن البلاد ، وبنى المساجـد والمدارس فى بلاد افريقية والمغرب والاندلس ، وبنى المـارستانات للمرضى والمجانين وأجرى عليهم الانفاق فى جميع أعماله ، وأجرى المرتبات على الفقهاء وطلبة العلم ، كل على قدر مرتبته ، وبنى الصوامع والقناطر ، وحفر الآبار للماء فى البريـة واتخذ عليها المنازل من السوس الاقصى الى سويقة ابن مصكوك . فكانت أيامه زينة للدهر وشرفا للاسلام وأهله .

وقال ابن خلكان : كان يعقوب المنصور رحمه الله صافى السمرة جدا ، الى الطول ماهو ، جميل الوجه ، أفوه ، أعـين ، شديد الكحل ، ضخم الاعضاء ، جهورى الصوت ، جزل الالفاظ ، من أصدق الناس لهجة ، وأحسنهم حـديثا ، وأكثرهم اصابة بالظن ، مجربا للامور ، ولى وزارة أبيه فبحث عن الاحوال بحثا شافيا ، وطالـع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيـات الامور ، فلما مات أبوه اجتمع رأى أشياخ الموحدين على تقديمه فقام بالامر أحسن قيام ، ورفع راية الجهاد ، ونصب ميزان العـدل ، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ، ونظر فى أمور الدين والورع ، وأقام الحدود حتى فى أهله وعشيرته الاقربين ، كما أقامها فى سائر الناس أجمعين ، فأستقامت الاحوال فى أيامه ، وعظمت الفتوحات ، وكان قـد أمر لاول دولته بقراءة البسملة فى أول الفاتحة فى الصلوات ، وأرسل بذلك الى سائر بـلاد الاسلام التى فى مملكته ،

فأجاب قوم وامتنع آخرون ، وكان ملكا جوادا ، عادلا ، متمسكا بالشرع المطهر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغى من غير محاباة ، ويصلى بالناس الصلوات الخمس ، ويلبس الصوف ، ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق .

قال ابن خلكان : وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها هنا ، وهى أن الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص كان قد تزوج أخت يعقوب المنصور ، فأقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة ، فجاءت الى بيت أخيها يعقوب المنصور ، فسير الشيخ عبد الواحد فى طلبها فامتنعت عليه ، فشكى الشيخ عبد الواحد ذلك الى قاضى الجماعة بمراكش ، وهو أبو عبد الله محمد بن على بن مروان ، فاجتمع القاضى المذكور بأمير المؤمنين يعقوب المنصور ، وقال له : « إن الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله » فسكت عنه المنصور ، ومضت أيام ، ثم ان الشيخ أبا محمد اجتمع بالقاضى المذكور فى قصر المنصور بمراكش وقال له : « أنت قاضى المسلمين وقد طلبت أهلى فما جاؤنى » فاجتمع القاضى بالمنصور وقال له : « يا أمير المؤمنين الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية » فسكت المنصور . ثم بعد ذلك بمدة لقى الشيخ عبد الواحد القاضى بالقصر المذكور فقال له : « يا قاضى المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا أطلب أهلى وقد منعونى منهم » فاجتمع القاضى بالمنصور ، وقال له : « يامولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله ، فإما ان تسير اليه أهله ، واما ان تعزلنى عن القضاء » فسكت المنصور وقيل انه قال له : « يا أبا عبد الله ما هذا إلّا جد كبير » ثم استدعى خادما وأمره سرا بان تحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه ، فحملت اليه فى ذلك اليوم ، ولم يتغير على القاضى ولا قال له شيأ يكرهه ، وتبع فى ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لامره ، وهذه حسنة تعد له وللقاضى أيضا فإنه بالغ فى إقامة منار الشرع والعدل .

وكان المنصور يشدد فى إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس ، وقتل فى بعض الاحيان على شرب الخمر ، وقتل العمال الذين تشكوهم الرعايا ، وأمر برفض فروع الفقه واحراق كتب المذاهب وان الفقهاء لا يفتون إلّا من الكتاب والسنة النبوية ، ولا يقلدون أحدا من الائمة المجتهدين . بل تكون أحكامهم بما يؤدى اليه اجتهادهم من

استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس .

قال ابن خلكان : ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا وهم على ذلك الطريق ، مثل أبى الخطاب بن دحية وأخيه أبى عمرو ، ومحي الدين بن عربى نزيل دمشق وغيرهم ، وكان يعاقب على ترك الصلوات ، ويأمر بالنداء فى الاسواق بالمبادرة اليها ، فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بليغا .

وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته ، حتى انه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة إلّا من هو فى طاعته وداخل فى ولايته الى غير ذلك من جزيرة الاندلس ، وكان محسنا ، محبا للعلماء ، مقربا للادباء ، مصغيا الى المدح ، مثيبا عليه ، وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى كتابه الذى سماه صفوة الادب وديوان العرب في مختار الشعر ، وهو مجموع مليح أحسن فى اختياره كل الاحسان .

وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن التوقيع واجادته وقد تقدم لنا ما وقع به على كتاب الفنش .

وحكى ابن الخطيب فى رقم الحلل : ان المنصور طلب يوما من قاضيه أن يختار له رجلين لغرضين من تعليم ولد ، وضبط أمر ، فعرفه برجلين ، قال في أحدهما : وهو بحر فى علمه ، وقال في الآخر : وهو برّ فى دينه ، ولما خرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصرا بين يديه ، وأكذبا الدعوى ، فوقع المنصور على رقعة القاضى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ظهر الفساد فى البر والبحر ، قال ابن الخطيب : وهذا من التوقيع العريق فى الاجادة والصنعة .

وكان مجلس المنصور رحمه الله مجلس الفضلاء والادباء وأرباب المعارف والفنون . حكى أبو الفضل التيفاشى قال : جرت مناظرة بين يدى ملك المغرب يعقوب المنصور ، وكانت بين الفقيه أبى الوليد بن رشد المعروف بالحفيد ، والرئيس الوزير أبى بكر بن زهر بضم الزاى ، وكان الاول قرطبيا ، والثانى اشبيليا ، فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة : « ما أدرى ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية »

وهذا الوزير ابن زهر هو أحد أعيان وزراء الدولة الموحدية ، وزر للمنصور

ولابيه من قبله .

قال ابن خلكان : كان ابن زهر من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء ، نالوا المراتب العلية ، وتقدموا عند الملوك ، ونفذت أو امرهم ، وكان يتكرر ورودة على الحضرة بمراكش فيقيم بها ويرجع الى الاندلس ، ومما قاله بمراكش يتشوق الى ولد له صغير تركه باشبيلية :

ولى واحد مثل فرخ القطا ✯ صغير تخلف قلبى لديه
نأت عنه دارى فياوحشتى ✯ لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقنى وتشوقـــــته ✯ فيبكى علي وأبكى عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا ✯ فمنه الى ومنى اليـــــه

قال العلامة الاديب أبو العباس المقرى فى نفح الطيب : أخبرنى الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير الغسانى الاندلسى الاصل ، الفاسى المولد والنشأة ، حكيم حضرة السلطان أبى العباس المنصور بالله السعدى ، ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها يعقوب المنصور رحمه الله أرسل المهندسين الى اشبيلية — يعنى من غير علم من ابن زهر — وأمرهم أن يحيطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ، ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش . ففعلوا ما أمرهم به فى أقرب مدة ، وفرشها بمثل فرشه ، وجعل فيها مثل آلاته ، ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ، ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شيء ببيوته وحارته ، فاحتار لذلك وظن انه نائم وان ذلك أحلام ، فقيل له : ادخل البيت الذى يشبه بيتك ، فدخله فاذا ولده الذى يتشوق اليه يلعب فى البيت ، فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه . « هكذا هكذا وإلّا فلا لا » .

ومن أطباء المنصور الوزير الطبيب الشهير أبو بكر بن طفيل من أهل وادى آش ، كان حاذقا بصناعة الطب والجراحات . ومن أطبائه أيضا الحفيد بن رشد المتقدم الذكر . ومن كتابه الكاتب البارع أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبى النشأة ، اليابورى الاصل . والفقيه البارع أبو الفضل بن طاهر من أهل بجاية ، ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ أبو بكر بن الجد ، والفقيه القاضى أبو عبد الله بن الصقر ، وغيرهم رحم الله الجميع .

وفاة يعقوب المنصور رحمه الله



قال ابن أبى زرع : لما رجع المنصور من الاندلس الى مراكش أخذ البيعة لولده أبى عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله . فبايعه كافة الموحدين وسائر أهل الامصار والاقطار ، فلما تمت البيعة للناصر المذكور وجلس فى محل الخلافة وجرت الاحكام والاوامر باسمه وعلى يديه فى حياة أبيه دخل المنصور قصره فلزمه .

وقال ابن خلكان : لما وصل المنصور الى مراكش ـ يعنى بعد قدومه من الاندلس ـ أمر باتخاذ الاحواض والروايا وآلات السفر للتوجه الى بلاد افريقية ، فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له : ياسيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس ، فمنا من له خمس سنين وغير ذلك . فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة فى أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة . فأجابهم الى سؤالهم ، وانتقل الى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المنتزهات المعدة له .

وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية فى الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه ، وبناها على البحر المحيط الذى هناك ، وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلى ، وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع الى مراكش .

قال ابن خلكان : وبعد هذا اختلفت الروايات فى أمره ، فمن الناس من يقول : انه ترك ما كان فيه وتجرد وساح فى الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق ، وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ، ومنهم من يقول : انه لما رجع الى مراكش كما ذكرناه توفى فى غرة جمادى الاولى ، وقيل فى ربيع الآخر فى سابع عشره ، وقيل فى غرة صفر ، ولم ينقل شىء من أحواله بعد ذلك الى حين وفاته . وقيل توفى بمدينة سلا .

قال ابن خلكان : ثم حكى لى جمع كثير بدمشق ان بالقرب من المجدل ـ البليدة التى من أعمال البقاع العزيزى ـ قرية يقال لها حمارة ، والى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب ، وكل أهل تلك النواحى متفقون على ذلك وليس عندهم

فيه خلاف ، وهذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب ، قال : وكان أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به .

قال المقرى فى نفح الطيب : هـذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب ، وسبب هذه المقالة تولع العامة به ، فكذبوا فى موته ، وقالوا : انه ترك الملك وحكوا ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ، ثم نقل عن الشريف الغرناطى مثل ذلك فانظره .

قال مؤلفه عفا الله عنه : وعندى (١) أن إنكار ما حكاه ابن خلكان ليس بجيد ، وهب أن أهل المغرب قالوا ذلك تولعا به فما بال أهل المشرق يتولعون به ويتخذون له المشهد ثم يتفق كبيرهم وصغيرهم على أنه قبر يعقوب ملك المغرب من غير أصل ولا مستند ، هذا بعيد في العادة ، بل لابد أن يكون لذلك أصل والله أعلم بحقيقته . نعم ، ما تزعمه عامة المغرب فى حمة أبى يعقوب التى بقرب مدينة فاس انها منسوبة ليعقوب المنصور هذا ، وانه رصد لها عفريتين يوقدان عليها إلى الابد ، وان حرارة مائها بسبب ذلك الايقاد ، وان الشفاء الذى يحصل للمستحمين بها انما هو ببركة يعقوب المنصور ، وجعلوا له زوجة أو بنتا اسمها شافية اشتقاقا من لفظ الشفاء الحاصل بتلك العين كله باطل ، وانما حرارة العين لخاصية أودعها الله فى أصلها ومنبعها ، وكذا الشفاء الحاصل بها انما هو بخاصية فى ذلك الماء ، ولعلها ما فيه من الكبريتية ، فانا نرى أصحاب الجرب يلتطخون بالكبريت المعالج فيشفون ، وكم من عين على وجه الارض فى المشرق المغرب ، وبلاد

---

(١) قول المؤلف وعندى أن إنكار ما حكاه ابن خلكان ليس بجيد الخ فيه نظر لا يخفى على من تتبع أحوال معتقدات العامة فى عظمائها بعد الموت كالشيعة فى أئمتها وغيرهم من الغلاة فى التعظيم لذوى الظهور في السياسة والصلاح ، فقد ذكر المؤلف نفسه أن أصحاب الروكي لا يصدقون بموته ولا زال البعض من أصحاب الكتانى يعتقد حياته ، وكم لهذا فى التاريخ من نظير زد على ذلك أن كلام مؤرخي المغاربة أولى بالاعتبار فى هذا المقام والحق ما قاله الغرناطي فى شرح المقصورة بعد كلام طويل وكذب الكافة من العامة بوفاته ولهم فى ذلك حكايات يقولونها إلى الآن كلها تخرص وأباطيل اه .

المسلمين والكفار على هذه الحالة كما أخبر بذلك غير واحد .

وقال الجوهرى فى الصحاح الحمة العين الحارة يستشفى بها الاعلاء والمرضى وفى الحديث العالم كالحمة اه ومثله فى القاموس ، بل ذكر فيه ان مدينة تفليس – وهى قصبة كرجستان عليها سوران – قال وحماماتها تنبع ماء حارا بغير نار ،

وقد ذكر ابن أبى زرع فى القرطاس حمة أبى يعقوب هذه ، وذكر معها حمتين أخريين فقال : « وبالقرب أيضا من مدينة فاس على مسيرة أربعة أميال منها حمة عظيمة تعرف بحمة خولان ، ماؤها فى أشد ما يكون من السخونة ، وبالقرب أيضا منها حمة وشنانة وحمة أبى يعقوب وهى من الحمات المشهورة بالمغرب » اه كلامه فقد ذكر أبا يعقوب بلفظ الكنية فهو غير يعقوب المنصور قطعا ، ولعله أبو يعقوب الاشقر الآتى ذكره فى احداث المائة السابعة .

ولنرجع الى الكلام على وفاة المنصور عند علماء المغرب فنقول : قال ابن الخطيب فى رقم الحلل : توفى يعقوب المنصور رحمه الله فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الال سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ودفن بمجلس سكناه من مراكش ، وكذب العامة بموته ولوعا وتمسكا به . فادعوا انه ساح فى الارض اه .

وقال ابن أبى زرع : لما حضرت المنصور الوفاة قال ما ندمت على شىء فعلته فى خلافتي إلّا على ثلاث وددت انى لم أفعلها ، الاولى : ادخال العرب من افريقية الى المغرب مع انى أعلم انهم أهل فساد . والثانية : بناء رباط الفتح ، أنفقت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر . والثالثة : اطلاقى أسارى الارك ، ولابد لهم ان يطلبوا بثارهم .

قلت ما ذكره رحمه الله فى رباط الفتح من انه لا يعمر قد تخلف ظنه فيه ، فهو اليوم من أعمر أمصار المغرب وأحضرها حرسه الله وحرس سائر أمصار المسلمين من آفات النقصان وطوارق الحدثان .

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث فنقول : فى سنة أربعين وخمسمائة هدم على ابن عيسى بن ميمون – وكان من رؤساء البحر فى دولة اللمتونيين – صنم قادس ، وقادس هذه هى الجزيرة المسماة فى لسان العامة اليوم بقالص ، وكان بها صنم عظيم على صورة

رجل وبيده مفتاح يقال ان حكماء اليونان اتخذوه طلسما هناك ، كان من خاصيته ان يمنع هبوب الريح فيما جاوره من البحر المحيط . فكانت السفن لاتجرى هناك على ما قيل ، فلما ثار ابن ميمون المذكور بالجزيرة المذكورة ظن ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيأ .

وفى السنة المذكورة توفى أبو على منصور بن ابراهيم المسطاسى دفين آزمور ، وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل ومن أشياخ أبى شعيب السارية .

وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة توفى الامام الهمام الحافظ البارع أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى . قال ابن خلكان : توفى بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة ، وقيل : فى شهر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن بباب آيلان داخل المدينة ، وذلك فى دولة عبد المؤمن بن علي .

وفى سنة تسع وخمسين وخمسمائة توفى الشيخ أبو الحسن على بن اسماعيل بن محمد ابن عبد الله بن حرزهم ، ينتهى نسبه الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو من أهل مدينة فاس ، وبها توفى اخريات شعبان من السنة المذكورة ، وكان فقيها زاهدا صوفيا ، قال أبو الحسن المذكور : « اعتكفت على قراءة الاحياء سنة ، فجردت المسائل التى تنتقد عليه وعزمت على احراق الكتاب ، فنمت فرأيت قائلا يقول : جردوه واضربوه حد الفرية ، فضربت ثمانين سوطا ، فلما استيقظت جعلت اقلب ظهرى ووجدت الالم الشديد من ذلك فتبت الى الله ، ثم تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة » . وقد تقدم لنا ما اتفق له مع السلطان فى جنازة أبى الحكم بن برجان .

وفى سنة إحدى وستين وخمسمائة توفى الشيخ القدوة أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الملقب بسارية من أهل مدينة آزمور ، وبها توفى يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثانى من السنة المذكورة ، وكان رضى الله عنه شديد المراقبة والورع والخوف من الله تعالى . وكان اذا وقف فى صلاته يطيل القيام ، فلذلك لقب بالسارية ، ونقلت عنه فى الورع والخوف حكايات انظر التشوف .

قال مؤلفه عفا الله عنه كنت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومائتين وألف ، ومدحته بقصيدة سلكت فيها مسلك الادباء من النسيب وغيره ، وأنشدتها عند ضريحه

فرأيت لها بركة والحمد لله ، فأحببت أن أذكرها هنا وهى هذه :

لله يا ربع ما هيجت من شجن ... على الفؤاد ومن ضنى على البدن
وقفت فيك ركابا طالما وقفت ... على القصور على الاطلال والدمن
أيام فيك حسان ما اشبهها ... بالشمس حسنا ولا فى اللين بالغصن
وفيك أسد من الملوك عادتها ... بذل النضار وصون البيض والحصن
يحمون منك عراصا كنت أعهدها ... مأوى السرور فعادت موقف الحزن
عاثت يد الدهر فيهم منذ أزمنة ... كأن بأسهم المحذور لم يكن
قوم عرفت نداهم قبل معرفتى ... نفسى وفاجأنى فى المهد بالمنن
ومذ ترعرعت لم أعلق بغيرهم ... حتى كأنى رضعت الحب فى اللبن
قضيت حق الشباب فى منازلهم ... أيامَ عيش لنا أحلى من الوسن
من ظن بالدهر خيرا فهو منخدع ... فوده هدنة تبنى على دخن
لا أنتحى منهلا إلّا شرقت به ... ولا أحل مكانا ليس بالخشن
ولا أصاحب من هذا الورى بشرا ... إلّا حصلت على زق من الاحن
حتى توهمت أننى جنيت لهم ... حرب البسوس وانني أبو الفتن
وما لذى الفضل من ذنب يلام به ... سوى فضيلته فى دهره الزمن
فعدّ يا قلب عن شكوى أضيق بها ... ذرعا فشكواك لي ضرب من الوهن
ولست أحسب هذا الدهر مرعويا ... ولو تعلقت منه بابن ذى يزن
حِلاّ لقد علقت يدى بمن علقت ... أيدى العفاة به فى الشام واليمن
بأعظم الناس منزلا ومنزلة ... وأسمح الناس كفا بالندى الهتن
وأشمخ الناس قدرا فى الورى وعلا ... وأحكم الناس للمفروض والسنن
ذاك الوليّ الذى كل الأنام غدا ... يتلو مناقبه فى السرّ والعلن
أبو شعيب الذى من بحره انشعبت ... جداول اليمن فى الاحياء والمدن
بدر غدا في سماء المجد مكتملا ... به علا ذكر آزمور فى الوطن
أرض إذا الضرع المحروم يممها ... ألفى بها بَدل الاهلين والسكن
أود من أجل ثاويها حجارتها ... وأجعل الترب لي مسكا بلا ثمن

وكيف لا تطبى قلبى منازل من ... به أكون من الاحداث فى جُنن
مُجْلى الغياهب مبذول المواهب مقـ ... ـفوّ المذاهب بالجنيد والقرنى
بحر الحقيقة والغوث الذى لهجت ... به القبائل فى المقام والظعن
ما زال يرقي الذرى من كل صالحة ... حتى اكتسى شهرة النيران فى القنن
يا خير من أمه العافى ولاذ به ... أهل الجرائم والاوزار والمحن
انى خدمتك فى شعر عُنيت به ... وليس لولا حلاك الزهر بالحسن
أشكو إليك سقاما أنت مبرئه ... ولست أرجو سواك منه ينعشنى
وشدّ أزرى فإنى كنت معتقدا ... إذا بلغتك قدت الدهر بالرسن
وانظر بفضلك من وافاك معتنيا ... فإن نظرت فكل الخير يشملنى
وأعظم السؤل منك النفس تصلحها ... وطهر القلب من الأمراض والدرن
وامنحه نورا وتوفيقا ومعرفة ... أرى بها عملي والبرّ فى قرن
فجد بما رمت من جَدواك يا أملي ... فبحر جودك عذب ليس بالاجن
سقى ضريحك غيث ما يزال به ... بستان أنسك وهو مورق الفنن
بجاه أفضل خلق الله كلهم ... محمد ذى المزايا الغرّ والمنن
عليه أزكى صلاة الله ما تليت ... صحف وما نسج القريض ذو لسن
والآل والصحب والازواج قاطبة ... ومن قفا نهجهم فى كل ما زمن

واعلم ان التعلق بأولياء الله رضى الله عنهم يجب أن يكون مع استحضار ان الله تعالى هو المطلوب على الحقيقة، والفاعل للاشياء كلها، لا معبود غيره، ولا مرجو سواه، وانما التمسك بأهل الله لاجل التبرك بهم والاستشفاع بهم الى الله تعالى، لانهم أبواب الله والدالون عليه، نفعنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم آمين.

وفى سنة تسع وستين وخمسمائة توفى الشيخ الفقيه العالم أبو اسحق ابراهيم بن يوسف المعروف بابن قرقول - صاحب كتاب مطالع الانوار، الذى وضعه على مثال كتاب مشارق الانوار للقاضى عياض - كان من الافاضل، وصحب جماعة من علماء الاندلس، وتوفى بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس شوال من السنة المذكورة، وكان قد صلى الجمعة في الجامع ذلك اليوم، فلما حضرته الوفاة تلى سورة

الاخلاص وجعل يكررها بسرعة ، ثم تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجدا فوقع ميتا رحمه الله .

وفى سنة سبعين بعدها توفى الفقيه أبو الحسن على بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد الانصارى المعروف بالمتيطى ، ومتيطة قريـة بأحواز الجزيرة الخضراء ، وهو الموثق المشهور ، لازم بمدينة فاس خاله أبا الحجاج المتيطى ، وبين يديه تعلم عقد الشروط ، وله كتاب كبير في الوثائق سماه النهاية والتمام فى معرفة الوثائق والاحكام ، ثم انتقل الى سبتة فاستوطنها ولازم مجالس علمائها بالمناظرة والتفقه ، ومهر فى كتابة الشروط واشتغل بها حتى لم يكن فى وقته أقدر منه عليها ، وكان له فى السجلات اليد الطولى ، وطبع عليها حتى كاد طبعه لا يواتيه فى سواها بل كان طبعه فى ذلك أكثر من فقهه ، ثم ولى القضاء بشريش ، وأصابه خدر لازمـه نحو السنتين ، ثم توفى مستهل شعبان من السنة المذكورة .

وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة توفى وحيـد عصره ، وأعجوبة دهره ، الـولى العارف الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون ، قال قوم : انه من هزميرة ايرُّجان ، وقيل من بنى صبيح من هسكورة ، مات وقد نيف على المـائة بنحو الثلاثين سنة ، ودفن بجبل إيرجان فى أوائل شوال من السنة المذكورة . كان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يقول: « رأيت أخبار الصالحين من زمن أويس القرنى الى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبى يعزى » قـال : « ونظرت فى كتب التصوف فما رأيت مثل الاحياء للغزالى » وكان لباس الشيخ أبى يعزى برنسا أسود مرقوعا الى أسفل من ركبتيه ، وجبة من تليس مطرف ، وشاشية من عزف ، وكان يتعيش من نبات الارض ، ولا يشارك النـاس فى معايشهم ، وكان طويلا رقيقا أسود اللون ، وكان إذا جنه الليل دخـل غيضة كثيرة السباع يتعبد فيها ، فـاذا قرب الفجر أعلم أصحابه بـه ، وأحواله رضى الله عنـه وكراماته كثيرة .

وفى سنة ثلاث وسبعين بعدها توفى الشيخ العارف أبو الحسن على بن خلف بن غالب القرشى دفين قصر كتامة ، نشأ بشلب من بلاد الاندلس ، وقرأ بقرطبة ، واستقر آخرا بقصر كتامة وبه توفى فى السنة المذكورة ، وقيـل ان وفاته كانت سنة ثمان وستين

قبل هذا التاريخ والله أعلم . وكان رضى الله عنه متمكنا فى علوم القوم ، وكان الاولياء يحضرون مجلسه ، وهو من تلامذة أبى العباس بن العريف المتقدم الذكر .

وفى سنة ثمانين وخمسمائة توفى الشيخ أبو عبد الله التاودى المعلم ، من أهل مدينة فاس ، ومن أصحاب الشيخ ابى يعزى ، وكان يعلم الصبيان فيأخذ الاجر من أولاد الاغنياء فيرده على أولاد الفقراء ، ومات بفاس فى السنة المذكورة . وهذه النسبة الى بنى تاودى وهى قبيلة بقرب فاس .

وفى سنة احدى وثمانين بعدها توفى الامام المشهور أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبى محمد عبد الله بن أحمد السهيلى الخثعمى صاحب كتاب الروض الانف وغيره من التآليف الحسان ، وصاحب الابيات المشهورة فى الدعاء وهى :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن ... امنن فان الخير عندك أجمع
ما لى سوى فقرى اليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقرى أدفع
ما لى سوى قرعى لبابك حيلة ... فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه ... ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشى لجودك أن تقنط عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

كان ببلدته سهيل وهى قرية بالقرب من مالقة يتسوغ بالعفاف ، ويتبلغ بالكفاف ، حتى نمى خبره إلى السلطان بمراكش فطلبه إليها وأحسن إليه ، واقبل بوجهه غاية الاقبال عليه ، فأقام بها نحو ثلاث سنين ، ثم توفى بها يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ، ودفن وقت الظهر خارج باب الرب أحد أبواب مراكش ، وكان رحمه الله ضريرا نفعنا الله تعالى به .

وفى سنة تسعين وخمسمائة توفى ولى الله تعالى أبو محمد عبد الحليم بن عبد الله المراسى المعروف بالغماد من صلحاء سلا ، كان رحمه الله عبدا صالحا ، يدور على المكاتب ، ويستوهب الدعاء من الصبيان ، ويبكى على نفسه ، وله كرامات ، وتوفى ببلده المذكور ، وقبره معروف ملاصق للمسجد الاعظم قرب بابه الكبير من جهة القبلة .

وفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة توفى الشيخ أبو يعقوب يوسف بن على المبتلى ، المعدود فى سبعة رجال من صلحاء مراكش ، كان رضى الله عنه كبير الشأن ، فاضلا صابرا راضيا على ربه فيما ابتلاه به من داء الجذام ، سقط بعض جسده ذات يوم ، فصنع طعاما كثيرا للفقراء شكرا لله تعالى على ذلك ، وكان يسكن بحارة الجذمى العتيقة قبلى مراكش ، وبها مات فى شهر رجب من السنة المذكورة ، ودفن خارج باب اغمات عند رابطة الغار ، واحتفل الناس لجنازته رضى الله عنه .

وفى سنة أربع وتسعين بعدها توفى الشيخ العارف بالله تعالى ، أبو مدين شعيب بن الحسن الانصارى ، الولى الكبير المشهور . أصله من حصن قطنيانة من عمل اشبيلية ، ثم انتقل الى العدوة فأخذ عن الشيخ ابى الحسن بن حرزهم ، وعن الشيخ ابى يعزى وبه انتفع وعليه تخرج ، وكان الشيخ ابو مدين رضى الله عنه من العارفين الراسخين ، قد خاض من الاحوال بحارا ، ومن المعارف اسرارا ، وجال فى حداثة سنه فى بلاد المغرب من سبتة ومراكش وفاس ، ولازم بفاس الشيخ ابن حرزهم كما قلنا ، ثم سمع بخبر الشيخ ابى يعزى فقصده وأخذ عنه وظهرت عليه بركته .

قال الشيخ أبو مدين : « لما قدمت فاسا لقيت بها الاشياخ ، فسمعت رعاية المحاسبى على أبى الحسن بن حرزهم ، وكتاب السنن للترمذى على أبى الحسن بن غالب ، وأخذت طريقة التصوف على أبى عبد الله الدقاق وأبى الحسن السلاوى » قال : « وكنت أزور الشيخ أبا يعزى مرارا فقال لى جماعة من الفقهاء المجاورين لابى يعزى قد ثبتت عندنا ولاية أبى يعزى ، ولكنا نشاهده يلمس بطون النساء وصدورهن ويتفل عليهن فيبرأن ونحن نرى أن لمسهن حرام ، فان تكلمنا فى هذا هلكنا ، وان سكتنا حرنا » ، فقلت لهم : « أرأيتم لو ان ابنة أحدكم أو اخته اصابها داء لا يطلع عليه إلّا الزوج ، ولم يوجد من يعانيه إلّا طبيب يهودى أو نصرانى ، ألستم تجيزون ذلك مع ان دواءه مظنون ، ودواء أبى يعزى أنتم على يقين منه ؟ » فبلغ كلامى أبا يعزى فاستحسنه .

قال محمد بن ابراهيم الانصارى : « خرج الشيخ أبو مدين ألف تلميذ ، وجاءه رجل ليعترض عليه فجلس فى الحلقة فقال له أبو مدين : « لم جئت ؟ » قال : « لأقتبس من نورك » فقال له : « ما الذى فى كمك ؟ » فقال له : « مصحف » فقال له : « افتحه واقرأ

أول سطر يخرج لـك » ففعل ، فخرج له قوله تعالى « الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين » فقال له ابو مدين : « اما يكفيك هذا ؟ » فاعترف الرجل وتاب » وكراماته رضى الله عنه كثيرة .

وكان استوطن فى آخر عمره بجاية ، وكثر عليه الناس ، وظهرت على يده كرامات فوشى به بعض علماء الظاهر عنـد يعقوب المنصور ، وقـال له : « انا نخاف منه على دولتكم ، فان له شبها بالامام المهدى ، واتباعه كثيرون بكل بلد » فوقع منه ذلك ، فكتب لصاحب بجاية يبعثه إليه وأوصاه بالاعتناء به ، وان يحمله إليه خير محمل ففعل .

ولما كان الشيخ ابو مدين رضى الله عنه بالطريق مرض مرض موته ، فلما وصـل وادى يسر قرب تلمسان اشتد به مرضه فنزلوا به هنالك فكان آخر كـلامه : الله الحق ، فتوفى ودفن برابطة العباد قرب تلمسان ، وسمع أهـل تلمسان بجنازتـه فحضروها ، وكانت من المشاهد العظيمة .

وفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة : توفى الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمـد ابن ابراهيم المهدوى صاحب كتاب الهداية ، أقام نحو اربعين سنة لم تفته صلاة فى جماعة إلّا يوما واحدا لعذر عاقـه عن ذلك ، دخل مدينة فاس ومعه نحو من أربعين الفا من المـال ، فما زال ينفقها فى سبيل الخير حتى لم يبق له إلّا دار سكناه فباعها من بعض اهل فاس واعمره المشترى لها ، فلما خرجت منها جنازته حازها المشترى المذكور ، وكانت وفاته يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة .

واعلم انا قـد قدمنا ان الشيخ ابا مدين كان تلميذا للشيخ ابى يعزى ، وكان الشيخ ابو يعزى تلميذا للشيخ ابى شعيب السارية ، وكان الشيخ ابو شعيب تلميذا للشيخ ابى ينور الدكالى نفعنا الله بجميعهم وأفاض علينا من مددهم آمين .

ولنرجع الى اخبار الدولة الموحدية فنقول .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبى عبد الله
محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله

بويع لابى عبد الله محمد الناصر لدين الله فى حياة والده يعقوب المنصور ، ثم جددت له البيعة بعد وفاته وذلك يوم الجمعة الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وهو اليوم الذى توفى فيه أبوه ، فأقام بمراكش بقية ربيع الاول وجميع الثانى ، ثم نهض فى فاتح جمادى الاولى الى فاس ، فاقام بها بقية السنة المذكورة .

ثم غزا جبال غمارة من أجل علودان الغمارى الثائر بها ففتحها ، ثم رجع الى فاس فأتم بناء سورها الذى كان خربه عبد المؤمن وبنى قصبتها ورتب أمورها ، وأقام بها الى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، فعاد الى مراكش وأقام بها الى ان كان ما نذكره .

غزو الناصر بلاد افريقية
وولاية الشيخ أبى محمد بن أبى حفص عليها والسبب فى ذلك

لما هلك المنصور رحمه الله قوى أمر يحيى بن اسحق المسوفى - المعروف بابن غانية بافريقية - واستولى على اعمال قراقوش الغزى صاحب طرابلس . وعلى المهدية ، وتغلب على بلاد الجريد ، ثم نازل تونس سنة تسع وتسعين وخمسمائة وافتتحها عنوة لاربعة أشهر من حصارها فى ختام المائة السادسة ، وقبض على السيد أبى زيد وابنه ومن كان معه من الموحدين ، وطالب أهل تونس بالنفقة التى أنفق . وبسط عليهم العذاب حتى هلك فى الامتحان كثير من بيوتاتهم . ثم دخل فى دعوته أهل القيروان وغيرها من البلاد ، وانتظمت له أعمال افريقية ، وفرق العمال ، وخطب للخليفة العباسى .

واتصل بالناصر وهو بمراكش هذا كله فامتعض لذلك ، وشاور الموحدين فى أمر افريقية ، فأشاروا عليه بمسالمة ابن غانية ، وأشار الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبى

حفص بالنهوض اليها والمدافعة عنها ، فعمل على رأيه ، ونهض إليها سنة ستمائة وبعث الاسطول فى البحر لنظر يحيى بن أبى زكريا الهزرجى .

واتصل ذلك بابن غانية فبعث ذخائره وحرمه الى المهدية مع على بن الغانى من قرابته وولاه عليها .

ولما قرب الناصر من افريقية خرج ابن غانية من تونس الى القيروان ، ثم الى قفصة ، واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهائن على المظاهرة والدفاع ، وسار الى حامة مطماطة ، ثم الى جبل بنى دمر فتحصن به .

ووصل الناصر الى تونس ، ثم سار فى اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ، ثم عاد الى المهدية فعسكر عليها ، واتخذ الآلة لحصارها ، وسرح الشيخ أبا محمد عبد الواحد لقتال ابن غانية فى أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنتين وستمائة ، فلقيه بجبل تاجورة من نواحى قابس وأوقع به ، وقتل أخاه جبارة بن اسحق ، واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله .

وأما الناصر فانه استمر محاصرا للمهدية وبها يومئذ على بن الغانى ، وكان يدعى بالحاج ، وكان شهما محاربا فامتنع على الناصر وأبدى من مكايد الحرب وخدعه ما يقصر عنه الوصف ، وأشجى الموحدين وبالغ فى نكايتهم ، فكانوا يسمونه الحاج الكافر . ثم نزل على الامان وأحسن اليه الناصر احسانا تاما ، وسماه بالحاج الكافى بالياء بدل الراء لما رأى من مراعاته لصاحبه وحسن عهده معه . واستشهد الحاج الكافى هذا فى وقعة العقاب الآتية .

وكان فتح المهدية فى السابع والعشرين من جمدى الاولى سنة ثنتين وستمائة ، وولى الناصر عليها محمد بن يغمور الهرغى ، وارتحل عنها فى عشرين من جمدى الثانية ، فدخل تونس غرة رجب وأقام بها بقية السنة . وأكثر التى بعدها .

ولما كان رمضان من سنة ثلاث وستمائة أشاع الناصر الحركة الى المغرب ، واستخلف على افريقية ثقته ووزيره الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص الهنتاتى جد الملوك الحفصيين بعد مراجعة وامتناع .

قال ابن خلدون : امتنع الشيخ أبو محمد الى ان بعث اليه الناصر فى ذلك بابنه يوسف

فأكبر مجيئه وأذعن ، ويقال إن الناصر قال له : « يا أبا محمد أنت تعلم ما تجشمناه من المشاق والصوائر في استنقاذ هذا القطر ، ولا آمن عليه من عدو متوثب ، ولا يقوم بحمايته إلّا أنا أو أنت ، فامض الى حفظ ممالكنا المغربية وأقيم أنا ، أو أقم أنت وأرجع أنا » . فقنعه الحياء حينئذ وأذعن للاقامة ، واشترط شروطه المعروفة ، وهى ان يقيم ثلاث سنين ريثما تترتب الاحوال ثم يعود الى وطنه ، وأن يحكمه الناصر فيمن يحبسه معه من الجند ويرضاه من أهل الكفاية ، وأن لا يتعقب أمره فى ولاية ولا عزل ، فقبل الناصر شروطه .

ولما عزم الناصر على النهوض الى المغرب خرج اليه أهل تونس رافعى أصواتهم بين يديه اشفاقا من عود ابن غانية اليهم ، فاستدعى وجوههم وكلمهم بنفسه ، وقال : إنا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو فلان ، فتباشر الناس بولايته . وشيع الناصر الى باجة ورجع واليا على جميع بلاد افريقية ، واستقل بأمرها ونهيها .

فمن هنا ورثت الملوك الحفصيون سلطنة تونس وافريقية ، وقفل الناصر الى المغرب فدخل مراكش فى ربيع سنة أربع وستمائة . ولما استقر بالحضرة وفدت عليه الوفود ، وهنأته الشعراء بالفتح . فكان من ذلك ما أنشده ابن مَرْج الكُحْل وهو قوله :

ولما توالى الفتح من كل وجهة ✲ ولم تبلغ الاوهام فى الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره ✲ بما أودع السر الالهى عنده
فلا نعمة إلّا تؤدى حقوقها ✲ علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب منه ذلك ووقع أحسن موقع ، وأشار بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين ، فانها كانت ان يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور: الحمد لله وحده ، وقد تقدم ذلك والله أعلم .



فتـــح جزيرة ميورقـــة



كانت جزيرة ميورقـة لبنى غانية المسوفيين من عهد علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونى ، وكان يعقوب المنصور قد بعث إليها اسطوله مرارا فامتنعت عليه ، ولما ولى ابنه الناصر وغزا افريقية وجه إليها من ثغر الجزائر اسطولا مع عمه السيد أبى العلاء ، والشيخ أبى سعيـد بن أبى حفص فنازلوها ثم اقتحموها عنوة ، وقتلوا صاحبها عبـد الله بن اسحق المسوفى .

وانصرف السيد إلى مراكش بعد أن ولى عليها عبد الله بن طـاع الله الكومي ، ووفد أهلها على الناصر فأكرم وفادتهم . وولى القضاء عليهم الفقيه الجليل المحدّث أبا محمد عبد الله بن سليمان الانصارى المعروف بابن حوط الله ، ذكره ابن الخطيب فى الاحاطة فقال : « كان مشهورا بالعقل والفضل ، معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم ، يخطب فى مجالس الامراء والمحافل الجمهورية مقدما فى ذلك ، ذا بلاغة وفصاحة إلى أبعد مضمار . ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقـة فتظاهر بالعدل ، وعرف بما أبطن من الدين والفضل ، وكان من العلماء العاملين ، مجانبا لأهل البدع والاهواء ، بارع الخط ، حسن التقييد إلى غير ذلك .

ثم ولى الناصر على ميورقة عمه السيد أبا زيد ، وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر وبعد السيد أبى زيد وليها السيد أبو عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن ، ثم أبو يحيى بن علي بن أبى عمران التينملى ، ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمائة وكان الحادث بها عظيما .



ثورة ابن الفرس وما كان من أمره

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ، ويعرف بالمهر ، وحضر مجلس يعقوب المنصور فى بعض الايام وتكلم بما خشى عاقبته فى عقده ، فخرج من المجلس واختفى مدة ، ثم بعد مهلك المنصور ظهر فى بلاد جزولة وانتحل الامامة ، وادعى انه القحطانى المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه يملأها عدلا كما ملئت جورا الحديث . وكان مما نسب إليه من الشعر قوله :

قولا لابناء عبد المؤمن بن على * تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعالمها * ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوع عصاه وهو سائقهم * بالأمر والنهي بحر العلم والعمل
وبادروا أمره فالله ناصره * والله خادع اهل الزيغ والميل

فبعث الناصر اليه الجيوش فهزموه ، وقتل وسيق راسه الى مراكش فنصب بها وسكنت الفتنة .

وقد ثار أيضا فى سنة ستمائة رجل من آل البيت من العبيديين واسمه محمد بن عبد الله بن العاضد — وهذا العاضد هو آخر خلفاء الشيعة بمصر — فثار حافده محمد بن عبد الله المذكور بجبال ورغة من احواز فاس ، فظفر به وقتل وعلق راسه بباب الشريعة أحد أبواب فاس ، وأحرق جسده فى وسط الباب المذكور ، وكان ذلك فى اليوم الذى كمل فيه بناء سور فاس وبناء الباب المذكور ، وركبت مصارعه فسمى الباب باب المحروق بعد ان كان يسمى باب الشريعة .

ثم فى سنة عشر وستمائة ثار ولد هذا المحروق بجبال غمارة وادعى أنه الفاطمى ، وتابعه خلق كثير من أهل الجبل والبادية ، فبعث اليه الناصر جيشا فظفر به وقتل .

وفى سنة احدى وستمائة بنى عامل الريف من قبل الناصر — واسمه يعيش — سور بادس والمدية وعملية حياطة وتحصينا من فجأة العدو .

وفى سنة أربع وستمائة أمر الناصر بتجديد سور مدينة وجدة واصلاحها ، فشرع فى ذلك فى فاتح رجب من السنة المذكورة .

وفيها أيضا أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الاندلس بفاس ، فبنيت وجلب اليها الماء من العين التى خارج باب الحديد ، وأمر ببناء الباب الكبير المدرج الذى بحصن الجامع المذكور وأنفق فى ذلك كله من بيت المال .

وفيها أيضا أمر ببناء مصلى القرويين ، وأمر أن لا يصلى بمصلى الاندلس ، فاقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين ثم عادوا يصلون بالاندلس والقرويين معا ، كما كانوا أولا بعد أن شهد أنها قديمة .

وفى شوال من السنة المذكورة نهض الناصر من فاس الى مراكش فاقام بها الى ان كان ما نذكره .

غزوة العُقاب التى محص الله فيها المسلمين



ثم اتصلت الاخبار بالناصر وهو بمراكش أن الفنش لعنه الله قد استطال على ثغور المسلمين بالاندلس ، وأنه يغير على قراها وينتهب الاموال ويسبى النساء والذرية ، فأهمه ذلك واقلقه وكتب الى الشيخ ابى محمد عبد الواحد بن ابى حفص صاحب افريقية يستشيره فى الغزو ، فأبى عليه فخالفه وأخذ فى الحركة للجهاد .

وكان الناصر معجبا برأيه ، مستبدا بأموره ، ففرق الاموال على القواد والاجناد ، وكتب الى جميع بلاد افريقية والمغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجابه خلق كثير ، وألزم كل قبيلة من قبائل العرب بحصة من الخيل والرجل تخرج للجهاد ، فقدمت عليه الجيوش من سائر الاقطار ، وتسارع الناس اليه خفافا وثقالا من البوادى والامصار .

فلما تكاملت لديه الحشود وتوافت بحضرته الجنود خرج من مراكش فى تاسع عشر شعبان سنة سبع وستمائة ، فانتهى الى قصر المجاز فأقام به وشرع فى إجازة

الجيوش من أوائل شوال الى أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة ، ثم عبر فى آخرهم واحتل بطريف يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة المذكور ، فتلقاه هنالك قواد الاندلس وفقهاؤها ورؤساؤها ، وأقام بطريف ثلاثا ، ثم نهض الى اشبيلية فى أمم لا تحصى ، وجيوش لا تستقصى ، قد ملأت السهل والوعر .

حكى بعض الثقات من مؤرخى المغرب أنه اجتمع مع الناصر فى هذه الغزوة من أهل المغرب والاندلس ستمائة ألف مقاتل . وكان الناصر رحمه الله قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده ، وأيقن بالظفر . فقسم الناس على خمس فرق ، فجعل العرب فرقة ، وزناتة وصنهاجة والمصامدة وغمارة وسائر أصناف قبائل المغرب فرقة ، وجعل المتطوعة فرقة ، وجعل جند الاندلس فرقة ، والموحدين فرقة ، وأمر كل فرقة ان تنزل ناحية ، واهتزت جميع بلاد الفرنج لجوازه ، وتمكن رعبه من قلوبهم ، فأخذوا فى تحصين بلادهم واخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم . وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو ، ووفد عليه منهم ملك ينبلونة مستسلما خاضعا طالبا للصلح ، فيقال انه قدم بين يديه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع به . وقد كان هذا الكتاب وقع اليه وراثة من بعض سلفه ، فاحتفل الناصر لقدومه ، وصف له الجيوش من باب مدينة قرمونة الى باب اشبيلية أربعين ميلا ، ثم عقد له الصلح ما دامت دولة الموحدين ، وصرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه .

وعند ابن خلدون أن الذى وفد على الناصر فى هذه الغزوة هو البيبوج أحد الملوك الثلاثة الذين شهدوا وقعة الارك ، قال : وهو الذى مكر بالناصر يوم العُقاب ، قدم عليه وأظهر له التنصح وبذل له أموالا ، ثم غدر به وجر عليه الهزيمة والله أعلم .

ثم خرج الناصر من اشبيلية غازيا بلاد قشتالة فى أوائل صفر سنة ثمان وستمائة ، فسار حتى نزل حصن سلبطرة وهو حصن منيع وضع على قنة جبل ، وقد تعلق باكناف السحاب ليس له مسلك إلا من طريق واحد فى مضائق وأوعار ، فنزل عليه الناصر وأدار به الجيوش ، ونصب عليه أربعين منجنيقا فهتك أرباضه ، ولم يقدر منه على شىء .

قالوا : وكان وزيره أبو سعيد بن جامع قد تمكن من الناصر ، فاقصى شيوخ

الموحدين وأعيانهم وذوى الحنكة والرأى منهم عن بساطه ، وانفرد هو به فكان يشير على الناصر فى غزوته هذه بآراء كانت سبب الضعف والوهن ، وجلبت الكرة على المسلمين من ذلك أن الناصر لما أعياه أمر الحصن عزم على النهوض عنه الى غيره ، فأشار عليه ابن جامع بأن لا يتجاوزه حتى يفتحه ، فيقال إنه أقام على ذلك الحصن ثمانية أشهر فنيت فيها أزواد الناس ، وقلت علوفاتهم ، ونفدت نفقاتهم ، وكلت عزائمهم ، وفسدت نياتهم ، وانقطعت الامداد عن المحلة فغلت بها الاسعار ، ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد وأصاب المسلمين كل ضر ، ويقال إنه من طول مقام الناصر على ذلك الحصن عشش خطاف فى جانب خبائه وباض وأفرخ وطارت فراخه وهو مقيم على حاله .

واتصل بالفنش لعنه الله ما آل اليه أمر المسلمين من الضجر وقلة المادة وتشوش البواطن واختلاف الرأى ، فاغتنم الفرصة وبعث الحاشرين فى مدائنه ودعا كل من قدر على حمل السلاح من رعيته ، فاجتمع له من ذلك ما لا حصر له .

ثم خالف الناصر الى قلعة رباح فنازلها ، وبها يومئذ أبو الحجاج يوسف بن قادس من قواد الاندلس وزعمائها ، كان قد ترتب فى ذلك الحصن فى جماعة من الخيل لحمايته وضبطه ، فحاصره الفنش وبالغ فى التضييق عليه ، فكان ابن قادس يكتب لامير المؤمنين الناصر يعلمه بحاله ويستمده على عدوه ، وهو على حصن سلبطرة ، فكان الوزير ابن جامع اذا وصلت اليه كتب ابن قادس أخفاها عن الناصر لئلا يرحل عن الحصن قبل فتحه ، فلما طال الحصار على ابن قادس وفنى ما عنده من الاقوات والسلاح ويئس من امداد الناصر اياه وخشى على من فى الحصن من النساء والذرية صالح الفنش على تسليم الحصن له وخروج المسلمين آمنين على أنفسهم ، ففعل ، واستولى الفنش على قلعة رباح .

وسار ابن قادس الى الناصر ليجتمع به ويعلمه بالامر على وجهه ، وسار معه صهر له بعد ان عزم ابن قادس عليه أن يرجع فأبى ، وقال : إن قتلت قتلت معك ! ولما وصل الى الوزير ابن جامع أمر بحبسه وحبس صهره معه ، ثم دخل على الناصر فقال له : ان ابن قادس قد دفع الحصن الى العدو ثم قدم عليك وأراد الدخول عليك .

وكان الناصر قد تغير باطنه على أهل الاندلس ، واتهمهم بكتمان أمر العدو عنه حين كان بمراكش ، فلما قدم ابن قادس فى هذه المرة وقال له ابن جامع ما قال أمر بقتله

فقتل هو وصهره قصعا بالرماح رحمهما الله . فحقدت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر ، وأحس ابن جامع بذلك فأمر بإحضار قوادهم فحضروا بين يديه ، فقال اعتزلوا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى : لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلّا خبالا . وسننظر بعد هذا فى أمر كل فاجر .

ولما علم الناصر بحال الفنش وما هو عليه من القوة وكثرة الجموع واستيلائه على قلعة رباح التى هى أمنع ثغور المسلمين شق ذلك عليه ، وامتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجد ، ثم شدد فى قتال سلبطرة وبذل الاموال الجليلة حتى فتحها صلحا وذلك فى أواخر ذى الحجة من سنة ثمان وستمائة ، ثم زحف الفنش الى الناصر ونهض الناصر اليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان ، فضرب المصاف وضرب للناصر قبته الحمراء المعدة للقتال على رأس ربوة ، وقعد أمامها على درقته وفرسه قائم بازائه ، ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية ومعهم السلاح التام ، ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابن جامع ، وأقبلت جموع الفرنج على مصافها كأنها الجراد المنتشر ، فتقدمت اليهم المتطوعة وحملوا عليهم أجمعون وكانوا مائة وستين ألفا ، فغابوا فى صفوفهم وانطبقت عليهم جموع الفرنج فاقتتلوا قتالا شديدا فاستشهد المتطوعة عن آخرهم ، هذا وعساكر الموحدين والعرب والاندلس ينظرون اليهم لم يتحرك اليهم منهم أحد .

ولما فرغ الفرنج من المتطوعة حملوا بأجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة . فلما انتشب القتال بين الفريقين فرت قواد الاندلس وجيوشها لما كانوا قد حقدوه على ابن جامع فى قتل ابن قادس أولا ، وتهديدهم وطرده لهم ثانيا ، فجروا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، وتبعهم قبائل البربر والموحدون والعرب ، وركبتهم الفرنج بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا الى الدائرة التى دارت عليه من العبيد والحشم ، فألفوها كالبنيان المرصوص لم يقدروا منها على شىء ، ودفع الفرنج بخيلهم المدرعة على رماح العبيد وهى مشرعة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درقته أمام خبائه يقول : « صدق الرحمن وكذب الشيطان » حتى كادت الفرنج تصل اليه ، وحتى قتل حوله من عبيد الدائرة نحو عشرة آلاف ، ثم أقبل اليه بعض فرسان العرب على فرس

له انثى فقال له : الى متى قعودك يا أمير المؤمنين وقد نفذ حكم الله وتم أمره وفنى المسلمون ؟ فعند ذلك قام الناصر الى جواد له سابق كان أمامه فأراد ان يركبه فترجل العربى عن فرسه وقال له : اركب هذه الحرة فانها لاترضى بعار ، فلعل الله ينجيك عليها فإن فى سلامتك الخير كله . فركبها الناصر ، وركب العربى جواده ، وتقدم امامه فى كبكبة عظيمة من العبيد محيطة بهم ، والفرنج في اعقابهم تقتلهم ونادى منادى الفنش يومئذ : ألا لا أسر إلّا القتل ، ومن أتى بأسير قتل هو وأسيره ، فحكمت سيوف الفرنج في المسلمين الى الليل .

وكانت هذه الرزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة تسع وستمائة . فذهبت قوة المسلمين بالمغرب والاندلس من يومئذ ولم تنصر لهم بعدها راية مع الفرنج الى أن تدارك الله رمق الاندلس بالسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرينى رحمه الله كما سنقص خبر ذلك مستوفى عند الوصول اليه ان شاء الله .

قال ابن الخطيب : لما لحق الناصر باشبيلية حمل السيف على طائفة كبيرة ممن توجهت اليهم الظنة . وقال ابن خلدون : ثم رجعت الفرنج الى الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين ، فلقيهم السيد ابو زكريا بن ابى حفص بن عبد المؤمن قريبا من اشبيلية فهزمهم ، وانتعش المسلمون بها واتصلت الحال على ذلك .

وفـــاة الناصر رحمه الله

قال ابن ابى زرع : لما قدم الناصر الى مراكش منصرفا من وقعة العُقاب اخذ البيعة لولده يوسف الملقب بالمنتصر ، فبايعه كافة الموحدين ، وخطب له على جميع منابر المغرب والاندلس فى العشر الاواخر من ذى الحجة سنة تسع وستمائة .

ولما تمت له البيعة دخل الناصر قصره واحتجب فيه عن الناس وانغمس فى لذاته مصطبحا ومغتبقا الى شعبان من سنة عشر وستمائة فمات مسموما بتدبير وزرائه عليه فى ذلك ، قال : وكانت وفاته يوم الاربعاء الحادى عشر من شعبان المذكور .

وقال ابن خلكان : تقول المغاربة ان الناصر رحمه الله كان قد أوصى الى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش ان كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ، ثم أراد أن يختبر قدر امره عندهم فتنكر وجعل يمشى فى البستان ليلا فعند ما رأوه جعلوه غرضا لرماحهم ، فجعل يقول : أنا الخليفة أنا الخليفة ، فما تحققوه حتى فرغوا منه والله أعلم بصحة ذلك .

قلت : الصحيح فى وفاة الناصر ما ذكره الوزير ابن الخطيب فى رقم الحلل قال : « ثم صرف الناصر وجهه الى غزو الاندلس فى عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ، ولما احتل رباط الفتح من سلا نزل به الموت فتوفى ليلة الثلاثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة فانحل العزم وتفرقت الجموع (١) والبقاء لله وحده .

---

(١) وذكر صاحب كتاب المعجب فى تلخيص أخبار المغرب وهو أبو محمد عبد الواحد المراكشى أنه اختلف فى سبب وفاته وأصح ما بلغه فى ذلك أنه أصابته سكتة من ورم فى دماغه وذلك يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان فأقام ساكتا لا يتكلم يوم السبت والاحد والاثنين والثلاثاء وأشار عليه الاطباء بالفصد فأبى ذلك وتوفى يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر شعبان من سنة ٦١٠ ودفن يوم الخميس ، صلى عليه خاصة الحشم اه .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله

ابن الناصر بن المنصور رحمه الله



لما هلك محمد الناصر لدين الله بويع ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور وهو ابن ست عشرة سنة ، ولقب بالمنتصر بالله ، وغلب عليه الوزير أبو سعيد ابن جامع ومشيخة الموحدين ، فقاموا بأمره ، واستبدوا عليه ، وتأخرت بيعة الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص من افريقية لصغر سن المنتصر ، ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الاشغال عبد العزيز بن أبى زيد فوصلت بيعته حينئذ ، واشتغل المنتصر عن تدبير الامر والجهاد بما يقتضيه الشباب .

وعقد للسادات على عمالات ملكه ، فعقد للسيد أبى ابراهيم اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن – ويلقب بالظاهر – على فاس وأعمالها ، وهو اخو المنصور ووالد عمر المرتضى الآتى ذكره . وعقد لعمه السيد أبى اسحق بن المنصور على اشبيلية وما اضيف اليها ، ولعمه أبى عبد الله محمد بن المنصور على بلنسية وشاطبة وأعمالهما ، ولعمه أبى محمد عبد الله ابن المنصور على مرسية ودانية وأعمالهما . وبعث معه الشيخ ابا زيد بن يُرجّان وكان من أشياخ الموحدين ودهاتهم .

وفى دولة المنتصر هذا فشل أمر الموحدين وذهبت ريحهم ، وأشرفت دولتهم على الهرم ، واستولى الفنش على المعاقل التى أخذها المسلمون ، وهزم حامية الاندلس فى كل جهة ، واستبدت السادة بالاطراف ، والتاثت الامور بالاندلس والمغرب أجمع . أما الاندلس فبتكالب العدو عليها وفناء حماتها ؛ وأما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأمصاره من وقعة العقاب .

ثم ظهرت بنو مرين بجهة فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وكانوا موطنين بصحراء فيجيج وما والاها ، فاقتحموا المغرب فى هذه السنين لخلائه من الحامية ، واكتسحوا بسائطه بالغارات ، وانحازت رعاياه الى المعاقل والحصون ، وكثرت الشكايات بهم الى المنتصر ، وهو مقيم بمراكش ، فكتب الى السيد أبى ابراهيم صاحب

فاس يأمره بغزوهم ، فخرج اليهم وهم ببلاد الريف ، فأوقعوا بـه وقعة شنعاء كانت باكورة فتحهم ، وعـاد السيد مفلولا الى فاس ، وأصحابه عراة بـين يديه يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف بالمشعلة ، فسميت السنة سنة المشعلة ، وكانوا قـد أسروا السيد أبا ابراهيم ثم عرفوه فأطلقوه . ثم صمدت بنو مرين بعدها الى تازا ففلوا حاميتها ، وعظمت شوكتهم بالمغرب على ما نذكره بعد ان شاء الله .

وفى سنة أربـع عشرة وستمائة هزم المسلمون بقصر أبى دانس من الاندلس ، وهى من الهزائم الكبار التى تقرب من هزيمة العقاب ، لان العدو كان قـد نزل قصر أبى دانس وحاصره ، فخرج اليه جيش اشبيلية وجيش قرطبـة وجيش جيان وحشود بلاد غرب الاندلس لاستنقاذ قصر أبى دانس ، وكان ذلك بأمر المنتصر ، فساروا يؤمون العدو ، فلم تقع عينهم على عينه إلّا وقد خامر قلوب المسلمين الرعب وولوا الادبار لما كان قد رسخ فى نفوسهم من بأسه يوم العقاب ، فتكالب العدو بعدها على المسلمين وتمرس بهم وهان عليه أمرهم ، وخشعت نفوسهم له . ولما فروا منه فى هذه الخرجة ركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم ، ورجع الفنش الى قصر أبى دانس فحاصره حتى اقتحمه عنوة وقتل جميع من به من المسلمين .

وفى سنة ثمان عشرة وستمائة توفي صاحب افريقية الشيخ أبو محمـد عبد الواحد ابن أبى حفص ، فبايع الموحدون بافريقية ابنه أبا زيد عبد الرحمن ، فقام بالامر وأطفأ النائرة ، وأفاض العطاء ومهد النواحى ورتب الامور حتى ورد كتاب المنتصر من مراكش لثلاثة أشهر من ولايته بتأخيره وتوليـة السيد أبى العلاء الاكبر مكانه ، وهو ادريس ابن يوسف بن عبد المؤمن . فقـدم افريقية فى ذى القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة ، ووالى الهزائم على ابن غانية الثائر بافريقية حتى شرده الى الصحراء ، وأبو العلاء هـذا هو الذى بنى البرجين اللذين على باب المهـدية وحصنهما ، وهو الذى بنى برج الذهب باشبيلية أيام ولايته عليها فى دولة أبيه ، وأقام أبو العلاء بافريقية الى ان توفى بتونس منها فى شعبان سنة عشرين وستمائة .

واستولى على افريقية بعده ابنه أبو زيـد بن ادريس ، وساءت سيرته فى الناس ، وأقام على ذلك الى دولة العادل عبد الله بن المنصور صاحب مراكش فعزله وولى

مكانه عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص .

ثم غلب عليه أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، وتداول ملك افريقية بنوه من بعده ، واستبدوا بها واقتطعوها عن نظر بنى عبد المؤمن أصحاب مراكش ، فلم تعد اليهم بعد .

وأما يوسف المنتصر فإنه استمر مقيما بمراكش على لذاته إلى أن توفى ، وكان من خبر وفاته أنه كان مولعا باتخاذ الحيوان واستنتاجه ، فكان يؤتى اليه بأصناف البقر من الاندلس فيرسلها فى بستانه الكبير من حضرة مراكش ، ويحمل بعضها على بعض للتناسل . فخرج ذات يوم للتطوف على تلك البقر والنظر اليها ، فتوسط قطيعا منها وقد ركب فنشيا فانكرته بقرة شرود كانت في ذلك القطيع فطعنته فى صدره طعنة أتت عليه من حينه ، وذلك فى عشى يوم السبت الثانى عشر من ذى الحجة سنة عشرين وستمائة ولم يخلف إلّا حملا من جارية له .

قال ابن خلكان : لم يكن فى بنى عبد المؤمن أحسن وجها من المنتصر ، ولا أبلغ فى المخاطبة ، إلّا انه كان مشغوفا براحته ، فلم يبرح عن حضرته فضعفت الدولة فى أيامه والله تعالى أعلم .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخلوع ابن يوسف ابن عبد المؤمن رحمه الله

لما هلك المنتصر فى التاريخ المتقدم اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا للسيد أبى محمد عبد الواحد بن يوسف وهو أخو المنصور .

قال ابن أبى زرع : بايعوه على كره منه بقبة المنصور من قصبة مراكش وهو يومئذ فى سن الشيخوخة ، وكان عالما فاضلا متورعا ، فاستقام له الامر نحو شهرين ، وخطب له فى جميع أعمال الموحدين ما عدا مرسية . فإن ابن أخيه السيد أبا محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعادل كان واليا عليها ، وكان وزيره بها الشيخ أبا زيد بن يرجان المعروف

بالاصفر . وكان من دهاة الموحدين ، وكان المنصور رحمه الله إذا رآه يستعيذ بالله من شره ، ويقول ما ذا يجرى على يديك من الفتن يا أصفر ، وكان من خبره انه لما بويع المخلوع أمر باطلاق ابن يرجان لانه كان محبوسا على ما عند ابن خلدون ، فأطلق ثم صده ابن جامع عن ذلك ، وأنفذ أخاه أبا اسحق فى الاسطول ليغربه الى ميورقة ، فلاذ ابن يرجان حينئذ بعبد الله بن المنصور صاحب مرسية ، ونزل منه منزلة الوزير وأغراه بالتوثب على الامر ، وشهد له انه سمع من المنصور رحمه الله العهد له بالخلافة من بعد الناصر . وقال له فيما قال : إنك أحق بالخلافة من عبد الواحد ، أنت ولد المنصور وأخو الناصر وعم المنتصر ، ولك الرأى وحسن السياسة والحزم ، ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان .

وكان الناس على كره من ابن جامع وولاة الاندلس يومئذ كلهم بنو المنصور ، فاصغى اليه عبد الله هذا ، وكان مترددا فى بيعة عمه ، فبرز الى مجلس حكمه ، واستدعى من بمرسية وأعمالها من الموحدين والفقهاء والاشياخ فدعاهم الى بيعته ، فبايعوه وتسمى بالعادل ، وكان اخوته أبو العلاء الاصغر صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا ، وكان أبو محمد بن أبى عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسى صاحب جيان وقد عزله المخلوع بعمه أبى الربيع بن أبى حفص فانتقض وبايع للعادل ، وزحف مع أبى العلاء صاحب قرطبة وهو أخو العادل الى اشبيلية وبها عبد العزيز أخو المنصور والمخلوع ، فدخل فى دعوتهم ، وامتنع السيد أبو زيد بن أبى عبد الله أخو البياسى عن بيعة العادل وتمسك بطاعة المخلوع ، وخرج العادل من مرسية الى اشبيلية فدخلها مع أبى زيد بن يرجان ، وبلغ الخبر الى مراكش فاختلف الموحدون على المخلوع ، وبادروا بعزل ابن جامع وتغريبه الى هسكورة لكراهيتهم له ، وجرت خطوب أفضت الى خلع عبد الواحد وقتله .

وفى القرطاس : ان عبد الله العادل كتب الى أشياخ الموحدين الذين بحضرة مراكش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ، ووعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والمنازل الرفيعة والولايات الجليلة ، فسارعوا الى ذلك ، ودخلوا على عبد الواحد وتهددوه بالقتل إلّا أن يخلع نفسه ويبايع للعادل ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا عنه ، ووكلوا بالقصر

من يحفظه ، وكان ذلك يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان سنة احدى وعشرين وستمائة .

فلما كان يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد القصر وأحضروا القاضى والفقهاء والاشياخ فأشهد على نفسه بالخلع وبايع للعادل ، ثم دخلوا عليه بعد مضى ثلاث عشرة ليلة من خلعه فخنقوه حتى مات ، وانتهبوا قصره واستولوا على أمواله وحريمه ، فكان عبد الواحد هذا أول من خلع وقتل من بنى عبد المؤمن ، وصار أشياخ الموحدين لخلفائهم كالاتراك لبنى العباس ، فكان فعلهم ذلك سببا لذهاب ملكهم وانقراض دولتهم . والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع خامس رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمائة .

الخبر عن دولة أبى محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله

بويع له البيعة الاولى بمرسية من بلاد الاندلس منتصف صفر سنة احدى وعشرين وستمائة ، وتلقب بالعادل فى أحكام الله . ثم خلص له الامر وبايعه كافة الموحدين ، وخطب له بحضرة مراكش أواخر شعبان من السنة المذكورة .

وتوقف عن بيعته السيد أبو زيد بن أبى عبد الله أخو البياسى كما ذكرنا آنفا ، وكان واليا على بلنسية وشاطبة ودانية ، ولما رأى السيد أبو محمد البياسى أخاه السيد أبا زيد توقف عن بيعة العادل وضبط بلاده ثار هو ببياسة وما انضاف اليها من قرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الاوسط وتلقب بالظافر ، وانما دعى البياسى لقيامه من بياسة ، فوصلت بيعة الموحدين من مراكش الى العادل ومعها كتاب أبى زكريا يحيى ابن الشهيد شيخ هنتاتة بقصة المخلوع وما كان من أمره ، فصادف وصولها هيجان هذه الفتنة فشغل العادل بها عن مراكش ، وبعث أخاه السيد أبا العلاء الاصغر وهو ادريس ابن المنصور فى جيش كثيف الى البياسى فحاصره ببياسة . ولما اشتد عليه الحصار أظهر الطاعة والانقياد وبايع للعادل حتى اذا أفرج عنه أبو العلاء عاد الى النكث ، وبعث الى

الفنش يستنصره على العادل ، وضمن له ان ينزل له عن بياسة وقيجاطة ، فكان أول من سن إعطاء الحصون والبلاد للفرنج . فوجه اليه الفنش بجيش من عشرين ألفا . ولما توافت لديه جموع الفرنج نهض من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا دنا منها خرج اليه السيد أبو العلاء الاصغر - وهو الذى دعى بعد بالمأمون - فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم السيد أبو العلاء واستولى البياسى والفرنج على محلته بما فيها من أثاث وسلاح ودواب وغير ذلك .

ولما رأى العادل ما وقع بأخيه وجنده خشى أن يتفاقم داء البياسى ويمتد عباب فتنته الى مراكش ، فترك أخاه أبا العلاء قبالته وعبر البحر الى العدوة . ولما احتل بقصر المجاز دخل عليه عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص المدعو بعبوا فقال له العادل كيف حالك ؟ فأنشده :

حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الى منها تائبا

فاستحسن ذلك منه وولاه افريقية . وهذا البيت لابى الطيب المتنبى ، وانما تمثل به عبوا لموافقة اسم منصور فيه لاسم والد العادل فحسن التمثيل به .

وانتهى العادل فى سيره الى سلا فأقام بها وبعث عن شيوخ جشم عرب تامسنا ، وكان لابن يرجان عناية واختصاص بهلال بن حميدان أمير الخلط ، فتثاقل جرمون بن عيسى أمير سفيان عن الوصول الى العادل ، ثم بادر العادل الى مراكش وقاسى في طريقه اليها من العرب شدائد ، ثم دخلها واستوزر أبا زيد بن عبد الواحد بن أبى حفص وتغير لابن يرجان ، ففسد باطنه وسعى في افساد الدولة ، وغلب أبو زكريا بن الشهيد شيخ هنتاتة ، ويوسف بن على شيخ تينملل على أمر العادل . ثم خالفت عليه عرب الخلط وهسكورة ، وعاثوا فى نواحى مراكش ، وخربوا بلاد دكالة ، فخرج اليهم ابن يرجان فلم يغن شيأ ، فانفذ إليهم العادل عسكرا من الموحدين لنظر ابراهيم بن اسمعيل ابن الشيخ أبى حفص فانهزم وقتل ، واضطربت الاحوال على العادل ، وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي إلى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة والعرب ، فاتفقا أيضا على خلع العادل ، واضطربت الامور .

ولما انتهى إلى أبى العلاء صاحب الاندلس خبر أخيه العادل بمراكش وما هو فيه

من الاضطراب دعا لنفسه باشبيلية فبويع بها ، وأجابه أكثر أهل الاندلس ، وتلقب بالمأمون وبايع له السيد أبو زيد صاحب بلنسية وهو أخو البياسى ، وكان ذلك فى اوائل شوال سنة أربع وعشرين وستمائة .

ولما تمت بيعته كتب الى الموحدين الذين بمراكش يدعوهم الى بيعته ويعلمهم باجتماع أهل الاندلس والموحدين الذين بها عليه ، ووعدهم فى ذلك ومناهم ، فكان منهم بعض توقف ، ثم أجمع رأيهم على مبايعته وخلع أخيه العادل ، فدخلوا عليه قصره وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع ، فوثبوا عليه ودسوا رأسه فى خصة ماء كانت هناك وقالوا له : لا نفارقك أو تشهد على نفسك بالخلع . فقال : اصنعوا ما بدا لكم والله لا أموت إلّا أمير المؤمنين . فوضعوا عمامته فى عنقه وخنقوه ورأسه فى الخصة حتى فاظ ، وكان خيرا فاضلا رحمه الله ، وكانت وفاته فى الحادى والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمائة . وكتبوا ببيعتهم الى ابى العلاء المأمون ، وبعثوا بها اليه مع البريد ، ثم بدا لهم فى بيعة المأمون بعد انفصال البريد عنهم فنكثوها . وبايعوا يحيى بن الناصر بن المنصور واضطربت الاحوال بالمغرب والاندلس ، وطما عباب الفتن بهما وكان ما نذكره .

الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومزاحمة يحيى بن الناصر له

كان المأمون وهو أبو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتقاض الموحدين والعرب بالحضرة على أخيه وتلاشى أمره دعا لنفسه باشبيلية وبايعه أهل الاندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا ، ثم لما انفصل البريد ببيعته من الحضرة ندم الموحدون على ذلك لما يعلمون من شهامته وصرامته وتخلقه بأخلاق الحجاج بن يوسف ، وتخوفوا ان يأخذهم بدم عمه عبد الواحد المخلوع ، ثم أخيه عبد الله العادل ، فاتفق رأيهم على مبايعة يحيى بن الناصر بن المنصور وهو شاب غر كما يقل عذاره ، وانما وقع اختيارهم عليه ليكون أطوع لهم ، فان سنه يومئذ كانت ست عشرة سنة . فبايعوه بجامع المنصور من قصبة مراكش بعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة أربع

وعشرين وستمائة ، وامتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا : قد بايعنا المأمون فلا ننكث بيعته ، وتأخر قدوم المأمون الى مراكش وبقى بالاندلس لاسباب يأتى شرحها ، وأقام يحيى بمراكش واستتب أمره بها بعض الشىء ، وجهز جيشا من الموحدين والجند الى قتال الخلط وهسكورة ، وهم يومئذ فى طاعة المأمون ، فانهزم جيش يحيى وقتل منه خلق كثير وعاد مفلولا الى مراكش ، ثم اطلع يحيى على مداخلة أبى زيد بن يرجان للعرب وهسكورة فى الغارة على مراكش ، واطلع على ذلك ايضا أبو زكريا يحيى بن الشهيد فقتل أبا زيد بن يرجان وابنه عبد الله ، ونصب رؤوسهما على باب الكحل وطوف أجسادهما بأسواق المدينة ، ثم اضطربت الاحوال على يحيى وانتقضت البلاد ، وغلت الاسعار وعم الخراب والفساد بلاد المغرب ، واستحوذ بنو مرين على ضواحيه وضايقوا الموحدين فى كثير من أمصاره ، واقتضوا جبايته ونبغت الثوار فى الاقطار على ما نذكره .

ثورة محمد بن أبى الطواجين الكتامى بجبال غمارة

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة ثار بجبال غمارة محمد بن أبى الطواجين الكتامى المتنبى ، وكان أبوه من قصر كتامة منقبضا عن الناس ، وكان ينتحل صناعة الكيمياء ، فكان يلقب بأبى الطواجين لكثرة الظروف التى كان يستعملها فى ذلك بزعمه . وتلقن ذلك عنه ابنه محمد هذا ، ثم ارتحل الى سبتة ونزل على بنى سعيد بأحوازها ، وادعى صناعة الكيمياء فتبعه الغوغاء . ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع وأظهر أنواعا من الشعبذة فكثر تابعوه ، ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا اليه عهده ، وزحفت اليه عساكر سبتة ففر عنهم ، ثم قتله بعض البرابرة غيلة بوادى لاو بين بلاد بنى سعيد وبلاد بنى زيات ، وابن أبى الطواجين هذا هو الذى تسبب فى قتل الشيخ أبى محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه على ماذكره بعد إن شاء الله .

أخبار الثوار بالاندلس وما آل اليه أمر الموحدين بها

لما ضعف أمر الموحدين بالمغرب وكثرت الفتن فى أقطاره ونواحيه ، وانتزى السادة منهم بنواحى الاندلس كل فى عمله واستظهر كل واحد منهم على أمره بالطاغية ونزلوا له عن كثير من الحصون فسدت من أجل ذلك ضمائر أهل الاندلس عليهم ، وتصدى للثورة على الموحدين محمد بن يوسف بن هود من أعقاب بنى هود الجذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة ، وكان يؤمل لها وربما امتحنه الموحدون لذلك مرات ، فخرج فى نفر من الاجناد سنة خمس وعشرين وستمائة ، وجهز اليه والى مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبى عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن عسكرا فهزمهم ، وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها ، وخطب للخليفة المستنصر العباسى صاحب بغداد ، وفى ذلك يقول ابن الخطيب فى رقم الحلل عند ذكره لبنى هود هؤلاء :

وكان من أعقابه الامير * محمد بن يوسف الاخير

وكان باسلا شديد البأس * وبايع المستنصر العباسى

ثم زحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبى حفص بن عبد المؤمن وهو أخو البياسى المتقدم ذكره من شاطبة وكان واليا بها كما مر ، فهزمه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاش بالمأمون ، وهو يومئذ باشبيلية ، فخرج فى العساكر ولقيه ابن هود فانهزم ، واتبعه المأمون الى مرسية فحاصره مدة . وامتنعت عليه فاقلع عنه ورجع الى اشبيلية .

ثم انتقض على السيد أبى زيد ببلنسية زيان بن أبى الحملات مدافع بن أبى الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش ، وخرج عنه الى أبدة وذلك سنة ست وعشرين وستمائة ، وكان بنو مردنيش هؤلاء أهل عصابة وأولى بأس وقوة ، فتوقع أبو زيد اختلال أمره ، وبعث اليه ولاطفه فى الرجوع فأبى ، فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ، ودخل فى دين النصرانية والعياذ بالله ، وبايع أهل شاطبة لابن هود ، ثم تتابعت بلاد الاندلس على بيعته ، ودخل فى طاعته أهل قرطبة واشبيلية بعد رحيل المأمون عنهم الى مراكش ، ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان .

ثم في سنة تسع وعشرين وستمائة ثار محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر بحصن ارجونة من أعمال قرطبة ، ودعا لابى زكريا الحفصى صاحب افريقية . ثم دخل فى طاعته أهـل قرطبة ، وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس ، وتجاذبا حبل الملك بها ، وكانت خطوب استولى الطاغية فيها على كثير من حصون الاندلس ، ثم استقر قدم ابن الاحمر فى الملك وأورثه بنيه من بعده والله غالب على أمره .

قدوم أبى العلاء المأمون بن المنصور من الاندلس الى مراكش وما اتفق له فى ذلك

قد تقدم لنا ان الموحدين بمراكش خنقوا العادل وبايعوا أخاه المأمون ، وبعد انفصال البريد بالبيعـة ندموا وبايعوا ابن أخيه يحيى بن النـاصر ، فوصلت بيعة الموحدين الى المأمون ، وهو يومئذ باشبيلية ، فسر بها وأمر باقرائها على منابر الاندلس ، ثم أخذ فى التجهيز والحركة الى مراكش دار ملكهم ، فسار حتى اذا وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر أن الموحدين قد نكثوا بيعته ، وبايعوا ابن أخيه يحيى ، فوجم لذلك وأطرق مليا ثم أنشد متمثلا بقول حسان رضى الله عنه :

لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله (١) أن يبعث له جيشا من الفرنج يجوز بهم الى العدوة لقتال يحيى ومن معه من الموحدين ، فشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون مما يـلى بلاده يختـارها هو ، وأن يبنى بمراكش اذا دخلها لجيش النصارى الذين معه كنيسة يظهرون بها دينهم ويضربون فيهـا نواقيسهم لصلواتهم ، وأن من أسلم منهم لا يقبل منه إسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه

---

(١) انظر ما كتبه المؤلف فى هذه المسألة فى كتاب كشف العرين عن ليوث بنى مرين أثناء كلامه على دولة السلطان تاشفين الموسوس بن أبى الحسن المرينى .

باحكامهم الى غير ذلك ، فأسعفه المأمون فى جميع ما طلب منه .

وكان يحيى بن الناصر صاحب مراكش لما رأى اختلال أحواله بها كما قلنا ومبايعة أكثر أهل المغرب لعمه المأمون خرج فارا بنفسه الى تينملل ، وكان ذلك فى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة ، ولما فر يحيى عن الحضرة قدّم أشياخ الموحدين الذين بها واليا يضبطها للمأمون ريثما يقدم عليهم . وجددوا له البيعة ، وكتبوا اليه يخبرونه بفرار يحيى الى الجبل ، ويرغبون اليه فى القدوم عليهم ، وكتب اليه أيضا هلال ابن حميدان أمير الخلط ، واستمر يحيى معتصما بالجبل أربعة أشهر ، ثم بدا له فعاد الى مراكش وقتل عامل المأمون الذى قدمه الموحدون بها ، واستمر بها نحو سبعة أيام ، ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به ، وأقام منتظرا لقدوم المأمون ودفاعه عن مراكش .

ثم بعث صاحب قشتالة الى المأمون جيشا من اثنى عشر ألفا برسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة ، وكان وصولهم اليه فى رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ، ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، وهو أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها . فأراح بسبتة أياما ثم نهض الى مراكش حتى اذا دنا منها لقيه يحيى بجيوش الموحدين وذلك عشى يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الاول من السنة الداخلة ، فانهزم يحيى وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه .

ودخل المأمون حضرة مراكش وبايعه الموحدون ، وصعد المنبر بجامع المنصور - وكان علامة أديبا بليغا - فخطب الناس ولعن المهدى على المنبر وقال : لا تدعوه بالمهدى المعصوم وادعوه بالغوى المذموم ، ألا لا مهدى إلّا عيسى ، وانا قد نبذنا أمره النحس .

ولما انتهى الى آخر خطبته قال : معشر الموحدين لا تظنوا أنى أنا ادريس الذى تندرس دولتكم على يده ، كلا انه سيأتى بعدى ان شاء الله .

ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد بمحو اسم المهدى من السكة والخطبة وتغيير سننه التى ابتدعها للموحدين وجرى عليها سلفهم ، ونعى عليه النداء للصلاة باللغة البربرية وزيادته في أذان الصبح : أصبح ولله الحمد ، وغير ذلك من السنن التى اختص بها المهدى ، وأمر بتدوير الدراهم التى ضربها المهدى مربعة ، وقال : كل ما فعله المهدى

وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل الى ابقائه ، وأبدأ فى ذلك وأعاد .

ثم دخل قصره فاحتجب عن النـاس ثلاثا ، ثم خرج فى اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه ، فقال لهم يا معشر الموحدين انكم قـد أظهرتم علينا العناد ، وأكثرتم فى الارض الفساد ، ونقضتم العهود وبذلتم فى حربنا المجهود ، وقتلتم الاخـوان والاعمام ، ولم ترقبوا فيهم إلّا ولاذمام ، ثم أخرج كتاب بيعتهم الذى بعثوا به اليه ، واحتج عليهم بنكثهم الذى نكثوا بعده ، فقامت الحجة عليهم فبهتوا وسقط فى أيديهم والتفت الى قاضيه المكيدى ـ وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية ـ فقال لـه : ما ترى أيها القاضى فى أمر هؤلاء الناكثين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول : « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » الآية . فقال المأمون : صدق الله العظيم فـإنا نحكم فيهم بحكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ثم أمر بجميع أشياخ الموحدين وأشرافهم فسحبوا إلى مصارعهم وقتلوا من عند آخرهم ولم يبق على كبيرهم ولا صغيرهم حتى انه أتى بابن أخت له صغير يقال ان سنه كان ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن ، فلما قدم للقتل قال له : « يا أمير المؤمنين اعف عنى لثلاث » قال ما هن ؟ قال : « صغر سنى ، وقرب رحمى ، وحفظى لكتاب الله العزيز » فيقال ان المأمون نظر الى القاضى كالمستشير له وقال له : « كيف ترى قوة جأش هـذا الغلام وإقدامه على الكلام فى هـذا المقام ؟ » فقال القاضى : « يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجرا كفارا » فأمر به فقتل رحمـه الله ، ثم أمر بالرؤوس فعلقت بدائر سور المدينة .

ذكر ابن أبى زرع انها كانت تنيف على أربعة آلاف رأس وكان الزمان زمان قيظ فنتنت بها المدينة وتأذى الناس بريحها ، فرفع اليه ذلك فقال : « ان ههنا مجانين وان تلك الرؤوس حروز لهم لا يصلح حالهم إلّا بها . وانها لعطرة عند المحبين ونتنة عند المبغضين ! ثم أنشد :

أهل الحرابة والفساد من الورى * يعزون فى التشبيه للـذكار
ففسـاده فيـه الصـلاح لغيره * بالقطـع والتعليق فى الاشجـار
فرؤوسهم ذكرى اذا ما أبصرت * فوق الجذوع وفى ذرى الاسوار

وكذا القصاص حياة أرباب النهى * والعدل مالوف بكل جوار
لو عم حلم الله سائر خلقه * ما كان أكثرهم من أهل النار

وهذه الفتكة التى ارتكبها المأمون من الموحدين أنست فتكة الحارث بن ظالم ، والبراض الكنانى ، والحجاف بن حكيم ، وهى التى استأصلت جمهورهم ، وأماتت نخوتهم . وأذن المأمون للنصارى القادمين معه فى بناء الكنيسة وسط مراكش على شرطهم المتقدم . فضربوا بها نواقيسهم . وكانت الكنيسة فى الموضع المعروف بالسجينة .

وقبض على قاضى الجماعة بمراكش وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الحق فقيده ودفعه الى هلال بن حميدان الخلطى فحبسه حتى افتدى منه بستة آلاف دينار .

وأقام المأمون بمراكش خمسة أشهر ، ثم نهض الى الجبل لقتال يحيى بن الناصر ومن معه من الموحدين ، وذلك فى رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة . فالتقى معه على الموضع المعروف بالكاعة ، فانهزم يحيى وقتل من عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير سيق من رؤوسهم الى مراكش أربعة آلاف رأس .

وفى هذه السنة استبد الامير أبو زكريا ابن الشيخ أبى محمد بن أبى حفص الهنتاتى بافريقية وخلع طاعة الموحدين .

وفى سنة ثمان وعشرين بعدها نفذت كتب المأمون الى سائر البلاد بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر . وفيها خرجت بلاد الاندلس كلها من ملك الموحدين ، ونفاهم عنها ابن هود الثائر بها وقتلتهم العامة فى كل وجه .

وفى سنة تسع وعشرين بعدها خرج على المأمون أخوه السيد أبو موسى عمران بن المنصور بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد ، فاتصل الخبر بالمأمون فخرج اليه ، وبلغه فى طريقه ان قبائل بنى فازاز ومكلاثة قد حاصروا مكناسة وعاثوا فى نواحيها ، فسار اليهم وحسم مادة فسادهم ، وعاد الى سبتة فحاصر بها أخاه السيد أبا موسى مدة فلم يقدر منه على شىء ، وكانت سبتة من أحصن مدن المغرب ، ولما طالت غيبة المأمون عن الحضرة اغتنم يحيى بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون ابن عيسى ، ومعهم أبو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة ، وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التى بنيت بها وقتلوا كثيرا من يهودها وسبوا أموالهم ، ودخل يحيى القصر

فحمل منه جميع ما وجده به الى الجبل .

واتصل الخبر بالمأمون وهو على حصار سبتة ، فارتحل عنها مسرعا الى مراكش ، وذلك فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، ولما ابعد عن سبتة عبر أبو موسى صاحبها الى الاندلس فبايع ابن هود وأعطاه سبتة ، فعوضه ابن هود عنها بالمرية ، فكان السيد أبو موسى بها الى أن مات .

وانتهى الخبر الى المأمون وهو فى طريقه بأن ابن هود قد ملك سبتة ، فتوالت عليه الفجائع فمرض أسفا ومات بوادى العبيد وهو قافل من حصار سبتة . وكانت وفاته فى آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمائة .

وكانت أيامه أيام شقاء وعناء ومنازعة ، افترقت دولة الموحدين فيها فرقتين ، فرقة معه وفرقة مع يحيى بن الناصر .

وكان محق دولة الموحدين واستئصال أركانها وذهاب نخوتها على يده ، قالوا ولولا ان الامـور قد استحالت الى ما ذكر لكان المـأمون موافقا لابيه المنصور فى كثير من الخلال ، ومتبعا سننه فى جل الاحوال .

وكان المأمون فصيح اللسان ، فقيها ، حافظا للحديث ، ضابطا للرواية ، عارفـا بالقراآت ، حسن الصوت والتلاوة ، مقدما فى علم اللغة والعربية والادب وأيام الناس ، كاتبا بليغا حسن التوقيع لم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخارى والموطأ ، وسنن أبى داود ، وكان مع ذلك شهما حازما مقداما على عظائم الامور ، ولى الخلافة والبلاد تضطرم نارا . والممالك قد توزعتها الثوار . فكان المأمون اذا فكر فى حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاه من كثرتهم ينشد متمثلا :

تكاثرت الظباء على خداش * فما يدرى خداش ما يصيد

يشير الى حاله معهم ، وانه لم يدر ما يتلافى من ذلك والله تعالى أعلم .

الخبر عن دولة أبى محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون ابن المنصور رحمه الله

لما هلك المأمون بويع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد .

قال ابن أبى زرع : بويع له بالخلافة بوادى العبيد ثانى يوم من وفاة أبيه وهو يوم الاحد فاتح محرم سنة ثلاثين وستمائة ، وسنه يومئذ اربع عشرة سنة ، وكان الذين اخذوا له البيعة كانون بن جرمون السفيانى ، وشعيب بن أوقاريط الهسكورى ، وفرنسيل قائد جيش الفرنج ، فانه لما مات المأمون كتمت جاريته موته واسمها حباب ، وكانت فرنجية الاصل ، ومن دهاة النساء وعقلائهن وهى أم الرشيد ، فاستدعت هؤلاء النفر الثلاثة ، وكانوا عمدة جيش المأمون يركب كل واحد منهم فى ازيد من عشرة آلاف من قومه واعوانه ، ولان اهل الحل والعقد من الموحدين قد اتت عليهم فتكة المأمون كما مر ، فجاؤا اليها فأعلمتهم بموت الخليفة ، ورغبت اليهم فى بيعة ابنها الرشيد والقيام معه وبذلت لهم على ذلك اموالا جمة ، ووعدتهم مع ذلك انهم إذا فتحوا الحضرة — وكان يحيى قد استولى عليها كما قلنا — تجعلها لهم فيئا ، فبايعوه ، واخذوا البيعة له على من سواهم . فبايع الناس طوعا وكرها خوفا من سيوفهم .

ولما تم امره جعل أباه فى تابوت وقدمه أمامه وسار الى مراكش ، وسمع يحيى وأهل مراكش بما شرطته حباب للقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فيئا ، فخرجوا لقتال الرشيد بأجمعهم .

واستخلف يحيى على مراكش ابا سعيد بن وانودين ، والتقى الجمعان فاقتتلوا ، فانهزم يحيى وقتل اكثر من معه ، وصبح الرشيد مراكش فتحصن منه اهلها فأمنهم وصالح قائد الفرنج واصحابه على فيئها بخمسة آلاف دينار .

ودخل الرشيد مراكش واستقر بها ، وكان قد وصل فى صحبته عمه السيد ابو محمد سعد بن المنصور ، فحل من تلك الدولة بمكان ، وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استقرار الرشيد بمراكش قدم عليه عمر بن اوقاريط الهسكورى صحبة اولاد

المأمون الذين كانوا باشبيلية ، ونفاهم ابن هود عنها ، وكان ابن اوقاريط هذا منحرفا عن المأمون ايام حياته ، فتذمم بصحبة هؤلاء الاولاد وقدم على الرشيد فتقبله ، واتصل بالسيد ابى محمد وحسنت منزلته لديه .

ثم لما هلك السيد ابو محمد لحق ابن اوقاريط بقومه ومعتصمه ، وكشف وجه الخلاف ، واخذ بدعوة يحيى بن الناصر ، واستنفر له قبائل الموحدين ، ونهض إليهم الرشيد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، واستخلف على الحضرة صهره أبا العلاء إدريس ، وصعد إليهم الجبل فأوقع بيحيى وجموعه بمكانهم من هزرجة واستولى على معسكرهم ، ولحق يحيى ببلاد سجلماسة ، وانكفأ الرشيد راجعا إلى حضرته ، واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى فأمنهم ولحقوا بحضرته ، وكان كبيرهم أبو عثمان سعيد بن زكريا القدميوى ، وجاء الباقون على أثره بعد أن شرطوا عليه إعادة ما كان أزاله المأمون من رسوم المهدى وسننه فأعيدت . واطمأنوا لاعادة رسوم الدعوة المهدية ، واستقامت الاحوال فى هذه الايام ، إلى أن كان ما نذكره .

فتنة الخلط مع الرشيد واستيلاؤهم على حضرة مراكش

كان مسعود بن حميدان كبير الخلط قد اغراه عمر بن أوقاريط بالخلاف لصحبة بينهما ، وكان مدلا ببأسه وكثرة جموعه ، يقال إن الخلط كانوا يومئذ يناهزون اثنى عشر ألف فارس سوى الرجل والاتباع والحشود ، فمرض مسعود فى الطاعة وتثاقل عن الوفادة إلى الحضرة .

ولما علم بعقد الموحدين واجتماع كلمتهم على الرشيد غاظه ذلك وأخذ فى السعي للفرقة والشتات بينهم ، فاعمل الرشيد الحيلة فى استدعائه ، وصرف عساكره إلى بعض الجهات حتى خلا لمسعود الجو وذهب عنه الريب ، واستقدمه الرشيد فأسرع اللحاق بالحضرة ، وقدم معه معاوية عم عمر بن اوقاريط ، فقبض على معاوية وقتل لحينه ، واستدعى الرشيد ابن حميدان إلى المجلس الخلافى للحديث فتقبض عليه

وعلى خمسة وعشرين من أصحابه من كبار الخلط وقتلوا ساعتئذ بعد جولة وهيعة ، وقضى الرشيد حاجة فى نفسه منهم .

ولما بلغ خبر مقتلهم إلى قومهم قدموا عليهم يحيى بن هلال بن حميدان ، وأجلبوا على سائر النواحي ، وأعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر ، واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء ، وداخلهم فى ذلك عمر بن اوقاريط ، وزحفوا لحصار مراكش ، وخرجت العساكر لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلولان ، فدافع ابن اوقاريط بجموعه فى تلك العساكر فانهزموا ، وأحيط بجند النصارى فقتلوا ، وتفاقم الأمر بالحضرة وعدمت الاقوات ، واعتزم الرشيد على الخروج إلى جبال الموحدين ، فخرج إليها وسار منها إلى سجلماسة فملكها ، واشتد الحصار على مراكش ، واقتحمها يحيى بن الناصر وأنصاره من الخلط وهسكورة فنهبوها وساء أثرهم فيها ، واضطربت أحوال الخلافة بها ، وتغلب على السلطان السيد أبو ابراهيم بن أبى حفص الملقب بأبى حافة ، وهذه الفتن كانت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .

هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم اياها

وفى هذه السنة أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة نازل الفرنج الجنويون سبتة باجفان لا تحصى ، ونصبوا عليها المنجنيقات والآلات المعدة للحصار ، واستمروا على ذلك الى ان دخلت سنة ثلاث وثلاثين بعدها ، فلم يقدروا منها على شىء ، ولما اشتد الحصار على أهل سبتة صالحوا الفرنج فى الافراج عنهم بأربعمائة ألف دينار فقبلوا ، وأقلعوا عنهم بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم .

عود الرشيد الى مراكش وفرار يحيى عنها
الى بنى معقل ومقتله بهم



وفى هذه السنة أعنى سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة خرج الرشيد من سجلماسة بقصد مراكش ، وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فأجابوه ، وعبروا وادى أم الربيع ، وبرز اليه يحيى فى جموعه . والتقى الفريقان فانهزمت جموع يحيى واستحر القتل فيهم ، ودخل الرشيد الى الحضرة ظافرا ، وأشار ابن أوقاريط على الخلط بالاستصراخ بابن هود صاحب الاندلس والاخذ بدعوته ، فنكثوا بيعة يحيى وبعثوا وفدهم الى ابن هود صحبة ابن أوقاريط ، فاستقر هنالك ولم يرجع اليهم قولا ، فعلم الخلط انها حيلة من ابن أوقاريط ، وأنه تخلص من الورطة .

وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط أمامه ، وسار الى فاس فأقام بها أياما ، وفرق فى فقهائها وصلحائها أموالا ورباعا مغلة ، وسرح وزيره السيد أبا محمد الى غمارة وفازاز لجباية أموالهما .

وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته لحق بعرب معقل فأجاروه ووعدوه النصرة واشتطوا عليه فى المطالب فآسف بعضهم بالمنع فاغتاله فى جهة تازا ، وسيق رأسه الى الرشيد بفاس ، فبعثه إلى مراكش وأوعز الى نائبه بها أبى على بن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا فى اعتقاله وهم حسن بن زيد شيخ العاصم ، وقائد وقائد ابنا عامر شيخا بنى جابر فقتلهم ، وانكفأ الرشيد راجعا إلى حضرته سنة أربع وثلاثين وستمائة .

وكان ابن أوقاريط لما فصل إلى ابن هود صاحب الاندلس أقام عنده إلى هذه السنة ، فركب البحر فى اسطول من أساطيل ابن هود وقصد مدينة سلا — وبها يومئذ السيد أبو العلاء صهر الرشيد — فنازلها وكاد يغلب عليها ثم رجع عنها بلا طائل .

وفى سنة خمس وثلاثين بعدها بايع أهل اشبيلية للرشيد ، ونقضوا طاعة ابن هود ، وتولى كبر ذلك أبو عمر بن الجد ، ووصل وفدهم إلى الحضرة ، ومروا فى طريقهم

بسبتة ، فاقتدى أهلها بهم فى بيعة الرشيد ، وقدموا على الحضرة ، وولى عليهم الرشيد أبا علي بن خلاص منهم ، وانصرف وفد اشبيلية وسبتة راضين .

واستقدم الرشيد رؤساء الخلط وكانوا راجعوا طاعته بعد مقتل يحيى فقدموا عليه وتقبض عليهم ، وبعث عساكره فاستباحوا حللهم وأحيائهم ، ثم امر بقتل مشيختهم وقتل معهم ابن اوقاريط ، وكان اهل اشبيلية قد بعثوا به إليه فقطع دابرهم .

وفى سنة ست وثلاثين وستمائة وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وكان قد بايع اولا ابا زكريا الحفصى صاحب افريقية ثم بدا له فرد البيعة إلى الرشيد .

استيلاء العدو على قرطبة

وفى هذه السنة كان استيلاء العدوّ ـ دمره الله ـ على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار مملكتها . وذلك يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة .

وفى سنة سبع وثلاثين بعدها انتشر بنو مرين ببلاد المغرب واشتدت شوكتهم به ، وزحف إليهم الرشيد فهزموه ، ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه ، واقام فى محاربتهم سنتين ورجع عنهم إلى الحضرة . فاشتد عدوانهم بالمغرب ، وألحوا على مكناسة حتى اعطوا الاتاوة لبنى حمامة منهم ، واتصل غلبهم فى نواحيها .

وفى سنة تسع وثلاثين وستمائة قتل الرشيد كاتبه ابن المومياني لمداخلة له مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز بن يوسف ، ووقف الرشيد على كتبه بخطه غلط الرسول بها فدفعها بدار الخلافة فوقعت إلى الرشيد فقتله .

وفـاة الرشيد رحمه الله



مات الرشيد رحمه الله غريقا فى بعض صهاريج بستانه بحضرة مراكش ، وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة ، ويقال إنه أخرج من الماء حيا فحم لوقته ومات .

وذكر أبو عبد الله اكنسوس ان غرق الرشيد كان فى البركة الكبرى التى بدار البناء من أجدال اليوم ، قال : وكان يقال لها البحر الاصغر لأن ملوك بنى عبد المؤمن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيهـا الزوارق والفلك الصغـار بقصد النزهة والفرجة . والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة أبى الحسن السعيد على بن المأمون بن المنصور رحمه الله



لما هلك الرشيد بويع أخوه لابيه أبو الحسن على المدعو السعيد بتعيين أبى محمـد بن وانودين ، وتلقب بالمعتضد بالله واستوزر السيد أبا اسحق ابن السيد أبى ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ، ويحيى بن عطوش ، وتقبض على جملة من مشيخة الموحدين واستصفى أموالهم ، واصطنع لنفسه رؤساء العرب من جشم ، واستظهر بجموعهم على أمره ، وكان شيـخ سفيان كانون بن جرمون كبير مجلسه ، وكان ضرر بنى مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد أعضل ، فخرج السعيد سنة اثنتين وأربعين وستمائة لتمهيد بلاد المغرب . فانتهى الى سجلماسة ، وكان صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجى قد انتقض عليه فقتله واستولى عليها ثم رجع حتى نزل المقرمدة من أرض فاس .

وعقد المهادنة مع بنى مرين وقفل الى مراكش ، فكانت هدنة على دخن فلم يلبث إلّا يسيرا حتى عاود النهوض اليهم سنة ثلاثة وأربعين بعدها ، واستخلف السيد أبا زيد ابن السيد أبى ابراهيم أخا الوزير المذكور آنفا على مراكش ، واستعمل أخاهما السيد أبا

حفص وهو المرتضى على سلا ، وسار نحو بنى مرين ، فجمع له أميرهم أبو بكر بن عبد الحق جموع زناتة وصمد نحوه حتى اذا تراءى الجمعان وتهيأ القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى آزمور فاستولى عليها وغلب الموحدين عليها ، فرجع السعيد أدراجه فى اتباعه ، ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فاوقع به ، واستلحم كثيرا من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ، ولحق كانون ببنى مرين ، ورجع السعيد الى الحضرة .

ثم تقدم الامير أبو بكر بن عبد الحق المرينى الى مكناسة فضايقها ، وخطب طاعة أهلها ، فثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه .

وحذر شيوخها وكبراؤها من سطوته فحولوا الدعوة الى الامير أبى زكريا الحفصى صاحب افريقية ، وكان قد استبد على بنى عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيهم بمراكش ، فبايعه أهل مكناسة بمواطأة الامير أبى بكر بن عبد الحق . فانه كان يدعو اليه فى أول أمره ، وكذا أخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بأمره عند ما تم له ملك المغرب حسبما نقصه بعد ان شاء الله .

وفى هذه السنة بعث أهل اشبيلية وأهل سبتة بطاعتهم للأمير أبى زكريا الحفصى أيضا ، وبعث أبو علي بن خلاص صاحب سبتة إليه بهدية مع ابنه فى اسطول أنشأه لذلك فغرق عند اقلاعه من المرسى ، وقبل هذه المدة بيسير كان الامير أبو زكريا الحفصى قد تغلب على تلمسان وبايعه صاحبها يغمراسن بن زيان العبد الوادى ، وهو جد ملوك بنى زيان أصحاب تلمسان والمغرب الاوسط ، فعظم قدر أبى زكريا بسبب هذه البيعات التى انثالت عليه من سائر الجهات . وحدثته نفسه بالتوثب على كرسى الخلافة بمراكش ، وغص بنو عبد المؤمن بمكانه ، وعظم عليهم استبداده ثم طمعه فى كرسيهم وقرارة عزهم مع أنه ما كان إلّا جدولا من بحرهم وفرعا من دوحتهم ، والامر كله لله .

نهوض السعيد من مراكش إلى غزو الثوار بالمغربين

ومحاصرته يغمراسن بن زيان وما آل إليه الأمر من مقتله رحمه الله



لما بلغ السعيد وهو بمراكش استبداد الامير أبى زكريا بن أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى بافريقية ومبايعة أمراء الجهات لـه أعمل نظره فى الحركة إلى هؤلاء الثوار والنهوض لتدويخ هذه الاقطار .

وكان السعيد شهما حازما يقظا بعيد الهمة ، فنظر فى أعطاف دولته وفاوض الملأ من الموحدين فى تثقيف أطرافهـا وتقويم أودها ، وحرك هممهم ، وأثار حفائظهم ، وأراهم كيف اقتطع عنهم الامر شيئا فشيأ ، فابن أبى حفص اقتطع افريقية ، ويغمراسن ابن زيان اقتطع المغرب الاوسط ثم أقام فيه الدعوة الحفصية ، وابن هود اقتطع الاندلس وأقـام فيها دعوة بنى العباس ، وابن الاحمر بالجانب الآخر منها مقيم للدعوة الحفصية أيضا ، وهؤلاء بنو مرين قد تغلبوا على ضواحى المغرب ثم سموا إلى تملك أمصاره ، وإن سكتنا على هذا فيوشك أن يختل الامر ، وتنقرض الدولـة ، فتذامروا وتداعوا إلى النهوض إليهم ، فحشد السعيد الجنود ، وجهز العساكر وأزاح عللهم ، واستنفر عرب المغرب وما يليه ، واحتشد كافة المصامدة .

ونهض من مراكش آخر سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبنى مرين أولا ، ثم تلمسان ويغمراسن ثانيا ، ثم افريقية وابن أبى حفص ثالثا .

ولما نزل بوادى بهت أخذ فى عرض عساكره وتمييزها ، فخرج الامير أبو بكر ابن عبد الحق من مكناسة ليـلا وحده يتجسس الاخبار فأشرف على جموع السعيد فرأى مالا قبل له به ، فعاد إلى قومه وأفرج للسعيد عن البلاد ، وتلاحقت بـه بنو مرين من أماكنها التى كان الامير أبو بكر أنزلهم بها ، واجتمعوا عليه بحصن تازا ، وطـامن بلاد الريف .

وتقدم السعيد إلى مكناسة فخرج إليه أهلها يطلبون منه العفو ، وقدموا بين ايديهم الشيخ الصالح أبا على منصور بن حرزوز ، وتلقوه بالصبيان من المـكاتب على رؤوسهم

الالواح وبين ايديهم المصاحف ، وخرج النساء حاسرات يطلبن العفو فعفا عنهم .

ثم ارتحل الى تازا فى اتباع بنى مرين ، وانتقل أبو بكر بن عبد الحق الى بنى يزناسن ثم راجع نظره فى مسالمة الموحدين والدخول فى أمرهم ، فبعث ببيعته الى السعيد وهو يومئذ بتازا مع جماعة من وجوه بنى مرين فقبلها السعيد وعفا لهم عما سلف ، فسألته وفدهم ان يستكفى بالامير أبى بكر فى أمر تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان ، وقد كتب اليه الامير أبو بكر أيضا بذلك يقول : « يا أمير المؤمنين ارجع الى حضرتك وقوّنى بالجيش وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفتح لك تلمسان » ؛ فاستشار السعيد وزراءه فقالوا : « لاتفعل فان الزناتى أخو الزناتى لايخذله ولا يسلمه » ؛ فكتب اليه السعيد بأن يبعث اليه جماعة من قومه يعسكرون معه ، فأمده الامير أبو بكر بخمسمائة من قبائل بنى مرين ، وعقد عليهم لابن عمه أبى عياد بن أبى يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السعيد ونهض من تازا يريد تلمسان .

وعند ابن أبى زرع ان السعيد لما فرغ من أمر مكناسة عسكر بظاهر فاس ، وهناك أتته بيعة بنى مرين ، قال : ثم ارتحل السعيد عن فاس فى الرابع عشر من محرم سنة ست وأربعين وستمائة ، وخسف القمر تلك الليلة خسوفا كليا ، وأصبح السعيد غاديا يريد تلمسان ، فلما ركب فرسه انكسر لواؤه المنصورى فتطير ونزل ، ولم يرتحل إلّا فى اليوم السادس عشر من الشهر المذكور .

ولما سمع يغمراسن باقبال السعيد اليه خرج من تلمسان فى عشيرته وقومه من سائر بنى عبد الواد ، وتحملوا بأهليهم وأولادهم الى قلعة تامزردكت قبلة وجدة فاعتصموا بها ،

ووفد على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن مؤديا للطاعة وساعيا فى مذاهب الخدمة ومتوليا من حاجات الخليفة بتلمسان ما يدعوه اليه ويصرفه فى سبيله ، ومعتذرا تخلف يغمراسن عن الوصول الى حضرة السعيد ، فلج السعيد فى شأنه ولم يعذره ، وأبى الا مباشرة طاعته بنفسه ، وساعده فى ذلك كانون بن جرمون السفيانى صاحب الشورى بمجلسه ومن حضر من الملأ ، وردوا الفقيه عبدون الى يغمراسن ليستقدمه ، فتثاقل يغمراسن عن القدوم خشية على نفسه .

واعتمد السعيد الجبل فى عساكره حتى أناخ بها فى ساحة القلعة وأخذ بمخنقهم

ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع ركب مهجرا فى وقت القيلولة على حين غفلة من الناس ليتطوف بالقلعة ، ويتقرى مكامنها ، فبصر به فارس من بنى عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان كان أسفل الجبل بقصد الحراسة . واتفق ان يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر كانا قريبين منه ، فعرفوا السعيد فانقضوا عليه من بعض الشعاب أمثال العقبان ، وطعنه يوسف الشيطان فكبه عن فرسه ، وعمد يعقوب بن جابر الى وزيره يحيى بن عطوش فقتله ، ثم استلحموا لوقتهم مواليه ناصحا من العلوج ، وعنبرا من الخصيان ، وقائد جند النصارى ، وهو أخو القمط ، ووليدا يافعا من ولد السعيد ، ويقال : انما كان ذلك يوم عبى السعيد العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم أمام الناس ، فاقتطعه بعض الشعاب المتوعرة في طريقه ، فتواثب عليه هؤلاء الفرسان . وكان ما ذكرناه. وذلك منسلخ صفر سنة ست وأربعين وستمائة

وانتهى الخبر الى المحلة فارتجت وماجت ، وأخذ أهلها فى الفرار ، وبادر يغمراسن الى السعيد فنزل اليه وهو صريع على الارض ، فحياه وفداه ، وأقسم له على البراءة من دمه ! والسعيد رحمه الله واجم بمصرعه يجود بنفسه الى ان فاظ ، وانتهب المعسكر بجملته .

واستولى بنو عبد الواد على ما كان به من الاخبية الحسنة والفازات الرفيعة ، واختص يغمراسن بفسطاط السلطان ، فكان له خالصة دون قومه ، واستولى على الذخيرة التى كانت فيه منها مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، يزعمون انه أحد المصاحف التى انتسخت لعهد خلافته ، وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، ثم صار فى ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ، ثم صار الى خزائن الموحدين من يد لمتونة .

قال ابن خلدون : وهو لهذا العهد فى خزائن بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان ، وذلك عند غلب السلطان أبى الحسن المرينى على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة كما نذكره اه .

وقد تقدم لنا الخبر عن هذا المصحف العثمانى وفيه مخالفة لبعض ما هنا ، وسيأتى لنا

فى دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ما يخالف ذلك كله والله أعلم بحقيقة الامر .

ومن الذخائر التى صارت ليغمراسن من فسطاط السعيد العقد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخر والدرالنفيس المشتمل على مئين متعددة من حصبائه . وكان يسمى بالثعبان .

ثم صار الى بنى مرين أيضا الى ان تلف فى البحر عند غرق الاسطول بالسلطان أبى الحسن بمرسى بجاية مرجعه من تونس حسبما نذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه مما يستخلصه الملوك لانفسهم ويعتدونه من ذخائرهم .

ولما سكنت الفتنة وركد عاصف تلك الهيعة نظر يغمراسن فى شأن موارة الخليفة فجهزه ورفعه على أعواده ، فدفنه بالعُبّاد بمقبرة الشيخ أبى مدين رضى الله عنه . ثم نظر فى شأن حرمه وأخته تاعزونت الشهيرة الذكر بعد ان جاءها واعتذر اليها مما وقع ، وأصحبهن جملة من مشيخة بنى عبد الواد الى مأمنهن ، فالحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان ليغمراسن بذلك حديث جميل فى الابقاء على الحرم ورعى حقوق الملك . وأما أهل محلة السعيد فانهم بعد نهوضهم تداعوا واجتمعوا الى عبد الله بن السعيد ، وقفلوا قاصدين مراكش .

واتصل الخبر بالامير أبى بكر بن عبد الحق وهو يومئذ ببنى يزناسن ، وقدمت عليه الحصة التى كان وجهها مع السعيد ، فتحقق الخبر ، وانتهز الفرصة فى الموحدين فاعترض عسكرهم بجهات تازا ، فقتل عبد الله بن السعيد واستلبهم واستولى على ما بقى من أثاثهم ، ثم جد السير الى مكناسة فدخلها وملكها ، ولحق فل الموحدين بمراكش ، فبايعوا عمر المرتضى كما نذكره ان شاء الله .

الخبر عن دولة أبى حفص عمر المرتضى ابن السيد أبى ابراهيم ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله



لما توفى أبو الحسن السعيد كان عمر المرتضى واليا من قبله بقصبة رباط الفتح من سلا كما قدمنا ، فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا له البيعة وبعثوا بها اليه ، ونهض هو متوجها الى مراكش فلقيه وفدهم أثناء طريقه بتامسنا ، واجتمع عليه أشياخ العرب فبايعوه أيضا ، واستقام أمره وتلقب بالمرتضى ، وعقد ليعقوب بن كانون على بنى جابر ، ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان كان قومه قدموه عليهم ، ودخل الحضرة واستوزر أبا محمد بن يونس من قرابته ، وقبض على حاشية السعيد . ثم وصل أخوه السيد أبو اسحق الذى كان وزيرا للسعيد من قبل ناجيا من وقعة تامزردكت آخذا على طريق سجلماسة فاستوزره أيضا وأسند اليه أمره .

واستولى أبو بكر بن عبد الحق أمير بنى مرين بعد مهلك السعيد على رباط تازا ومكناسة ، ثم استولى سنة سبع وأربعين وستمائة على فاس وأعمالها ، فاقتطع عن المرتضى بلاد الغرب كلها ، ولم يبق له إلّا بلاد الحوز من سلا الى السوس .

ولاول دولة المرتضى كان استيلاء العدو على اشبيلية احدى قواعد الاندلس ، فان طاغية قشتالة وهو الاصبنيول خذله الله حاصرها سنة خمس وأربعين وستمائة . وفى يوم الاثنين الخامس من شعبان من السنة بعدها ملكها صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر ، وانتقل كرسى المملكة الاسلامية بالاندلس الى غرناطة وذلك فى دولة بنى الاحمر .

وفى سنة تسع وأربعين وستمائة ملك الامير أبو بكر المرينى سلا ورباط الفتح ، ووفد على المرتضى بمراكش موسى بن زيان الونكاسى وأخوه على بن زيان من قبيل بنى مرين ، وأغروه بقتال بنى عبد الحق فاسعفهم . ولما انتهى الى أمان ايملولين أشاع يعقوب بن جرمون السفيانى قضية الصلح بينهما ، وأصبح راحلا وقد استولى الجزع على قلوب الجيش ، فانفضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ، ووصل المرتضى الى

الحضرة وأغضى ليعقوب عما صدر منه .

وفى سنة خمسين وستمائة استرجع المرتضى سلا ورباط الفتح من يد بنى مرين .

وفى سنة احدى وخمسين بعدها فر من حاشية المرتضى علي بن يدر من بنى باداسن ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها ثم حاصر تارودانت قاعدة بلاد السوس فاستولى عليها ، واستخدم الشبانات وذوى حسان من عرب معقل ، وأطاعته قبائل جزولة واستفحل أمره ، واستولى على بسائط السوس ، فوجه اليه المرتضى عدة جيوش فهزم البعض وقتل البعض ، ثم جاء أبو دبوس من بعد المرتضى فنهض اليه ، وحاصره ببعض حصونه قرب تارودانت .

ولما اشتد عليه الحصار رغب فى الاقالة ومعاودة الطاعة فقبل ذلك منه أبو دبوس وأقلع عن حصاره وعاد الى الحضرة . ولما استولى بنو مرين على مراكش سنة ثمان وستين وستمائة استبد علي بنى يدر هذا عليهم وتملك قطر السوس ، واستولى على تارودانت وسائر قراه ومعاقله ، وأرهف حده للعرب وسامهم الهضيمة ، فزحفوا إليه وقتلوه فى السنة المذكورة . ثم توارث قطر السوس من بعده جماعة من عشيرته ، واستمر ملكهم عليه إلى زمان السلطان ابى الحسن المرينى فغلبهم عليه وانقرض امرهم .

رجع إلى أخبار عمر المرتضى

وفى سنة اثنتين وخمسين وستمائة خرج ابو الحسن بن يعلو قائد المرتضى فى جيش من الموحدين إلى تامسنا ليكشف احوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون السفيانى وعهد إليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بنى جابر فتقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطير بهما إلى الحضرة معتقلين .

وفى سنة ثلاث وخمسين بعدها خرج المرتضى من مراكش لاسترجاع فاس وأعمالها من يد بنى مرين المتغلبين عليها ، واحتفل فى الاحتشاد ، وبالغ فى الاستعداد . فكان جيشه ثمانين ألف فارس من الموحدين والعرب والاغزاز وأهل الاندلس والفرنج ،

فسار حتى نزل جبل بنى بهلول قبلة فاس . وكانت هيبة بنى مرين وناموسهم قد تمكن من قلوب جيش المرتضى ، فكانوا منذ قربوا من أحواز فاس لا ينامون إلّا غرارا ، فانطلق ذات ليلة فرس لبعض الجنديين وجرى بين الاخبية . وجرى الناس خلفه ليأخذوه ، فظن أهل المحلة ان بنى مرين قد أغاروا عليهم ، فركبوا خيولهم ، وماج بعضهم فى بعض ، وانقلبوا منهزمين لا يلوون على شىء .

واتصل الخبر بأبى بكر بن عبد الحق وهو بفاس فخرج للوقت واحتوى على جميع ما فى محلة الموحدين من الاخبية والاثاث والسلاح والمال ، ومر المرتضى على وجهه فدخل مراكش فى جمع قليل من الاشياخ والفرنج واقام بها واعرض عن بنى مرين وتسلى عنهم سائر ايامه وازدادت شوكة الموحدين ضعفا .

واستبد أبو القاسم العزفى بسبتة واستتب أمره بها ، وتوارث الرياسة بها عشيرته من بعده زمانا الى ان غلبهم عليها بنو مرين .

وفى سنة خمس وخمسين وستمائة استولى أبو بكر بن عبد الحق على سجلماسة ، وتقبض على واليها عبد الحق بن اصكو بمداخلة خديم له يعرف بمحمد القطرانى ، وشرط على الامير أبى بكر ان يكون هو الوالى عليها ، فأمضى له شرطه ، وأنزل معه بها جماعة من رجالات بنى مرين حتى اذا هلك أبو بكر بن عبد الحق أخرجهم محمد القطرانى واستبد بأمر سجلماسة وراجع دعوة المرتضى ، واعتذر اليه ، واشترط عليه الاستبداد فامضى له شرطه الا فى أحكام الشريعة ، وبعث أبا عمر بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادة للنظر فى القضية ، وقائدا من النصارى بعسكر للحماية ، فاعمل القاضى ابن حجاج الحيلة فى قتل القطرانى ، وتولى الفتك به قائد النصارى ، واستبد السيد بامر سجلماسة بدعوة المرتضى .

واستفحل أمر بنى مرين أثناء ذلك . ونزل الامير يعقوب بن عبد الحق بسائط تامسنا ، فسرح اليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن عبد الله بن وانّودين ، فأجفلوا الى وادى أم الربيع ، واتبعهم الموحدون وألحوا عليهم فعطف عليهم بنو مرين واقتتلوا ببطن الوادى فانهزمت عساكر الموحدين ، وغدر بهم بنو جابر ، وكان فى مسيل الوادى كدى يحسر عنها الماء فتبدو كأنها أرجل ، فسميت الواقعة من أجل ذلك بأم

الرِّجْلين وذلك فى سنة ستين وستمائة . وبقى المرتضى يعالج أمر على بن يدر الثائر بالسوس الى سنة اثنتين وستين وستمائة . فأقبل الامير يعقوب بن عبد الحق فى جموع بنى مرين حتى نزل على مراكش ، واتصلت الحرب بينه وبين الموحدين بظاهرها أياما ، هلك فيها عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق . فبعث المرتضى الى أبيه يعقوب بالتعزية ولاطفه ، وضرب اتاوة يبعث بها اليه فى كل سنة ، فرضى يعقوب وارتحل عنها ، وقيل ان مقتل عبد الله بن يعقوب كان سنة ستين قبل وقعة أم الرجلين والله تعالى أعلم.

انتقاض أبى دبوس على المرتضى واستيلاؤه على مراكش

ومقتل المرتضى عقب ذلك

لما ارتحل بنو مرين عن مراكش بعد مهلك عبد الله بن يعقوب فر من الحضرة قائد حروب المرتضى وابن عمه وهو السيد أبو العلاء ادريس الملقب بأبى دبوس ابن السيد أبى عبد الله محمد ابن السيد أبى حفص عمر بن عبد المؤمن ، لسعاية تمكنت فيه عند المرتضى ، وانه يطلب الامر لنفسه ، فأحس أبو دبوس بالشر ولحق بيعقوب بن عبد الحق فأدركه عند مقدمه إلى فاس قافلا من منازلة مراكش ، فأقبل عليه الامير يعقوب وبالغ فى إكرامه ، فطلب منه أبو دبوس الاعانة على حرب المرتضى ، وكان بطلا محربا وضمن له فتح مراكش واشترط له المقاسمة فيما يغلب عليه من السلطان وما يستفيده من الذخيرة والمال . فأمده الامير يعقوب بخمسة آلاف من بنى مرين ، وبالكفاية من المال ، وبالمستجاد من آلة الحرب من طبول وبنود ونحو ذلك ، وكتب له مع ذلك إلى عرب جشم - وأميرهم يومئذ علي بن أبى علي الخلطى - أن يكونوا معه يدا واحدة ، فسار أبو دبوس حتى وصل إلى سلا فكتب منها إلى العرب وأشياخ الموحدين والمصامدة الذين فى طاعة المرتضى يدعوهم إلى بيعته ، ويعدهم ويمنيهم ، فتلقته وفود العرب والهساكرة وصنهاجة آزمور ببعض الطريق فبايعوه ، وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة . ثم كتب إلى خاصته من وزراء المرتضى أن يعلموه بحال البلد والدولة

فراجعوه ان أسرع السير وأقبل ولا تخش شيأ ، فإنا قد فرقنا الجند فى أطراف البلاد وهذا وقت انتهاز الفرصة . فزحف أبو دبوس إلى مراكش حتى إذا انتهى إلى اغمات وجد بها الوزير أبا زيد بن يكْيت فى جيش من حاميتها ، فناجزه الحرب فانهزم ابن يكْيت وقتل عامة أصحابه .

وسار أبو دبوس يؤم مراكش ومعه عرب سفيان وبنى جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفيانى ، فلما دنوا من مراكش أغار علوش على باب الشريعة منها والناس فى صلاة الجمعة حتى ركز رمحه بمصراع الباب . ودخلت سنة خمس وستين وستمائة والمرتضى بمراكش غافل عن شأن أبى دَبّوس ، والاسوار خالية من الحامية والحراس . فقصد أبو دبوس باب اغمات وتسور البلد من هنا لك ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، وصمد إلى القصبة فاقتحمها من باب الطبول واستولى عليها .

وقال ابن أبى زرع : إن دخول أبى دبوس مراكش كان من باب الصالحة وذلك ضحى يوم السبت الثانى والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة ، والصالحة التى أضيف إليها هذا الباب هى بستان كبير من جملة بساتين أجدال دار الخلافة بمراكش ولا زال هذا البستان مشهورا بهذا الاسم إلى الآن ، وهو من إنشاء عبد المؤمن بن علي رحمه الله . فقد ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عَذارِى الاندلسى فى كتاب البيان المعرب عن أخبار المغرب : ان بستان المسرة الذى بظاهر جنان الصالحة أنشأه عبد المؤمن بن علي كبير الموحدين . قال : وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها فيه كل فاكهة تشتهى ، وجلب إليه الماء من أغمات واستنبط له عيونا كثيرة .

قال ابن اليسع : وما خرجت أنا من مراكش فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلّا وهذا البستان الذى غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفاكهة بمراكش . اه

قلت : ولشهرة هذا البستان وموقعه من الناس لهجت به صبيانهم وسجعوا به فيقولون : « ياجرادة مالحة ، أين بت سارحة ، فى جنان الصالحة » فى أسجاع غير هذه تجرى على ألسنة الصبيان . والله أعلم .

رجع إلى خبر أبي دبوس

قال ابن أبي زرع : لما اقتحم أبو دبوس مراكش سار حتى وقف بباب البنود من القصبة فغلقت الابواب دونه ، وقام عبيد المخزن عليها يقاتلونه .

ولما رأى المرتضى أن أبا دبوس قد التحف معه كساء دار الملك خرج من القصر ناجيا بنفسه من باب الفاتحة ومعه الوزير أبو زيد بن يعلو الكومي ، وأبو موسى ابن عزوز الهنتاتي ، فلحق بهنتاتة ، ثم انتقل منها إلى كدميوة ، ثم إلى شفشاوة ، ثم لحق آخرا بآزمور ونزل على صهر له من بني عطوش كان واليا عليها من قبله . وكان ابن عطوش هذا قد أسره العدو فافتكه المرتضى بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه آزمور . فلما وقعت عليه الكائنة بمراكش ذهب إليه مستجيرا به ومطمئنا إليه فكان من جزائه له أن قبض عليه وقيده ، وكتب إلى أبي دبوس يعلمه بشأنه ، فكتب أبو دبوس إليه يستكشفه في شأن الذخيرة فأنكر المرتضى أن يكون قد اذخر شيئا وحلف على ذلك ومت إليه بالرحم حتى كاد أبو دبوس يعطف عليه ، ثم أغراه خاصته به فوجه إليه من قتله في الطريق وأتى إليه برأسه ، وصار ابن عطوش بفعلته هذه أظلم من الخيفقان .

وكان مقتل المرتضى في العشر الاواخر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة . وكان رحمه الله ينتمي إلى التصوف والزهد والورع ، وتسمى بثالث العمرين ، وكان مولعا بالسماع لا يكاد يخلو منه ليلا ولا نهارا ، وكان في أيامه رخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثله .

وقال ابن الخطيب : كان المرتضى فاضلا خيرا عفيفا ، مغمد السيف ، مائلا إلى الهدنة رحمه الله .

الخبر عن دولة أبي العلاء إدريس الواثق بالله المعروف بأبي دبوس



لما اقتحم أبو دبوس حضرة الخلافة على المرتضى وفر المرتضى عنها ملكها أبو دبوس واستتب أمره بها وبايعه كافة الموحدين وأهل العقد والحل من الوزراء والفقهاء والاشياخ، وكان ذلك بجامع المنصور يوم الاحد الثالث والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة، واستقل أبو دبوس بمملكة مراكش وأعمالها، وتلقب بالواثق بالله، والمعتمد على الله، وبذل العطاء، ونظر فى الولايات، ورفع المكوس عن الرعية.

ولما اتصل بالامير يعقوب بن عبد الحق ما كان من أبى دبوس واستيلائه على المملكة كتب اليه يهنئه بالفتح، ويطلب منه ان يمكنه من الشرط الذى شرط له، فلما وصل إليه الكتاب أدركته النخوة، وغلب عليه الكبر، وقال للرسول: قل ليعقوب بن عبد الحق يغتنم سلامته، ويبعث الى ببيعته حتى أقره على ما بيده، والا غزوته بجنود لا قبل له بها، فعاد الرسول الى الامير يعقوب، وأبلغه الخبر، ودفع اليه كتاب أبى دبوس فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلفاء لعمالهم، والرؤساء لخدمهم، فتحقق الامير يعقوب نكثه وغدره، فنهض اليه فى جموع بنى مرين وعساكر المغرب.

فلما أشرف على مراكش خام أبو دبوس عن اللقاء وتحصن بداره، ولجأ الى أسواره، فتقدم الامير يعقوب حتى نزل على مراكش وحاصرها أياما، وعاث في نواحيها، وانتسف ما حولها.

ولما رأى أبو دبوس ما نزل به منه كتب الى قريبه يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان، يطلب منه ان يشغل عنه الامير يعقوب بما وراءه من أعمال فاس والمغرب، وأسنى له الهدية فى ذلك، وأكد العهد فى الموالاة والمناصرة، فاجابه يغمراسن الى ذلك، ونهض من حينه فشن الغارات على ثغور المغرب، وأضرم نار الفتنة بها.

واتصل ذلك بالامير يعقوب وهو محاصر لمراكش، فرجع عوده على بدئه، وسار الى يغمراسن فناجزه الحرب، وانتصف منه على ما ينبغى وحسم مادة فساده.

ثم كر راجعا الى مراكش فى شعبان سنة ست وستين وستمائة، ولما عبر وادى

أم الربيع شن الغارات على النواحى ، وبث السرايا فى الجهات ، وطال عيثه فى البلاد ، وأبدأ فى ذلك وأعاد ، حتى ضاقت صدور بنى عبد المؤمن بمراكش وتكدر عيشهم ، فحرضهم أولياؤهم من عرب جشم ، وأغروهم باستنهاض أبى دبوس لمدافعة عدوه ، ووعدوهم النصرة من أنفسهم ، فتحرك أبو دبوس لذلك ، واشرأبت نفسه الى القتال ، فحشد وأبلغ ، وبرز من الحضرة فى جيوش ضخمة وجموع وافرة .

ولما علم الامير يعقوب بخروجه ودنوه منه أظهر من نفسه العجز عن لقائه ، وكر راجعا الى جهة بلاده ، يستجره بذلك ليبعد عن الحضرة ومددها . وتمادى أبو دبوس فى اتباعه حتى انتهى الى وادى ودغفو ، فكر عليه الامير يعقوب والتحم القتال ، وقامت الحرب على ساق ، فلم تمض الاساعة حتى انهزم الموحدون ، وأطلق أبو دبوس عنانه للفرار يريد مراكش ، فأدركته خيل بنى مرين ، وتناولته رماحهم ، وخر صريعا لليدين وللفم ، واحتز رأسه وجىء به الى الامير يعقوب فسجد شكرا لله تعالى . ثم بعث به الى فاس ، وتقدم هو الى مراكش فاستولى عليها فى أوائل محرم سنة ثمان وستين وستمائة ، وفر الموحدون الذين كانوا بمراكش الى جبل تينملل ، فبايعوا اسحق ابن أبى ابراهيم أخا المرتضى ، فبقى ذبالة هنالك الى سنة أربع وسبعين وستمائة فقبض عليه ، وجىء به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق هو وابن عمه السيد أبو سعيد بن أبى الربيع ووزيره القبائلى وأولاده فقتلوا جميعا ، وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن من الارض ، وذهبت محاسن مراكش يومئذ بذهاب دولتهم ، والبقاء لله وحده لارب غيره ولا معبود سواه .

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث :

ففى سنة احدى وستمائة توفى الشيخ أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجى المعروف بالسبتى دفين مراكش ، وذلك يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ودفن خارج باب تاغزوت ، وكان شيخه أبو عبد الله الفخار من أصحاب القاضى أبى الفضل عياض .

وكان الشيخ أبو العباس رضى الله عنه جميل الصورة أبيض اللون ، حسن الثياب ، فصيح اللسان ، قادرا على الكلام ، لا يناظره أحد إلّا أفحمه . حتى كأن مواقع الحجج

من الكتاب والسنة موضوعة على طرف لسانه ، وكان مع ذلك حليما صبورا عطوفا ، يحسن الى من يؤذيه ، ويحلم عمن يسفه عليه برا باليتامى والمساكين ، رحيما بهم ، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الاسواق والطرقات ، ويحض الناس على الصدقة ، ويأتى بما جاء فى فضلها من الآيات والآثار فتنثال عليه من كل جانب ، فيفرقها على المساكين وينصرف ، وكان له مع الله تعالى فى التوكل عليه عقد أكيد ، ومقام حميد ، قد ظهر أثره على روضته المباركة بعد وفاته .

حدث أبو القاسم عبد الرحمن بن ابراهيم الخزرجى قال : بعثنى أبو الوليد بن رشد من قرطبه ، وقال لى : اذا رأيت أبا العباس السبتى بمراكش . فانظر مذهبه واعلمنى به ، قال : فجلست مع السبتى كثيرا الى ان حصلت مذهبه ، فاعلمته بذلك ، فقال لى أبو الوليد هذا رجل مذهبه ان الوجود ينفعل بالجود .

وقال الوزير ابن الخطيب كان سيدى أبو العباس السبتى رضى الله عنه مقصودا فى حياته ، مستغاثا به فى الازمات ، وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ، ومبنى أمره على انفعال العالم عن الجود ، وكونه حكمة في تأثر الوجود ، له فى ذلك أخبار ذائعة ، وأمثال باهرة .

ولما توفى ظهر هذا الاثر على تربته ، وانسحبت على مكانه عادة حياته ، ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى ، وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة الى بعثها له من اماكنهم على بعد المدى ، وانقطاع الاماكن القصى ، تحملهم اجنحة نياتهم ، فتهوى اليه بمقاصدهم من كل فج عميق ، فيجدون الثمرة المعروفة ، والكرامة المشهورة .

وفى سنة عشر وستمائة كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس .

وفى سنة ست عشرة وستمائة توفى الشيخ الفقيه الصالح ابو اسحق ابراهيم بن محمد السلمى البلفيقى ، ينتهى نسبه الى العباس بن مرداس السلمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان ابو اسحق رحمه الله من كبار العلماء العاملين ، والزهاد المحققين ، مثابرا على الاجتهاد والانقطاع إلى الله تعالى ، وظهرت عليه ببلده المرية من عدوة الاندلس كرامات واجتمع عليه خلق كثير ، وشاع ذكره هنالك ، فوشوا به الى الخليفة صاحب مراكش ، وهو يوسف المنتصر الموحدى ، فكتب الى عامله على

المرية يأمره بتوجيه الشيخ ابى اسحق مكرما غير مروع .

ولما عزم العامل على توجيهه قام العامة والاتباع دون الشيخ وأرادوا ان يحولوا بينه وبين العامل ، فقال لهم الشيخ : « طاعة السلطان واجبة » ولما انتهى إلى مراكش ودخل على المنتصر هابه واجله وندم على ما كان منه إليه ، ثم بالغ فى إكرامه ، وبعد ذلك مرض الشيخ ابو إسحق وتوفى فى السنة المذكورة واحتفل الناس لجنازته وحضرها الامراء والكبراء ، وكسر العامة نعشه واقتسموا اعواده تبركا به ، وقبره مشهور بمراكش بسوق الدقيق منها ، وبقرب ضريحه مسجد جامع ينسب إليه والعامة تقول جامع سيدى اسحق بدون لفظ الكنية وليس كذلك .

وفى سنة سبع عشرة وستمائة كان الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب وفيها ألف الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى المراكشى الدار عرف بابن الزيات كتابه المسمى بالتشوف الى رجال التصوف ، وذكر فيه انه لم يتعرض لذكر أحد من أولياء زمانه الأحياء غير انه ذكر ان من جملة أولياء زمانه الذين كانوا فى قيد الحياة الشيخ الصالح الصوفى أبا محمد صالح بن ينضارن بن عفيان الدكالى ثم الماجرى نزيل رباط أسفى . قال : وهو الآن لا يفتر من الجهاد ، والمحافظة على المواصلة والاوراد ، ومن كلامه الفقير ليس له نهاية إلّا الموت ، قال : وحدثنى عنه تلامذته بعجائب من الكرامات والكلام على الخواطر ، وهو على سنن المشائخ الاول رضى الله عنه .

وفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة توفى الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، وقيل فيما بعد ذلك الى سنة خمس وعشرين ، وتوفى رضى الله عنه شهيدا بجبل العلم من جبال غمارة وقبره هنالك مشهور من أعظم مزارات المغرب .

وكان سبب شهادته ان محمدا بن أبى الطواجين الكتامى كان قد ثار بتلك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ، ثم ادعى النبوة حسبما سلف وتبعه على ضلالته طغام غمارة والبربر ، فكان عدو الله يغص بمكان الشيخ رضى الله عنه ، لما آتاه الله من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم ، فسول له الشيطان انه لا يتم أمر مخرقته فى تلك الناحية إلّا بقتل الشيخ فدس له جماعة من أتباعه وأشياعه فرصدوا الشيخ حتى نزل من خلوته فى سحر من الاسحار الى عين هنالك قرب الجبل المذكور

فتوضأ منها وولى راجعا الى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه ، ومن الشائع انه ألقى عليهم ضباب كثيف أضلهم عن الطريق ودفعوا الى شواهق تردوا منهـا فى مهاوى سحيقة تمزقت فيها أشلاؤهم ولم يرجع منهم مخبر .

والشيخ عبد السلام هذا هو ابن مشيش بن أبى بكـر بن على بن حرمة بن عيسى بن سلام بتشديد اللام بن مزوار بفتح الميم وبالراء المهملة أخيرا ابن حيدرة واسمه على بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

وفى هذه السنة أيضا استأسد العدو الكافر على المسلمين بالاندلس وتوالت له عليهم الهزائم بمواضع متعددة واستولى على كثير من الحصون واستلحم منهم عدة ألوف حتى خلت المساجد والاسواق .

وفى سنة أربـع وعشرين وستمائة اشتد الغلاء بالمغرب والاندلس حتى بيع القفيز من القمح بخمسة عشر دينارا ، وعم الجراد بلاد المغرب .

وفى سنة ست وعشرين وستمائة كان السيل العظيم بفاس هـدم من سورها القبلى نحو مسافتين وهدم من جامع الاندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا كثيرة وفنادق متعددة من عدوة الاندلس .

وفى سنة ثلاثين وستمائة كان الغلاء ببلاد المغرب وكثر بها الجوع والوباء حتى بلـغ القفيز من القمح ثمانين دينارا وخلت الامصار من أهلها .

وفى سنة خمس وثلاثـين وستمائة عاود الغـلاء والوباء أرض المغرب فأكل الناس بعضهم بعضا وكان يـدفن فى الحفير الواحد المائة من الناس .

وفى سنة ست وأربعين وستمائة وقـع الحريق بأسواق فاس فاحترقت حارة باب السلسلة باسرها الى حمام الرحبة وبالله تعالى العصمة والتوفيق .

تم الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث أوله ابتداء دولة بنى مرين

فهرس الموضوعات

— الدولـــة المرابطية —

	صحيفة
الخبر عن الدولة الصنهاجية اللمتونية المرابطية واوليتها	٣
الخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكُدالى وما كان من أمره مع الشيخ ابى عمران الفاسى رحمهما الله	٥
الخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصحراء وابتداء أمره بها	٧
شروع عبد الله بن ياسين فى الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره فى ذلك	٨
الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتونى	١٠
الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر سجلماسة والسبب فى ذلك	١١
الخبر عن رياسة ابى بكر بن عمر اللمتونى وفتح بلاد السوس	١٢
فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة وفتح بلادهم	
وذكر نسبهم	١٣
الكلام على برغواطة	١٤
وفاة عبد الله بن ياسين	١٧
غزو ابى بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحه اياها	١٨
عود ابى بكر بن عمر الى بلاد الصحراء والسبب فى ذلك	١٩
الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى	٢١
وفاة زينب النفزاوية	٢٢
بناء مدينة مراكش	٢٢
فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب	٢٥

فتح سبتة وطنجة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس	٢٨
الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من ارض الاندلس	٣٠
فتح سبتة	٣١
بقية اخبار أمير المسلمين فى الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد	٤٦
بقية اخبار أمير المسلمين سوى ما تقدم	٥٢
الخبر عن دولة أمير المسلمين ابى الحسن على بن يوسف بن تاشفين	٥٥
خروج يحيى بن ابى بكر بن يوسف على عمه امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين	٥٥
اخبار الولاة بالمغرب والاندلس	٥٧
اخبار امير المسلمين علي بن يوسف فى الجهاد وجوازه الاول الى بلاد الاندلس	٥٩
استيلاء العدو على سرقسطة	٦٠
ولاية الامير تاشفين بن علي على بلاد الاندلس واخباره فى الجهاد	٦١
الخبر عن دولة ابى المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونى	٦٣
الاحداث فى ايام اللمتونيين	٦٦
وفاة ابى الفضل بن النحوى	٦٦
وفاة ابى العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله المعروف بابن العريف	٦٨
وفاة ابى الحكم عبد السلام بن برجان اللخمى	٦٨
وفاة ابى ينور المشترائى دفين دكالة	٦٩

— الدولـــة الموحدية —

الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمـد بن تومرت المعروف بالمهدى	٧١
بقية أخبار المهدى وبعض سيرته الى وفاته	٨٥
اول من احدث «اصبـح ولله الحمد» فى اذان الصبح	٨٦
وفاة المهدى رحمه الله	٨٧
اصل كتاب الجفر	٨٨
الخبر عن دولة ابى محمد عبد المؤمن بن علي الكومى واوليتها	٨٩
بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها	٩١
غزوة عبد المؤمن الطويلة التى استولى فيها على المغربين	٩٣
فتح مدينة فاس	٩٦
فتح مراكش واستئصال بقية اللمتونيين	٩٧
قصر بنى العشرة بسلا	٩٧
حدوث لقب «أمير المؤمنين» بالمغرب	٩٩
ثورة محمد بن هود السلاوى المعروف بالماسى	٩٩
انتقاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القـاضى عياض رحمه الله معهم	١٠٢
اخبار الاندلس وفتوحها	١٠٤
وفاة الامام ابى بكر بن العربى المعافرى	١٠٥
قدوم عبد المؤمن الى سلا ووفادة أهل الاندلس عليه بها	١٠٦
غزو افريقية وفتح مدينة بجاية	١٠٧
فتح المرية وبياسة وأبدة	١٠٩
قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية اولاده على النواحى بها	١٠٩
ايقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى اخوى المهـدى والسبب فى ذلك	١١٠

ايقاع يحيى بن يغمور باهل لبلة و اسرافه فى ذلك	١١١
امر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة	١١٢
نقل المصحف العثمانى من قرطبة الى مراكش وبناء جامع الكتبيين بها	١١٢
نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها	١١٦
غزو افريقية ثانيا وفتح المهدية وغيرها من الثغور	١٢٠
توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب	١٢٤
بناء عبد المؤمن جبل طارق	١٢٥
بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء	١٢٥
عبور عبد المؤمن الى جبل طارق والسبب فى ذلك	١٢٦
قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب فى ذلك	١٢٧
استعداد عبد المؤمن للجهاد و انشاؤه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته رحمه الله	١٢٨
بقية اخبار عبد المؤمن وسيرته	١٣٠
الخبر عن دولة يوسف بن عبد المؤمن بن علي	١٣١
ثورة سبع بن منغفاد بجبل غمارة	١٣٢
بناء قنطرة تانسيفت	١٣٣
الجواز الاول لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس بقصد الجهاد	١٣٤
غزو أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة والسبب فى ذلك	١٣٦
الجواز الثانى لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس برسم الجهاد وما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله	١٣٧
بقية اخبار امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته	١٤٠
الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي	١٤٢

خروج علي بن اسحق المسوفى المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور	١٤٢
غلق ابواب المدن يوم الجمعة	١٤٣
الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم الى ارض افريقية ثم منها الى المغرب الاقصى والسبب فى ذلك	١٤٥
قصة جازية بنت سرحان	١٤٩
دخول عرب هلال وجشم المغرب الاقصى	١٥١
معنى الغرب والحور فى عرف أهل المغرب	١٥١
الخبر عن بنى معقل عرب الصحراء من ارض المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم وبطونهم	١٥٩
الجواز الاول ليعقوب المنصور رحمه الله الى الاندلس بقصد الجهاد	١٦٢
مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب مصر ليعقوب المنصور رحمهما الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد	١٦٢
اختصاص أهل المغرب بالاساطيل الجهادية دون غيرهم	١٦٣
عود المنصور الى افريقية والسبب فى ذلك	١٦٤
الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الاندلس	١٦٥
ابن رشد الحفيد	١٧٢
ذكر ما شيده المنصور رحمه الله من الآثار بالمغرب والاندلس	١٧٣
بقية اخبار المنصور وسيرته	١٧٧
أمر المنصور بقراءة البسملة فى أول الفاتحة	١٧٧
حكاية عجيبة	١٨٠
وفاة المنصور رحمه الله	١٨١
حمة ابى يعقوب	١٨٢
وفاة القاضى عياض رحمه الله	١٨٤
وفاة الشيخ ابى الحسن بن حرزهم رحمه الله	١٨٤

وفاة الشيخ أبى شعيب دفين آزمور	١٨٤
وفاة ابن قرقول	١٨٦
وفاة المتبصر	١٨٧
وفاة الشيخ ابى يعزى	١٨٧
وفاة الشيخ أبى الحسن ابن غالب دفين القصر	١٨٧
وفاة الشيخ التاودى المعلم	١٨٨
وفاة الامام السهيلي	١٨٨
وفاة الشيخ الغماد دفين سلا	١٨٨
وفاة الشيخ يوسف بن علي دفين مراكش	١٨٩
وفاة الشيخ ابى مدين	١٨٩
وفاة الشيخ المهدوى صاحب كتاب الهداية	١٩٠
الخبر عن دولة امير المؤمنين ابى عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله	١٩١
غزو الناصر بلاد افريقية وولاية الشيخ ابى محمد بن ابى حفص عليها والسبب فى ذلك	١٩١
فتح جزيرة ميورقة	١٩٤
ثورة ابن الفرس وما كان من امره	١٩٥
غزوة العقاب التى محص الله فيها المسلمين	١٩٦
وفاة الناصر رحمه الله	٢٠٠
الخبر عن دولة امير المؤمنين يوسف المنتصر بالله الناصر بن المنصور رحمه الله	٢٠٢
الخبر عن دولة امير المؤمنين عبد الواحد المخلوع ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله	٢٠٤
الخبر عن دولة ابى محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله	٢٠٦

الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومزاحمة يحيى بن الناصر له	٢٠٨
ثورة محمد بن ابى الطواجين الكتامى بجبال غمارة	٢٠٩
اخبار الثوار بالاندلس وما آل اليه امر الموحدين بها	٢١٠
قدوم ابى العلاء بن المنصور من الاندلس الى مراكش وما اتفق له في ذلك	٢١١
الخبر عن عن دولة ابى محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور رحمه الله	٢١٦
فتنة الخلط مع الرشيد واستيلاؤهم على حضرة مراكش	٢١٧
هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم اياها	٢١٨
عود الرشيد الى مراكش وفرار يحيى عنها الى بنى معقل ومقتله بهم	٢١٨
استيلاء العدو على قرطبة	٢٢٠
وفاة الرشيد رحمه الله	٢٢١
الخبر عن دولة ابى الحسن السعيد علي بن المأمون بن المنصور رحمه الله	٢٢١
نهوض السعيد من مراكش الى غزو الثوار بالمغربين ومحاصرته يغمراسن بن زيان وما آل اليه الامر من مقتله رحمه الله	٢٢٣
الخبر عن دولة ابى حفص المرتضى بن السيد ابى ابراهيم بن يوسف ابن عبد المؤمن رحمه الله	٢٢٧
استيلاء العدو على اشبيلية	٢٢٧
رجع الى اخبار عمر المرتضى	٢٢٨
انتقاض ابى دبوس على المرتضى واستيلاؤه على مراكش ومقتل المرتضي عقب ذلك	٢٣٠
رجع الى اخبار ابى دبوس	٢٣٢
الخبر عن دولة ابى العلاء ادريس الواثق بالله المعروف بابى دبوس	٢٣٣
وفاة الشيخ ابى العباس السبتى دفين مراكش رحمه الله	٢٣٤
وفاة الشيخ ابى اسحق البلفيقى رحمه الله	٢٣٥
الشيخ ابو صالح دفين أسفى	٢٣٦
وفاة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه	٢٣٦

فهرس الاعلام والقبائل

حرف (أ)

آدم عليه السلام ١١٨
آل البيت العبيديون ١٩٥
آل زيان ٢٢٥
ابراهيم بن اسحق اللمتونى ٤٩
ابراهيم بن اسمعيل بن أبى حفص ٢٠٧
ابراهيم بن اسماعيل الخزرجى ٨٣
ابراهيم بن تاشفين ٦٤ ٩٥ ٩٧
ابراهيم بن تاعماشت ٨٠
ابراهيم بن جامع ٩٦
ابراهيم بن همشك ١٣٣
ابراهيم بن يحيى الكدالي ٥
ابن ابى زرع ٢٧ ٣٢ ٤٥ ٤٦ ٥٠ ٨١ ٨٤ ١٣٢ ١٤٢ ١٤٣ ١٦٢ ١٦٧ ١٦٨ ١٧٧ ١٨١ ١٨٣ ٢٠٠ ٢٠٤ ٢١٣ ٢١٦ ٢٢٤ ٢٣١ ٢٣٢
ابن الاثير ـ عزالدين ٤ ٢١ ٣٢ ٣٤ ٣٦ ١٧١
ابن الاحمر محمد بن يوسف بن نصر ٢١١ ٢٢٠ ٢٢٣
ابن اذفونش ١٣٣ ١٣٥ ١٧١ ١٧٢
ابن الافطس ـ عمر المتوكل على الله ٣١ ٣٢ ٣٦ ٤٠ ٥١
ابن باجة ـ ابو بكر بن الصائغ ٥٨ ١٤٠
ابن برجان ـ ابو الحكم عبد السلام اللخمى ٦٨ ٦٩ ١٨٤
ابن بشكوال ١١٢
ابن تميم الصنهاجى يحيى ٧٢
ابن جامع ٩٧
ابن الجيانى ٩٦
ابن جنون ٦٦
ابن حبوس ٤٠
ابن حزم ١٥٠ ١٦١
ابن الحمارة ٩٧
ابن الخطيب ٢٤ ٣٠ ٦٣ ٨١ ٨٦ ٨٧ ١٦٨ ١٧٩ ١٨٣ ١٩٤ ٢٠٠ ٢١٠ ٢٣٢ ٢٣٥
ابن خفاجة ٥٨
ابن خلدون ـ عبد الرحمن ٤ ٧ ١٠ ١٤ ٢٣ ٢٥ ٢٧ ٣١ ٣٢ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٨٠ ٨١ ٨٧ ٨٨ ٩٠ ٩١ ٩٣ ١٠٤ ١٠٧ ١٢١ ١٣١ ١٣٦ ١٤٢ ١٤٩ ١٥٠ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٧

١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٣ ١٦٨ ١٧٠ ١٩٢
١٩٧ ٢٠٠ ٢٠٥ ٢٢٥
ابن خلكان ٣ ١٩ ٣٢ ٣٧ ٤٣ ٤٥
٤٦ ٥٢ ٥٨ ٦٢ ٦٤ ٧١ ٧٢ ٧٤ ٧٥
٧٨ ٨٠ ٨١ ١٢٩ ١٣٠ ١٤٠ ١٤١ ١٦٥
١٦٩ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٤
٢٠١ ٢٠٤
ابن ذى النون ـ القادر ٣٠ ٣١ ٤٠
ابن ردمير ٣٢ ٥٨ ٦٠ ٦١
ابن رشيد ١١٣
ابن رشيق البناء ٥٠
ابن الرند ١٧١
ابن الزيات ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى المراكشى ٦٧
ابن صاحب الصلاة ٧٤
ابن صمادح ٤٠ ٥٠
ابن عباد ـ المعتمد ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢
٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١
٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠
ابن عبد العزيز ٤٧
ابن عبد العظيم الازمورى ٢٣
ابن عبد الملك ٦٩ ١١٣
ابن المنعم الحميرى ٣٢ ٣٤
ابن العريف ـ ابو العباس احمد بن محمد ٦٨
ابن غانية ـ حيارة بن اسحق ١٩٢
ابن غانية عبد الله بن اسحق المسوفى ١٩٤
ابن غانية ـ على بن اسحق المسوفى ١٤٢
١٤٣ ١٤٤ ١٥٠ ١٦٤ ١٧٢
ابن غانية ـ محمد بن علي بن يحيى المسوفى ٦١ ١٤٢
ابن غانية يحيى بن اسحق المسوفى ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ٢٠٣
ابن غانية ـ يحيى بن على المسوفى ٩٦ ١٠٢ ١٠٥
ابن الفخار ١٦٦
ابن قتيبة ٨٨
ابن القيسى ١٠٧
ابن الكلبى ١٦١
ابن مرج الكحل ١٩٣
ابن مردنيش ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤
ابن مرزوق ـ الخطيب ١١٣
ابن مطروح القيسى ٩٨ ١٣٩
ابن منقذ ١٦٤
ابن المومياني ٢٢٠
ابن النحوى ـ أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف ٦٦ ٦٧
ابن هود ـ محمد بن يوسف ٢١٠
٢١١ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٧ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢٣
ابن هود ـ المستعين ٣٠ ٣١ ٥١

ابن اليسع ٢٣١
ابن يغمور ٧٧
ابو ابراهيم ٩٦ ١٠٧
ابو ابراهيم اسحق بن عبد المؤمن ـ الظاهر ٢٠٢ ٢٠٣
ابو ابراهيم بن ابى حفص ـ ابو حافة ٢١٨
ابو ابراهيم بن عبد المؤمن ١٣٢
ابو احمد بن عطية ١١٦
ابو اسحق ابراهيم بن محمد السلمى البلفيقي ٢٣٥ ٢٣٦
ابو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى ١٧٦
ابو اسحق ابراهيم بن يوسف ـ ابن قرقول ـ ١٨٦
ابو اسحق بن ابى ابراهيم ٢٢٧
ابو اسحق بن ابى ابراهيم بن يوسف ابن عبد المؤمن ٢٢١
ابو اسحق بن جامع ٢٠٥
ابو اسحق بن عبد المؤمن ١٣٢ ١٣٧
ابو اسحق بن المنصور ٢٠٢
ابو اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن ١٣٨ ١٣٩
ابو الانصار عبد الله بن ابى غفير ١٦
ابو بكر رض ١٤٧
ابو بكر بن باجة ـ ابن الصائغ ١٤٠
ابو بكر بن الجد ١٠٧ ١٨٠
ابو بكر بن حبيش الباجى ١١٠
ابو بكر بن زهر ١٧٩ ١٨٠
ابو بكر بن زيدون ٣٦
ابو بكر بن عبد الحق ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٩
ابو بكر بن العربى المعافرى ـ الامام ٥٣
ابو بكر بن عمر اللمتونى ١٢ ١٣ ١٤ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١
ابو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين ٨٠ ٨٤
ابو بكر بن غازى ١٥٤
ابو بكر بن القصيرة ٣٧ ٤٢
ابو بكر بن ماخوخ ٩٤
ابو بكر بن مزدلي ٩٤
ابو بكر بن يوسف بن تاشفين ٤٥
ابو بكر الطرطوشى ٥٠ ٧٢
ابو بكر عبد الله بن أدهم ٣٦ ٣٧
ابو بكر بن طفيل القيسى ١١٠ ١١٣ ١٤٠ ١٨٠
ابو بكر يحيى بن مجير ١٤٠ ١٨٥
ابو ثابت المرينى ١٥٢
ابو جعفر احمد بن عطية ٦٤ ١٠٠ ١٠٦

١٠٩ ١١١ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٣٠
ابو الحرث عبد الرحمن بن منقذ ١٦٣
ابو حامد الغزالى ـ الامام ٥٠ ٥٢ ٦٧
٦٨ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٨١ ١٠٥ ١٨٧
ابو الحجاج المتيطى ١٨٧
ابو الحجاج يوسف بن قادس ١٩٨ ١٩٩
ابو الحجاج يوسف بن عمر ١٣١
ابو الحجاج يوسف بن سليمان ١١٠
ابو الحسن بن ابى حفص ١٦٢
ابو الحسن بن ابى سعيد ١٥٧
ابو الحسن بن غالب ١٨٩
ابو الحسن بن المنصور ٢٠٥
ابو الحسن بن يعلو ١٥٣ ٢٢٨
ابو الحسن السعيد علي بن المأمون بن
المنصور ٢٢١ ٢٢٣ ٢٢٥ ٢٢٧
ابو الحسن السلاوى ١٨٩
ابو الحسن عبد الملك بن عياش ١١٠ ١٧٥ ١٨٠
ابو الحسن علي بن حرزهم ٦٧ ٦٨
١٨٤ ١٨٩
ابو الحسن علي بن خلف القرشى ١٨٧
ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجانى ١٥٢
ابو الحسن علي بن عبد الله المتيطى ١٨٧
ابو الحسن علي بن عبد المؤمن ١١٠ ١٣٥ ١٣٦
ابو الحسن اللخمى ٦٧
ابو الحسن المرينى ١١٥ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٨
ابو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين امير
المسلمين ٢٣ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠
٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٥ ٦٨ ٦٩ ٧٥ ٧٦ ٧٧
٧٨ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٩٣ ١٤٢ ١٩٤
ابو حسون الوطاسى ١٥٨
ابو الحسين بن منصور ١٦١
ابو حفص بن يعقوب بن عبد المؤمن ١٦١
ابو حفص عبد الله بن ابى الانصار ١٧
ابو حفص عبد الله بن تافراكين ١١١
ابو حفص عمر بن عبد المؤمن ١١٠ ١١١
١٢٩ ١٣١ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦
ابو حفص عمر بن علي الصناكى ٧٧ ٨٣
ابو حفص عمر بن واكاك ٦٦ ٩٨
ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ٦٤ ٦٥
٧٧ ٨٣ ٩١ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٩ ١٠٠ ١٠١
١٠٢ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٩ ١١٧ ١٢١ ١٢٧
١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٥
ابو حفص عمر المرتضى الموحدى ١٥٣
١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ٢٠٢ ٢٢٢ ٢٢٦ ٢٢٧
٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٣
ابو الحكام بن بطال ١١١
أبو الحكم بن برجان ٦٨ ٦٩ ١٨٤
ابو خرز يخلف بن خرز الاوربى ١٦٨
ابو الخطاب بن دحية ٢٢ ١٧٩
ابو داود ٢١٥

ابو الربيع بن ابى حفص ١٧٢ ٢٠٥
ابو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن ١٤٣
ابو الربيع بن عبد المؤمن ١٦١
ابو زكريا بن ابى حفص بن عبد المؤمن ١٤٢ ٢٠٠
ابو زكريا بن عبد المؤمن ١٣٢ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٧
ابو زكريا يحيى بن الشهيد ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٩
ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابى حفص ٢٠٤ ٢١١ ٢١٤ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٣
ابو زكريا يحيى بن عمر اللمتونى ١٢
ابو زكريا يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل ١١٣
ابو زيد بن ابى ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ٢٢١
ابو زيد بن ابى حفص بن عبد المؤمن ١٣٦ ١٤٣ ١٩١ ١٩٢
ابو زيد بن ابى عبد الله محمد ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٨ ٢١٠
ابو زيد بن ادريس ٢٠٣
ابو زيد بن المنصور ١٧٢
ابو زيد بن يرجان ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٧ ٢٠٩ ٢١٥
ابو زيد بن يعلو الكومى ٢٣٢
ابو زيد بن يكيت ١١٠ ١٢٦ ٢٣١
ابو زيد عبد الرحمن بن الخطيب السهيلى ١٨٨
ابو زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن ابى حفص ٢٠٣ ٢٠٧
ابو سالم المرينى ١٥٤ ١٥٧
ابو سعيد بن ابى حفص ١٩٤
ابو سعيد بن ابى الربيع ٢٣٤
ابو سعيد بن جامع ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٢ ٢٠٤ ٢٠٥
ابو سعيد بن وانودين ٢١٤ ٢١٦
ابو سعيد بن يعقوب ١٥٧
ابو السعيد عثمان بن عبد المؤمن ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٥
ابو سعيد يخلف بن الحسن ١١٠
ابو سليمان داود بن عائشة ٤٠
ابو شعيب ايوب السارية ٦٩ ١٨٤ ١٩٠
ابو الشيص الخزاعى ٩٠
ابو صبيح طريف البرغواطى ١٥
ابو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ٥٥ ٥٧ ٥٨ ٦١
ابو طالب عقيل بن عطية ١١٩
ابو الطيب المتنبى ٢٠٧
ابو عامر بن الجد ١١١
ابو العباس احمد بن جعفر الخزرجى ـ السبتى ٢٣٤ ٢٣٥

ابو العباس احمد بن رميلة القرطبى ٤١ ٤٤
ابو العباس احمد بن عبد السلام ١٧٩
ابو العباس احمد بن عبد السلام الكرونانى ١٤١
ابو العباس احمد المنصور السعدى الذهبى ١١٥ ١٥٨ ١٨٠
ابو العباس بن ابى عمران ٢١٠
ابو العباس بن العريف ١٨٨
ابو العباس المقرى ٢٤ ١٧٥ ١٨٠ ١٨٢
ابو عبد الله احمد المستظهر بالله العباسى ٥٣ ٥٤
ابو عبد الله الكنسوس ٢٢١
ابو عبد الله بن ابى حفص ١٧٢
ابو عبد الله بن ابى حفص بن عبد المؤمن ١٩٤
ابو عبد الله بن اصبغ - ابن المناصف ٦٦
ابو عبد الله بن الصقر ١٨٠
ابو عبد الله بن صناديد ١٦٨ ١٦٩
ابو عبد الله بن يوسف بن عبد المؤمن ١٣٨
ابو عبد الله التادوى - المعلم - ١٨٨
ابو عبد الله الدقاق ١٨٩
ابو عبد الله عبد العزيز بن شداد ٧٢
ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ١٣٢
ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جامع ١٣٨ ١٤٣
ابو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدوى ١٩٠
ابو عبد الله محمد بن اسحق أمغار ٢٣
ابو عبد الله محمد بن تيفاوت ٥
ابو عبد الله محمد بن الحاج اللمتونى ٥١ ٥٧ ٥٨
ابو عبد الله محمد بن زلفى ٥٧
ابو عبد الله محمد الطلاع ٦٦
ابو عبد الله محمد بن عبد المؤمن ١٠٩ ١١٠ ١٢٩ ١٣١
ابو عبد الله محمد بن علي بن مروان ١٧٨
ابو عبد الله محمد بن عذارى ١٣١
ابو عبد الله محمد بن فاطمة ٥٩
ابو عبد الله محمد بن فرج الكومى ١٢٤
ابو عبدالله محمد بن المنصور ٢٠٢
ابو عبد الله محمد بن يحيى - ابن البراء - ٥٣
ابو عبد الله محمد التيفاسى ١٣٠
ابو عبد الله محمد العياشى ١٥٨
ابو عبد الله محمد الناصر بن المنصور ٩٦ ١٥٤ ١٧٤ ١٨١ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٥
ابو عبد الله اليفرنى ١١٥
ابو عثمان سعيد بن زكريا القدميوى ٢١٧
ابو عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجى ١١٠
ابو عطية بن مهلهل الخلطى ١٥٧
ابو عقيل بن عطية ١١٨ ١١٩
ابو العلاء ادريس ٢١٩
ابو العلاء ادريس الاصغر المأمون بن المنصور ١٥١ ١٥٣ ١٥٥ ١٥٦ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨

٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥
٢١٦ ٢١٧
ابو العلاء ادريس الاكبر بن يوسف بن
عبد المؤمن ١٩٤ ٢٠٣
ابو العلاء المعرى ٨٨
ابو العلاء الواثق بالله ادريس بن محمد بن عمر
ابن عبد المؤمن ابودبوس ٢٢٨ ٢٣٠ ٢٣١
٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤
ابو علي بن خلاص ٢٢٠ ٢٢٢
ابو علي بن عبد العزيز ٢١٩
ابو علي بن منصور بن حرزور ٢٢٣
ابو علي الحسن بن عبد المؤمن ١٣٣ ١٣٥ ١٣٦
ابو علي منصور بن ابراهيم المسطاسى ١٨٤
ابو عمران الفاسى ٥ ٦ ٧
ابو عمران بن عبد المؤمن ١٣٤ ١٣٥
ابو عمر بن الجد ٢١٩
ابو عمران موسى بن ثمار ٨٣
ابو عمرو بن حجاج ٢٢٩
ابو عمرو بن دحية ١٧٩
ابو عنان المرينى ١٥٤ ١٥٥ ١٥٧
ابو عياد ١٥٣
ابو عياد بن يحيى بن حمامة ٢٢٤
ابو غفير محمد بن معاد البرغواطى ١٥ ١٦
أبو الغمر بن عزرون ١٠٤ ١٠٦ ١٠٧
ابو الفتوح الحسني ١٥٠
ابو الفضل بن ابى سالم المرينى ١٥٤
ابو الفضل بن طاهر ١٨٠
ابو الفضل بن عبد العزيز المرينى ١٥٧
ابو الفضل التيفاسى ١٧٩
ابو الفضل عياض بن موسى (القاضى عياض)
٩٣ ١٠٢ ١٠٣ ١٨٤ ١٨٦ ٢٣٤
ابو القاسم بن الحاج ١٠٤
ابو القاسم بن حمدين ٦٧ ٦٩
أبو القاسم بن محمد الوزير الغسانى ١٨٠
ابو القاسم التجيبى ١١٣
ابو القاسم عبدالرحمن ابراهيم الخزرجى ٢٣٥
ابو القاسم علي بن احمد الجرجانى ١٤٧
ابو الكمال تميم بن زيرى اليفرنى ١٦
ابو محمد بن ابى عبد الله بن ابى حفص بن
عبد المؤمن - البياسى - ٢٠٥
ابو محمد بن ابى حفص الهنتاتى ١٢٦ ١٤٢
١٦٨ ١٧٨ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٦ ٢٠٢ ٢٠٣
ابو محمد بن ابى حفص بن عبد المؤمن ١٣٦
ابو محمد بن حامد الكاتب ٤
ابو محمد بن عطوش ١٤٣
ابو محمد بن يونس ٢٢٧
ابو محمد الحسن بن علي اليازورى ١٤٧ ١٤٨
ابو محمد سعيد بن المنصور ٢١٦ ٢١٧ ٢١٩
ابو محمد صالح الدكالى ٢٣٦
ابو محمد عبد السلام بن مشيش ٢٠٩ ٢٣٦ ٢٣٧

ابو محمد عبد الحق بن عبد الحق ٢١٤
ابو محمد عبد الحق بن وانودين ١١٠
ابو محمد عبد الحليم المراسى ـ الغماد ١١٨
ابو محمد عبد الله بن ابى حفص ١٨٨
ابو محمد عبد الله بن سليمان ١١٠
ابو محمد عبد الله بن سليمان الانصارى ـ ابن حفظ الله ١٩٤
ابو محمد عبد الله العادل بن المنصور ١٥٦ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨
ابو محمد عبد الله بن عبد المؤمن ١٠٨ ١١٠ ١٣١
ابو محمد عبد الله الونشريسى ـ البشير ـ ٧٤ ٧٥ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٣ ٨٤
ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ٥١
ابو محمد عبد المؤمن بن علي ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٧٣ ٧٤ ٨٠ ٨١ ٨٣ ٨٤ ٨٧ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٦ ١٤١ ١٧٤ ١٩١
ابو محمد بن يونس ٢٢٧
ابو محمد عبد الواحد بن ابى حفص ١٩١
ابو محمد عبد الواحد بن يوسف ٢٠٤
ابو محمد عبد الواحد الحضرمى ٨٣
ابو محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور ١٥٥ ٢٠٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١
ابو محمد المعتز بالله ١١
ابو مدين شعيب بن الحسن الانصارى ١٨٩ ١٩٠ ٢٢٦
ابو مروان عبد الملك المصمودى ٤٤
ابو مسلم وزير يعقوب بن محمد بن قيطون ٢٢٨
ابو مسلم الخراسانى ٨٥
ابو المعز تاشفين بن علي اللمتونى ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٩ ١٠٣
ابو منصور عيسى بن ابى الانصار ١٦
ابو موسى بن ثمار ٨٣
ابو موسى عمران بن المنصور ٢٠٥ ٢١٤ ٢١٥
ابو موسى بن عزرون الهنتاتى ٢٣٢
ابو هاشم بن المعتمد بن عباد ٤٢
ابو الوليد الباجى ٥٣
ابو الوليد بن رشد ـ الحفيد ـ ٦١ ١٤٠ ١٧٢ ١٧٩ ١٨٠ ٢٣٥
ابو يحيى بن ابى حفص ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠
ابو يحيى بن تاشفين ٦٠
ابو يحيى علي بن ابى عمران التينملي ١٩٤
ابو يحيى بن يكيث ٧٧

ابو يعزى يلنور بن ميمون ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠
ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ١١٣ ١١٧ ١٢٩ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٨٣
ابو يعقوب يوسف بن علي المبتلى ١٨٩
ابو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب بن المنصور المنتصر بالله ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥
ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى - ابن الزيات ٢٣٦
ابو بنور الدكالى ١٩٠
ابو بنور المشترائى ٦٩
ابو يوسف يعقوب بن ابى حفص عمر بن عبد المؤمن ١٤٤
ابو يوسف يعقوب - المنصور - بن يوسف ابن عبد المؤمن ٢ ٢٤ ٩٦ ١٠٦ ١٣٩ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٥١ ١٦١ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٩٠ ١٩١ ١٩٤ ١٩٥ ٢٠٢ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢١٥
الاتراك ٢٠٦
الاثبج ١٥٢
احمد بن ابراهيم ١٥٧
احمد بن خراسان ١٢١
احمد بن يوسف المستعين بالله ٦٠
احمد الصقلى ١٤٣
اخضر بن عامر ١٦٠
اخ القمط ٢٢٥
الادارسة ١٦
ادريس بن عبد الحق المرينى ١٥٢
الاذفونش ٣١ ٣٢ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٨ ١٦٦
اذفونش بن بطرة ٥٨
اذفونش بن سانجة ١٣٧
اسارى الاتراك ١٨٣
اسارى الفرنج ١٧٤
اسحق بن ابى ابراهيم ٢٣٤
اسحق بن على اللمتونى ١١٧
اسحق بن على بن يوسف ٦٣ ٦٥ ٦٦ ٩٧ ٩٨
الاسماعلية ١٤٥
اسمعيل بن ابراهيم ١٤٥
اسمعيل بن الشريف - ملك المغرب - ٢٤
الاشراف الزيدانيون ١١٦
الاشعرية ٧٣ ٧٥
الاصبنيول ٥٨ ٢٢٧
الاغزاز ٢٥ ١٣٨ ١٦٧ ١٦٩ ٢٢٨
الافرنج - الفرنج - ٣٠ ٣٢ ٣٤ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤٦ ٤٩ ٥١ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦١ ٦٢

الافرنج ١٠٩ ١٢٠ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٣٢
١٣٤ ١٣٩ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٩
١٧٢ ١٩٦ ٢٠٠ ٢٠٧ ٢١١ ٢١٢ ٢١٨ ٢٢٨
افريقش ٣
امراء الاندلس ٤٧ ٦٠
امراء الطوائف ٥٤
امم السودان ٥
الاموية ١٦
الياس بن صالح البرغواطى ١٥
اهل اشبيلية ١٠٥ ٢١٩ ٢٢٢
اهل اغمات ٨٤
اهل افريقية ١٠٨ ١٢٢
اهل الاندلس ٣١ ٣٣ ٣٤ ١٠٦ ١٠٧ ١١٢
١٦٥ ١٦٧ ١٩٨ ٢٠٨ ٢١٠
اهل بطليوس ١٣٣
اهل البيت ٧٣ ٨٨
اهل تاكرارت ٩٥
اهل تامسنا ١٦
اهل تلمسان ١٩٠
اهل تونس ١٢٢ ١٩١ ١٩٣
اهل جبل درن ٦٣
اهل الجزيرة ٣٧
اهل درعة ١١
اهل درن ٨٤
اهل الدمنة ٢٨
اهل زويلة ١٢٠
اهل سبتة ٩٧ ١٠٢ ٣ ١ ٢٢٢
اهل سجاماسة ١١ ٩٦ ٩٩
اهل سلا ٩٩
اهل السنة ١٤٧
اهل السوس الاقصى ١٦١
اهل شاطبة ٢١٠
اهل شريس ١٠٤
اهل شلب ١٠٧
اهل الصحراء ٥١
اهل العدوتين ٦٣
اهل فاس ١٩٠
اهل قرطبة ٣٧ ١٠٦ ٢١٠ ٢١١
اهل القيروان ١٩١
اهل لبلة ١١١
اهل مدائن مكناسة ٢٦
اهل مراكش ٦٣ ١١٦ ٢١٦
اهل المشرق ١٨٢
اهل المغرب ٣٣ ٧٣ ٧٥ ٨٩ ١٥١ ١٨٢ ١٩٧
اهل مكناسة ٢٢٢
اهل المهدية ١٢٣
اهل نفيس ١٠١
اوربة ١٣٢ ١٣٨
اولاد جرمون ١٥٤
اولاد مطاع ١٥٦ ١٥٨

اويس القرنى ١٨٧

حرف (ب)

باديس بن حبوس الصنهاجى ١٠٦
البتـــر ٩١
البجلية ١٣
البخارى ٢١٥
بدران بن محمد المسوفى ١٠٤ ١٠٥
برابرة صناكة ١٥٤
البرانس ٩١
البربر ـ البرابر ٣ ٤ ١٤ ١٥ ١٦ ٣٠ ٧٤
٧٦ ٩٢ ١٢٨ ١٣٨ ١٤٥ ١٥٣ ١٥٤
برغواطة ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ٧١ ٩٧
١٠١ ١٠٢
البرهانس ٣٢ ٥٩
البشنكس ٣٠
بكار بن ابراهيم ٢٥
بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى ١٦
بنو اذفونس ٥٨
بنو امغار ٢٣
بنو اميـــة ٩٨ ١١٢
بنو باداسن ٢٢٨
بنو باديس ٤٨
بنو تاودى ١٨٨
بنو توجين ٩٤
بنو جابر ١٥٣ ١٥٤ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣١
بنو جامـــع ١٣٦
بنو الجراح ١٥٠
بنو جرمون ١٥٥
بنو جشم ١٤٦ ١٤٨ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣
بنو جعفر بن ابى طالب ١٦٠
بنو الحرث ١٤٦ ١٦١
بنو حسن ١٥٨
بنو الحسن ١٦٠
بنو حمامة المرينيون ١٥٢ ٢٢٠
بنو حمـــود ٢٦ ٢٨
بنو خزرون بن فلفل المغراويون ١١
بنو دخـــير ٣
بنو دريـــد ١٥٠
بنو الرنـــد ١٣٦
بنو رهينـــة ٢٧
بنو ريـــاح ١٥١
بنو زغبة ١٤٢
بنو زياد ٣
بنو زيرى بن مناد الصنهاجى ١٠٧ ١٢٠
١٣٦ ١٤٧
بنو سعيد ٢٠٩

بنو سليم ١٤٦ ١٤٨ ١٥٠ ١٥١ ١٥٩
١٦٠
بنو الشهيد ١٧٠
بنو صبيح ١٨٧
بنو عائـد ٨٩
بنو عامر ١٥٩
بنو العباس ٥٢ ٩٨ ٢٠٦ ٢٢٣
بنو عبد الحق ٢٢٧
بنو عبد المدان ١٦١
بنو عبد المؤمن ٨٩ ٩٠ ١٣٦ ١٥٤ ٢٠٤
٢٠٦ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٣٤
بنو عبد الواد ٩٤ ٩٥ ١٥٦ ٢٢٤ ٢٢٥
٢٢٦
بنو عبيد ١٤٧
بنو عسكر المرينيون ١٥٢
بنو عطية المغراويون ١١
بنو عطوش ٢٣٢
بنو عقيل ١٥٢
بنو عوف ١٥٢
بنو غانية المسوفيون ١٤٢ ١٩٤
بنو فاتن ١٢٧
بنو فشتال ٣
بنو قرة ١٥٢
بنو كعب بن سليم ١٥٩
بنو مدرار المكناسيون ١١
بنو مراسن ٢٦
بنو مرين ٩٥ ٩٦ ٩٧ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣
١٥٥ ١٥٧ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٩ ٢٢٠ ٢٢١
٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨
٢٢٩ ٢٣٣ ٢٣٤
بنو معاوية ١٥٢
بنو معقل ١٥٦ ١٥٩ ١٦٠
بنو معنصر المغراوى ٢٦
بنو مكود ٢٧
بنو المنصور ٢٠٥
بنو منقذ ١٦٣
بنو موسى ٣
بنو هلال ١٤٦ ١٤٨ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢
١٦٠
بنو هود الجذاميون ٦٠ ٢١٠
بنو وارث ٣
بنو ورتنطو ٥
بنو وريا كل ٧٣
بنو ومانو ٩٤ ٩٥
بنو يادين ٩٥
بنو يحفش ٢٥
بنو يـدر ٢٢٨
بنو يزناسن ٢٢٦
بنو يعلى بن محمد بن صالح ١٦
بنو يفرن ١٣ ١٤ ١٦ ١٧ ٢٦ ٢٧

بنو يلومى ٩٤ ٩٥
البيبوج ١٧١ ١٩٧
بهلولة ٢٥

حرف (ت)

تابوت بنى اسرائيل ١١٥
تاشفين بن ماخوخ ٩٥
الترمذى ١٨٩
تكرارين ١٥٨
تلجين بن على ١٦٨
تميم بن بلكين ٤٨ ٥٠
تميم بن المعز الصنهاجى ٤٥
تميم بن معنصر المغراوى ٢٦
تميم بن يوسف ٢٨
تولى اليحفشى ٢٥

حرف (ث)

الثعالبة ٩٠ ١٦١
ثعلب بن سجير ١٦١
ثمود ١١٨

حرف (ج)

جابر بن جشم ١٥٣
جابر بن يوسف العبدالوادى ١٦٨
جازية بنت سرحان ١٤٩ ١٥٠
جرمون بن رياح ١٦٨ ١٦٩
جرمون بن عيسى السفيانى ١٥٤ ١٥٥ ٢٠٧ ٢١٤ ٢١٩
جزولة ١٢ ١٨ ٢٥
جشم ١٥١ ١٥٣ ١٥٤ ٢٠٧ ٢٢١
جعفر بن ابى طالب ١٦٠
جعفر الصادق ٨٨ ٨٩
جلال بن محمد ١٦١
الجلالقة ٣٠ ٣٩ ٥٨
جهينة ١٦٠
الجوهرى ١٨٣

حرف (ح)

الحاجب سكوت البرغواطى ٢٨
حاحة ١٣
الحرث ١٥٦
الحرث بن ظالم ٢١٤
الحرث بن العزيز الصنهاجى ١٠٨
حباب ٢١٦
الحجاج بن يوسف ٢٠٨
الحجاب بن حكيم ٢١٤
حسان بن مختار ١٦١ ٢١١

حسن بن زيد ١٥٣ ٢١٩
الحسن بن سرحان ١٤٩ ١٥٠
الحسن بن على الصنهاجى ١٠٨ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٤
الحسن بن عمر ١٥٤
الحسين بن على ١١٨
حسين بن على الورديغى ١٥٤
حمامة بن مطهر ٩٤ ٩٥
حسين بن منصور ١٦١
حمير ٣ ٤ ١٤٦
حنظلة بن صفوان الكلبى ١٥

حرف (خ)

خالد بن الوليد ١٠٠
خزرون بن فلفل بن خزر المغراوى ١١
الخاط ١٥٢ ١٥٣ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ٢٠٧ ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠
الخنساء ١٤٦
الخيفقان ٢٣٢

حرف (د)

داود بن عائشة ٢٨ ٤٢
دريد بن الصمة ١٤٦
دكالة ٦٩
الدولة الاموية ١١
دولة الامويين ٢٨
دولة بنى الاحمر ٢٢٧
دولة بنى امية ٣٠
دولة بنى الرند ١٣٧
دولة بنى العباس ١٤٦
دولة بنى عبد المومن ٢٣٤
دولة بنى مرين ٢٤
دولة الترك ١٥٨
دولة بنى زيرى ٣
الدولة الحمودية ٣٠
الدولة السعدية ٢٤
دولة الشرفاء السعديين ١٥٨
دولة صنهاجة ١٣٦
دولة عبد المؤمن بن على ١٨٤
الدولة العبيدية ١٢٠ ١٤٧ ١٦٢
دولة العبيدين ١٤٦
الدولة العلوية الشريفة ٢٤ ١١٥
دولة اللمتونيين ١٨٣
دولة المرابطين ١٧ ٢٨ ٦٧ ٩٨
دولة المرتضى ٢٢٧
الدولة المرينية ١٥٨
دولة الملثمين ٣
دولة المنتصر ٢٠٢

دولة الموحدين ٢٤ ٧١ ٩٣ ١١٢
١٥١ ١٩٧ ٢١٥
الدولة الموحدية ١٧٩ ١٩٠
دولة يعقوب المنصور ١٤٥ ١٥٠

حرف (ذ)

ذوى حسان ١٥٩ ١٦١
ذوى عبيد الله ١٥٩ ١٦١
ذوى منصور ١٥٩ ١٦١

حرف (ر)

الرافضة ١٣
رؤساء الاندلس ٤٣
ربيعة ١٤٥
رجراجة ١٣ ٩٩
الرشيد بن المامون ١٥٣ ١٥٥ ١٥٦
الرقيطات ١٦١
الروبرتير ٦٣ ٩٤ ٩٥
الروم ٤٣ ٦٣
رياح ١٠٨ ١٥١ ١٥٢

حرف (ز)

زغبة ١٠٨
زمام بن ابراهيم بن عطية ١٥٧
زمور بن صالح ١٥ ١٦
زناتة ١٤ ١٩ ٢١ ٢٥ ٢٧ ٦١ ٨٩ ٩٤
٩٥ ١٢٨ ١٤٩ ١٥٩ ١٦٠ ١٦٧ ١٦٩
١٧٠ ١٩٧ ٢٢٢
زواغة ٢٥
زياد بن أبى الحملات ٢١٠
زيد بن ثابت ١١٣
الزيدية ٨٨
زيرى بن عطية المغراوى ١٦
زينب بنت اسحق النفزاوية ١٤ ١٩ ٢٠ ٢١

حرف (س)

سالم بن محمد ١٦١
سانجة ٥٧
سبع بن منغفاد ١٣٢
سبعة رجال بمراكش ١٨٩
سجير بن معقل ١٦١
سدراتة ٢٥ ١٥٤
السعديون ١٥٨
سعيد بن العاص ١١٣
السعيد بن على بن ادريس بن يعقوب
المنصور ـ المعتضد بالله ١١٥
السعيد بن المامون ١٥٥ ١٥٦

سعيد بن هشام المصمودى ١٥
سعيد الغمارى ١٤١
سفيان ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ٢٠٧
٢١٩ ٢٢١ ٢٢٢
سكوت البرغواطى ٢٦ ٢٨ ٢٩
السليطن ١٠٩
سليمان بن ابراهيم ١٧٥
سليمان بن خلوف ٨٣
سليمان بن عبد الله الكامل ٧١
سليمان بن محمد بن وانودين ٩٥
سنة الاخماس ٢٢٤
سنة اكرواو ١٦٥
سنة المشعلة ٢٠٣
سير بن أبى بكر اللمتونى ٢١ ٢٧ ٤٦
٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٩ ٦٥
سير بن الحاج ٩٥

حرف (ش)

شافية ١٨٢
الشبانات ١٦١
شبانة بن مختار ١٦١
الشريف الغرناطى ١٧٥ ١٨٢
شكر بن أبى الفتوح الشريف بن هاشم
١٤٩ ١٥٠
شعيب عليه السلام ١٩٠
شعيب بن أوقاريط الهسكورى ٢١٦
شمعون بن يعقوب ١٤
الشيخان : البخارى ومسلم ١١٥
الشيعة ٣ ١٦ ١٤٧ ١٤٨

حرف ﴿ ص ﴾

صالح بن طريف البرغواطى المتنبئ ١٤
١٥ ١٧
صالح بن عمران ٢٩
الصباح ١٦٠
الصحراويون ٣٨ ٤٠ ٤١
صدينة ٢٥
صطفورة ٨٩
الصفرية ١٤
الصقالبة ٢٨
صناكة ١٥٣
صنم قادس ١٨٣
صنهاجة ٣ ٤ ٥ ٨ ١٠ ١٧ ١٨ ٢٥ ٣٢
٤٣ ٦٣ ٧١ ٩٤ ١٠٨ ١٢٢ ١٣٢ ١٣٨
١٤٨ ١٩٧
صنهاجة آزمور ٢٣٠

حرف ﴿ ض ﴾

ضرى بن زجيك ٨٩

حرف ﴿ ط ﴾

الطالبيون ١٦٠
طاهر بن كباب ٦٣ ٩٤
طيىء ١٥٠

حرف ﴿ ظ ﴾

الظاهر العبيدى ١٤٧

حرف ﴿ ع ﴾

عامر الزعيم ١٦٩ ١٧٠
العاصم ١٥٢ ١٥٣
عامر بن محمد الهنتاتى ١٥٧
عامل بن مهيب ١٠٧
عائشة بنت ابى عطية ١٥٧
العباس بن بختى ٢٩
العباس بن عطية التوجينى ١٦٨
العباس بن مرداس رض ٢٣٥
العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن ابى طالب ٧١
عبد الحق بن ابراهيم ٧٧ ٧٨
عبد الحق بن اصكو ٢٢٩
عبد الحق بن محيو المرينى ١٥٢
عبد الحق بن منغفاد ٩٧
عبد الرحمن بن ابى يفلوسن المرينى ١٥٤ ١٥٦
عبد الرحمن بن حموية تاج الدين السرخسى ١٦٥
عبد الرحمن الناصر بن معاوية ـ الداخل ـ ٤ ٣٥ ٩٨ ٢٢٥
عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس ـ المهر ـ ١٩٥
عبد الرحيم البياسى ـ القاضى الفاضل ١٦٣
عبد السلام بن محمد الكومى ١١٧ ١٢٥
عبد العزيز بن ابى زيد ٢٠٢
عبد العزيز بن تومرت ١١٠ ١١١
عبد العزيز المرينى ١٥٤ ١٥٧
عبد الله بن ابى بكر محمد بن العربى المعافرى ٥٣ ١٠٥
عبد الله بن ابى زيد بن برجان ٢٠٩
عبد الله بن اسمعيل بن الشريف (ملك المغرب) ١١٦
عبد الله بن بلكين ٤٨ ٥٠
عبد الله بن حبوس الصنهاجى ٣٦
عبد الله بن الزبير ١١٣
عبد الله بن زكريا الخزرجى ٢٢١
عبد الله بن السعيد ٢٢٦
عبد الله بن سليمان ١١١

عبد الله بن طاع الله الكومى ١٩٧
عبد الله بن عبد الواحد بن ابى حفص ٢٠٤ ٢٠٧
عبد الله بن محمد بن الرند ١٣٦
عبد الله بن محمد بن فاطمة ٥٧
عبد الله بن مزدلى ٦٠
عبد الله بن المعتمد بن عباد ٤٠ ٤٢
عبد الله وتومرت - والد المهدى - ٧١
عبد الله بن ياسين الجزولى ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٨
عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ٢٣٠
عبد الملك بن المستعين بن هود - عماد الدولة - ٦٠
عبد الملك المظفر ١٦
عبدون ٢٢٤
عبيد الله بن سجير ١٦١
عبيد الله المعتزلى ١٤
عبيد الله المهدى الشيعى ١٣ ٩٨
عثمان بن عفان ١١٢ ١١٣ ١٨٤
عثمان بن محمد ١٦١
عثمان بن نصر ١٥١
عدنان ١٤٥
العرب ١٤ ٦١ ٧٤ ١٠٧ ١٠٨ ١٢٠ ١٢٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٦ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٨ ١٥٠ ١٥٤ ١٥٩ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٨٣ ١٩٢ ١٩٧ ١٩٩ ٢٠٧ ٢٠٩ ٢١٩ ٢٢١ ٢٢٨ ٢٣٠
عرب افريقية ٣٧ ١٤٤
عرب تامسنا ١٠٧
عرب جشم ٢٣٤
عرب الخلط ١٠٧ ١٠٩
عرب سفيان ٢١٤ ٢٢٧ ٢٣١
عرب المغرب الاقصى ١٦١ ٢٢٣
عرب معقل ١٦٠ ٢١٩ ٢٢٨
عرب هلال ١٤٢ ١٦٠
عرب اليمن ١٦١
العزيز بن المنصور الصنهاجى ٧٣
عطية بن مهلهل الخلطى ١٥٧
عقبة بن نافع الفهرى ١١٥ ١١٦
علوش بن كانون السفيانى ٢٣١
علودان الغمارى ١٩١
على بن ابى طالب ٧٣
على بن ابى على ١٥٧ ٢٣٠
على بن حمود ٢٨
على بن الروبرتير ١٤٣ ١٤٤
على بن زيان ٢٢٧
على بن عبد الله البجلى الرافضى ١٣
علي بن العزيز الرندى ١٣٧
علي بن عيسى بن ميمون ١٨٣ ١٨٤
علي بن الغانى - الحاج - ١٩٢

علي بن كانون ١٥٥
علي بن هلال ١٥٦
علي بن يدر ٢٢٨ ٢٣٠
العماد الاصبهانى ١٣٠
العماد بن جبريل ١٢٩
عمران بن منصور ١٦١
عمران بن موسى الصنهاجى ١٣٧
العمارنة ١٦١
عمر بن اوقاريط ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠
عمر بن تافراكين ٧٧
عمر بن الخطاب ٥٣ ٥٤ ١٤٧
عمر بن سليمان ٢٨
عمر بن صالح الصنهاجى ١٠٤
عمر بن عبد العزيز بن يوسف ٢٢٠
عمر بن عبد الله - الوزير - ١٥٤
عنبر الخصى ٢٢٥
عواج بن هلال ١٥٧
عياد بن ابى عياد ١٥٣
عيسى بن تومرت ١١٠ ١١١
عيسى بن عطية ١٥٧

حرف (غ)

غانم بن محمد بن مردنيش ١٣٦
غزوة الزلاقة ٤٦
غمارة ٢٧ ١٣٢ ١٤١ ١٦٧ ١٧٠ ١٩٧

حرف (ف)

فرنج الجزيرة ١٣٣
فرنج صقلية ١٢٠
فرنسيل ٢١٦
فزارة بن ذبيان ١٦٠
الفنش ٣٠ ٥٧ ٥٨ ١٠٦ ١٠٩ ١٢٦ ١٦٥ ١٧٠ ١٧١ ١٩٦ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٧

حرف (ق)

قائد وقائد ١٥٣ ٢١٩
القائم بن يحيى بن العزيز ١٠٨
القائم العباسى ١٤٧
القاسم بن محمد ٢٦
قبائل البربر ٢١ ٢٧ ٦١ ١٩٩
قبائل برغواطة ١٤ ١٧
قبائل بنى توجين ١٦٨
قبائل بنى عبد الواد ١٦٨
قبائل بنى فازاز ٢١٤
قبائل بنى مرين ١٦٨
قبائل تامسنا ٩٩
قبائل جشم ١٥١
قبائل دكالة ٩٩

قبائل زناتة ٢٦ ٩٤ ١٣٨
قبائل صنهاجة ١٠ ٥٥ ٧٣ ٨٤
قبائل العرب ١٢٨ ١٣٨ ١٩٦
قبائل غمارة ٢٨ ١٦٨
قبائل المصامدة ٢٣
قبائل المغرب ١٦ ٢٣ ٢٥ ٢٩ ١٠٣ ١٢٥
١٦٧ ١٦٩ ١٩٧
قبائل الموحدين ١٩٧
قبائل مغراوة ١٦٨
قبائل هرغة ٨٤
قبائل هسكورة ١٦٨ ٢٠٩
قبائل هلال بن عامر ١٥١
القبائلى ٢٣٤
قبيلة كومية ١٢٨
قبيلة تينملل ١٢٧
قحطان ١٤٥ ١٤٦
قدار ١١٨
قراقوش الغزى ١٤٤
القرامطة ١٤٦
قرة ١٥٢
قريش ٥٣
قضاعة ١٦٠ ١٦١
القومس ٤٩ ١٣٥
قيس ١٤٩
قيس عيلان ٨٩

حرف ﴿ ك ﴾

كانون بن جرمون ١٥٥ ٢١٦ ٢٢١ ٢٢٢
٢٢٤
كتامة ٣
كدالة ٣ ٥ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١٥٩
كدميوة ٧٧ ٨٤ ٢٣٢
كروان ١٤١
الكلابة ١٥٦
كنعان بن حام ٣
كنفيسة ٧٧ ٨٤
كهلان ١٤٦ ١٦١
كومية ٧٤ ٨٩ ٩١ ١٢٧ ١٤١
الكيا الهراسى ٧٢

حرف ﴿ ل ﴾

لمتونة ٣ ٤ ٥ ٧ ٩ ١٠ ١٢ ٢٦ ٤٩
٥٠ ٥٥ ٥٦ ٥٨ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٧١ ٧٧ ٧٨
٨٣ ٨٤ ٩٤ ٩٥ ٩٧ ١٠٢ ١٠٤ ١٥٩
اللمتونيون ٩٧
لقوط بن يوسف بن علي المغراوى ١٣ ١٤
لماية ١٥
لمطة ٩٧
لواتة ١٥ ١٥٤
ليلى ١٤٩

حرف ﴿ م ﴾

ماضى بن مقرب ١٥٠
مالك بن وهيب الاندلسى ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٩
المأمون بن المعتمد بن عباد ٤٩
المأمون بن المنصور الذهبى ١١٥
مبارك بن ابراهيم ١٥٧
المتطوعة ١٦٨ ١٦٩ ١٩٧ ١٩٩
مجاهد العامرى ٣١
المحاسبى ١٨٩
محمد بن ابراهيم الانصارى ١٨٩
محمد بن ابراهيم بن جامع ١٤٣
محمد ابى الطواجين الكتامى ٢٠٩ ٢٣٦
محمد بن اسحق المسوفى ١٤٣
محمد بن اسود ٧٦
محمد بن تميم الكدالى ٢١
محمد بن تومرت ـ مهدى الموحدين ـ ٢٣
٦٢ ٦٣ ٦٥ ٦٦ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦
٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧
٩٠ ٩١ ١٠٣ ١٠٥ ١١٨ ١١٩ ١٢٩ ١٣٢
١٩٠ ٢١٢ ٢١٧
محمد بن تينغمر المسوفى ٢٩
محمد بن الحجام ١٠٧
محمد بن سليمان ٧٧
محمدبن شكر بن ابى الفتوح الحسنى ١٤٩ ١٥٠
محمد بن الطلاع ٣٥
محمد بن عائشة ٥٧ ٥٨
محمد بن عبد الحق المرينى ١٥٥
محمد بن عبد الله ـ ملك المغرب ـ ٢٤
محمد بن عبد الله بن العاضد ١٩٥
محمد بن على بن الحاج ١٢٦
محمد بن على الكومى ١٢٦
محمد بن قلاوون ـ الملك الناصر ـ ١٥٧
محمد بن كانون ١٥٥
محمد بن مبارك ١٥٧
محمد بن مردنيش ١٠٩ ١٢٦
محمد بن مزدلى ٥٩
محمد بن معقل ١٦١
محمد بن منغفاد ١٦٨
محمد بن ميمون ٦٤ ٩٥
محمد بن هود بن عبد الله السلاوى ـ الماسى ـ
٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ٢٠٣ ١٠٥ ١١٧
محمد بن يحيى بن فانو ٩٤
محمد بن يوسف بن وانودين ١٣٧
محمد بن يغمور الهرغى ١٩٢
محمد بن يوسف ١٦٥
محمد الشيخ المهدى السعدى ١٥٨
محمد القطرانى ٢٢٩
محيوا بن ابى بكر بن حمامة المرينى ١٦٨
محيى الدين بن عربى الحاتمى ١٧٣ ١٧٩

مختار بن محمد ١٦١
المخصب بن عسكر ٩٧
مداسة ٣
مدرك التلكانى ٢١
مديونة ٢٥
المرابطون ٨ ٩ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٧ ١٨
٢١ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٩ ٣١ ٣٢ ٣٧ ٤٠ ٤٩
٥٠ ٥١ ٥٥ ٦١ ٦٤ ٦٧ ٦٩ ٨١ ٨٣ ٨٤
٨٦ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٦ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥
١٠٦ ١٠٩ ١١٠
مرزدغ الصنهاجى ١٣٢
مزدلى بن تيلكان ٢٩ ٥١ ٥٦ ٥٩
المستنصر بالله العبيدى ١٤٧ ١٤٨
المستنصر العباسى ٢١٠
مسراتة ٣
مسعود بن حميدان ١٥٥ ١٥٦ ٢١٧
مسعود بن سلطان ١٥١
مسعود بن كانون ١٥٥
مسعود بن وانودين المغراوى ١١ ١٢ ٢٥
مسفيوة ٧٧
المسناوى ١١٦
مسوفة ٣ ٩ ٩٣ ١٥٩
مشرف بن اثبج ١٥٢
المصامدة ٦ ١٢ ١٣ ١٥ ٢٢ ٢٥ ٢٧
٢٨ ٦١ ٧١ ٧٧ ٧٨ ٨٠ ٨٦ ٨٩ ٩١ ١٢٧
١٣٨ ١٥٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٩٧
٢٢٣ ٢٣٠
المصحف العقبانى ١١٥ ١١٦
المصحف العثمانى ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥
١١٦ ٢٢٥
مصحف المهدى ـ الموحدى ـ ١١٤
مضر ١٤٥ ١٤٦
مظفر ـ القائد ـ ١٠٥
معاذ بن اليسع ١٥
معاوية بن اوقاريط ٢١٧
معاوية بن بكر ١٥٢
المعز بن باديس ١٤٧ ١٤٨
المعز بن يوسف ٣١
معقل ١٦١
معنصر المغراوى ٢٥
مغراوة ١٢ ٢١ ٢٦ ٢٧ ٩٥ ١٣٨
المغراويون ١١
المغيرة بن شعبة ١١٨
مغيلة ٢٥
المقدم ١٥٢ ١٥٣
مكناسة ٢٧
المكيدى ـ القاضى ٢١٣
الملثمون ١٩ ٣٢ ٦٥ ٦٦ ٧٥ ٩٨ ١١١
١٤٤ ١٥٠ ١٥٩
ملك ينبلونة ١٩٧

ملوك الاندلس ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٤٤ ٤٦ ٤٨ ٥١ ٥٢
ملوك البربر ٩٨
ملوك بنى عبد الواد ١١٥
ملوك الجلالقة ٥٨
الملوك الحفصيون ١٣٥ ١٩٣
ملوك زناتة ١١ ١٦٠
الملوك السعديون ١١٥
ملوك شيزر ١٦٣
ملوك الطوائف ٣٥ ٤٨ ٥٠ ٥١ ٢٢٥
ملوك العبيديين ١٤٧
ملوك الفرنج ١٧٠ ١٧٢
ملوك المغرب ١٦٣
ملوك الموحدين ١٧٧
المنبات ١٦١
منبا بن منصور ١٦١
منديل بن عبد الرحمن المغراوى ١٦٨
المنصور بن أبى عامر ١١ ١٦
منصور بن محمد ١٦١
منصور بن يعيش ١٥٦
مهدى بن تولى اليحفشى ٢٥
مهدى بن يوسف الكزنائى ٢٥ ٢٦
الموحدون ٢٤ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٧٨ ٨١ ٨٣ ٨٤ ٨٦ ٨٧ ٩١ ٩٢ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ١٠٠ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٤ ١١٦ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٧ ١٣٨ ١٤٢ ١٤٤ ١٥٠ ١٥١ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٦٠ ١٦٥ ١٦٧ ١٦٩ ١٧١ ١٧٣ ١٧٧ ١٨٣ ١٩١ ١٩٢ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٦ ٢١٧ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٣ ٢٣٤
موسى بن أبى جمادة العمرى ـ القائد ١٥٨
موسى بن احمد الصنهاجى ٦٨
موسى بن زيان الونكاسى ٢٢٧
موسى بن سعيد ١٠٤
ميسرة المضغرى ١٤ ١٥
ميمون بن بدر ١٠٥ ١١١

حرف (ن)

ناصح العلج ٢٢٥
نـــوح ١١٨

حرف (هـ)

هرون بن سعيد العجلى ٨٨
الهاشميون ١٦٠
هامان ١١٨

الهاشميون ١٦٠
هامان ١١٨
هرغـــة ٧١ ٧٧ ٧٨
هرقـــل ١٩٧
هزيمرة ايرجان ١٨٧
هزرجـــة ٢١٧
الهساكرة ٢٣٠
هسكورة ١٥١ ١٨٧ ٢٠٧ ٢٠٩
هشام بن عبد الملك ١٤
هلال بن حميـدان ١٥٦ ٢٠٧ ٢١٢ ٢١٤
الهلاليون ١٥٠ ١٥٩
هنتاتـــة ٧٧ ٧٨ ٨٤ ٩٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢١٤ ٢٣٢
هوارة ٩٩
هيلانة ٨١ ١٠١

حرف (و)

واجاج بن زلو اللمطى ٦ ٧
واضح ١٦
وانودين بن خزرون ١١
واقعة أم الرجلين ١٥٧
وحشى ١١٨
وردیغة ١٥٤
وريكـــة ١٤
وشاح بن هلال ١٥٦
وقعة الارك ١٧٤ ١٩٧
وقعة تامزردكت ٢٢٧
وقعة الجلاب ١٣٢ ٢٠٢
وقعة طريف ١١٥
وقعة العقاب ١٩٢

حرف (ي)

يحيى بن ابراهيم الكدالى ٥ ٦ ٧ ١٠
يحيى بن ابى بكر بن يوسف بن تاشفين ٥١ ٥٥ ٥٦
يحيى بن ابى بكر الصحراوى ٩٦ ١٠٢
يحيى بن ابى زكرياء الهزرجى ١٩٢
يحيى بن اسحق انكمار ٩٩
يحيى بن تميم الصنهاجى ٧٢
يحيى بن سكوت ـ ضياء الدولة ـ ٢٩ ٣١
يحيى بن عبد الله بن وانودين ٢٢٩
يحيى بن العزيز الصنهاجى ٦٣ ٩٤ ١٠٨ ١٢٠
يحيى بن عطوش ٢٢١
يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتونى ١٠ ١١
يحيى بن الناصر الموحدى ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ٢٠٨ ٢١١ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠
يحيى بن هلال، ١٥٦ ٢١٨

يحيى بن يغمور ٩١ ٩٤ ١٠٦ ١١١
يحيى بن عبد المومن ١٤٢
يصليتن ٩٥ ١٠٩ ١١٠
يعقوب بن جابر ٢٢٥
يعقوب بن جرمون ١٥٥ ٢٢٧ ٢٢٨
يعقوب بن عبد الحق المرينى ١٥٣ ١٥٧
٢٠٠ ٢٢٢ ٢٣٠ ٢٣٣ ٢٣٤
يعقوب بن على ١٥٥
يعقوب بن كانون ٢٢٧
يعقوب بن محمد بن قيطون ١٥٣ ٢٢٨
يعلى بن الامير العباس بن بختى ٢٩
يعلى بن محمد المغراوى ٢٩
يعلى بن يوسف ٢٧
يعيش عامل الريف من قبل الناصر ١٩٥
يغمراسن بن زيان ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦
اليمانيـــة ١٤٥
يوسف البطروجى ١٠٦ ١٠٧ ١١٠
يوسف بن ايوب ـ صلاح الدين ـ ١٦٢
١٦٣ ١٦٤
يوسف بن بدر ٩٤
يوسف بن تاشفين ـ امير المسلمين ـ ١٢
١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩
٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠
٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠
٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٩٩
يوسف بن سليمان ١٢١
يوسف بن يعقوب بن عبـد الحق المرينى
٢٢٦
يوسف بن على بن عبد الرحمن بن وطاس ١٤
يوسف بن الناصر ١٩٢ ٢٠٠
يوسف بن مخلوف التينملى ٩٧ ١٠٢
يوسف بن وانودين ٧٧ ٩٤ ٩٥ ٩٧
يوسف الشيطان ٢٢٥
يوم الارك ١٧١
يوم العقاب ١٩٧ ٢٠٣
اليونان ١٨٤
يونس ١١٨
يونس بن الياس ١٥ ١٦

فهرس الاماكن

حرف (ا)

آزمور ١١٥ ١٥٥ ١٥٦ ١٨٤ ٢٢٢
آسفى ١٥٦ ٢١٠
آكرسيف ٢٩
آلزاب ٣١
ابـدة ٤٩ ١٠٥ ١٠٩
الاثبج ١٠٨ ١٦٠
ارض افريقية ٥٠ ٧٢ ١٤٥ ١٥١
ارض الاندلس ٤٦
ارض الحجاز ١٤٦
ارض سـلا ١٢٨ ١٧٤
ارض السوس ١٥٦
ارض الصحراء ٣ ٦ ٧ ١٥٨
ارض الصعيد ١٦٠
ارض العدوة ٤٦
ارض المصامدة ٦
ارض المغرب ١٧ ١٢٧ ١٤٥ ١٥٩ ٢١٢
ارض نجد ١٤٩
الارك ١٦٥ ١٦٨ ١٧١
اركلان ١٥٩
الاركو ١٧٣
ازغـار ١٥١ ١٥٢ ١٥٨
استجة ١٠٥ ١٣٧
الاسكندرية ٥٢ ٧١ ٧٢ ١٦٣ ١٨١
اسوان ١٦٠
اشبونة ٥٤ ٥٩ ١٣٦ ١٣٨ ١٦٢
اشبيلية ٢٨ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧
٣٨ ٤٤ ٤٥ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥٩ ١٠٥
١٠٦ ١٠٧ ١١٠ ١١١ ١١٧ ١٢٦ ١٣١
١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٧ ١٣٨ ١٤٢
١٧١ ١٧٢ ١٧٥ ١٧٩ ١٨٠ ١٨٩ ١٩٤
١٩٧ ٢٠٠ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٥ ٢٠٧ ٢٠٨
٢١٠ ٢١١ ٢١٣ ٢١٧
اشكونية ٦٢
اغمات « مدينة » ١٣ ١٤ ١٨ ١٩ ٢٨ ٤٩
٥١ ٧٧ ٨٠ ٨٣ ٨٤
افراغـة ٥٤ ١٠٥
افريقية ٣ ٣٥ ٧١ ٧٧ ٩٨ ١٠٧ ١١٥
١٢٠ ١٢١ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٨ ١٣٣
١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٨ ١٤٣ ١٤٦ ١٤٧
١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٩ ١٦١ ١٦٤
١٦٥ ١٧٢ ١٨٣ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤
١٩٦ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٧ ٢١١ ٢١٤
٢٢٢
اقصى المغرب ٧٥

اقطار المغرب ١٠ ٨٤ ٩٢
ام العلو ١٠٨
الاندلس٣ ٤ ٥ ١١ ٢٨ ٣٠ ٣١ ٣٥ ٣٦
٣٧ ٣٨ ٤٠ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٥٠ ٥١ ٥٢
٥٣ ٥٦ ٥٧ ٥٩ ٦١ ٦٢ ٦٤ ٦٦ ٧١ ٨٤
٩٦ ٩٨ ٩٩ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٧ ١٠٩ ١١٠
١١١ ١١٣ ١١٤ ١١٨ ١٢١ ١٢٦ ١٢٨
١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩
١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨
١٦٩ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٧ ١٨٠ ١٨١ ١٨٦
١٨٧ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠
٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠
٢١١ ٢١٥ ٢١٩ ٢٠٢ ٢٢٣

حرف (ب)

باب آيلان بمراكش ٨١ ١٨٤
باب اغمات بمراكش ١٨٩ ٢٣١
باب آكناو بمراكش ١٧٣
باب البنود بمراكش ٢٣٢
باب تاغزوت ٢٣٤
باب الحديد بفاس ١٩٦
باب جوهر ـ باشبيلية ـ ١٣٥
باب دكالة بمراكش ١٣٨
باب الرب بمراكش ١٨٨
باب الشريعة بفاس ١٩٥ ٢٣١
باب الصالحة بمراكش ٢٣١
باب الطبول بمراكش ٢٣١
باب الفاتحة بمراكش ٢٣٢
باب القنطرة بطليطلة ٥٧
الباب الكبير المدرج بجامع الاندلس ١٩٦
باب المحروق بفاس ١٠٥ ١٩٥
باب مراكش بسبتة ١٠٩
باجة ١٠٤ ١٠٧ ١٢٦ ١٦٤
بادس ١٢٨ ١٩٥
بجاية ٥٠ ٦٣ ٦٦ ٧٢ ٧٣ ٩٤ ٩٥ ١٠٧
١٠٨ ١١٠ ١٢٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٧
١٤٣ ١٦٢ ١٨٠
بحر النيل ٧ ١٤٧
البحرين ١٤٦
البحر المحيط ٥ ٥٤ ٦٦ ١٥٩ ١٧٩ ١٨١
١٨٤
البحيرة باحواز مراكش ٨١ ٨٧
برباط ـ حصن بالاندلس ـ ١٤
برتقال ٥٩
برج الذهب باشبيلية ٢٠٣
برشلونة ٥١ ٥٨ ١٧٢ ٢١٠
بر العدوة ٦٠
بستان المسرة ٢٣١
برقة ٩٢ ١٢٤ ١٤٨ ١٧٧ ١٧٩
بسيط تامسنا ١٥٣ ١٥٦ ٢٢٩

بسيط متيجة ١٦١
البصرة ١١٣
البطحاء ١٢٥
بطليوس ٣١ ٣٢ ٣٦ ٤٠ ٥١ ٥٩ ١٠٤
١٠٧ ١٢٦ ١٣٣ ١٧٢
بطوية ٩٤
بغداد ٥٣ ١٤٨ ٢١٠
بلاد الاذفونش ٤٦
بلاد اربونة ٥٨
بلاد افريقية ٤٥ ٩٢ ١٠٧ ١٢٠ ١٢١ ١٢٣
١٢٤ ١٢٥ ١٢٨ ١٣١ ١٣٦ ١٤٤ ١٥٠
١٦٤ ١٧٧ ١٨١ ١٩٣ ١٩٦
بلاد الاندلس ١٤ ٣٠ ٣٦ ٣٧ ٤٠ ٤٥ ٤٦
٤٧ ٥٠ ٥١ ٥٩ ٦١ ٦٣ ٦٧ ٩٢ ١٠٤ ١١٢
١٢٣ ١٢٨ ١٣٤ ١٤٢ ٢٠٦ ٢١٠ ٢٢٠
بلاد البربر ٣
بلاد البرتغال ١١٥
بلاد برغواطة ١٠٢
بلاد ابن اذفونش ١٧٢
بلاد ابن عباد ٤٧
بلاد ابن مردنيش ١٣٤
بلاد بنى زيات ٢٠٩
بلاد بنى سعيد ٢٠٩
بلاد بنى عبد الواد ٩٤
بلاد بنى يزناسن ٢٩
بلاد تادلا ١٧ ١٩ ٩٢
بلاد تازا ٩٨
بلاد تامسنا ١٤ ١٥١
بلاد الجريد ١٩١
بلاد جزولة ١٩٥
بلاد الجوف ٦٠ ٦١
بلاد حاحة ١٥٦
بلاد الحوز ١٥١ ٢٢٧
بلاد درعة ١٢ ٩٢ ١٥٩
بلاد دكالة ٢٠٧
بلاد ركراكة ٨٤
بلاد رودة ١٣
بلاد الريف ٢٩ ٢٠٣ ٢٢٣
بلاد زناتة ١٨ ٢٩ ٩٤ ٩٥
بلاد سجلماسة ٢١٧
بلاد السوس ١٢ ١٣ ٢٨ ٢٢٨
بلاد السودان ٣ ٥ ٧ ٩ ١٠ ١٢ ١٨ ٢٠
٥٤ ٦٦
بلاد الشام ١٤٦
بلاد الشرق ١٨١
بلاد شرق الاندلس ٥٧ ٦١ ١٣٤
بلاد الصحراء ٩ ١٠ ١٩ ٢٠ ٢١ ٥٦ ١٦٠
البلاد الصحراوية ٥
بلاد الصعيد ١٦٠
بلاد صنهاجة ١٨

بلاد طنجة ٢٧ ٣١
بلاد العدوة ٤٥ ٦١ ٦٦
بلاد العرب ١٥٠
بلاد الغرب ٢٢٧
بلاد غرب الاندلس ٥٩ ٦١ ١٣٨ ٢٠٣
بلاد غمارة ٢٦ ٢٧ ٢٨ ١٣٢
بلاد الفرنج ٤٧ ٥٧ ٥٩ ٦١ ٦٦ ١٢٨
١٦٥ ١٧١ ١٩٧
بلاد فندلاوة ٢٧
بلاد القبلة ٩ ١٩ ١٩٦
بلاد قشتالة ١٩٧
بلاد كدميوة ١٣
بلاد المشرق ٧٢
بلاد المغرب ١٨ ١٩ ٢١ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨
٤٦ ٥٦ ٥٧ ٦٣ ٦٧ ٨١ ٩٣ ٩٤ ١٢٨
١٥٩ ١٦٠ ١٧١ ١٧٩ ١٨٩ ٢٠٩ ٢٢٠
٢٢١ ٢٣٧
بلاد المصامدة ٩ ٦٣ ٨٣ ٨٤
بلاد مكلاثة ٢٨
بلاد مكناسة ٢٦
بلاد ملوية ٢٧
بلاد نول ١٢٤ ١٥٩ ١٧٧
بلاد الهبط ١٥١
بلاد هزرجة ٨٤
بلاد هسكورة ٢٣٠
بلاد ورغة ٨٧
بلاد نفيس ٦
بليطة ٣١
بلنسية ٤٤ ٥١ ٥٧ ٥٨ ٦٠ ٢٠٦ ٢١٠
بودة ١٥٩
بونة ١٠٨
بياسة ٤٩ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٩
بيت المقدس ١٦٢

حرف (ت)

تادلا ١٣ ١٤ ٢٨ ٩٤ ١٨ ١٠٣ ١٥٣
١٥٩ ١٦١
تارودانت ١٣ ٢٢٨
تازا ١٣٢ ١٥٩ ٢٠٣ ٢١٩ ٢٢٤ ٢٢٦
تاسلاخت ١٦
تاسبيبت ١٥٩
تافيلالت ١٥٩
تاكرارت ٢٩ ٦٥ ٨٩
تاكمارت ١١٨
تامزردكت ٢٢٤
تامسنا ١٧ ٢٨ ١١٥ ١٥٢ ١٥٦ ٢٢٧
٢٢٨
تاملوكالات ١٥
تاوريرت ١٥٩
تفليس ١٨٣

تكرور ١٧٦
تلمسان ١٩ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٢ ٥٦ ٦٣
٦٤ ٧٤ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ١٠٢
١٠٣ ١٠٤ ١٠٧ ١١٠ ١١١ ١١٥ ١٢٤
١٢٥ ١٢٦ ١٣٤ ١٤٢ ١٥٣ ١٥٥ ١٥٦
١٥٩ ١٦٥ ١٩٠ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥
٢٣٣
تمنطيت ١٥٩
تنس ٣٠
توات ١٥٩
توزر ١٤٤
تونس ٧٧ ٩١ ١١٥ ١٢١ ١٣٥ ١٤٤
١٥٠ ١٦٤ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ٢٠٣ ٢٢٦
تيكرارين ١٥٩
تينملل ٦٣ ٦٤ ٧٤ ٧٧ ٧٨ ٨٢ ٨٣
٨٤ ٨٧ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٥ ٩٧ ٩٨ ١٠٩
١١٤ ١٢٩ ١٣٩ ٢٠٧ ٢١٢

حرف (ث)

الثغر الاعلى ٤٠
ثغر الجزائر ١٢٠

حرف (ج)

جامع اسحق بمراكش ٢٣٦
جامع اشبيلية ١٣٥
الجامع الاعظم باشبيلية ١٧٤
الجامع الاعظم بمراكش ٢٣ ١٧٤
جامع الاندلس ٢٧ ١٩٦ ١٣٧
جامع تينملل ٩٢
جامع حسان بالرباط ١٧٤
جامع قرطبة ٦٧
جامع القيروان ١٤٨
جامع القرويين ٢٧
جامع الكتبيين بمراكش ٢٣ ١١٢
جامع المنصور ٢٠٨ ٢١٢ ٢٢٧ ٢٣٣
جبال الذهب ٢٠ ٥٤ ٦٦
جبال غمارة ٩٣ ١٩١ ٢٠١ ٢٣٦
جبال غياثة ٢٧ ٩٤
جبال فازاز ١٨ ٥٤
جبال المصامدة ٢٣ ٦٢
جبال الموحدين ١١٨
جبال نفوسة ١٢٣
جبال ورغة ١٩٥
جبل ابرجان ١٨٧
جبل بنى مهلول ٢٢٩
جبل بنى دمر ١٩٢
جبل تاجورة ١٩٢
جبل تيزيران ١٣٢
جبل تيطرى ٦٣ ٩٤
جبل تينملل ٧٨

جبل جيليز ٨٤ ٢١٢
جبل درن ١٣ ٢٣ ٧١ ٨٣ ١٠١ ١٥١
جبل سليمان ١٧١
جبل سيرات ٩٤
جبل وانشريس ٣٠
جبل طارق ١٢٥ ١٢٦
جبل العلم ٢٣٦
جبل علودان ٢٧
جبل غزوان ١٤٦
جبل الفتح ١٢٥ ١٣٨
الجزائر ٣٠ ٩٠ ١٠٨ ١٢٠ ١٤٣ ١٦١ ١٩٤
جزائر بنى مزغنة ٥٤
الجزائر الشرقية ٦١
الجزيرة ١٠ ٣٧
الجزيرة الخضراء ٣١ ٣٦ ٤٧ ٥٦ ١٣٨ ١٣٩ ١٦٧ ٢١١ ٢١٢
جزيرة الاندلس ٣٢ ١٦٦ ١٧٩
جزيرة طريف ٣٠
جزيرة العرب ١٤٥ ١٤٦
جزيرة ميورقة ٥٦ ١٤٢ ١٩٤
جزيرة يابسة ١٢٣
جليقية ٣٢
جيان ١٢٦ ٢٠٣ ٢٠٥ ٢٠٦

حرف (ح)

حارة باب السلسلة بفاس ٢٣٧
حارة الجذمى بمراكش ١٨٩
حامة مطمامطة ١٩٢
الحامة ١٤٤
الحجاز ١٤٩ ١٥٠
الحجرة النبوية ١١٦
حصن الارك ١٦٧ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١
حصن ارجونة ٢١١
حصن أزكندر ١٣٧
حصن افليح ٥٧
حصن البرج ١٧٤
حصن البلاط ٤٩
حصن تامزردكت ١٥٥
حصن تازا ٢٢٣
حصن سلبطرة ١٩٧ ١٩٨
حصن شقيلة ١٣٧
حصن شنترين ٢٤٢
حصن العقاب ١٩٩
حصن القصر ١٢٦
حصن لبيط ٤٦ ٤٧
حصن المدور ٤٩
حصن المرنكش ١٢٦
حصون وطاط ١٧

حلق المعمورة ١٢٨
حمام الرحبة بفاس ٢٣٧
حمة أبى يعقوب ١٨٣
حمة خولان ١٨٣
حمة وشتاتة ١٨٣
الحوز ١٥١

حرف (خ)

الخضراء ٣٢ ٣٨ ٤٠ ٤٧ ١٦٢

حرف (د)

دار ابن عشرة بسلا ٩٧
دار المرابطين ٦
دار الندوة ١١٨
دار الوضوء - ازاء جامع الانداس - ١٩٦
دانية ٣١ ١١٦ ٢٠٢ ٢٠٦
درعة ١١ ١٢ ٢٨ ٩٩ ١٥٩ ٢٢٦
دكالة ٦٩
دمشق ١١٣ ١٦٥ ١٧٩ ١٨١
الدمنة - مدينة - ٢٧
ديار مصر ١٦٢

حرف (ر)

رابطة العباد ١٩٠
رابطة الغار بمراكش ١٨٩
رابطة ماسة ٩٩
رابطة وهران ٦٤
رباط آسفى ٢٣٦
رباط تازا ٩٩ ١٤٤
رباط سلا ١٠٦ ١٢٨
رباط الفتح ١٠٦ ١٧٤ ١٨١ ١٨٣ ٢٠١ ٢٢٧ ٢٢٨
رحبة الحنطة بمراكش ٦٩ ١٤٤ ٢٢٧
رندة ١٠٧ ١٣٧
روضة المهدى ١١٤
الريف ٢٧

حرف (ز)

زقاق سبتة ١٠٧
الزلاقة ٣٠ ٤٠ ٤٥
الزهراء ٣٥
زويلة ١٢٢

حرف (س)

ساحل البحر المحيط ١٩
ساحل تامسنا ١٤
ساحل الخضراء ٣٢
سبتة ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣١ ٣٧ ٤٥ ٥٠ ٥٩ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٧ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١٢٨ ١٣٣ ١٣٨ ١٩٤ ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٤

١١٥ ١١٨ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٩
سجلماسة ١١ ١٢ ١٩ ٢١ ٢٥ ١٥٩ ١٦٠
٢٠٨ ٢١٩ ٢٢١
السجينة بمراكش ٢١٤
سرقسطة ٣٠ ٣١ ٣٢ ٤٤ ٥١ ٢١٠
السقيفة ٢٢٨
ســلا ١٦ ٤٧ ٩٧ ٩٨ ١٠٣ ١٠٦ ١٠٧
١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١٢١ ١٣١ ١٣٥
١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٥٩ ١٦٦ ١٨١ ١٨٨
١٩٤ ٢٠١ ٢٠٧ ٢١٩ ٢٢٢ ٢٢٧ ٢٢٨
سلبطرة ١٩٩
سهيل ١٨٨
السوس ٦ ١٣ ٧٣ ٧٧ ٧٨ ٩٩ ١٢٨
١٥٣ ١٥٩ ٢٢٧ ٢٣٠
السوس الاقصى ٦ ٥٤ ١٢٤ ١٥٩ ١٧٧
سوسة ١٢٠ ١٢٣ ١٢٤
السودان ٢٠ ١٧٦
سوق الدقيق بمراكش ٢٣٦
سوق العطارين بمراكش ٦٨
سويقة ابن مصكوك ١٧٧
سيرات ٩٤

حرف (ش)

شاطبة ١٠٦ ١٢٠ ٢٠٦ ٢١٠
الشام ١١٣ ١٤٦ ١٥٠ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤
شرق الاندلس ٥٤ ٥٦ ١٢٦
شريش ١٠٤ ١٠٧
شدونة ١٤ ٣٠
شفشاوة ١٣
شقورة ٤٩
شلب ١٠٤ ١٦٤ ١٦٥ ١٨٧
شلف ٣٠
شنترين ٥٩ ١٠٥ ١٣٨ ١٦٢
شنتمرية ٦١ ١٠٥

حرف (ص)

صحارى برقة ١٥١
صحارى المغرب الاقصى ١٥٩
الصحراء ٥ ٧ ١٢ ١٩ ٢٠ ٢١ ٣١ ٣٥
٥٦ ١٤٣ ١٦٤ ٢٠٣ ٢٢٧
صحراء فجيج ٢٠٢
الصخيرة ٤٩
صعيد مصر ١٤٦ ١٤٨
صفاقس ١٢٠ ١٢٣
صفرو ٢٥
صقلية ١٢٠ ١٢٣ ١٢٤
صلب الفتح ٦٥
صلب الكلب ٦٤
صنهاجة مفتاح ١٣٢
صور ١٦٣

حرف (ط)

الطائف ١٤٦
طرابلس الشام ١٦٣
طرابلس الغرب ٧٣ ١٢٣ ١٤٤ ١٩١
طرطوشة ٤٠ ٥٨ ١١٦
طريف ١١٥ ١٣٣ ١٩٧
طلايوت ٥٩
طليرة ١٠٧ ١٣٧
طلمنكة ١٧٢
طليطلة ٣٠ ٣١ ٣٤ ٣٧ ٤٥ ٤٨ ٥٧ ٥٩ ٦١ ١٢٦ ١٣٧ ١٦٥ ١٦٦ ١٧١ ١٧٢
طنجة ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٥٤ ٩٦ ١١٠ ١٢٦ ١٢٨

حرف (ع)

العراق ١١
العدوة ٤٥ ٤٧ ٤٨ ٥٣ ٦٢ ١١٠ ١١٢ ١٦٢ ٢٠٧
العدوتان ـ المغرب والاندلس ـ ٥١ ٧١ ١٢١ ١٣١
عدوة الاندلس ٢٧ ٩٣ ٢٣٧
عدوة القرويين ٢٧ ١٩٦
عدوة المغرب ٥٤
عكاء ١٦٣
عمان ١٤٦
عوسجة ٢٦
عين خميس ١٢٨
عين غبولة ١٢٨

حرف (غ)

غانة ١٧٦
الغرب ١٥١
غرب الاندلس ٥٤ ٦٢ ١٦٤
غرب افريقية ١٥٩
غرب جزيرة الاندلس ١٦٦
غرناطة ٣٦ ٤٠ ٤٣ ٥٠ ١٠٥ ١٠٦ ١١١ ١٣٢ ١٣٧ ٢٠٥ ٢٢٧
غساسة ١٥٩
غمارة ١١٩

حرف (ف)

فازاز ٢٨ ٢٠٩
فاس ١١ ١٦ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٣١ ٥٦ ٥٧ ٦٧ ٧٥ ٩٦ ٩٧ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٥ ١١٠ ١١١ ١١٥ **١١٦** ١٢١ ١٣٨ ١٤١ ١٥٨ **١٥٩** ١٦٢ ١٦٤ ١٦٥ ١٧٤ ١٨٢ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٥ ١٩٦ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢١٩ ٢٢٤ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٧
فحص الضباب ٦٢
فحص عطية ٦٢
الفرات ١٥٠
فلسطين ١٤٧

حرف ﴿ ق ﴾

قابس ١٢٣ ١٩٢
قادس ١٨٣
القاهرة ١٤٧ ١٤٨
قبر يعقوب المنصور ١٨٢
قبائل برغواطة ١٧
قبائل صنهاجة ١٠
القبلة ٣١ ١٢٨
قرطبة ١٠ ٣٤ ٣٦ ٤٤ ٤٩ ٥٧ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٨ ٦٩ ٧١ ٩٦ ١٠٢ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١٢٦ ١٣١ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٦٥ ١٧٩ ١٨٧ ١٨٨ ١٩٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢١١ ٢٢٠ ٢٣٥
قرمونة ٤٩ ١٠٥ ١٢٦ ١٩٧
قرية يليسكاون — بوسكارن ٦٩
قسنطينة ١٠٨ ١٤٣
قشتالة ٢١١ ٢١٢ ٢٢٧
القصبة بغرناطة ١٠٦
القصبة بمراكش ٦٥ ٢٠٤ ٢٠٨ ٢٢٧ ٢٣٢
قصبة رباط الفتح ٢٢٧
قصبة كرجستان ١٨٣
قصر ابى دانس ١٦٥ ٢٠٣
قصر ابن عشرة بسلا ١٠٨
قصر البديع بمراكش ٢٤
قصر كتامة — القصر الكبير — ١٠٧ ١٥١ ١٨٧ ٢٠٩
قصر المجاز ٤٧ ١٦٢ ١٦٧ ١٩٦ ٢٠٧
قصر مصمودة ١٤٢
قصر المنصور بمراكش ١٧٨
قصور افريقية ١٢٣
قصور السوس ١٥٩
قفصة ١٢٣ ١٣٦ ١٣٧ ١٤٤ ١٩٢
قلعة ايوب ٦١
قلعة جابر ١٣٥
قلعة حماد ٦٧ ١٠٨ ١٤٣
قلعة رباح ١٣٥ ١٧٢ ١٧٣ ١٩٨ ١٩٩
قلعة فازاز ٢٥ ٢٦
قنصرة ١٣٥
قنطرة تانسيفت ١٣٣
قيجاطة ٢٠٦ ٢٠٧
القيروان ٥ ٦ ١٦ ١١٦ ١٤٤ ١٩٢

حرف (ك)

كبكب ٨٠
كركرار ١٧٣
كركى ٦٢
كريفلة ١٧
كهف الضحاك ٦٣
الكوفة ١١٣

حرف ﴿ ل ﴾

لاردة ٦٠
لبلة ١٠٤ ١٠٧ ١١٠ ١١١
لمدية ١٩٥
لواتة ـ مدينة ـ ١٨
لورقة ٤٧

حرف (م)

ماردة ١٠٥ ١٣٦
مازونة ١٤٢
ماسة ـ مدينة ـ ١٣ ١٠١
مالقة ٤٨ ٥٠ ١٣٦ ١٣٧ ١٨٨ ٢٠٥
متيطة ١٨٧
المجدل ١٨١ ١٨٢
مجريط ٥٩ ١٧٢
مدائن مكناسة ١٨
مدرسة سلا ١٧٤
المدينة ١١٣ ١٤٦ ١٦٠
المدينة البيضاء ـ فاس الجديد ٢٤
مراكش ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٨ ٣٠ ٣٢ ٣٧
٤٨ ٤٩ ٥١ ٥٥ ٥٦ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤
٦٥ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٥ ٧٧ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢
٨٣ ٨٤ ٨٧ ٩٢ ٩٣ ٩٥ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠١
١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨
١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٧ ١١٨
١٢١ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣
١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٢
١٤٤ ١٥١ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٦١
١٦٢ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٧١ ١٧٢ ١٧٤
١٧٥ ١٨٠ ١٨١ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٨ ١٨٩
١٩١ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٨ ٢٠٠ ٢٠٢
٢٠٣ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠
٢١١ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٨ ٢١٩
٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩
٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦
مرسى بجاية ٢٢٦
مرسى هنين ١٢٨
مرسية ٤٧ ٥٨ ٦٠ ١٢٦ ١٣٣ ١٣٨
١٦١ ١٩٤ ٢٠٢ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢١٠
المرية ٤٠ ٤٢ ٤٧ ٥٠ ٥٣ ٦٤ ٩٥
١٠٥ ١٠٩ ١٩٥ ٢١٥
المسجد الاعظم بسلا ١٧٤
المسجد الجامع بمراكش ١١٤
مسجد طريانة بفاس ٧٥
مسجد المهدى ١١٤
المشرق ٥ ١٤ ١٥ ٥٠ ٥٢ ٧١ ٧٣ ٧٤
٨١ ٩٨ ٩٩ ١١٦ ١٢٥ ١٥٤ ١٧٧ ١٨٢
مصر ٧٢ ١٠٨ ١٤٤ ١٤٦ ١٤٧ ١٥٧
١٦٤ ١٩٥
مصلى الاندلس ١٩٦

مصلى القرويين ١٩٦
المعدن ١٥٩
المعمورة ٤٧
المغرب ٣ ٥ ١١ ١٤ ١٥ ١٦ ١٨ ١٩
٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٨ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٤٥ ٥٠
٥٢ ٥٣ ٥٧ ٦٢ ٦٦ ٧١ ٧٣ ٧٤ ٧٦ ٩٠
٩٢ ٩٣ ٩٦ ٩٨ ٩٩ ١٠١ ١٠٢ ١١٥
١١٦ ١٢١ ١٢٤ ١٣١ ١٣٣ ١٣٩ ١٤٢
١٤٥ ١٤٦ ١٤٨ ١٥٢ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٧
١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦٣ ١٦٧ ١٧٢ ١٧٧
١٧٩ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٦
١٩٧ ٢٠٠ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٨ ٢٢١ ٢٢٢
٢٢٣ ٢٣١ ٢٣٣ ٢٣٦ ٢٣٧
المغربان ٩٣ ٩٩ ١١٠ ١٢٨
المغرب الاقصى ٣ ٧٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٥٠
١٥١ ١٥٢ ١٥٩
المغرب الاوسط ٣ ٢٩ ١٢٧ ٢٢٢ ٢٢٣
مغيلة ٥٦
المقرمدة ٢٢١
مقصورة جامع بنى امية ١١٣
مكة ٧٢ ١١٣ ١٤٩ ١٥٠
مكناسة تاكرارت ١٠٤
مكناسة الزيتون ٢٤ ٢٥ ٢٨ ٧٥ ٩٦ ١٠٤
١٣٨ ١٥٩ ٢١٤ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤
٢٢٦ ٢٢٧
ملالة ٧٣
ملوية ٢١ ٩٤ ١٥٩
مليانة ١٤٣
مليلة ٢٩ ١٩٥
مملكة مراكش ٢٣٣
منار جامع الكتبيين بمراكش ١٧٤
منداس ٩٤ ٩٥
منورقة ١٤٢
المهدية ٤٧ ٧٢ ١٠٨ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣
١٢٤ ١٢٨ ١٩١ ١٩٢ ٢٠٣
ميورقة ١٤٢ ١٩٤ ٢٠٥

حرف (ن)

نابلس ١٤٤
نجران ١٦١
نجد ١٥٠
نفيس - مدينة ٦
نكور - مدينة ٢٩
نهر اشبيلية ٤٩
النهر الاعظم باشبيلية ٣٥
نهر بطليوس ٤٠
نهر سلا ٢٨١
النيل ١٤٨

حرف (هـ)

هنين ٨٩

حرف (و)

وانشريش ٧٤
وادى آش ١٧٠
وادى اشبيلية ١٣٥ ١٧٤
وادى أم الربيع ١٢٧ ٢١٧ ٢١٩ ٢٢٩ ٢٣٣
وادى بهت ٢٢٣
وادى تانسيفت ٩٩
وادى تينملل ٧٩
وادى الحجارة ٥٩ ١٧٢
وادى سبو ٤٧
وادى شردوع ٥٦
وادى صيفير ٢٦
وادى العبيد ٢١٥ ٢١٦
وادى لاو ٢٠٩
وادى ماسة ١٠٠
وادى ملوية ٥٦ ١٠٧ ١٦٠
وادى منى ٢٩
وادى نفيس ٧٨ ٨٤
وادى وادغفو ٢٣٤
وادى يسر ١٩٠
والدة الاذفونش ١٧٢
وبذة ١٣٤
وجدة ٢٩ ١٩٦ ٢٢٤
وهران ٣٠ ٦٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ١٢٨

حرف (ي)

يابرة ١٠٧
يابسة ١٤٢
يابورة ٥٩ ١٢٦ ١٦٤ ١٦٥
اليمن ١٦١
يوم وادى المخازن ١٥٨

فهرس الخطإ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٢	وهـا	وبهـا
٢٦	١٢	صاحت	صاحب
٣١	١	انتـثر	انتـثر
٣٣	٣	الاغراض	الاعراض
٤٦	١١	فعلى	عـلى
٦٧	١٩	والافطار	والاقطار
٧٥	٢٣	البيدن	البيدق
٨٧	١٢	وتياتا	وثباتا
٩٠	٥	بغررة	بغرزة
٩١	٦	فتتافسو	فتنافسوا
٩٥	٢٠	مقنل	مقتل
٩٦	٢٢	قتح	فتح
١١١	١٢	ابى الحكام	ابى الحكم
١١٥	٨	الى اضيب	الى ان اصيب
١٢٠	٢	وبروى	ويروى
١٢١	١٨	يغـد	يغـذ
١٢٩	١٧	فبايعوة	فبايعه
١٤٥	٦	زحف	زحفت
»	٧	الى ارض المغرب	الى المغرب
١٤٨	١	بن	ابن

صفحة	سطر	خطأ	الصواب
١٧٣	١٤	للتاء واربعمائة	وللتاء اربعمائة
١٧٤	٦	ومدرسة الجوفية	ومدرسته الجوفية
١٧٥	٣	بحبث	بحيث
١٩٣	١٠	فبكم	فيكم
١٩٥	٢٠	هدا	هذا
٢١٠	١٢	العباش	العباسى
»	١٩	بنى	بنو
٢٢٨	١١	على بنى	على بن

3 4784

AHMED AN-NACIRI

AL-ISTIQÇA

TOME II

DAR EL KITAB
PLACE DE LA MOSQUÉE * B. P. 4018 Derb SIDNA
CASABLANCA (Maroc)

Dépositaires :

ÉDITIONS LAROSE
11, RUE VICTOR COUSIN
PARIS (Ve)

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE & D'ORIENT
11, RUE SAINT-SULPICE
PARIS (VIe)

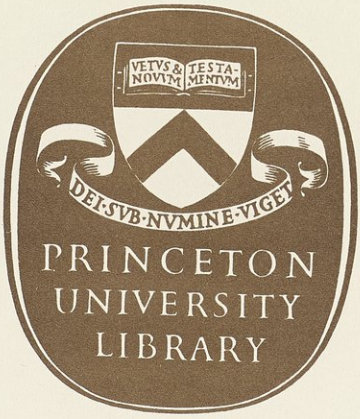
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY - SEPT. 1996
We're Quality Bound